المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
(البرنامج المسائي)

رسـائـل الإمام

عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة

(المجموعة الخامسة) دراسةً وتحقيقًا

مشروع رسالة عِلميَّة مُقَدَّم لِنَيْل درجة العَالِمِيَّة (الماجستير)

إعداد الطالب

عبد الله بن صلفيق بن فدَّان القاسمي الظَّفيري

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن عبد الوهَّاب العقيل حفظه الله

المقدمة، وتشمل:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

خطة البحث

منهج البحث

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، مُعِزِّ الإسلام بِنَصْرِه، ومُذِلِّ الشرك بِقَهْرِه، ومُصَرِّفِ الأمور بِأَمْره، ومُسْتَدْرِجِ العاصين بِمَكْرِهِ، الذي أَظْهَرَ دِينَه علىٰ الدِّين كُلِّه، القَاهِرِ فَوْق عِبَاده فَلا يُمَانَع، الظَّاهِرِ علىٰ خَلْقِه فَلَا يُنَازَع، الحَكِيمِ فيما يُرِيد فَلَا يُدَافَع.

أحمدُه علىٰ إِعْزَازه لأوليائه، ونُصرته لِأَنْصَاره، وخَفْضِه لأعدائه، حَمْدَ مَن استشعرَ الحمدَ بَاطِن سِرِّه وظَاهِر جِهَارِه.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وَحْدَه لا شريكَ له، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الذي لَمْ يَلِدْ، ولَمْ يُولَدْ، ولم يَكن له كُفُوًا أَحَدٌ؛ شَهَادة مَن طهَّر بالتوحيد قَلْبَه، وأَرْضىٰ بالمُعَاداة فيه والمُوَالاة ربَّه، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، رَافِعُ الشَّك، وخَافِضُ الشِّرْك، وقَامِع الكَذِب والإِفْك، اللهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّد وآله وصَحْبِه وسَلِّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا[1].

(١) من مقدمة كتاب «المَوْرد العَذْب الزُّلَال في كشف شُبَه أهل الضَّلَال»، للشيخ عبد الرحمن بن حَسَن آل الشيخ، ضمن «مجموعة الرَّسائل والمسائل النَّجْدِيَّة» (٤/ ٢٨٨).

أمَّا بعدُ:

فقد امتَنَّ اللهُ سبحانه علىٰ هذه الأُمَّةِ ببقاء الدِّين فيها صَافِيًا نقيًّا مِن الشَّوَائب الشِّركية والبِدعيَّة، كلما انْدَرَست أُصولها في بعض الأقطار- قَيَّض اللهُ فيها مَن يُجَدِّد أَمْرَ الدِّين، ويُقيم دَعائمه، ويُنَقِّيه مِمَّا ليس فيه، فيُحِقُّ التوحيدَ والسُّنَّة، ويُبطل الشِّرك والبِدْعة، ويَردُّ علىٰ أهل الضَّلال وشُبهاتهم؛ مِصْدَاقًا لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»(١).

ومِن أُولئك؛ الإمامُ المُجَدِّدُ مُحَمَّدُ بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي نَصَرَ اللهُ به الدِّين، ورَفَع به مَنَارَ التَّوْحيد في جزيرة العَرب، وأيَّده بالإمامِ مُحَمَّدِ بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقامت دَولة التَّوْحيد والسُّنَّة، بالحُجَّة واللِّسَان، والسَّيف والسِّنَان، بعد أن فَشَا فيها الشركُ والخُرَافة، فالحمدُ لله علىٰ فَضْله وإنْعَامِه.

فَدَعا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ التوحيدِ واتِّبَاع السُّنَّة، وحَذَّر من الشرك والبدع، وأَلَّف في ذلك المُؤلفات والرَّسَائل، وبَعَثَ بها إلىٰ الأُمراء والفُقَهاء، فَبَلَغَتْ أقطارَ البلاد، ونَفَعَ اللهُ بها نفعًا عَظيمًا.

ثُمَّ تَتَابَعَت علىٰ هذا النَّهْجِ شَجَرَةُ الشيخِ المُبَاركة؛ أبناءً وأَحْفَادًا، يُؤَلِّفون الكتب والرَّسائل، ويَنشرون عِلم الكتاب والسُّنَّة، ويُفَقِّهون النَّاس في الأحكام، ويُبيِّنون ما خَفِي عليهم مِن أمر التوحيد، ويَكشفون الشُّبهات المُضِلَّة، ويَردُّون علىٰ أَرباب الضَّلال، لا سِيَّما وأَنَّ كثيرًا منها أُلِّف في زمن عَصَفت فيه فِتَنُ الشرك

(١) رواه أبو داود برقم (٤٢٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

والخُرافة والحروب، وكَثُر المُعَارضون لهذه الدعوةِ المُبَاركة، فقام علماءُ الدَّعوة علىٰ قَدَمٍ وسَاقٍ في الذَّبِّ عنها، ونَشَروا العقيدةَ السَّلَفِيَّة، والشريعة الإسلاميَّة، وأعلنوا الحقَّ وأَظْهَروه، وجَدُّوا واجتهدوا في إيضاحِه بِدَليلِه.

فَكَانت تلكَ الرَّسَائلُ والمَسَائلُ نَفِيسةً في بَابِها، عَظِيمَةً في خِطَابِها، ولمَّا كانت مُفَرَّقة، قام **العَلَّامةُ سُلَيْمَان بن سَحْمَان** رَحِمَهُ اللَّهُ[1]؛ بِجَمْعِها، حِفظًا لجهود أولئك الأَئمة الأَفْذَاذ، ولِيَسْتَفيد منها مَنْ أَتَىٰ بَعدهم مِن هذه الأُمَّة، **وسمَّاها:**

«مجموعة الرَّسَائل والمَسَائل النَّجْدِيَّة»

حيث جَمَعَ فيها مِن فَتَاوىٰ ورَسَائل الأئمة ما كان مُخْتَصرًا، وهي في التوحيد والفقه.

وأمَّا الرَّسَائلُ الكِبَار المُتَدَاوَلَة فهي مُسْتَقِلَّةٌ علىٰ حِدتها، مُستغنية عَن إثباتها، وكذا ما كان مَشهورًا متداولًا، كـ«كتاب التوحيد» و«فَضْل الإسلام»، وغير ذلك مما شُهْرته كافية.

ثُمَّ إِنَّ فَضيلةَ الشيخ عبد الرحمن بن قَاسم النَّجْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ قام بِعَمَل مُشَابه

(١) الشيخ سليمان بن سحمان، ولد سنة ١٢٦٨هـ، في قرية السقا من بلدان أبها، ونشأ بها حتىٰ راهق البلوغ. وأخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وابنه عبد اللطيف، وابنه الشيخ عبدالله، والشيخ حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، وغيرهم.
وقال الشيخ محمد شكري الألوسي: هو علامة الزمان، وملاد الفضل والعرفان، الكمال المسجد، والفرد الأوحد، ذو التصانيف الفائقة، والتآليف الرائقة، وهو أشهر من أن ينبه عليه.
توفي رحمه الله تعالىٰ وأسكنه الفردوس الأعلىٰ، سنة ١٣٤٩هـ في بلد الرياض.
انظر «الدرر السنية» (١٦/ ٤٤٥-٤٥٣).

لجهد العَلَّامة سُلَيْمَان بن سَحْمَان، حيث جَمَعَ رَسَائل وفَتَاوىٰ الأئمة في كتابه:
«الدُّرَر السَّنِيَّة في الأَجْوِبَةِ النَّجْدِيَّة»

فكان ذلك حَافزًا لإعادة إِخْرَاج تلك الرَّسائل والفَتَاوىٰ مَرَّة أُخرىٰ؛ فَبَدَأْتُ بِجَمْع وقِرَاءة الرَّسَائل والمَسَائل التي كَتَبَها علماءُ الدَّعْوة، والبَحث في فَهَارس المَخْطُوطات والمَكتبات، والمَجَلَّات المَعْنِيَّة بذكر عَناوين تلك الرَّسائل ومَظَانِّها، ومُشَاورة أصحاب الفَضِيلة المُخْتَصِّين، فاستَقَرَّ الرأيُ أخيرًا علىٰ اختيار رسائل الإمام عبد الرحمن بن حَسَن رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لتكون مَوضوعَ رِسَالتي العِلْميَّة العَالِميَّة (الماجستير)، وقد اخترت أن يكون عنوانها:

«رسائل الإمام عبد الرحمن بن حَسَن آل الشَّيْخ رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة»

(المجموعة الخامسة)

تحقيقًا ودراسةً

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

ويُمكن أن أُلَخِّصَ ذلك في الفقرات الآتية:

١- نُصرة عقيدة السَّلَف، **بخدمة رَسَائل أئمة الدَّعوة وإبرازها**، وتحقيقها تحقيقًا علميًّا، فإنَّها في رأسٍ قائمة جُهود علماء أهل السُّنَّة والجَمَاعة في العقيدة في العصر الحديث.

٢- القيام بمشروع تحقيق رسائل وفَتَاوىٰ علماء الدَّعْوة، والذي بَدَأَ به هذا القسم المبارك، حيث قام الدكتور/ حَسَن مُحَمَّد بَوا، بتحقيق رسائل الشَّيخ **عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن آل الشيخ**؛ والمُسَمَّاة بـ«**عيون الرَّسائل والأجوبة علىٰ المسائل**»[١]؛ وهذه الرَّسَائل مِن ضِمْن **كِتَاب** «**مَجموعة الرَّسَائل والمَسَائل النَّجْدِيَّة**»، وقد استغرقت كَامل المُجلد الثَّالث منه، (بما يُعادل رُبُع الكتاب تقريبًا).

٣- الهجمة التي يَشنُّها بعضُ أهل الأهواء والبِدَع ضِدَّ أئمة الدعوة ورَسَائلهم، واتِّهَامهم بالتكفير -بسبب بعض العبارات التي وَرَدت في الرَّسَائل

(١) وكانت الرِّسَالة بإشراف/ د. أحمد بن مَرعي العمري رَحِمَهُ اللهُ، وناقشها كُلٌّ من أصحاب الفضيلة: أ.د. صالح بن فوزان الفوزان، أ.د. محمد بن خليفة التَّمِيمي.

والفَتَاوىٰ- جَهْلًا أو تجاهلًا منهم لِبِسَاط الحال في ذلك الوقت؛ **مما يَجعل الحاجة مُلِحَّة للتعليق علىٰ تلك المَوَاطِن بِكَشْف مُلَابَسَات القَضَايا، وشَرْح المُشْكِل منها**، وبيان أنَّ تلك الفَتَاوىٰ كانت علىٰ فِئَات مُحَدَّدة وَوَاقِعٍ معين، وأنَّ لكلِّ مَقامٍ مَقَالًا.

٤- **أنَّ الإمامَ** مَعروفٌ بالتحقيق والتَّحْرير، ورُسوخ القَدَم في العِلم؛ فهو صَاحب «فَتْح المَجِيد»، وحَفِيد مُجَدِّد التَّوْحيد، **حتىٰ لُقِّبَ بالمُجَدِّد الثَّاني لهذه الدَّعْوة**[1].

٥- أنَّ مُؤلفات ورسائل **الإمام عبد الرَّحمن بن حَسَن** رَحِمَهُ اللَّهُ لم تُحَقَّق، ولم تُخْدَم إلا بِمُجَرَّد إخراجها فحسب، والذي حُقِّقَ منها تحقيقًا عِلميًّا؛ رسالة واحدة فقط، كما سيأتي بيانُه في جدول الموضوعات.

٦- أنَّ مُؤلَّفاتِه ورسائلَه تَلِي في الأهميَّة مُؤلفات ورسائل شيخِه وجَدِّه الإمام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي في أَهَمِّ **مَوضوعات العقيدة، خِلال فترة مُؤَلِّفها** الشيخ عبد الرحمن بن حَسَن رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فَقَدْ أدركَ شِدَّة حاجة الناس إلىٰ فهم التوحيد والشرع[2]، **فَاعْتَنَىٰ بما يُصْلح حالَ النَّاس، مع تَنَوُّع شيوخه وكَثْرَتهم، فأصبحت** رسائلُه مُميَّزةً مُتَّصفة بالدِّقة والتَّحْقيق[3].

---

(١) وَصَفَه بذلك بعضُ العلماء؛ كتلميذه العَلَّامة ابن سَحْمَان، والشيخ عبد الرَّحْمَن بن قَاسِم.

(٢) وقد عاش رَحِمَهُ اللَّهُ زمنًا وَاجَهَ فيه عُسْرًا بين يُسْرَين؛ أيام الدَّولة السعودية الأولىٰ والثانية، وجُزءًا من حياته كان بمصر، وكانت حياتُه مليئةً بالأحداث، كما وَلِي القضاءَ في سِنِّ الشباب، وهذه عَلامةٌ علىٰ تَقَدُّمِه في العلم. وسيأتي ذكر شيء من ذلك في ترجمته.

(٣) وهذا ما أَوْصَىٰ به الدكتور/ خالد الغنيم، والذي قام بدراسة حياة المؤلف، وطَريقته في تقرير العقيدة.

وبيان ذلك بما يلي:

أ- كون الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يُقَرِّر العقيدةَ السَّلَفِيَّة المُستمدَّة من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، علىٰ فَهْم السَّلف الصَّالح ومنهجهم.

ب- أنَّها تتضمن رسائل مُهمة، تُبيِّن مسائل التوحيد، وتُنافح عن العقيدة السلفية، وتَدْرأ عنها الشُّبهات التي يُثيرها دعاةُ الضَّلالة في وقتنا الحاضر، وتَتميز بالنُّصح والإرشاد لولاة الأمر والرَّعِيَّة، وفِيها الاستفادة من منهج العلماء في التعامل مع ولاة الأمر والرَّعِيَّة.

ت- أنَّ هذه المُؤلفاتِ والرَّسَائلَ أَبْرَز فيها الشيخُ المُعتقد السَّلِيم في كثيرٍ من المسائل؛ وردَّ فيها علىٰ مَن خالف هذا المعتقد من أهل البدع، وأورد العديد من أقوال السَّلَف التي هي بحاجة إلىٰ دراسةٍ وتَحقيق.

ث- كون تلك الرَّسَائل وَرَدت عليه مِن جِهَاتٍ مُتعددة، وذلك عندما كان بِنَجْد ومِصْر.

ج- أنها تمتازُ بِجَودة العَرْض، وقُوَّة الأسلوب، ورَصَانة العبارة، وهذا بشهادة أهل العلم.

ولمَّا حُقِّقَت رسائلُ الشيخ عبد اللطيف، وهو ابن الإمام عبد الرحمن بن حَسَن وتلميذه وثمرته- فتحقيقُ رسائل الإمام أَوْلَىٰ بالعناية والاهتمام.

هذه أبرزُ الأسباب التي دَعَتْنِي إلىٰ اختيار هذا الموضوع.

❑ الدِّرَاسات السَّابقة:

لم تَلْقَ جُهود الشيخ ورسائله العناية المطلوبة، إلَّا ما قام به الدُّكتور/ خالد

بن عبد العزيز الغنيم، فقد كانت رسالته الماجستير -مِن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة ١٤١٢هـ، بعنوان/

«الشيخ عبد الرَّحمن بن حَسَن بن محمد بن عبد الوهَّاب وطريقته في تقرير العَقيدة، مع دراسة وتحقيق كتابه في الرد علىٰ ابن جرجيس»

إشراف/د. فهد بن عميس الفهد

❑ موضوعات الرسائل (العناوين- عدد الصفحات- الطبعات):

تَمَّ إعداد جدول لِذِكْر موضوعات الرسائل، ويتبيَّن ذلك بما يلي:

أ- بعد البحث في مَظَانِّ فَتَاوىٰ ورسائل الشيخ عبد الرحمن بن حسن؛ كالمطبوع مثل: «الدُّرر السَّنِيَّة»، و«مجموعة الرسائل»، و«الجامع الفريد»، و«مجموعة التوحيد»، وغيرها، والنظر في النُّسَخ الخَطِّية لرسائل الإمام، والاستفادة من الكتب التي تَرجمت للإمام، والبحث في فهارس المكتبات والمَخطوطات، والمجلات الدَّوْرِيَّة، وسُؤال المُختصين في هذا الشأن- تَمَّ جَمْع الرسائل والفَتَاوىٰ والمُنَاصحات المُتعلقة بالعقيدة.

ب- حُدود المَوضوع:

تَمَّ تحديد مُؤلفات ورسائل الشيخ التي لم تُحقق حسب الإمكان، وبعد التأمل في موضوعاتها تَبَيَّن أنَّها تدورُ حول ثلاثة محاور:

(الردود -الفَتَاوىٰ والرَّسائل- الوَصَايا والمُنَاصَحَات)

ونظرًا لكثرة مؤلفات ورسائل الإمام، فقد تَمَّ تقسيمها إلىٰ خمس مجموعات، **وكان نَصيبي منها المجموعة الخامسة**، وهي عبارة عن مسائل في العقيدة، وبعض الوَصَايا والمناصحات، كما سيأتي بيانُه في الجدول.

ج- المُعتمد في احتساب عدد الصفحات وإحالاتها هو الكتاب المطبوع الذي تَتِمُّ الإشارة إليه في الجدول التالي :

م	الصفحات	العنوان	الموضوعات	الطبعات والملحوظات
١	١٠	الرد على جَهْمِي ضَالٍّ، وتفنيد شُبهه	بيان اشتقاق الاسم، والفرق بين القضاء والقدر، وشبهة في صفة الاستواء والرد عليها، وبيان معتقد أهل السنة والجهمية في هذا الباب.	طبع ضمن الدرر السنية ج٣
٢	٩	مختصر تفسير سورة الفاتحة		طبع ضمن الدرر السنية ج١٣
٣	٩	شرح رسالة أصل دين الإسلام وقاعدته	بيان أن العبادة لله وحده وأدلة ذلك والتحذير من الشرك وانقسام الناس لمشرك وموحد وحكم إطلاق الكفر على المعين.	طبع ضمن الدرر السنية ج٢
٤	٤	الإسلام والإيمان والفرق بينهما	بيان الإسلام والإيمان والفرق بينهما	مجموعة الرسائل والمسائل
٥	٥	في أنواع التوحيد وأنواع الشرك	إلى الإمام فيصل بن تركي، معنى لا إله إلا الله وتفسير سورة الكافرون، وبيان معنى التوحيد عند الفلاسفة وأهل وحدة الوجود، وبيان تقدير خبر (لا).	طبع ضمن الدرر السنية ج٢
٦	٥	أنواع التوحيد	بيان أنواع التوحيد مع شرح مُوجز لها، وأنواع الشرك والكفر والنفاق، وأقسام كل ذلك.	طبع ضمن الجامع الفريد

٧	٥	مسألتان أجاب عنهما رَحِمَهُ اللَّهُ: حكم تقبيل اليد-وحكم الصلاة على النبي جهرًا، والإمام يخطب	رسالة فيها سؤالان: حكم تقبيل أيدي الصالحين، والجهر بالصلاة على النبي والترضي عن الصحابة والإمام يخطب.	مجموعة الرسائل والمسائل
٨	٥	الفرق بين الإسلام والإيمان وحكم شد الرحل إلى قبر النبي ﷺ	سئل عن الفرق بين الإسلام والإيمان، وحكم شد الرحل إلى قبر النبي.	مجموعة الرسائل والمسائل
٩	٩	التوحيد وطروء الشرك على المسلمين وجهاد العلماء له	عظم شهادة أن لا إله إلا الله، وذكر أقوال العلماء في بيانها، وجهاد العلماء في الدعوة إلى التوحيد.	طبع مرتين: ١- ضمن كتاب الجامع الفريد. ٢- ضمن كتاب مجموعة التوحيد بتعليق/ محمد المانع (المكتب الإسلامي).
١٠	٤	رسالة في أصول فرق المبتدعة من الجهمية والرافضة والمعتزلة	إلى راشد بن مطر، إجابة على سؤاله عن حال الفرق المذكورة، حيث إن في جهته أُناسًا منهم.	مجموعة الرسائل والمسائل
١١	٤	تعليق على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨، ١١٩]		طبع ضمن الدرر السنية ج١٣

١٢	٣	فضل العلم وأهميته، والموقف ممن أعرض عن الحق	فضل العلم وأهميته وذكر بعض من أعرض عن الحق، وذكر أصلي الاسلام ومراتب الشهادة.	طبع ضمن الدرر السنية ج١١
١٣	٣	وجوب الاهتمام بمسائل التوحيد.	إلى الأخ الشيخ محمد بن مقرن، يبين فيها معنى التوحيد ومن غلط في مسمى التوحيد	طبع ضمن الدرر السنية ج١
١٤	٣	وجوب تعظيم التوحيد والتحذير من الغفلة عنه	إلى أمير الأحساء وأعيانها، فيه النصيحة بالعمل بمدلول الشهادتين.	مجموعة الرسائل والمسائل
١٥	٣	رسالة في بيان أصول الاعتقاد والصلاة		طبع ضمن الدرر السنية ج١
١٦	٣	فضل العلم في تحقيق التوحيد والمتابعة	نقل عن ابن القيم من «مفتاح دار السعادة»: الوجه الرابع والثلاثين بعد المئة.	طبع ضمن الدرر السنية ج٢
١٧	٣	فضل لا إله إلا الله ومتى يحرم دم ومال قائلها	سئل عمن يقول: لا إله إلا الله، ويدعو غير الله، هل يحرم ماله ودمه، بمجرد قولها، أم لا؟	طبع ضمن الدرر السنية ج٩
١٨	٢	استقامة أهل الإيمان والسنة، وحيرة أهل الكلام والبدعة	جوابه عن قول الخطيب: «الحمد لله الذي تحيرت العقول في مبدأ أنواره...»، إلخ، وبيان فساد ألفاظها.	مجموعة الرسائل والمسائل
١٩	٢	التوجيه الإعرابي الصحيح لكلمة	بيان المستثنى بإلا، و(لا) النافية للجنس، وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦﴾ [الزخرف:٢٦].	طبع ضمن الدرر السنية ج٢

		«لا إله إلا الله»		
٢٠	١	أسئلة عن بعض أمور ابتدعها الناس	وهي عما يخص به المولد من النحر، وتخصيص السابع والعشرون من رجب بالصيام والنحر، وكذا الليلة النصف من شعبان، والنحر في عاشوراء.	مجموعة الرسائل والمسائل
٢١	١	بيان حكم قول: وهو القادر على ما يشاء	إلى عثمان بن بشر، يبين المسألة وحكم قول: «وهو القادر على ما يشاء»	مجموعة الرسائل والمسائل
٢٢	١	وجوب تَعَلُّم لا إله إلا الله، والعمل بشروطها	الإجابة ببيان معنى التوحيد والإيمان والنفاق.	مجموعة الرسائل والمسائل
٢٣	١	التوجيه الإعرابي لقوله ﷺ: «ولا إله غيرك»	إلى العَلَّامة عبد الله أبابطين في بيان معنى: «ولا إلهَ غيرُك»، والتي تقال في دعاء الاستفتاح.	مجموعة الرسائل والمسائل
٢٤	١	مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله	إجابة لسؤال عن كلام الله عند أهل السنة، والرد على من يقول: إن كلامه قديم، وهو قول الكَرَّامِيَّة.	طبع ضمن الدرر السنية ج١
٢٥	٤	شرح شروط لا إله إلا الله	وهي شرح مختصر بالأدلة من الكتاب والسنة لهذه الشروط.	طبع ضمن الدرر السنية ج٢
٢٦	١	حكم قول: أَتَوَسَّلُ إليك بصفاتك الكاملة التي لا يَعلمها إلا أنت	ذكر الأثر، وبيان الفرق بين المعنى والكيفية، وبيان حكم هذه المسألة، والاستدلال بأثر الإمام مالك، وبيان الفرق بين معنى الصفات وكيفيتها.	طبع ضمن الدرر السنية ج٣
٢٧	١	حكم البلدة التي فيها	بيان البلدة التي فيها شيء من مشاهد	طبع ضمن الدرر

		وثن يُدْعَى من دون الله	الشرك، ونقل كلام الشيخ عبد الله أبا بطين في المسألة	السنيةج٩
٢٨	١	الخوارج ومذهبهم في التكفير بالمعاصي	سئل عن مذهب الخوارج.	طبع ضمن الدرر السنيةج١٠
٢٩	١٠	رسالة في معنى الطاغوت وأنواعها	بيان حقيقة الطاغوت، وأنواعه، وذكر أقوال العلماء في ذلك.	نسخة خطية في مخطوطات دارة الملك عبدالعزيز برقم/٤٦ تحت عنوان: «كلمات في بيان الطاغوت واجتنابه».
٣٠	١٠	تعليق على ملخص أبيات من «النونية»	وهي شرح مختصر على ستة وعشرين بيتًا متفرقة من «الكافية الشافية» تتحدث عن العلم والتوحيد والعبادة.	نسخة خطية في الدارة رقم ٣٢٦ق. ونسخة خطية في مكتبة الملك فهد- الافتاء ٥٢٠/٨٦
٣١	١٣	رسالة مُناصحة للإمام فيصل بن تركي رَحِمَهُ اللَّهُ	إلى الإمام فيصل بن تركي- في شدة مرض الشيخ- يدعوه إلى امتثال أمر الله ورسوله، واجتناب النواهي، وأوجبها التوحيد، ومحاربة الشرك، والحكم بما أنزل الله، وترك التشبه باليهود والنصارى، والمحافظة على عقيدة الرعية ودينهم، والإعانة على نشر العلم.	مجموعة الرسائل والمسائل
٣٢	٦	وجوب معرفة الشرك، والبراءة منه	تتضمن الوصية بتقوى الله، وبيان دين الإسلام، ووجوب التمسك به، وبيان التوحيد وأهميته، وحقيقة الشرك.	طبع ضمن الدرر السنيةج٢
٣٣	٦	رسالة إلى الإمام فيصل بتذكيره بحال أعمامه وجده، وكيف أعز الله	إلى الإمام فيصل بن تركي، يذكره بنعمة التوحيد والتمكين، ويذكر له حال بعض علماء التوحيد- يَحُثُّه على السعي في تقوية	طبع ضمن الدرر السنيةج١٤

		بهم دينه؟ وبيان الواجب عليه.	التوحيد وإعانة أهله.	
٣٤	٦	رسالة إلى علماء المسلمين في بيان موجز لتاريخ قيام دعوة التوحيد والدولة السعودية	ذكر ما أنعم الله به من ظهور الشيخ ابن عبد الوهاب وتلقي محمد بن سعود له	طبع ضمن الدرر السنية ج١٤
٣٥	٥	الوصية بالتوحيد والعلم	الحث على الإخلاص وتقوى الله	طبع ضمن الدرر السنية ج١٤
٣٦	٥	نصيحة لولي الأمر بالحرص على إقامة الدين	إلى الإمام فيصل بن تركي وجواب الإمام فيصل لها، وهي تختلف عن المناصحات السابقة.	مجموعة الرسائل والمسائل
٣٧	٥	حاجة الخاصة والعامة إلى العلم ومجالسة أهله	إلى الإمام فيصل بن تركي، يبين له معنى المحبة، وفضلها، وأنَّ أَوْثَق عُرى الإيمان الحُب في الله»، ويحثه على العلم والاستفادة من أهل العلم.	طبع ضمن الدرر السنية ج١٤
٣٨	٤	رسالة إلى الإمام فيصل بن تركي في وجوب تقريب أهل العلم والصدق وإبعاد أهل النفاق والخيانة والظلم	إلى الإمام فيصل بن تركي يَحُثُّه على نصرة أهل الحق وعدم مساواتهم بأهل الباطل، وأنها من النصيحة لله ورسوله، وما يجب على من ولاه الله أمر الدين والدنيا	مجموعة الرسائل والمسائل
٣٩	٣	حقيقة التوحيد، ووجوب معرفته، وبيان ما عند الأشاعرة مِن بِدَع	رسالة إلى محمد بن عبد الله، وعبد الله بن سالم، سببها: أن الشيخ عبد اللطيف بن مبارك نصب في بعض مساجد الأحساء من يتهم بمذهب الأشاعرة، وبيان مخالفتهم للأصول.	مجموعة الرسائل والمسائل
٤٠	٣	سبيل العزِّ والتَّمكين	رسالة إلى الإمام عبد الله بن فيصل يذكره بما قام	طبع ضمن الدرر

		في الأرض	به جده محمد وعمه عبد العزيز، وأنها خلافة، وما جرى في إمارة سعود.	السنية ج١٤
٤١	٢	الآيات في التوحيد الذي دَعَت إليه كل الأنبياء	رسالة إلى الإخوان في القصيم؛ في بيان الآيات في التوحيد الذي دعت إليه كل الأنبياء.	مجموعة الرسائل والمسائل
٤٢	٢	علم المنطق وحكم الاشتغال به	رسالة إلى الأخ القادم من بلاد الأوغان؛ في ذكر أقوال العلماء في الاشتغال بالمنطق.	مجموعة الرسائل والمسائل
٤٣	٣	وجوب الاجتماع على مَن انعقدت له البيعة	رسالة في بيان وجوب الاجتماع على ولاة الأمور.	طبع ضمن الدرر السنية ج٩
٤٤	٢	أهمية العبودية والاستعانة بالله على تحقيقها	رسالة إلى الشيخ عيد بن حمد، يوصيه فيها بتقوى الله ولزوم العبودية لله.	طبع ضمن الدرر السنية ج١٤
٤٥	١	نعمة الدعوة إلى التوحيد ووجوب شكرها	رسالة إلى محمد آل عمر السليم فيه الحث على اتباع الحق، فبه تكون حياة القلوب، وذكر كلام لابن القيم في ذلك.	مجموعة الرسائل والمسائل
٤٦	١	وجوب جهاد أهل الفساد والانحراف في الدين	رسالة إلى كافة الإخوان ببيان وجوب جهاد أهل الفساد، ودفع فسادهم في الدين	مجموعة الرسائل والمسائل
٤٧	١	الوصية بتقوى الله وبيان حقيقتها	رسالة إلى بعض الإخوان، يوصيهم بتقوى الله، وذكر بعض ما ورد عن السلف في معناها.	طبع ضمن الدرر السنية ج١٤
٤٨	١	التنبيه على أمور وقع فيها الخلل بسبب الإقبال على الدنيا، والإعراض عن الآخرة	رسالة إلى بعض الإخوان، يوصيهم بتقوى الله وإقامة أركان الدين.	طبع ضمن الدرر السنية ج١٤
٤٩	١	الوصية بتدبر كتاب الله ودلائل التوحيد	رسالة إلى بعض الإخوان يسأل عن حالهم ويوصيهم بتدبر أنوار الكتاب	طبع ضمن الدرر السنية ج١٤
٥٠	١	الوصية بالصدق مع الله وتعلم العلم	وصية الشيخ عبد الرحمن بن حسن بالصدق مع الله وبتعلم العلم	طبع ضمن الدرر

				السنية ج١٤
٥١	١	الوصايا الثلاث التي لا يتم الدين إلا بها	رسالة إلى أمراء جعلان يذكرهم بالوصايا الثلاث التي لا يتمُّ الدِّين إلا بها.	طبع ضمن الدرر السنية ج١٤
٥٢	١	حال من اتبع هواه	رسالة إلى عبد الرحمن بن عبيد يُخبره بعلمه عن الذين فَضَحَتْهم أعمالُهم	طبع ضمن الدرر السنية ج١٤
١٩٦		××××××××××	×××××××××××××××	

خُطَّة البَحث

اشتملت الخُطَّةُ علىٰ مُقدِّمة وقِسمين: قِسْم الدِّرَاسة، وقِسْم التحقيق، وخاتمة التَّحْقيق، وفهارس تَفْصِيلية.

المُقَدِّمة: وفيها بيانُ أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخُطَّة البحث، ومنهج البحث.

القسم الأول: الدِّرَاسة: وفيه فَصْلان:

الفصل الأول: عصر المؤلف وحياته، **وجعلته في مَبحثين:**

المبحث الأول: عصر المؤلف، **وفيه ثلاثةُ مَطَالب:**

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعيَّة.

المطلب الثالث: الحالة الدِّينية.

المبحث الثاني: حياة المؤلف: **وفيه تِسْعَة مَطالب:**

المطلب الأول: اسمه، ونَسَبُه، ومَوْلِده.

المطلب الثاني: صِفَاته.

المطلب الثالث: نشأتُه العِلميَّة، ورحلاته.

المطلب الرابع: شيوخه.

المطلب الخامس: تلاميذه.

المطلب السادس: أعمالُه ووظائفه.

المطلب السابع: ثناء العلماء عليه.

المطلب الثامن: وفاته، والمرثيات التي قِيلت فيه.

المطلب التاسع: آثاره العِلميَّة.

الفصل الثاني: دراسة الآثار العَقَدِيَّة للإمام عبد الرحمن بن حَسَن رَحِمَهُ اللَّهُ التي هي محلُّ بحثي، **وفيه سِتَّةُ مَبَاحث:**

المبحث الأول: تحقيق عناوين الرسائل، وتوثيق نِسبتها إلىٰ مُؤَلِّفها.

المبحث الثاني: موضوعاتها.

المبحث الثالث: منهج المُؤَلِّف فيها.

المبحث الرابع: مَصادره فيها.

المبحث الخامس: قيمتها العلمية.

المبحث السادس: وَصْف النُّسخ الخَطِيَّة والمطبوعة، ونماذج منها.

القسم الثاني: النُّصّ المُحَقَّق:

(سبق ذكر الرَّسائل في الجدول).

خاتمة التحقيق: وفيه أُبَيِّنُ ما تَوَصَّلْتُ إليه من خلال تَحقيقي لرسائل الإمام عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الفهارس:

أ- فهرس الآيات القرآنيَّة.

ب- فهرس الأحاديث النَّبَوِيَّة.

ت- فهرس الآثار.

ث- فهرس الأَعْلَام.

ج- فهرس الأبيات الشِّعْرِيَّة.

ح- فهرس الأماكن.

خ- فهرس الكلمات الغريبة.

د- فهرس الفرق والطوائف.

ذ- قائمة المَصَادر والمراجع.

ر- فهرس الموضوعات.

❑ منهجي وعَمَلِي في التَّحْقِيق:

١- جَمْع النُّسَخ الخَطِيَّة للرسائل المذكورة في جدول الموضوعات، والاعتماد عليها في مقابلة النَّصِّ.

٢- نَسْخُ الرسائل وَفْق قواعد الإملاء الحديثة، ومُقَابلتُها علىٰ النُّسَخ الخَطِيَّة

الأُخرىٰ والنُّسخ المَطبوعة.

٣- اتِّبَاع مَنْهج إثبات النَّصِّ الصَّحِيح؛ فإنَّ احتمالَ وجود الخَطَأ واردٌ بِسبب تَعَدُّد النُّسخ.

٤- عند اختلاف النُّسَخ في كلمة أو عبارة- أُثْبِتُ أَصَحَّها في نظري بين قَوسين، مع الإشارة في الهَامش إلىٰ الوارد في بقيَّة النّسخ.

٥- إن كان الخَطَأُ في آية- أَكْتَفِي بتصحيحه، دون الإشارة لذلك.

٦- إن كان الخطأُ في حديثٍ أو أَثَر- أُصَحِّحه من مصدره، وأُشِير لذلك.

٧- عزو الآيات القرآنيَّة، بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٨- عزو الأحاديث الواردة في هذا البحث إلىٰ مصادرها، وسَأَتَّبِع في ذلك الآتي:

أ- ذكر رقم الحديث، أو الجزء ورقم الصفحة في الحاشية.

ب- الأحاديث التي لم تَرِد في الصَّحِيحين، أَذكر كلام علماء الحديث في الحكم عليها، إِنْ أَمْكن الوقوف عليه.

ج- الأحاديث التي اكْتَفَىٰ المؤلفُ بالإشارة إليها، أو بذكر جزءٍ منها، أَذْكُرها وأُكملها في الحاشية مع التخريج.

٩- عزو الآثار الواردة في البحث إلىٰ مصادرها، سواء كانت للصَّحَابة، أو التَّابعين.

١٠- تَوثيق النُّصُوص المَنقولة الواردة في النَّصِّ المُحَقق، وعَزوها إلىٰ مصادرها قَدْر الإمكان.

١١- التَّعْليق علىٰ المَسَائل العَقِديَّة وغيرها، التي أَشَار إليها المؤلفُ إن كانت بحاجة إلىٰ تعليق، أو زيادة إيضاح.

١٢- عزو الأبيات الشعرية إلىٰ قائليها ومَصادرها قَدْر الإمكان.

١٣- الترجمة المُوجزة للأعلام غير المشهورين.

١٤- التعريف المُوجز بالفرق والطوائف الوَارِدة في النَّصِّ.

١٥- التعريف المُوجز بالأماكن والبلدان الواردة في النَّصِّ؛ التي تَحتاج إلىٰ تعريف، مما قد يَخفىٰ علىٰ القارئ مَعرفته.

١٦- شَرْح الكلمات الغريبة الواردة في النَّصِّ، وكذلك المُصطلحات العِلميَّة.

١٧- الالتزام بعلامات التَّرْقِيم، وضَبْط ما يَحتاج إلىٰ ضَبط.

١٨- وَضْع الفهارس التفصيليَّة علىٰ النَّحو المُبيَّن في الخُطَّة.

وبَعْد، فإنَّني أوَّلًا أشكر الله عز وجل علىٰ نعمِهِ الكثيرة، والَّتي منها نعمة الإسلام والسُّنَّة، سائلًا الله عز وجل أن يُثبِّتني عليها، والعمل به حتَّىٰ ألقاه جلَّ وعلا.

كما أَحْمَد الله عز وجل علىٰ أَنْ سَلَك بي مَسْلكَ العلم في هذِهِ الجامعة المباركة السَّلفيَّة، الجامعة الإسلاميَّة، والَّتي مَنَّ عليَّ بالدِّراسة فيها، في مرحلة

البكالوريوس في كليَّة الحديث الشَّريف من عام (١٤٠٦هـ) إلىٰ (١٤١٠هـ)، وفي مرحلة الماجستير في كليَّة الدَّعوة وأُصُول الدِّين، قسم العقيدة في العام الجامعي (١٤٣٠هـ-١٤٣١هـ).

كما أحمدُهُ عز وجل علىٰ أن يسَّر لي اختياري لهذا البحث الَّذي شمل رسائلَ كثيرةً عظيمةً للإمام المُجدِّد الثَّاني الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن، وعلىٰ إتمامِهِ رغم كثرة الصَّوارف والعوارض في الدُّنيا، والارتباط الوظيفي، فلله ربِّي الحمد أوَّلًا وآخرًا. شاكرًا الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة النبوية، مُمثَّلةً في قسم العقيدة بكليَّة الدَّعوة وأُصُول الدِّين الَّذين أتاحوا لي هذه الفرصة العظيمة.

كما أنَّني أشكر شيخي وأستاذي الفاضل الدُّكتور محمد بن عبد الوَهَّاب العقيل حفظه الله تعالىٰ، والَّذي لم يُقصِّر معي في توجيهٍ ونصحٍ وإشرافٍ علىٰ الرِّسالة، فجزاه الله خيرًا، وبارك في عُمُره، وجهدِهِ، وعلمِهِ.

وختامًا؛ أسألُ اللهَ بِمَنِّه وكَرَمِه أن يتقبَّل عَمَلِي هذا، وأن يَجْعله خالصًا لوَجْهه الكريم، وأَنْ ينفعَ به، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

هذا واللهُ أعلمُ، وأسألُه سبحانه أن يَغفر لي الخطأ والزَّلَل؛ إنَّه غَفور حَلِيم.

وصَلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

القسم الأول: الدراسة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: عصر المؤلف وحياته .

الفصل الثاني: دراسة الرسائل .

الفصل الأول
عصر المؤلف وحياته

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عصر المؤلف، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحالة الدينية.

المبحث الثاني: حياة المؤلف، وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده.

المطلب الثاني: صفاته.

المطلب الثالث: نشأته العلمية ورحلاته.

المطلب الرابع: شيوخه.

المطلب الخامس: تلاميذه.

المطلب السادس: أعماله ووظائفه.

المطلب السابع: ثناء العلماء عليه.

المطلب الثامن: وفاته والمرثيات التي قيلت فيه.

المطلب التاسع: آثاره العلمية.

المبحث الأَوَّلُ: عصرُ المؤلِّف

المطلبُ الأَوَّلُ: «الحالة السِّياسيَّة»

لقد كان من إرادة الله عَزَّوَجَلَّ وحكمتِه أن تكون ولادةُ هذا العالم الجليل بعد قيام الدَّولة السُّعوديَّة الأولىٰ، حيث كان قيامُها سنة (١١٥٨)، وكانت ولادتُه سنة (١١٩٣)، وأدرك جدَّه الإمام المجدِّد رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث توفِّي شيخ الإسلام وهو في الثَّالثة عشرة من عمره.

وعاصر الإمام عبد الرَّحمن ثلاثة من أئمَّة الدَّولة السُّعوديَّة الأولى، وهم :

١- الإمام عبد العزيز بن محمَّد بن سعود (١١٧٩ – ١٢١٨).

٢- الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمَّد (١٢١٨ – ١٢٢٩).

٣- الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز (١٢٢٩ – ١٢٣٣).

فلهذا فإنَّ هذه المعاصرةَ قد أكسبته خبرةً في السِّياسة الشَّرعيَّة، ومعرفةً تاريخيَّةً، جَعَلَتْ ما كَتَبَه عن الحالة السِّياسيَّة في نجد وما مرَّ علىٰ الدَّولة من أحوال وحروب وصراعات مرجعًا تاريخيًّا لمعرفة الوضع السِّياسيِّ في عصره وما سبقه.

كما أنَّ هذه المعاصرة أيضًا قد أكسبته حنكةَ العالم الرَّبَّانيّ في النُّصحِ

والتَّوجيهِ والحكمةِ في الوقوف مع أئمَّة الدَّولة السُّعوديَّة الثَّانية، ومؤازرةٍ لهم في تأسيس الدَّولةِ علىٰ منهجٍ نبويٍّ قائمةٍ علىٰ كتاب الله وسنَّةِ رسولِهِ ﷺ.

كما عاصرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثةَ أئمَّة للدَّولة السُّعوديَّة الثَّانية، وهم:

١- الإمامُ تركيُّ بن عبد الله بن محمَّد بن سعود (١٢٣٥ - ١٢٤٩).

٢- الإمام فيصل بن تركيِّ بن عبد الله، الفترة الأولىٰ (١٢٥٠ - ١٢٥٤) والفترة الثَّانية (١٢٥٩ - ١٢٨٢).

٣- الإمامُ عبد الله بن فيصل بن تركي (١٢٨٢ - ١٣٠٨)(١).

وكان له مع كلِّ إمامٍ من هؤلاء مواقف عظيمة في مناصرتهم ومؤازرتهم في قوَّة الدَّولة وإطفاء الفتن، خاصَّةً مع الإمام تركي في تأسيس الدَّولة الثَّانية عندما أرسل له الإمام تركي، وطلبه للوقوف معه، حيث كان الشَّيْخُ عبد الرَّحمن بن حسن ما زال في مصر منذ أن أخرج بعد سقوط الدَّرعيَّة عام (١٢٣٣) واستيلاء إبراهيم بن محمَّد علي باشا عليها(٢).

فقد جعل اللهُ وجودَ هذا العالم سندًا وعونًا للإمام تركيٍّ بن عبد الله في إقامة الدَّولةِ الثَّانية سنة (١٢٣٥)، فقد اكتسب خبرةً دينيَّةً وسياسيَّةً شرعيَّةً من معاصرته لجدِّه وأئمةِ الدَّولة السُّعوديَّة الأولىٰ، فكان بحقٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع الإمام تركيّ في نصرة الدَّولة، وقيامها ضدَّ من يناوئها ويعاديها، كجَدِّه المجدِّد الأوَّل شيخِ الإسلام

(١) ستأتي تراجم أئمة الدولة السعودية في الرسائل المحققة.

(٢) انظر «الرَّسائل والمسائل» (٢/ ٢-١٤) و«الدُّرَرَ السَّنيَّة» (١٤/ ٦١-٧٧) وانظر الرِّسالة الحادية والثَّلاثين والتَّعليق عليها.

محمَّد بن عبد الوهَّاب، مع الإمام محمَّد بن سعود في نشأة دولة التَّوحيدِ والسُّنَّة.

إنَّ الدَّولةَ السُّعوديَّةَ السَّلَفيَّةَ قامت علىٰ أسسٍ رسمها الله تعالىٰ في كتابه ضَمِنَ لها بعد توفيق الله ورحمته الثَّباتَ والدَّوامَ والاستمرارَ، وذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النُّور: ٥٥]، وكما قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١]. وسارت في هَدْيها وحكمها ومعاملتها كما كان عليه هدي النَّبيِّ ﷺ وخلفائه الرَّاشدين والسَّلَف الصَّالحين.

يقولُ الشَّيْخُ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ مبيِّنًا تشابُهَ ما قامت عليه هذه الدَّولة بما قامت عليه دولة الإسلام في عهد النَّبيِّ ﷺ وخلفائه الرَّاشدين، وذلك في رسالته للإمام فيصل بن تركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وقدْ عَرَفتم - أَرْشَدكُم اللهُ تَعالىٰ - أنَّ اللهَ بَعث مُحمَّدًا ﷺ علَىٰ حِين فَترَةٍ مِن الرُّسُل، وأَهْل الأَرض قَد عَمَّتْهم الجَهالَة، وغَلَبَتهم الضَّلالَةُ، عَرَبَهُم وعَجَمَهم، إلَّا مَن شاءَ اللهُ مِن بَقايا أَهل الكِتاب.

فأَوَّل دَعوَته ﷺ وَرسَالَته، وقَاعِدَة نُبُوَّتِه: ردُّ الخَلقِ إلىٰ اللهِ، وَأَمرُهم بعِبادَتِه وَحدَه لا شَريكَ لَه، وخَلعُ ما سِواهُ مِن الأَندادِ والآلِهَة، والبَراءَة مِنْهُم؛ وهَذَا هُو الَّذِي دَلَّت عَلَيْه كَلمَةُ الإِخلَاص، وهُوَ أَوَّل دَعوَة الرُّسُل، وأَوَّل الوَاجِبات والفَرائِض.

ومَكَث -عَلَيه الصَّلاةُ والسَّلامُ- مُدَّةً مِن الدَّهر نَحو العَشْر بَعد النُّبُوَّة، يَدعُو إلىٰ هَذَا ويَأمُر بِه ويَنْهىٰ عَن الشِّرْك ويُنذِر عَنه، وفرضَ الفَرائض وبَقيَّة الأَركان بَعد ذَلِك مُنَجَّمًا؛ لأنَّ هَذَا هُو أَهمُّ الأُمُور، وأَوجَبها علَىٰ الخَلْق، كَما فِي الحَديث: «**رَأسُ الأمرِ الإِسلامُ، وَعَمُودُه الصَّلاةُ، وذِرْوةُ سَنامِه الجِهادُ فِي سَبيلِ اللهِ**».

وكَان مِن هَديهِ ﷺ أنْ يَبعَثَ عُمَّالَه، ويُرسِلَ رَسائِلَه إلىٰ أَهْل الأَرض، يَدعُوهم إلىٰ هَذَا، يَبدأُ بِه قَبلَ كُلِّ شَيءٍ، وَلا يَأمُر بشَيءٍ مِن الأَركانِ، إِلَّا بَعدَ التِزامِه ومَعرِفَتِه، كَما دلَّ عَلَيه حَديثُ مُعاذٍ لَمَّا أَرسَلَه إلىٰ اليَمَن، وغَيره مِن الأَحادِيث.

وَفِي أَوقاتِنا بَعُد العَهْد بآثَارِ النُّبوَّة، وطالَ الزَّمانُ، وكادَ الزَّمنُ يُشبِه زَمنَ الفَترَة، لِغلَبَة الجَهْل وَشِدَّة الغُربَة، وقَد مَنَّ اللهُ فِي هَذِه الأَقطارِ بِشَيْخ الإِسلام رحمه الله تعالىٰ، فَقامَ فِي تَجريدِ التَّوحِيد، وتَمهِيد قَواعِد المِلَّة أَتمَّ قِيام، حَتىٰ ظَهَر بِحَمد اللهِ مَنار التَّوحِيد والإِسلام، ووَازَرَه علَىٰ ذَلِك مِن أَسلافِكم وأَعمامِكم مَن آزَرَه، رَحمَةَ اللهُ عَلَيهم أَجمَعِين).

وفِي رسالةٍ أخرىٰ له: (وَلا يَخفَاكَ أَنَّ اللهَ مَنَّ عَلَيكُم بدِين الإِسلام فِي آخِر هَذَا الزَّمان، برَجُل وَاحدٍ خَالَف فِيه الأَدنىٰ وَالأَقْصَىٰ، والقَريب وَالبَعِيد، لِأَنَّه قَام فِي حَال غُربَتِه، لَمَّا اشْتَدَّت غُربَةُ الإِسلامِ فِي جَميعِ الأَمَاكِن، والنَّاس كُلُّهم إِلَّا مَن شَاء اللهُ، لَا يَعرِفُون مَعنىٰ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ. واشْتَدَّ نَكِير النَّاس عَلَيْه، العَامَّة وَالمُطاوعة، وحَذَّروا المُلوك مِنْه، وشَنَّعُوا عَلَيه فِي التَّوحِيد الَّذِي بَعثَ بِه رُسُله،

وَأَنزَل به كُتُبه، وخَلَق الجِنَّ وَالإنسَ لَه، وصَارَ أَقرَب قَريبٍ لَه: ابن مَعْمَر أَمِير بِلادِه، لَمَّا عَرَف عَداوَة النَّاس لَه، أَرخَص لَه عَن البَلَد.

وصَار رَحْمَة ونِعْمَة عَظِيمَة لَكُم يَا حمُولَة، وتَلَقَّاها جَدُّك رَحِمَهُ اللهُ وأهلك وخَوَاصٌّ، وأعَانَهُم اللهُ علَىٰ عَداوَة أَهلِ الأَرضِ فِي هَذَا الدِّين، ولا عِندَهُم أَموالٌ يَبذُلُونها، لَكِن بَذَلوا نُحُورَهم وأَنْفُسَهم، وأَرخَصُوها للهِ فِي طَلَب رِضاهُ، والفَوز بالجَنَّة، والنَّجَاة مِن النَّار.

ولا مَقصِدُهم إلَّا أنَّ النَّاس يَترِكُونَهُم يُوحِّدُون اللهَ، وَلا يُعارِضُونَهُم عِند التَّوحِيد، ولا حَصَل مِن الشُّيُوخ بنَجْد وأَتبَاعِهم، وضِدهم فِي غَايَةِ القُوَّة، وهُم فِي غَايَة الضَّعفِ والقِلَّة. فأَيَّدَهُم اللهُ بِدِينِه، وكُلُّ عَدُوٍّ يَقصِدُهُم يَكسِرُه اللهُ، وما زَالوا كذَلِك حتَّىٰ مَلَّكَهُم اللهُ جَزيرةَ العَربِ بهَذَا الدِّين، وهُم فِي تِلك السِّنين مُعافِيهم اللهُ فِي أَبدَانِهم، حتَّىٰ إِنَّ الأَمرَاض العَامَّةَ لا تُعرفُ فِيهم)[1].

وفي رسالةٍ أخرىٰ له بمشاركةٍ مع الإمامِ عبدِ اللهِ بن فيصل[2] والشَّيْخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن إلىٰ علماء المسلمين، مبيِّنين كيف كان الحالُ السِّياسيُّ في بدء إقامة الدَّولة، وأنَّ ما أحاطها من عَدَاءٍ للتَّوحيدِ ما قامت عليه من السُّنَّةِ ومحارَبَةِ الشِّرْك، هو نفسه ما أحاط بالنَّبيِّ ﷺ وأصحابه عند قيام دولة الإسلام: (فتَلَقَّاه مُحمَّد بن سعُود رَحِمَهُ اللهُ، بالقَبُول وبايَعَه علَىٰ أنْ يَمنَعَه ممَّا يَمنَع مِنه أَهلَه وَولَده، وهَذِه أيضًا نِعمةٌ عَظيمةٌ، كونُ اللهِ أَتاحَ لهُ مَن يَنصرُه ويُؤويهِ، والَّذِي

(١) انظر «الدُّررَ السَّنيَّة» (١٤/ ٨٤-٩٠) وانظر الرِّسالة الثَّالثة والثَّلاثين، والتَّعليق عليها.
(٢) ستأتي ترجمتُه في الرِّسالة الرَّابعة والثَّلاثين.

أَقوىٰ مِن ابن سعُود وأَكثَر لَم يَحصُلمنه ذَلِك، وصَبَر مُحمَّد علَىٰ عَداوَة الأَدنىٰ والأَقْصَىٰ، أَهل نَجد والمُلوك مِن كُلِّ جِهةٍ.

وبادَأَهم دهام ابن دواس بالحَربِ، فَهَجَم علَىٰ الدِّرعِيَّة علَىٰ غرَّةٍ مِن أَهلِها، وَقَتل أَولاد مُحمَّد، فَيصَل وسعُود، فما زادَ مُحمَّد إلا قُوَّة وصَلابَة فِي دِينِه، رَحِمَهُ اللَّهُ علَىٰ ضَعفٍ مِنه وقِلَّة فِي العَددِ والعُدَّة، وكَثرَة من عددهم، وذَلِك مِن نِعمَة الله وآياتِه عَلينا وعَليكُم. فرَحِم اللهُ هَذَا الشَّيخَ، الَّذِي أَقامَه اللهُ مَقام رُسُلِه وأَنبيائِه، فِي الدَّعوةِ إلىٰ دِينِهِ، ورَحِم اللهُ مَن آواهُ ونَصرَه، فللَّه الحَمدُ علَىٰ ذَلِك.

وفِيما جَرىٰ مِن ابن سعُودٍ، شَبه بما جَرىٰ مِن الأَنصار فِي بَيعةِ العَقَبة، ثم إنَّ أَهلَ نَجد وبَني خَالد وأَهْل العِراق وَالأَشراف، والبَوادِي والقُرىٰ، تَجرَّدوا لِعداوَة هَذَا الشَّيخ، ومَن آواهُ ونَصرَه، وأَقبَلوا علَىٰ حَربِهم بِحَدِّهم وحَديدِهم، وكَثرَة جُنودِهم وكَيدِهم. فَأَبْطَلَ اللهُ كَيدَ كُلِّ مَن عَاداهُم، وكُلُّ مَن رَامَ مِن هَؤلاء المُلوك أنْ يُطفِئَ هَذَا النُّور، أَطفأَ اللهُ نَارَه وجَعلَها رَمادًا، وجَعل كَثيرًا مِن أَموالِهم فَيئًا لِلمُسلِمِين، وهَذِه عِبرةٌ عَظيمةٌ وَنِعمةٌ جَسيمةٌ.

ثُمَّ إنَّ الله بفَضله وإِحسانِه: أَظهَر هَذَا الدِّينَ فِي نَجد، وأَذَلَّ مَن عادَاه، فعَمَّت النِّعمَةُ أَهلَ نَجد، ومَن والاهُم شَرقًا وغَربًا، وحَفِظ اللهُ عَليكم نِعمَة الإسلام، الَّتي رَضِيَها سُبحانَه لِعبادِه دِينًا، فَلَم يَقدِر أَحدٌ أنْ يُغَيِّرها بقُوَّتِه وقُدرَتِه)(١).

ويقول فِي رسالةٍ له للإمام عبد الله بن فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ: تفهم أَنَّ أَوَّل ما قام به

(١) انظر «الدُّرَرَ السَّنيَّةَ» (١٤/ ١٦١-١٦٧) وانظر الرِّسالةَ الرَّابعةَ والثَّلاثين والتَّعليق عليها.

جدُّك محمَّد وعبدُ الله وعمُّك عبد العزيز(١) أنَّها خلافةُ نُبُوَّةٍ، يَطْلُبون الحقَّ، ويَعْمَلُون به، ويقومون ويغضبون له، ويرضون، ويجاهدون، وكفاهم اللهُ أعداءَهم على فوتهم، إذا مشى العدوُّ كره الله قبل أن يصل؛ لأنَّها خلافةُ نبوَّةٍ، ولا قاموا على النَّاس إلَّا بالقرآن والعملِ به، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥] وأَخذ عَمُّك في الإسلام حتَّىٰ جَاوزَ الثَّمانِين في العُمر، وَالإسلامُ في عِزٍّ وَظُهورٍ، وَأهلُه يَزيدُون، وحَصلَ لَهُم مضمونُ قَولِه: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]، وصارَ أَهلُ الأَمصارِ يَخافُونَهُم، وَأرادَ اللهُ سُبحانه إِمارَةَ سعُودٍ بَعد أَبيهِ، يَرحَم اللهُ الجَميع(٢).

ولهذا ولأجلِ منهجِها السَّلَفِيِّ، وقيامِها علىٰ دعوةِ التَّوحيد، ومحاربَةِ الشِّرْكِ والبِدَعِ، واتِّباعِها لسياسةِ النَّبيِّ ﷺ في حُكْمِها، فقد تكالبت عليها الأعداءُ من كلِّ حدبٍ وصوبٍ، كما تكالبت الأعداءُ علىٰ النَّبيُّ ﷺ من الأحزاب والمشركين.

(١) ستأتي ترجمتُه في الرِّسالة الثَّانية والأربعين.
(٢) انظر «الدُّرَرَ السَّنيَّةَ» (١٤/ ١٢٢-١٢٤) وانظر الرِّسالة الثَّانية والأربعين (أسباب التَّمكين والعزِّ في الأرض) والتَّعليق عليها.

يقول الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ شيخَنا رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أظهر هذه الدَّعوةَ في بلدة العيينة، وهي في أعلىٰ وادىٰ حنيفة -، فاستحسن دعوته من استحسنها، وقبلها من قبلها، وأنكرها من أنكرها.

ثم إن أهل الأحساء، لما استصرخوا شيخهم سليمان آل محمد، شيخ بني خالد، وأرسل إلىٰ ابن معمر شيخ العيينة، بأن يقتله، فهاجر إلىٰ الدرعية بلد محمد بن سعود، فتلقاه هو وأولاده بالقبول، وتابعهم علىٰ ذلك أكثر أهل بلده وقبيلته، علىٰ قلة منهم، وضعف، كما قدمناه.

فصبروا علىٰ مخالفة الناس، والملوك ممن حولهم، والبعيد عنهم؛ وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب؛ ولهذا تحمل هذا الرجل وأتباعه، عداوة كل من عادىٰ هذا الدين، قال تعالىٰ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة:١٠٥]. وقد قال هرقل لأبي سفيان: وسألتك هل يرتد أحد سخطه لدينه، فذكرت أن لا، فكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

فأشبه أمر هذا الشيخ، رحمه الله تعالىٰ ما جرىٰ لخاتم النبيين، حتىٰ في مهاجره، وأنصاره، وكثرة من عاداه وناوأه في الابتداء، كما هو حال الحق في المبادي، يرده الكثير وينكرونه، ويقبله القليل وينصرونه؛ فأول من عاداهم: أقرب الناس إليهم بلدًا، وأقواه كثرة ومالًا، بلاد دهام بن داوس.

وهو أَوَّلُ مَن شَنَّ الغَارة عليهم علىٰ غفلة وغرة، وعدم الاحتساب منهم، فخرجوا إليه علىٰ فشل، فقتل منهم رجالا، منهم فيصل بن سعود، وسعود بن محمد بن سعود، فسبحان من قوىٰ جأش هذا الرجل علىٰ نصرة هذا الدين، حين قتل ابناه؛ ثم سطا عليهم مرة ثانية، فقتل كثيرا ممن سطا بهم، فأخذ

المسلمون الثأر منهم. ثم بعد ذلك استمر الحرب بينهم وبينه، أكثر من ثلاثين سنة، وفي تلك الثلاثين السنة أو أكثر، أعانه علىٰ حربهم أهل نجران، وابن حميد شيخ بني خالد، مرارا، فيأتونهم بأنواع الكيد والكثرة، فينصرهم الله عليهم، وفي ذلك أعظم عبرة.

وبعد هذه المدة وقع بينه وبين المسلمين وقعة بين البلدين، فقتل فيها ابناه «دواس» و «سعدون» فانتهىٰ أمره، فخرج من بلده هاربا في يوم صيف شديد الحر، وتبعه من تبعه؛ فصارت بلده فيئا للمسلمين، ولم يبق لآل دواس بعد ذلك عين تطرف، فاعتبروا يا أولي الأبصار)[(١)].

فهذا عمومُ الوضعِ السِّياسيِّ في نجد منذ قامت الدَّولةُ السُّعوديَّةُ الأولىٰ، إلىٰ وقت وفاة الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ قبيلَ نهايةِ الدَّولة السُّعوديَّة الثَّانية.

ولا شكَّ أنَّ العداءَ لهذه الدَّولة السَّلَفِيَّةِ مستمرٌّ، حتَّىٰ إلىٰ عهد الملك عبد العزيز، وقيام الدَّولة السُّعوديَّة الثَّالثة إلىٰ وقتنا الحالي، حيث يسعىٰ أهلُ الكفرِ وأهلُ البِدَعِ بجميع أصنافِهم إلىٰ زعزعةِ أمنِها واضطرابِ شأنِها، وإضعاف شوكتِها، وتفريق جماعتِها، وإيجادِ النُّفرة والبغضاء بين أفرادها وبين ولاةِ أمرِها وعلمائِها.

ومن أشدِّ ذلك ما تَمَّ تصديرُه لهذه الدَّولةِ من أفكارٍ سياسيَّةٍ وآراء بدعيَّةٍ وجماعاتٍ حزبيَّةٍ تمتطي الإسلام والدَّعوةَ، وهي حربٌ علىٰ الإسلام والسُّنَّةِ والتَّوحيدِ.

---

(١) المقامات، للشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن ص١٥-١٦.

والحديثُ عن ذلك يَطُولُ، ولكن المراد الإشارة إلىٰ بيان الحالة السياسية واستمرارية العداءِ لهذه الدَّولة التي قامت ولا زالت علىٰ التَّوحيدِ والسُّنَّةِ وإقامة شريعة الله تعالىٰ، وتحكيم الكتاب والسُّنَّةِ.

المطلب الثاني
«الحالة الاجتماعيَّة»(١)

لقد كانت الحياةُ الاجتماعيَّةُ في نجد علىٰ حالةٍ يَغْلِبُ عليها التَّرابطُ القبليُّ، فقد شابهت إلىٰ حدٍّ كبيرٍ حالةَ العرب قبل الإسلام، فلم تكن رابطةُ الجماعة والسَّمع والطَّاعة لوليِّ الأمر هي الرَّابطة التي تربط النَّاس، بل كانت الرَّابطةُ رابطةَ المشيخة وأمير القبيلة والالتفاف حوله بل تقديسه -أحيانًا- خوفًا وطمعًا، هي السَّائدة في تلك العلاقات، وهي المرجع في فضِّ النِّزاعات بين أفراد القبيلة، وتحكيم بما يسمَّىٰ (العارفة) أو بما يسمَّىٰ (السلْم)، كما أنَّ مبدأ الحبِّ في اللهِ والبُغْضِ والولاء بين النَّاس علىٰ أساس الدِّين والعقيدة يكاد يكون معدومًا بين النَّاس، إلَّا من رحمه الله، وقليلٌ ما هم.

ولهذا فإنَّ الحروبَ بين القبائل علىٰ مبدأ التَّعَصُّبِ القبليِّ والنُّصْرَةِ للقبيلة

(١) كُتِبَتْ عدَّة دراساتٍ في الحالة الاجتماعيَّة في نجد، مثل: الحالة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة في الدَّولة السُّعوديَّة الثَّانية – رسالة علميَّة لدرجة الماجستير لحصَّة الزّهرانيِّ – وهي أوسع وأمثل ما كتب، ومنها الدَّولةُ السُّعوديَّة الثَّانية، لعبد الفتَّاح أبو عليَّة، ومنها الإمامُ المجدِّدُ الشَّيْخُ عبد الرَّحمن بن حسن، لخالد الغنيم، تكلَّم في مبحث منه عن الحالة الاجتماعيَّة في عصره، ومنها تاريخُ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، لعبد الله العثيمين، تكلَّم أيضًا في مبحثٍ منه عن الحالة الاجتماعيَّةِ.

وأفرادها، هي السَّائدة والمهيمنة في نجد والجزيرة العربيَّة، حتَّىٰ قَيَّضَ اللهُ للعباد هذه الدَّولة السَّلفيَّة، وأعادت للدِّين هَيْبَتَه، وأحيت مبدأ الجماعة ووحدتها وترابطها علىٰ أساس دينيٍّ، وعلىٰ ما أمر الله به وما شرعه علىٰ لسان نبيِّه ﷺ من وجود وليِّ أمرٍ وإمامٍ يُسْمَعُ ويُطاع له بالمعروف، ويكون الرّجوعُ في تنازعِهم إلىٰ كتابِ الله وسنَّةِ رسوله ﷺ، وتمَّ القضاء علىٰ العلاقات الاجتماعيَّة السَّائدة بين النَّاس المخالفة لشرع الله تعالىٰ من كثير من العادات الجاهليَّة التي نشأت بين النَّاس بسبب تحكيم العادات، وتقليد الآباء والأجداد، والبعد عن مظانِّ العلم والعلماء.

ولا شكَّ أنَّ هناك عاداتٍ اجتماعيَّةً طيِّبةً وَرِثَها أهل نجد والجزيرة، سواء كان ممَّا توارثه النَّاسُ من دينِهم الإسلاميِّ، أو ممَّا توارثوه من آبائهم وأجدادهم من خصالهم وعاداتهم، كالكرم، والشَّجاعة، وحُسْنِ الجِوارِ، ومساعدة المظلوم، ونُصْرَتِه، وإكرامِ الضَّيفِ، وغيرها ممَّا لا يزال النَّاس يعدُّونه من مفاخرِ الرَّجل وطيبه، وممَّا تفتخر به القبائل ويجعلونه من مفاخر قبائلهم.

ويدلُّ علىٰ ذلك القصص المتداوَلة عن سير رجالها وأبطالها، والأشعار والقصائد التي يتداولها النَّاسُ في مدح أهل الطِّيب والكرم والشَّجاعة، والحثّ علىٰ مكارم الأخلاق وحُسْنِ الجوار، وإيواءِ الدَّخيل المظلوم وغيرها، إلَّا أنَّه سَرَتْ إلىٰ مجتمعات وقبائل نجد بعض العادات الاجتماعيَّة المخالفة، بسبب البعد عن الدِّين، وعن معرفة السُّنَنِ الشَّرعيَّة، والبُعْدِ عن مظانِّ العلمِ والعلماءِ، وهذا حالُ أهلِ نجد والجزيرة عمومًا حاضرهم وباديهم.

وأهل البادية وأهل الحاضرة في نجد تربطهم علاقاتُ جِوارٍ، وعلاقاتُ مصالح متبادَلَةٍ، بِحُكْمِ ما يقوم به كلٌّ منهم من أنشطة تجاريَّةٍ، فالباديةُ اقتصادُهم ومعيشتُهم قائمةٌ علىٰ رعي الإبل والغنم، والحاضرةُ اقتصادُهم علىٰ الزِّراعة والتِّجارة.

كما يقوم هناك ما يسمىٰ بالتَّحالفات بين القبائل، تضطرُّها الحاجةُ للحماية من غزو النَّاس بعضهم علىٰ بعض، وقد تضطرُّ بعض الجهات الضَّعيفة أو قليلة العدد أن تدفع ما يسمىٰ (الإتاوة) للجهات القويَّة أو القبائل الكثيرة العدد والقوَّة.

والأتاوةُ هي مبلغٌ ماليٌّ يدفعُه طالبُ الحماية لمن يحميه من هجمات ونهب وغزو القبائل الأخرىٰ(١).

ولا شكَّ أنَّ هذه الأمورَ والتي لجأ إليها النَّاس اضطرارًا نتيجة الفوضىٰ الأمنيَّة في نجد وعموم الجزيرة العربيَّة بسبب اختلال الجماعة، وعدم وجود رابطةِ الولاية الشَّرعيَّة، قد خَفَّتْ كثيرًا في حكم الدَّولة السُّعوديَّة بجميع أطوارها، بل وَصَلَتْ إلىٰ حدِّ الانتهاء، والحمد للهِ ربِّ العالمين الذي جمع المسلمين تحت ولايةٍ واحدةٍ تحكمها الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ، حتىٰ تحوَّل هذا الخللُ الأمنيُّ والانحراف الاجتماعيُّ إلىٰ وحدة صفٍّ وقوَّةِ أمنٍ وتآخٍ وترابطٍ اجتماعيٍّ بين عموم النَّاس باختلاف أجناسهم وأماكنهم وقبائلهم.

---

(١) انظر البدو الرُّحَّلُ عبر التَّاريخ لبعض المستشرقين.

المطلب الثالث
«الحالة الدينية»

إنَّ ممَّا لا مجالَ للشَّكِّ فيه أنَّه كان في بلادٍ نجد مجالسُ علمٍ وتدريس وقضاء شرعيٍّ في بعض النَّواحي، وخاصَّة في العيينة وحريملاء، وفي الحاضرة، وأمَّا البادية فحالُهم حالُ الأعراب، في جهلٍ مطبق، وبعدٍ عن الدِّين، وتحاكمٍ إلىٰ الطَّواغيت والسّلوم، يحكم بينهم بذلك أمراءُ القبائل والعشائر، أو ما يسمَّىٰ بـ(العارفة)، وفي الحاضرة هناك تدريسٌ واهتمامٌ بالفِقْهِ والتَّفسير والفرائض، ولكن ليس هناك اهتمامٌ بتدريس التَّوحيد والعقيدة، وليس هناك تحذيرٌ من الشِّرْك والبدع والخرافات، بل ذلك هو المنتشرُ والمهيمنُ، وهو المقبولُ لدىٰ النَّاس، الخاصَّة والعامَّة، وهو الدِّين لديهم، والأمر المتعارف بينهم، والتَّوحيدُ وعبادة الله وحده هو المنكرُ.

ولا تكاد تجد من منسوبي العلم والفقه إنكارًا لهذه الشِّرْكيَّات والأباطيل؛ فالشِّرْكُ قد أَطْبَقَ في النَّاسِ، وعادت الجزيرة إلىٰ حالٍ تكاد تشبه إلىٰ حدٍّ كبيرٍ بما كانت عليه العرب في جاهليَّتها قبل الإسلام، وهذا ما أكَّدَه وذَكَرَه المؤرِّخون والعلماء، وخاصَّةً المعاصرين.

يقول المؤرِّخ حسين بن غنَّام رَحِمَهُ اللَّهُ:

(في مطلع القرن الثَّاني عشر الهجريِّ كان أكثر النَّاس قد انهمكوا في الشرك، وارتدوا إلىٰ الجاهلية، وانطمست بينهم أنوار الإسلام والسنة، لذهاب أهل العلم والبصيرة، وغلبة أهل الجهل، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال. نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال، ظانين أنهم أدرىٰ بالحق، وأعلم بطريق الهدىٰ...

عدلوا عن عبادة الله وحده إلىٰ عبادة الأولياء والصالحين من الأموات والأحياء، يستغيثون بهم في النوازل والكوارث، ويقبلون عليهم في الحاجات والرغبات، ويعتقدون النفع والضر في الجمادات، كالأحجار والأشجار، ويعبدون أهل القبور، ويصرفون لهم الدعاء والنذور في حالتي الضراء والسراء، زائدين علىٰ مشركي الجاهلية الأولىٰ، حيث كانوا إذا مسهم الضر لا يدعون إلا الله، مخلصين له الدين، أما إذا نجاهم الله، فهم يشركون، لكن هؤلاء أحبوا أوثانهم من دون الله محبة أعظم من محبتهم لله، وسرت في سويداء قلوبهم، وبدت علىٰ صفحات وجوههم وألسنتهم وجوارحهم، وبذلوا أعمارهم وحياتَهم في دفع الحقِّ ومن يُبْدِيه)[1].

ويقول ابن بشر رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وكان الشِّرْكُ إذ ذاك قد فشىٰ في نجد وغيرها، وَكَثُرَ الاعتقادُ في الأشجار

---

(١) تاريخ ابن غنَّام (١/ ٥) وتحرير الأسد لروضة ابن غنَّام ص١٠-١٩، وانظر عقيدة الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب السَّلفيَّة (١/ ٦٠-٦١).

والأحجار والقبور، والبناء عليها، والتَّبرُّك بها، والنَّذر لها، والاستعاذة بالجنِّ، والنَّذْر لهم، ووضع الطَّعام، وجعله لهم في زوايا البيوت؛ لشفاء مرضاهم ونفعهم، والحلف بغير الله، وغير ذلك من الشِّرْك الأكبر والأصغر)[١].

وقال أيضًا مبيِّنًا بعض أسباب انتشار الشِّرْك بين النَّاس:

(فوقعوا في عظائم بهذا السَّبب، وليس للنَّاس مَنْ ينهاهم عن ذلك، فيصدع بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ورؤساء البلدان وظلمتهم لا يعرفون إلَّا ظلم الرَّعايا والجور والقتال لبعضهم بعض، فلمَّا تحقَّق الشَّيْخ رَحِمَهُ اللَّهُ معرفة التَّوحيد، ومعرفة نواقضه، وما وقع فيه كثيرٌ من النَّاس من هذه البدع المضلَّة، صار ينكر هذه الأشياء، واستحسن النَّاس ما يقول، لكن لم ينهوا عمَّا فعل الجاهلون، ولم يزيلوا ما أحدث المبتدعون)[٢].

ويقول الإمامُ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(كان أهلُ نجد قبل دعوة الشَّيْخ علىٰ حالة لا يرضاها مؤمن، كان الشرك الأكبر قد نشأ وانتشر، حتىٰ عبدت القباب وعبدت الأشجار، والأحجار، وعبدت الغيران، وعبد من يدعي بالولاية، وهو من المعتوهين. وعبد من دون الله أناس يدعون بالولاية، وهم مجانين مجاذيب لا عقول عندهم، واشتهر في نجد السحرة والكهنة، وسؤالهم وتصديقهم وليس هناك مُنْكِرٌ إلا من شاء الله، وغلب علىٰ الناس الإقبال علىٰ الدنيا وشهواتها، وقل القائم لله والناصر لدين

(١) عنوان المجد (١/ ٣٣-٣٤).

(٢) نفس المرجع (١/ ٣٤).

الله، وهكذا في الحرمين الشريفين، وفي اليمن اشتهر في ذلك الشرك، وبناء القباب على القبور، ودعاء الأولياء والاستغاثة بهم، وفي اليمن من ذلك الشيء الكثير، وفي بلدان نجد من ذلك ما لا يحصى، ما بين قبر وما بين غار، وبين شجرة وبين مجذوب ومجنون يدعى من دون الله ويستغاث به مع الله، وكذلك مما عرف في نجد واشتهر دعاء الجن والاستغاثة بهم، وذبح الذبائح لهم، وجعلها في الزَّوايا من البيوت رجاء نَجْدَتِهم، وخوفَ شَرِّهم)(١).

فلمَّا أراد اللهُ عزَّ وجلَّ الرَّحمن الرَّحيم أن يرحمَ العبادَ بإخراجهم من الظُّلمات إلى النُّور، ومن براثن الشِّرْكِ إلى ضياء التَّوحيد، ومن الجهل وتقليد الآباء إلى العلم والاتِّباع، وذلك بما قَيَّضه الله تعالى بظهور الإمام العالم المجدِّدِ شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وبما هَيَّأَ اللهُ له من يناصره ويؤازره، وهو الإمامُ محمَّد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا تحقيقٌ لوعد الله الصَّادق الذي جاء على لسان نبيِّه ﷺ حيث قال: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ عَامٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»(٢).

وقد تحدَّث وكتب كثيرٌ من المؤرِّخين والعلماء والباحثين عن الحالة الدِّينيَّة والعلميَّة في نجد، بعد قيام دعوة شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، وما بعده ممَّا قام به أبناؤه وأحفاده وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه، مبيِّنين كيف انتشر الدِّين والعقيدة

---

(١) فتاوى ومقالات ابن باز (١/ ٣٥٨) ومحاضرة لسماحته بعنوان: الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب دعوته وسيرته.

(٢) رواه أبو داود في سُنَنِه في كتاب الملاحِم - باب ما يُذْكَرُ في قرن المائة (ح/ ٤٢٩١)، والحاكم في المستدرَكِ (٤/ ٥٢٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في السِّلسلة الصَّحيحة (٢/ ١٤٨).

والتَّوحيد في عموم نجد، باديةً وحاضرةً، وكيف انتشرت مجالسُ العلم، حتَّىٰ أصبحت مجالسُ الخاصَّة- بل ومجلس الحكم- يكون فيه دروس وقراءة للحديث والتَّفسير وشروح أهل العلم.

وسأكتفي بنقل ما سطره الإمام العالم عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في معرض ردِّه علىٰ الزَّائغ عثمان بن منصور النَّاصريِّ التَّميميِّ، والذي كان معاصرًا لظهور وبروز الدَّعوة السَّلفيَّةِ وانتشارها، حيث أخذ عن العلماء السَّلفيِّين في بدايةِ أمره، مثل الشَّيْخ عبد العزيز الحصين[1]، والشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن رحمهما الله تعالىٰ، ولكنَّه جالس بعض أهل البدع والزَّيغ، وتدارس معهم ممَّن كان في الزُّبير والبصرة، مثل محمَّد بن سلوم[2]، وابن سند[3] ممَّن كان يعادي دعوةَ التَّوحيد والسُّنَّة التي جدَّدها الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب، فتأثَّر بهؤلاء المبتدعة.

وهنا تَكْمُنُ خطورةُ مجالس المبتدعة، وقد جاءت نصوص شرعيَّة وآثار

(١) هو الإمام العلَّامة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن إبراهيم الحصين الناصري، أخذ الفقه في صغره عن الشيخ إبراهيم بن محمد إسماعيل، ثم أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابنه الشيخ عبدالله، وغيرهم، له مجالس في التدريس، وله رسالة في معنىٰ التوحيد. ولي القضاء في الوشم في ولاية الإمام عبد العزيز بن محمد، وأول ولاية الإمام سعود. توفي رحمه الله تعالىٰ سنة ١٢٣٧. «الدرر السنية» (١٤/ ٣٨٦).

(٢) محمَّد بن عليّ بن سلوم، ولد في سدير سنة (١١٦١)، ورحل إلىٰ الإحساء، ثم انتقل إلىٰ البصرة مع شيخه محمَّد بن فيروز، وهو من خصوم الدَّعوة السَّلفيَّة، والعدوُّ اللَّدود لشيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب، توفِّي في البصرة في بلدة سوق الشُّيوخ سنة (١٢٤٦).

(٣) ستأتي ترجمته في الرسالة الثالثة عشرة.

سلفيَّة في التَّحذير من مجالسة أهل البدع والحذر منهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨] وروىٰ البخاريُّ ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ حتىٰ بلغ ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فقال رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُم**»(١).

وجاءت كثيرٌ من الآثار عن السَّلَفِ في التَّحذير من مجالسة أهل البدع ومن الإصغاء لشُبَهِهِم، أو من مناظرتهم ومجادلتهم، فقد جاء عن الحسن أنَّه أتاه رجلٌ فقال: (يا أبا سعيد، إنِّي أريد أن أخاصمك. فقال الحسن: إليك عنِّي فإنِّي قد عرفت ديني، وإنَّما يخاصمك الشَّاكُّ في دينه)(٢).

وقال أيضًا: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم)(٣).

وقال عمر بن عبد العزيز: (مَنْ جعل دينَه غرضًا للخصومات أكثر الشَّكَّ - أو قال - يكثر التَّحَوُّلَ)(٤).

وقال أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرميُّ: (لا تجالسوهم - أي المبتدعة -

(١) رواه البخاريُّ (ح/ ٤٥٤٧) ومسلم (ح/ ٢٦٦٥).
(٢) شرح السُّنَّة، للَّالكائيِّ (١/ ١٢٩).
(٣) نفس المرجع (١/ ١٣٣).
(٤) نفس المرجع (١/ ١٢٨).

ولا تخالطوهم، فإنِّي لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم كثيرًا ممَّا تعرفون)(١).

وهذا الرَّجُلُ - أعني ابنَ منصور - بعد زَيْغِهِ وتأثُّرِه بأهل البِدَعِ كتب كتابًا بعنوان: «جلاءُ الغمَّة عن تكفير هذه الأمَّة»، ملأه افتراءات وكذبًا علىٰ شيخ الإسلام، فردَّ الشَّيْخ عبد اللَّطيف عليه ردًّا مفحمًا، وفنَّدَ تلك الشُّبَهَ التي أوردها، وكان ممَّا جاء فيه ممَّا يتعلَّق بهذا المبحث، أن تكلَّم عن الحالة الدِّينيَّة والعلميَّة لحال نجد بعد دعوة شيخ الإسلام، حيث نقل بعض عبارات ابن منصور في اعتراضه علىٰ شيخ الإسلام، ثم أجاب عليها، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قال المعترض: قد ابتلىٰ الله أهل نجد، بل جزيرة العرب بمن خرج عليهم، ولم يتخرج علىٰ العلماء الأمناء، كما صحَّ عندنا وثبت عن مشايخنا الأمجاد النُّقاد، وسعىٰ بالتَّكفير للأمَّة خاصِّها وعامِّها، وقاتلها علىٰ ذلك جملة إلَّا مَنْ وافقه علىٰ قوله، لما وجد من يعينه علىٰ ذلك بجَهْلِه.

والجوابُ أن يُقال: إنَّه من المعلوم عن كلِّ عاقلٍ خَبرَ النَّاسَ وعرف أحوالهم، وسمع شيئًا من أخبارهم وتواريخهم، أنَّ أهلَ نجد وغيرهم ممَّن تبع الشَّيْخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب، كانوا علىٰ غايةٍ من الجَهالةِ والضَّلالة، والفقر والعالة، لا يستريب في ذلك عاقل، ولا يجادل فيه عارف، كانوا من أمر دينهم في جاهلية: يَدْعُون الصَّالحين ويعتقدون في الأشجار والأحجار والغيران، يطوفون بقبور الأولياء، ويرجون الخيرَ والنَّصْرَ من جهتها،

(١) نفس المرجع (١/ ١٣٤).

وفيهم من كُفْرِ الاتِّحاديَّة والحلوليَّة وجهالة الصُّوفيَّة[١]، ما يرون أنَّه من الشُّعبِ الإيمانيَّة، والطَّريقة المحمَّديَّة، وفيهم من إضاعة الصَّلوات، ومنع الزَّكاة وشرب المسكرات، ما هو معروف مشهور.

فمحا الله بدعوته شعار الشِّرْك ومشاهده، وهَدَمَ بيوتَ الكفر والشِّرْك ومعابده، وكبت الطَّواغيت والملحدين، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرىٰ، بما جاء به محمَّدٌ ﷺ من التَّوحيد والهدىٰ، وكفَّر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفاء، وأمر بإقامة الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وترك المنكرات والمسكرات، ونهىٰ عن الابتداع في الدِّين، وأمر بمتابعة سيِّد المرسلين والسَّلَفِ الماضين، في الأصول والفروع من مسائل الدِّين، حتَّىٰ ظهر دينُ الله واستعلن، واستبان بدعوته منهاجُ الشَّريعة والسُّنَن.

وقام قائمُ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وحُدَّت الحدود الشَّرعيَّة، وعُزِّرت التَّعازير الدِّينيَّة، وانتصب علم الجهاد، وقاتل لإعلاء كلمة الله أهلَ الشِّرْك والفساد، حتىٰ سارت دعوتُه وثبت نُصْحُه لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم، وجمع الله به القلوب بعد شتاتِها، وتألَّفت بعد عداوتها، وصاروا بنعمة الله إخوانًا، فأعطاهم اللهُ بذلك من النَّصر والعِزِّ والظُّهور، ما لا يُعْرَفُ مثلُه لسكَّان تلك الفيافي والصُّخور، وفتح عليهم الأحساء والقطيف، وقهروا سائرَ العربِ من عمان إلىٰ عقبة مصر، ومن اليمن إلىٰ العراق والشَّام.

دانت لهم عربُها وأعطوا الزَّكاة، فأصبحت نجد تُضْرَبُ إليها أكبادُ الإبل في

(١) سيأتي تعريف هذه الفرق في الرسالة الأولىٰ.

طَلَبِ الدِّين والدُّنيا، وتَفْتَخِرُ بما نالها من العزِّ والنَّصر والإقبال والسَّنا، كما قال عالمُ صنعاء وشيخها[١]:

قِفِي واسْأَلِي عن عالمٍ حَلَّ سُوحها ... به يهتدي مَن ضَلَّ عن منهج الرُّشْدِ

محمَّد الهادي لسنَّة أحمد ... فيا حبَّذا الهادي ويا حبَّذا المهدي

لقد سرَّني ما جاءني من طريقة ... وكنت أرى هذي الطَّريقةَ لي وحدي

وقال عالم الإحساء وشيخها[٢]:

لقد رفع المولى به رتبةَ العلى ... بوقت به يعلو الضَّلال ويرفع

تجرّ به نجد ذيولَ افتخارها ... وحق لها بالألمعي ترفع)[٣]

وقال أيضًا في معرض ردِّه عليه في بيان الحالة العلميَّة في زمن الشَّيْخ:

(وأمَّا قوله: «ولم يتخرَّج على العلماء الأمناء» فهذه الدَّعوى الضَّالَّةُ نشأت من سوء المعتقد وخُبْثِ الطَّوِيَّة، وهذا الرَّجُلُ لا زمامَ ولا خطامَ لأكاذيبه وأباطيله يرسلها حيث شاء، ويكابرُ أهلَ العلم ولا يتحاشى.

وقد عُرِفَ طلبُ الشَّيْخ للعلم ورحلتُه في تحصيله، كما ذكره صاحب «التَّاريخ» الشَّيْخُ حسينُ بن غنَّام الإحسائيُّ، وقد اجتمع بأشياخ الحرمين في وقته

---

(١) هو الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني، وتأتي ترجمته في الرسالة الرابعة والثلاثين.

(٢) ستأتي ترجمته في الرسالة التاسعة والثلاثين.

(٣) مصباح الظَّلام في الرَّدِّ على من كذب على شيخ الإسلام ص٤٤-٤٦.

ومحدِّثيها، وأجازه بعضُهم ورحل إلىٰ البصرةِ وسمع وناظر، وإلىٰ الإحساء وهي إذ ذاك آهلةٌ بالعلماء، فسمع من أشياخها، وباحث في أصول الدِّين ومقالات النَّاس في الإيمان وغيره، وسمع من والده ومن فقهاء نجد في وقته، واشتهر عندهم بالعلم والذَّكاء، وعُرِفَ به علىٰ صِغَرِ سِنِّه)(١).

وقال أيضًا: (وأمَّا قولُه: «إنَّ أتباعَه لو طلبت منهم طريقًا يتَّصل إلىٰ النَّبيِّ ﷺ لم تجدها من جهته، ولا يعرف ذلك، وإنَّما هو حدَّثني قلبي عن ربِّي».

فيقال لهذا الملحد: جميعُ ما بأيديهم من كتب العلوم إنَّما أخذوها عن أشياخ الثِّقات، يؤخذ عنهم حفظًا وأمانة، وطرق الأخذ متعدِّدةٌ ولو إجازة عامَّة، وإن بعدت الدِّيار وتناءت الأقطار، كما يعرفه أهل فنِّ المصطلح، وقد سعوا في ذلك لمَّا دوِّنت الدَّواوين وجمعت العلوم، ومُيِّزَ الصَّحيحُ والحسن والضَّعيفُ والمرفوع، والموقوف والمتَّصل والمنقطع والغريب والمشتهر، واشتهرت رحلة شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسماعه للعلوم واجتماعه بأعيان وقته.

وقد أخذ الفقهَ عن أبيه عن جدِّه سليمان بن عليٍّ مفتي الدِّيار النَّجديَّةِ في وقته، وسندُه المتَّصلُ بأئمَّة المذهب إلىٰ الإمام أحمد معروف مقرَّرٌ عندهم، وسمع الحديثَ عن أشياخ الحرمين في وقته، ورحل إلىٰ البصرةِ وسمع من أشياخها)(٢).

وقال أيضًا: (وأمَّا قوله: «إنَّه لم يسمع عندهم لأصول الفقه والنَّحو والعربيَّة ذِكرًا، بل يَتهكمون بمن يطريها دونَ مَنْ يتليها».

---

(١) نفس المرجع ص٤٨-٤٩.

(٢) نفس المرجع ص٢٥٤.

فيقال: أنت وأمثالُك من أشدِّ النَّاس نفورًا عنهم وبعدًا، ومرباك ومأواك ساحلُ العراق، وما يلي مشهد عليٍّ والحسين من تلك البلاد، فما يُدْرِيك عنهم؟ وقد اعترفت أنَّ بعضَ النَّاس نَصَحَكَ عن الأخذ عنهم ففعلتَ، ولم تقدُم الدَّرعيَّةَ، ولم تَرَ مَنْ فيها من الجهابذةِ الَّذِين شاع فَضْلُهم، واشتهر عِلْمُهم، ونقله العدولُ، وشهدت به الآثارُ والمؤلَّفات، ورجع إليهم أهل اليمن وأهل صنعاء في كثير من المسائل والمشكلات، فوجدوا عندهم من العلوم ما يثلج الصَّدر، ويكشف العمىٰ، وقد كثر الإقراء في الدَّرعيَّةِ في علوم العربيَّة حتَّىٰ حضر درس الشَّيْخ حسين بن غنَّام الجمُّ الغفير، والخلق الكثير)[1].

واستمرَّ هذا الإصلاح الدِّينيُّ والانتشار العلميُّ في جميع أطوار الدَّولة السُّعوديَّة، وكثر التَّأليف واقتناء الكتب والمخطوطات، وكان سبيلُ العلماء قائمًا علىٰ أمرين، الأوَّل: التَّأصيل وبيان معتقد أهل السُّنَّة وبيان حقيقة التَّوحيد وما ينافيه، والثَّاني: الرَّدُّ علىٰ المخالفين والمعادين لدعوة التَّوحيد والسُّنَّة ودعوة شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب.

ومن يطَّلع علىٰ ما جمعه ابنُ سحمان في الرَّسائل والمسائل، وما جمعه ابن قاسم في الدُّرر السَّنيَّة، من رسائل ومؤلَّفات علماء نجد، يتبيَّن له ما ذكرنا.

وهم في ذلك متَّبعون لدعوة السَّلف الصَّالح في دعوتهم وفي تآليفهم، يسلكون هذا المسلك الشَّرعيَّ، والطَّريقَ الإلهيَّ النَّبويَّ، تأصيلًا للحق وبيانه، وتحذيرًا من الباطل بجميع أشكاله وأنواعه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

(١) نفس المرجع ص٢٥٩-٢٦٠.

المبحث الثاني: حياة المؤلف

المطلب الأول: «اسمه ونسبه ومولده»[١]

هو الإمام السَّلفيُّ المجدِّد الثَّاني لدعوة التَّوحيد والسُّنَّة في نجد، العلَّامة عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن عليّ بن محمَّد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف بن عمر ابن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمَّد بن علوي بن وهيب.

وإلىٰ هذا الجدِّ من نَسَبِ هذه الأسرة المباركة ذكره المؤرِّخ عثمان بن عبد الله بن بشر النَّجديُّ في عنوان المجد في تاريخ نجد[٢].

وقد علَّق مُحقِّق الكتاب الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن عبد اللَّطيف بن عبد الله آل الشَّيْخ علىٰ كلام ابن بشر في ذكر نسب جده محمد بن عبد الوهاب، فقال:

---

(١) من مصادر ترجمته: «عقد الدُّرر» (ص٦٤-٧٤)، تاريخ ابن بشر (٢/ ٤١)، تاريخ الفاخريّ ص٢٢٨، «الدُّرَر السَّنيَّة» (١٦/ ٣١٥)، مشاهير علماء نجد، لعبد الرحمن آل الشَّيْخ ص٦٤-٨٥، علماء الدَّعوة ص٤٠ له أيضًا، علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسَّام (١/ ١٨٠)، معجم مصنَّفات الحنابلة، للطّريقيّ (٦/ ١٤٤-١٤٩)، روضة النَّاظرين (١/ ٢٢٠-٢٢٥)، معجم المؤلِّفين (٥/ ١٣٥)، إيضاح المكنون (٢/ ١٧٢)، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد (١/ ٢٨٦)، مجلَّة الدَّارَّة، العدد الرَّابع، رجب ١٤٠٠.

(٢) عنوان المجد (١/ ١٨٠) و (٢/ ٤١).

(اختصر المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلسلة نسب الشَّيْخ محمَّد، ووقف فيها علىٰ ما فوق (وهيب)، وقد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما علم، ونحن لتمام الفائدة نورد سلسلةَ نسب الشَّيْخ محمَّد كاملةً إلىٰ عدنان، وذلك نقلًا منَّا من وثائق علماء الوهبة وثبوتهم، فنقول: أمَّا نسب هذا الشَّيْخ فهو:

محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن عليّ بن محمَّد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمَّد بن علويّ بن وهيب بن قاسم بن موسىٰ بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شدَّاد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنضلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان)(١).

والشَّيْخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قبيلة بني تميم المعروفة، كما ذكر ذلك المؤرِّخون(٢).

(ولد هذا العالم الكبير سنة ثلاث وتسعين ومئة وألف من الهجرة في بلدة الدَّرعيَّة، موطن الدَّعوة ومهد علمائها، وعاصمة ولاتها في ذلك الحين)(٣).

وكانت ولادتُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد قيام الدَّولة السُّعوديَّة الأولىٰ بخمس وثلاثين سنة، حيث أنها قامت عام ١١٥٨ علىٰ يد الإمام محمَّد بن سعود وشيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب، وقد عاصر حياة جده شيخ الإسلام إلىٰ عام ١٢٠٦، سنة وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعُمُر الشَّيْخ عبد الرَّحمن آنذاك ثلاث عشرة سنة.

(١) المصدر السابق.
(٢) تاريخ نجد، لابن غنَّام (ص٨١).
(٣) مشاهير علماء نجد (ص٥٨) وعلماء الدَّعوة (ص٤٠).

والشَّيْخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينتمي إلىٰ أسرة آل مشرَّف، وهي فرع من فروع آل وهبة أحد بطون قبيلة بني تميم المشهورة(١).

كما أنَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أسرة علميَّة، فجدُّ جدِّه الشَّيْخ سليمان بن عليّ بن مشرَّف، كان عالم نجد في زمانه، له اليد الطّولىٰ في العلم، وانتهت إليه الرِّئاسة في نجد، وضربت إليه آباط الإبل، صنَّف ودرَّس وأفتىٰ(٢)، وكان متبحرًا في علوم المذهب، وكان علماء نجد في زمانه يرجعون إليه في كلِّ مشكلة من الفقه وغيره، وله مؤلَّفات عدَّة(٣).

وجَدُّ أبيه عبد الوهاب بن سليمان، كان قاضيًا في العيينة، أخذ عن والده، واشتغل بالعلم من صِغَرِه حتىٰ أدرك، ودرَّس وأفتىٰ، وكتب عن بعض المسائل. قال عنه ابن بشر: العالم الفقيه(٤).

وجَدُّه هو شيخ الإسلام ومفتي الأنام، الإمامُ السَّلَفيُّ الذي جدَّد الله علىٰ يديه ما اندرس من الشَّريعة الغرَّاء، والتَّوحيد الخالص، والمنهج السَّلفيّ، العلَّامة محمَّد بن عبد الوهَّاب، والذي نشأ من صغره علىٰ العلم، وحفظ القرآن وأتقنه قبل بلوغه العشر، واشتغل بطلب العلم، فقرأ مبادئ العلوم، والفقه الحنبليَّ علىٰ والده الشَّيْخ عبد الوهَّاب، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حادَّ الفهم، سريع الإدراك والحفظ، ولما بلغ سنَّ الرُّشد قدَّمه والده الشَّيْخ عبد الوهَّاب في إمامة الصَّلاة، ثمَّ رحل في طلب العلم إلىٰ الحجاز مكَّة والمدينة والبصرة، واستمرَّ في طلب

(١) «الرسائل والمسائل» (٣/ ٣٧٩) وتاريخ المملكة العربية السُّعوديَّة للعثيمين (١/ ٦١).
(٢) عنوان المجد (١/ ١٨١).
(٣) عنوان المجد (٢/ ٣٢٩).
(٤) عنوان المجد (٢/ ٣٢٨).

العلم والدَّعوة إلىٰ الله حتىٰ هَيَّأَ الله له الإمام محمَّد بن سعود، فتعاونا وتآزرا وجاهدا في الله، حتىٰ مكَّن اللهُ لهم في الأرض؛ تحقيقًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥][1].

وعمومًا فإنَّ هذه الأسرة أسرة مباركة نشأت علىٰ العلم منذ قرون.

---

(١) انظر ترجمتَه في عنوان المجد (١/ ٣٣)، تاريخ نجد، لابن غنَّام ص٨١-٨٩، محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترىٰ عليه، لمسعود الندوي، الشَّيْخ محمَّد ين عبد الوهَّاب عقيدته السَّلفيَّة ودعوته الإصلاحيَّة، للشَّيخ أحمد آل بوطامي.

المطلب الثاني
«صفاته»

لقد كان لنشأة الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن رحمه الله تعالىٰ العلميَّة، وبيئته الاجتماعيَّة الصَّالحة، ووسطه الأسريِّ الملتزم بالدِّين والسُّنَّة، أعظمُ الأثر في توجيهه أخلاقيًّا وسلوكيًّا، حيث عُرف رَحِمَهُ اللَّهُ بصفات نبيلة عظيمة، منها:

١- كان رَحِمَهُ اللَّهُ ورعًا، نقيًّا، تقيًّا، صالحًا(١).

٢- وكان رَحِمَهُ اللَّهُ حريصًا علىٰ طلب العلم بهمَّةٍ عاليةٍ، وإقبالٍ منقطعِ النَّظير(٢).

٣- وكان كثيرَ العبادة، ساكنًا، وَقُورًا(٣).

٤- وكان ملازمًا للتَّدريس، مرغبًا للعلم، معينًا عليه، كثيرَ الإحسان للطَّلَبَةِ(٤).

٥- وكان حَسَنَ التَّعليم، واسعَ الاطِّلاع(٥).

(١) «عقد الدُّرَرِ» (ص٦٤).
(٢) روضة النَّاظرين (١/ ٢٢٠).
(٣) «عقد الدُّرَرِ» (ص٧٠).
(٤) المصدر السابق.
(٥) روضة النَّاظرين (١/ ٢٢١).

٦- وكان ليِّنَ الجانب، كريمًا، سخيًّا[(١)].

٧- وكان سخيًّا، جوادًا، يتفقَّد طلَّابَ العلم، ويواسيهم، ويعطف علىٰ الفقراء والمُعوزين[(٢)].

٨- وكان شجاعًا، باسلًا[(٣)]، مهيبًا[(٤)].

٩- وكان له في نجد حركةٌ وجَوْلَةٌ، ومكانةٌ مرموقةٌ، وكلمةٌ نافذةٌ[(٥)].

١٠- ولم يَزَلْ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ الإعزازِ التَّامِّ، ونُفُوذِ الكلمةِ عندَ ولاةِ الأمر فمَنْ دونَهم، إلىٰ أن توفَّاه اللهُ تعالىٰ[(٦)].

١١- وكان له محبَّةٌ في القلوبِ[(٧)].

١٢- وكان غَيُورًا علىٰ العقيدةِ والسُّنَّةِ[(٨)].

١٣- وكان مُتَّبعًا لمنهج السَّلَفِ الصَّالح[(٩)].

١٤- وكان ناصحًا للخاصَّةِ والعامَّةِ[(١٠)].

---

(١) «عقد الدُّرَرِ» (ص٧٠).
(٢) مشاهير علماء نجد (ص٦٣).
(٣) الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن، لخالد الغنيم (ص١٠٦).
(٤) روضة النَّاظرين (١/ ٢٢١).
(٥) المصدر السابق.
(٦) «عقد الدُّرَر» (ص٧٠).
(٧) روضة النَّاظرين (١/ ٢٢١).
(٨) «الدُّررُ السَّنيَّة» (٤/ ٢٥٤).
(٩) مشاهير علماء نجد (ص٦٢).
(١٠) «الدُّررُ السَّنيَّة» (١٤/ ٦١-٧٧).

١٥- وكان نبهًا فطنًا ذكيًّا(١).

١٦- وكان رَحِمَهُ اللَّهُ شديدًا علىٰ أهل البدع، محذِّرًا منهم، ومن مقالاتهم(٢).

إلىٰ غير ذلك كثير من صفاته رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنَّ (فضائلَه ومحاسنَه ومناقبَه أشهرُ من نارٍ علىٰ علمٍ، فرحمه الله، وجزاه عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء، فلقد بَذَلَ نفسَه لله، وفي ذات الله، لا تأخذه في ذلك لومةُ لائمٍ، ولا عذلُ عاذلٍ، وألقي عليه مِن المَهَابة والجَلالة والبَهاء ما لا يُعْرَفُ لغيره)(٣).

---

(١) مشاهير علماء نجد (ص٦٢).

(٢) «الرَّسائلُ والمسائلُ» (١/ ٣٥٧، ٣٥٨)، «الدُّرر السَّنيَّة» (٣/ ٢١٢).

(٣) «الدرر السنية» (١٦/ ٤١١).

المطلب الثالث
«نشأته العلمية ورحلاته»

لقد كان من هدي السَّلف الصَّالح أنَّهم ينشِّئون أولادَهم علىٰ حبِّ العلم ومجالس أهله؛ ليثمر ذلك فيهم همةً لطلبه وهديًا وسمتًا واتِّباعًا وتعظيمًا للشَّريعة وعملًا بها، كما يربُّونهم علىٰ حفظ القرآن الكريم والسُّنَّةِ والمتون العلميَّة صغارًا، تمرينًا وتعليمًا.

يقول عمرو بن قيس الملائيُّ الكوفيُّ:

إذا رأيت الشَّابَّ أوَّلَ ما ينشأ مع أهل السُّنَّة والجماعة فارجه، وإذا رأيتَه مع أهل البدع فأيئس منه، فإنَّ الشَّابَّ علىٰ أوَّل نشوئِهِ(١).

وقال أيضًا: إنَّ الشَّابَّ لينشأ، فإن آثَرَ أن يجالس أهلَ العلم كاد أن يَسْلَمَ، وإن مال إلىٰ غيرِهم كاد يعطب(٢).

وهذا منهم اتِّباعٌ لهدي النَّبيِّ ﷺ؛ فقد صحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ**

(١) الإبانةُ، لابن بطَّة (١/ ٢٠٥) وانظر كذلك شرح السُّنَّة، للَّالكائيِّ (١/ ٨٤، وما بعدها).
(٢) نفس المرجع (٢/ ٢٠٦).

اللهُ فِي ظِلِّهِ يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ». وذكر منهم: «وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ»[(١)].

ومن أعظم العبادةِ العلمُ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمَّد: ١٩].

وهذا ما نشأ عليه بعض صغار الصَّحابة كابن عبَّاس وابن عمر ومحمود بن الرَّبيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

والشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ سلك به جدّه وأعمامه هذا المسلك العظيم، والذي أثمر فيه تأصيلًا سلفيًّا، وعلمًا غزيرًا، حتىٰ أصبح عالمًا منافحًا عن السُّنَّة، قامعًا للبدعة وأهلِها، ناشرًا للعلم والفِقْهِ، داعيًا إلىٰ اللهِ علىٰ بصيرةٍ وحكمةٍ.

لقد تربَّىٰ رحمه الله تعالىٰ في حجر جدِّه مجدِّد عقيدة السَّلَفِ ومحيي مجد الإسلام، حيث قتل والدُه شهيدًا في معركة غرابة، فنشأ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الجوِّ العلميِّ، وبين حلقات المعلِّمين، فطَبَعَتْه هذه البيئة الصَّالحةُ بتوفيق الله بطابعها، فصار العلمُ هوايتَه والدَّرسُ رغبتَه، وحِلَقُ الذِّكْرِ مصدرَه وموردَه، فحفظ القرآن الكريم بعد سنِّ التَّمييز، ولازم دروسَ جدِّه قبل المراهقة، فقرأ عليه التَّوحيد إلَّا قليلًا، وتدرَّب علىٰ الفقه بقراءةِ كثيرٍ من آدابِ المشيِ إلىٰ الصَّلاة، واستمع إلىٰ دروس كبار تلاميذ جدِّه في أمَّهات كتب التَّفسير والحديث والأحكام، فزاد شَغَفُه بالعلم قبلَ البلوغِ، ورام المعالي قبلَ سِنِّ الرُّشدِ، فصار إلىٰ ما أراد[(٢)].

(١) رواه البخاريُّ (ح/ ٦٦٠) ومسلم (ح/ ١٠٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ١٨٠).

وقد نشّأَه جدُّه تنشئةً صالحةً، ربَّاه فيها علىٰ العفافِ والطَّهارةِ وحسن الخُلُق، وحرص علىٰ تعليمه منذ نعومةِ أظفارِه، وساعده علىٰ ذلك مخايل الذَّكاء وسرعة الفهم التي كان يتَّصف بها في صغره، كان من أهمِّ نتائجها أن ختم القرآنَ وهو في العاشرة من عمره(١).

ولمَّا توفِّي جدُّه الإمامُ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله رحمةً واسعةً، عاش تحت رعاية أعمامه الَّذِين اعتنوا به وقرَّبوه وواصلوا تعليمَه، وقد لمسوا فيه سرعةً في الفهم، وقوَّةً في الإدراك، فزادهم ذلك حرصًا علىٰ توجيهِهِ، ودعوتِه إلىٰ حضورِ مجالسِهم العلميَّةِ، وحلقات الدُّروس، والجلوس إلىٰ العلماء(٢)، فقرأ علىٰ الشَّيْخ حمد بن ناصر بن معمَّر كتابَ «المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل»، وقرأ علىٰ الشَّيْخ عبد الله بن فاضل من علماء الدرعية، وقرأ علىٰ عمِّه علامة نجد في زمنه وخليفة والده بعد وفاة الشَّيْخ عبد الله بن شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب، وقرأ في الفرائض علىٰ عبد الرَّحمن بن خميس من علماء الدَّرعيَّة، وقرأ في النَّحو علىٰ العلَّامة الشَّيْخ حسين بن غنَّام صاحب التَّاريخ المشهور(٣).

ولما استقىٰ من علم هؤلاء الأعلام كلٍّ واحدٍ بنبعه ومشربه حتَّىٰ أدرك من أصول العلم وفروعه ما لم يدركه غيره، صار من العلماء وهو في سنِّ الشَّباب، فأقبل عليه الطُّلَّابُ وتحلَّقوا حولَه وجلسوا بين يديه، وصار يدرِّسُهم التَّوحيدَ

(١) آثار الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن مجدِّد الدَّعوة الإصلاحيَّة في نجد، للأستاذ أحمد بن حافظ الحكميِّ، طبع في مجلَّة الدَّارة، العدد الرَّابع، السَّنة الخامسة، ١٤٠٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مشاهير علماء نجد (ص٥٩).

والتَّفسيرَ والحديثَ والفقهَ وغيرَها، فاشتهر أمرُه وطار صِيتُه(١).

واستمرَّ علىٰ ذلك تعلُّمًا وتعليمًا ونشرًا للدَّعوة السَّلفيَّةِ، قدَّر اللهُ سقوط الدَّرعيَّة واستيلاء إبراهيم بن محمَّد عليّ باشا عليها، وعلىٰ جميع الجزيرة العربيَّة، فنقله إبراهيم باشا إلىٰ مصر ومعه حَرَمُه وعائلتُه وابنه الشَّيْخ عبد اللَّطيف، وذلك في سنة ١٢٣٣هـ(٢).

وبانتقاله إلىٰ مصر فتح الله له بابَ الاستزادةِ من العلم، وهذا من إرادةِ الله له الخيرَ بالفقه في الدِّين وتعلُّمِه علومًا وفنونًا، قلَّ النَّصيب منها في نجد، ككثيرٍ من علوم اللُّغة وعلم القراءات، فقد تحصَّل علىٰ كثيرٍ من العلماء ممَّن أتقنوا هذه العلوم كما سيأتي ذكرهم في المطلب الخامس، وذلك مثل فنِّ المعاني والبيان والقراءات والشَّاطبيَّة والجزريَّة في التَّجويد، كما قرأ القرآنَ علىٰ بعضِهم ممَّن لديه القراءاتُ العشرُ وغيرُ ذلك ممَّا سنذكره عند ذكر شيوخِه(٣).

ولقد كان لتنشئته السَّلَفِيَّةِ منذ الصِّغَرِ الحصنُ الحصينُ بعد رحمةِ الله وتوفيقِه؛ للاستفادةِ من هؤلاء المشايخ الَّذِين كان أغلبُهم علىٰ منهج أهل الكلام والأشعريَّة دونَ أن يتأثَّر بمسالكهم وعقائدهم، بل لم يكن ذلك مانعًا له في ردِّ مخالفاتِهم العقديَّةِ الموافقة لأهل الكلام والأشعريَّة، كما سيأتي من خلال المطلب الخامس، ومن خلال عموم رسائله.

---

(١) علماء نجد (١/ ١٨١).

(٢) مشاهير علماء نجد (ص٦٠،٥٩).

(٣) انظر إلىٰ ما كتبه الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن إلىٰ بعض العلماء عندما سأله عمَّن أخذ عنه. انظر «عقد الدُّرر» (ص٦٥-٦٩).

المطلب الرابع
«شيوخه»

إنَّ التَّتَلْمُذَ علىٰ العلماء ومجالستَهم والرّحلةَ إليهم هو سنَّةُ سَلَفِ هذه الأمَّة، وما نبل رجلٌ ونبغ وذاع صيته إلَّا بعد أن أخذ عن أهل العلم، ونشأ– غالبًا– علىٰ ذلك من صِغَرِه، ولهذا يقول أيُّوب السّختيانيُّ: (إنَّ من سعادة الحدث والأعجميِّ أن يوفِّقَهما اللهُ لعالم من أهل السُّنَّةِ)(١). ويقول الشّعبيُّ: (إن كان الرجل ليرحل فيما دونها إلىٰ المدينة)(٢). وروىٰ مالك عن يحيىٰ بن سعيد بن المسيَّب قال: (إن كنتُ لأرحل الأيَّام واللَّيالي في طلب الحديث الواحد)(٣).

والإمام العالم عبد الرَّحمن بن حسن كان هكذا من نعومةِ أظفارِه، وأوَّل شبابه، فقد تتلمذ رحمه الله تعالىٰ «علىٰ أكابر أئمَّة الدَّعوة في نجد، كجَدِّهِ الشَّيْخ

(١) رواه اللَّالكائيُّ في شرحه السُّنَّة (١/ ٦٠) وأيُّوب هو ابنُ أبي تميمة كيسان السّختيانيّ، ثقةٌ، ثَبْتٌ، حجَّةٌ، من كبار الفقهاء العبَّادِ، من الخامسة، توفِّي ١٣١، وله خمس وستُّون. (التَّقريب ص١١٧).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث (ص ٥٨)، وابن عبدالبر في الجامع (١/ ١١٣).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث (ص ٦١)، وابن عبد البر في الجامع (١/ ١١٣).

محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأخذ ينهل من أنواع العلوم التي كانت تدرس في ذلك الوقت، حتىٰ فقه في هذه العلوم، وجلس للطَّلَبَةِ يدرِّس لهم ويبيِّن ما أشكل عليهم، إلىٰ أن نقل إلىٰ مصر، وهناك أخذ يطلب العلم علىٰ مشايخ الأزهر والقادمين إلىٰ مصر، فتنوَّعت معارفُه، وكَثُرَ شيوخُه»(١).

وقد كتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ بعض العلماء، وقد سأله عمَّن أخذ عنه من المشايخ في نجد ومصر، وسأنقل كلامَه رحمه الله تعالىٰ، فإنَّ أفضلَ ما يكتب عن الرَّجل ما قاله بلسان نفسِه، وما سطره ببنان يَدِه، ثمَّ أترجم ترجمةً مختصرةً لكلِّ من نقل عنهم بالتَّرتيب الذي كتبه.

يقول رحمه الله تعالى فيما نقله الشَّيْخ إبراهيم بن عيسى في عقد الدُّرر:

(وأمَّا ما طلبت من روايتي عن مشائخي رحمهم الله تعالىٰ فأقول: اعلم أني قرأتُ علىٰ شيخنا الجدِّ رحمه الله تعالىٰ في «كتاب التَّوحيد» من أوَّلِه إلىٰ أبواب السِّحْرِ، وجملة من آداب المشي إلىٰ الصَّلاة، وحضرتُ عليه مجالسَ كثيرةً في البخاريِّ والتَّفسير وكتب الأحكام، بقراءة شيخِنا الشَّيْخ عبدِ الله بن ناصر وغيرهم، وسنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروفًا تلقَّاه عن عدَّةٍ من أهل المدينة وغيرِهم روايةً خاصَّةً وعامَّةً، ومنهم: محمَّد حياة السّنديّ، والشَّيْخ عبد الله بن إبراهيم الفرضيّ الحنبليّ، وقرأتُ وحضرتُ جملةً كثيرةً من الحديثِ والفقهِ علىٰ الشَّيْخين المشار إليهما أعلاه، وشيخنا الشَّيْخ حسين، وحضرتُ قراءتَه وأنا إذ ذاك في سنِّ التَّمييزِ علىٰ والدِه رحمه الله تعالىٰ، وشيخِنا الشَّيْخ حمدِ ابن ناصر رحمه الله

(١) الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن، لخالد الغُنَيْم (ص٧٣).

تعالىٰ، قرأتُ عليه في مختصر الشُّروح و«المقنع»، وشيخنا الشَّيْخ عبد الله بن فاضل رَحِمَهُ اللَّهُ، قرأت عليه في السِّيرة، وشيخنا عبد الرَّحمن بن خميس، قرأتُ عليه في «شرح الشَّنشوريِّ» في الفرائض، وشيخنا أحمد بن حسن بن رشيد الحنبليّ، قرأتُ عليه في «شرح الجزريَّةِ» للقاضي زكريَّا الأنصاريِّ، وشيخنا الشَّيْخ أبو بكر حسين بن غنَّام، قرأت عليه «شرح الفاكهيِّ علىٰ المتمِّمة» في النَّحو.

وأمَّا مشائخنا من أهل مصر، فمن فضلائهم في العلم الشَّيْخ حسن القوينيُّ، حضرتُ عليه «شرحَ جمع الجوامع في الأصول» للمحلِّي، و«مختصر السَّعد في المعاني والبيان»، وما فاتني من الكتابين إلَّا فواتٌ يسيرٌ، وأكبرُ مَنْ لقيتُ بها من العلماء الشَّيْخ عبدُ الله بن سويدان، وأجازني هو والذي قبله بجميع مرويَّاتِهما، ودفع لي كلُّ واحدٍ نسختَه المتضمِّنة لأوائل الكتب التي روياها بسندِهما إلىٰ الشَّيْخ المحدِّث عبد الله بن سالم البصريِّ شارحِ البخاريِّ.

ولقيتُ بها الشَّيْخ عبد الرَّحمن الجبرتيَّ، وحدَّثني بالحديث المسلسل بالأوَّليَّة بشروطه، وهو أوَّلُ حديثٍ سمعتُه منه، قرأتُه عليه بسندِه حتىٰ انتهىٰ إلىٰ الإمام سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي قابوس مولىٰ عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

وأجازني بجميع مرويَّاته عن الشَّيْخ مرتضىٰ الحسينيِّ، عن الشَّيْخ عمر بن أحمد بن عقيل، وعن الشَّيْخ أحمد الجوهريِّ، كلاهما عن عبد الله بن سالم البصريِّ، وهو يروي عن أبي عبد الله محمَّد بن علاء الدِّين البابليِّ، عن الشَّيْخ

سالم السَّنهوريِّ، عن النَّجْمِ الغيطيِّ، عن شيخ الإسلام زكريَّا الأنصاريِّ، عن الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلانيِّ صاحب «فتح الباري»، وأكثر روايات من ذكرنا من مشائخنا للكتب انتهىٰ إليه.

فأمَّا رواياتُهم للبخاريِّ فرواه الحافظُ ابنُ حجرٍ عن إبراهيم بن أحمد التَّنوخيِّ، عن أحمد ابن أبي طالب الحجَّار، عن الحسين بن مبارك الزّبيديِّ الحنبليِّ، عن أبي الوقت عبد الأوَّل بن عيسىٰ السّجزيِّ الهرويِّ، عن الداوديِّ، عن عبد الله بن حموية السَّرخيِّ، عن الفربريِّ، عن الإمام البخاريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقرأت عليه أسانيدَه عن شيخه المذكور متصلةً إلىٰ مؤلفي الكتب الحديثة، كالإمام أحمد أحمد، ومسلم، وأبي داود، والنَّسائيِّ، والتِّرمذيِّ، وابن ماجه، رحمهم الله تعالىٰ، فأجازني بها، وبسندِ مذهبنا، بروايته عن شيخه المذكور، عن السَّفارينيِّ النَّابلسيِّ الحنبليِّ، عن أبي المواهب متَّصلًا إلىٰ إمامنا رحمه الله تعالىٰ.

وأمَّا الشَّيْخ عبدُ الله سويدان فأجازني بجميع ما في نسخة عبد الله بن سالم المعروف بمصر، ونقلها من أصله، فهي إلىٰ الآن موجودة عندنا مسندة إلىٰ الشَّيْخ المذكور بروايته عن شيخه محمَّد بن أحمد الجوهريِّ، عن أبيه أحمد، عن شيخه عبد الله بن سالم، وقد تقدَّم سياقُ سندِه إلىٰ البخاريِّ.

وأجاز لي رواية مذهب إمامنا بروايته له عن الشَّيْخ أحمد الدَّمنهوريِّ، عن الشَّيْخ أحمد بن عوض، عن شيخه محمَّد الخلوتيِّ، عن شيخه الشَّيْخ منصور البهوتيِّ، عن الشَّيْخ عبد الرَّحمن البهوتيِّ، عن الشَّيْخ يحيىٰ ابن الشَّيْخ موسىٰ الحجاويِّ، عن أبيه، وسندُ الأب مشهورٌ إلىٰ الإمام أحمد.

وأمَّا الشَّيْخ حسن القويسنيُّ فأجازني بجميع ما في نسخة عبد الله بن سالم البصريِّ المذكور، بروايته عن الشَّيْخ عبد الله الشَّرقاويِّ، عن الشَّيْخ محمَّد بن سالم الحفنيِّ، عن الشَّيْخ عبد الله بن عليّ النّمرسيِّ، عن الشَّيْخ عبد الله بن سالم البصريِّ، قال: وأخذتُ «صحيح البخاريِّ» جميعَه عن الشَّيْخ داود القلعيِّ، عن الشَّيْخ أحمد بن جمعة البجيرميِّ، عن الشَّيْخ مصطفىٰ الإسكندرانيِّ المعروف بابن الصَّبَّاغ، عن الشَّيْخ عبد الله بن سالم، بِسَنَدِه المتقدِّم).

قال: (وأخذتُ الصَّحيحَ عن شيخنا الشَّيْخ سليمان البجيرميِّ، عن الشَّيْخ محمَّد العشماويِّ، عن الشَّيْخ أبي العزِّ العجميِّ، عن الشَّيْخ محمَّد الشُّوبريِّ، عن محمد الرَّمليِّ، عن شيخ الإسلام زكريَّا الأنصاريِّ، عن الحافظ ابن حجر العسقلانيِّ، عن التنوخيِّ، عن الشَّيْخ سليمان بن حمزة، عن الشَّيْخ عليّ بن الحسين بن النّمير، عن أبي الفضل ابن ناصر، عن الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن مندة، عن محمَّد بن عبد الله الجوزقيِّ، عن مكيِّ بن عيدان النَّيسابوريِّ، عن الإمام مسلم، عن الإمام البخاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين- قلتُ: وبهذا السَّنَد روي «صحيح مسلم» أيضًا.

ولقيتُ بمصرَ مفتي الجزائرِ محمَّد بن محمود الجزائريَّ الحنفيِّ الأثريِّ، فوجدتُه حَسَنَ العقيدةِ، طويلَ الباعِ في العلوم الشَّرعيَّةِ، وأوَّل حديث حدَّثني المسلسل بالأوليَّة رواه لينًا عن شيخه حمودة الجزائريِّ بشرطه، متَّصلًا إلىٰ سفيان بن عيينة كما تقدَّم، وأجازني بمرويَّاته عن شيخه المذكور وشيخه عليِّ بن الأمين، وقرأتُ عليه جملةً من الأحكامِ الكبرىٰ، للحافظ عبد الحقِّ الأشبيليِّ رحمه الله تعالىٰ، وكتبت أسانيدَه في الثَّبت الذي كتبتُه عنه، وممَّن وجدتُه أيضًا

بمصر الشَّيْخ إبراهيم العبيديّ المقرّي شيخ مصر في القراءات، يقرأ العشر، وقرأت عليه أوَّلَ القرآن.

وأمَّا الشَّيْخ أحمد بن سلمونة فلي به اختصاص كثير، وكان رجلًا حَسَنَ الخُلُقِ متواضعًا، له اليدُ الطّولىٰ في القراءات، قرأتُ عيه كثيرًا من «الشَّاطبيَّة» و«شرح الجزريَّة» لشيخ الإسلام زكريَّا الأنصاريِّ، وقرأتُ عليه كثيرًا القرآن، وأجاد وأفاد، وهو مالكيُّ المذهب.

ومنهم الشَّيْخ يوسف الصَّاوي، قرأتُ عليه الأكثرَ من «شرح الخلاصة» لابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومنهم إبراهيم الباجوريُّ، قرأت عليه «شرحَ الخلاصةِ» للأشمونيِّ إلىٰ «الإضافة»، وحضرت عليه في السّلم، وعلىٰ محمَّد الدَّمنهوريِّ في «الاستعارات والكافي في علمي العلوض والقوافي»، قرأه لنا بحاشيته في الجامع الأزهر عمَّره الله تعالىٰ بالعلم والإيمان، وجعله محلًّا للعمل بالسُّنَّةِ وجميعَ المدن والأوطان، إنَّه واسعُ الامتنان، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ أشرفِ المرسلين محمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين). انتهىٰ ما كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

فهؤلاء العلماء الَّذِين أخذ عنهم الشَّيْخ عبد الرَّحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (وإجابته هذه كانت بعد عودته من مصر، حيث كان هذا الجوابُ سنةَ ١٢٤٤؛ أي إنَّه لم يأخذ عن أحدٍ بعد هذا التَّاريخ)(٢).

وسأقوم - إن شاء الله تعالىٰ - بإعطاء ترجمةٍ مختصرةٍ لكلِّ واحدٍ وبالتَّرتيب الذي ذكره رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) «عقد الدُّرر» (ص٦٥-٦٩).

(٢) الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن، لخالد الغنيم (ص٧٣).

١- شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله تعالىٰ، وقد ذكرت له ترجمةً مختصرةً في المطلب الثَّاني.

٢- الشَّيْخ عبد الله بن محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله تعالى(١):

وُلِدَ هذا العالم الكبيرُ سنة ١١٦٥، ونشأ في كَنَفِ والدِهِ نشأةً دينيَّةً صالحةً، وقرأ القرآن حتىٰ حفظه، ثمَّ شرع في القراءة علىٰ والده شيخِ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فتفقَّه في المذاهب الإسلاميَّة، ومهر في علمي الفروع والأصول، وكان مع هذا عالمًا بارزًا في علم التَّفسيرِ والعقائدِ وأصولِ الدِّين، عارفًا بالحديث، ومعانيه، وبالفقه، وأصوله، وعلم النَّحو، واللُّغة، وله اليد الطّولىٰ في جميع العلم والفنون، كَرَّس جهده وأوقف حياته علىٰ تحصيل العلم وتعليمه ونشرِه تدريسًا وتأليفًا.

وكان إلىٰ جانب قيامه بتعليم العلم وبَثِّه ونشر مذهب السَّلَف ودعوةِ التَّوحيد والإسلام مرجعَ قضاةِ المملكة السُّعوديَّة في عهد الإمام عبد العزيز بن محمَّد بن سعود، كتب مؤلَّفاتٍ عدَّةً مثل: «جواب أهل السُّنَّة في نقض كلام الشِّيعة والزَّيديَّة»، رَدَّ به علىٰ بعض علماء الزَّيديَّة فيما اعترض علىٰ دعوة التَّوحيد السَّلَفِيَّةِ، و«مختصر سيرة ابن هشام»، و«التَّوضيح عن توحيد الخلائق»، و«الكلمات النَّافعة في المكفِّرات الواقعة»، وألَّفَ منسكًا صغيرًا للحجِّ.

ولمَّا دخل مكَّةَ بصُحْبَةِ الأمير سعودِ ابن الإمام عبد العزيز ابن الإمام محمَّد بن

(١) انظر ترجمتَه في مشاهير علماء نجد (ص٣٢-٥٠)، روضة النَّاظرين (١/ ٣٥٧-٣٦٠)، معجم مصنَّفات الحنابلة (٦/ ٨٠-٨٣).

سعود في ثامن شهر محرَّم سنة ١٢١٨، كتب رسالةً وإجابةً منه عمَّا يعتقدونه ويدينون الله به، شملت علىٰ معاني دعوة الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب، ودحض فيها كذبَ أعداءِ التَّوحيد والسُّنَّة دعاة الباطل من أنصار الشِّرْك والبدع.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شجاعًا مقدامًا، فقد شارك في قتال الباشا في هجومِه علىٰ الدَّرعيَّة، وأُسِرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونَقَلَه إبراهيم محمَّد علي باشا إلىٰ مصر بعد ما استولىٰ علىٰ الدَّرعيَّة، وذلك سنة ١٢٣٣، ونقل معه ابنه عبد الرحمن، وبقي في محدودِ الإقامة حتَّىٰ توفِّي بمصر سنة ١٢٤٢.

٣- الشَّيْخ عليُّ بن محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله تعالى(١):

هو الإمام العالم العلَّامة، الثِّقة الثَّبت الزَّاهد الورع، كان شهمًا همامًا، فقيهًا صدوقًا، حَسَنَ الطَّريقة، كيِّسًا متواضعًا، مع غزارة العلم، عذب العبارة، مُكرِمًا للطَّلبة، أخذ العلم عن أبيه وغيره، ورزق علمًا وفهمًا، حتىٰ صار يتكلَّم في المسائل مع الفقهاء، وله مجالسُ مشهورةٌ، وأَيَادٍ مذكورةٌ، وأخلاقٌ حسنةٌ مشكورةٌ، وأجوبةٌ ونصائحُ.

قال عنه ابن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وأمَّا عليٌّ ابن الشَّيْخ فكان عالمًا جليلًا ورعًا كثير الخوف من الله تعالىٰ، وكان يُضرب به المثل في بلد الدَّرعيَّة بالدِّيانة والورع، وله معرفة في الفقه والحديث والتَّفسير وغير ذلك، وراودوه علىٰ القضاء فأبىٰ عنه وأبناؤه صغار

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ ابن بشر (١/ ١٨٩)، «الدُّرر السَّنيَّة» (١٦/ ٣٨٢)، مشاهير علماء نجد (ص٥١)، روضة النَّاظرين (٢/ ١٢٣)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥/ ٢٨٤).

ماتوا قبل التَّحصيل إلَّا محمَّدًا، فإنَّه طالب علمٍ وله معرفةٌ ودرايةٌ وكرمُ نفسٍ لإخوانه وأضيافه)(١).

وهو من مواليد الدَّرعيَّة، وممَّن نشأ فيها وترعرع علىٰ أيدي علمائها، وكان من أبرز مشائخه أبوه الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأخوه عبدُ الله بن محمَّد، ومحمَّد بن معمر، وحسين بن غنَّام.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا مكانةٍ مرموقةٍ، ولكلمته نفوذٌ، يَصْدَعُ بكلمة الحقِّ، لا يخاف إلَّا اللهَ، مستيقنًا في دينه وخُلُقِه، وكان أبوه يكنىٰ به؛ لأنَّه كان أكبرَ أولاده سنًّا، ولما حاصر إبراهيم باشا بجنوده مدينة الدَّرعيَّة دافع عن العقيدة، وقاوم مقاومةً شديدةً؛ ذودًا عن المحارم، وكان شجاعًا أبلىٰ بلاءً حسنًا.

ولما استولىٰ إبراهيم باشا علىٰ الدَّرعيَّة، وجرىٰ الصُّلحُ في ذي القعدة عام ١٢٣٣، نقل الشَّيْخ علي مع من نقل من آل الشَّيْخ، وبقي بمصر إلىٰ أن توفِّي بها سنة ١٢٤٥).

٤- الشَّيْخ حسين بن محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله تعالى(٢):

وهو العالم الفاضل، مفيد الطَّالبين، قامع المُشَبِّهين، كانت له معرفة في الأصول والفروع والتَّفسير وغيره، انتفع النَّاس بعلمه، وله همَّة وشجاعة وشهامة مشهورة، وسعة دائرة في السُّنن والأقوال، وزهدٌ وعبادةٌ، وتعظيمٌ لحُرُمات الله.

---

(١) تاريخ ابن بشر (١/ ١٨٩).

(٢) انظر ترجمته في «الدُّرَر السَّنيَّة» (١٢/ ٣٨٠)، مشاهير علماء نجد ص٢٨، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٦٣).

أخذ العلم عن أبيه الشَّيْخ محمَّد وغيرِه، وكان متواضعًا عند الخاصَّة والعامَّة، ذا أناةٍ وحلمٍ ووقارٍ، مجالسه عامرةٌ بالفقهاء والمحدِّثين، وأهلِ الخير، كثيرَ الإفادة، فضائلُه مشهورةٌ، أوقاته بالخير والنَّفع معمورةٌ، وكان هو القاضي في بلد الدَّرعيَّة بعد والده في زمن الإمامين عبد العزيز بن محمَّد، وسعود بن عبد العزيز، والإمام في الجمعة في مسجد جامع الدَّرعيَّة الكبير، ويصلِّي بالنَّاس الفروض الخمسة في مسجد البجيريّ، وكان جهوريَّ الصَّوت، كفيفَ البصر.

أخذ العلم عنه جماعة من العلماء، منهم ابناه الشَّيْخ عليُّ بن حسين، والشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسين، والشَّيْخ أحمد الوهيبيُّ، والشَّيْخ سعد بن حجي، توفِّي رَحِمَهُ اللهُ في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٢٤ في وباءٍ أصاب الدَّرعيَّةَ.

٥- الشَّيْخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله تعالى(١):

وهو العالم الجليل المحقِّق المدقِّق الفقيه الأصوليُّ الشَّيْخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النَّجديّ التَّميميّ، وُلِدَ رَحِمَهُ اللهُ في مدينة العُيَيْنَةِ عام ١١٦٠، وكانت العيينةُ وقت ولادته هو أكبرَ مدنٍ وأزهاها، فنشأ فيها وأخذ مبادئ العلوم فيها، ثمَّ انتقل مع أبيه ناصر إلىٰ الدَّرعيَّةِ، وكان عمرُه يومئذٍ أربعة عشر عامًا، فقرأ علىٰ كبار رجال الدَّعوة، منهم شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب، والشَّيْخ سليمان بن عبد الوهَّاب، والشَّيْخ حسين بن غنَّام، وغيرهم من العلماء، حتَّىٰ أدرك إدراكًا تامًّا، وصار من كبار العلماء الفقهاء، ومن رجال الدَّعوة الكبار، ومن علمائها الأجلَّاء،

(١) انظر ترجمته في تاريخ ابن بشر (١/ ٣١٦)، مشاهير علماء نجد ص١٥٧، «الدُّرر السَّنيَّة» (١٦/ ٣٨٢)، روضة النَّاظرين (١/ ٩٠)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ١٢١).

فجلس للتَّدريس، وأخذ عنه العلم خَلْقٌ كثيرٌ من أهل الدَّرعيَّة وغيرهم من أهل نجد الوافدين إليها، منهم الشَّيْخ سليمان بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الوهَّاب، والشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن، ونجله عبد العزيز بن حمد بن معمر، والشَّيْخ عبد الله بن عبد الرَّحمن أبا بطين.

وبعثه الإمام عبد العزيز بن محمَّد سعود علىٰ رأس ركب من العلماء بطلبٍ من الشَّريف غالب بن مساعد شريف مكَّة؛ ليناظر علماء الحرم الشَّريف في شيءٍ من أمور الدِّين، فظهر عليهم بالحُجَّة، وقَهَرَهم بالحقِّ، فسلَّموا له وأذعنوا، وذلك في مسألتين أجاب عنهما رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما يشفي الغليلَ، ويبتهج به من يتَّبع الدَّليل، وأصَّل الإجابةَ، وحرَّرها لهم في رسالةٍ سماها علماءُ الدَّرعيَّة: «الفواكهُ العِذَابُ في الرَّدِّ علىٰ من لم يُحَكِّمِ السُّنَّةَ والكتابَ».

وقد أشار إلى هذه المناظرة وأثنى فيها على الشَّيْخ محمَّد بن ناصر الشَّيْخ محمَّدُ بن عليٍّ الشَّوكانيُّ فقال ما نصُّه :

(وبلغنا أنَّه وصل إلىٰ مكَّة بعض علماء نجد لقصد المناظرة، مناظرة علماء مكَّة بحضرة الشَّريف في مسائل تدلُّ علىٰ ثبات قَدَمِهِ، وقَدَمِ صاحبه في الدِّين)(١).

عيَّنه الإمامُ سعود بن عبد العزيز قاضيًا علىٰ الدَّرعيَّةِ، ثمَّ عيَّنه رئيسًا لقضاة مكَّةَ المكرَّمة، وأقام فيها مدَّةً عندَ الشَّريف قاضيًا، وصنَّف ودرس وأفتىٰ.

---

(١) البدر الطَّالع (٢/ ٧).

توفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين بمكَّةَ، في أوَّل شهر ذي الحجَّة، وصلَّىٰ عليه النَّاس تحت الكعبة المشرَّفة، ودُفِنَ بمقبرة البياضيَّة.

٦- الشَّيْخ عبدُ الله بن فاضل رحمه الله تعالى:

لم أَجِدْ له ترجمةً، وإنَّما ذكر في ترجمة الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن مِنْ ضِمْنِ مشائخه الَّذِين أخذ منهم، كما سبق ذكره في رسائل الشَّيْخ عبد الرَّحمن حيث قال: وشيخُنا الشَّيْخ عبد الله بن فاضل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرأتُ عليه في السِّيرة.

ويقول محمَّد القاضي رحمه الله تعالىٰ: (كما قرأ علىٰ عبد الله بن فاضل في الدَّرعيَّة، ولازمه في الأصول والفروع والحديث وعلوم العربيَّة والفرائض وحسابها)[1].

٧- الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن خميس رحمه الله تعالى[2]:

فهو ممَّن أخذ عن شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله تعالىٰ، وكان إمامَ مسجد الإمام سعود في قصره، وكان قاضيًا في بلد الدَّرعيَّةِ زمن الإمامين عبد العزيز وابنه سعود، وأخذ العلم عنه الكثير، حيث كان يدرس في قصر آل سعود التَّفسيرَ والحديثَ، وقد قرأ عليه في الفرائض الشَّيْخ سليمان بن عبد الله، وقرأ عليه الشَّيْخ عبد الرَّحمن في شرح الشَّنشوريِّ في الفرائض.

---

(١) روضة النَّاظرين (١/ ٢٢٠).

(٢) انظر ترجمته في تاريخ ابن بشر (١/ ١٩٢)، بحوث أسبوع الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ١/ ١٤٣.

٨- الشَّيْخ أحمد بن حسن الحنبلي رحمه الله تعالى[١]:

وهو العلَّامة أحمد بن حسن بن رشيد بن عفالق القحطاني، وُلِد في الأحساء عام ١١٧٧ تقريبًا، ثم تحوَّل في البلاد، وجاب الأقطار، وجلس عند العلماء، وباحثهم، واستفاد منهم، حتىٰ بلغ في العلم النَّقليِّ والعقليِّ والعربيِّ مبلغًا كبيرًا.

ولمَّا امتدَّت الدَّعوةُ السَّلفيَّةُ النَّجديَّةُ، وتحقَّق استيلاءُ الجيوش السُّعوديَّةُ الظَّافرةُ علىٰ الأحساء، هرب منها أعداؤها ممَّن كرهوا هذه الحركة الإصلاحيَّةَ، وكان من أشدِّهم محمَّدُ بن فيروز، فلمَّا أراد الرَّحيلَ إلىٰ الأحساء ومعه أصحابُه وتلاميذُه لم يُرِدِ المُترجَم له أن يتبَعَهم، فذهب إلىٰ المدينة النَّبويَّة، فأكرمه أهلُها غايةَ الإكرام، وشَرَعُوا في الدِّراسة عليه، واتَّخذ المدينة له دارًا.

ولما استولىٰ الإمامُ سعود بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ المدينة والشَّيْخ المذكور فيها، فأكرمه وأخذ يدرس كتب ورسائل الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب، ويبيِّن لهم عقيدةَ السَّلَفِ، وصار له دورٌ كبير في ذلك، حيث كان يناظر المخالفين ويردُّ عليهم.

وقد قرأ عليه الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن والشَّيْخ عبد الله أبا بطين والشَّيْخ محمَّد بن إبراهيم بن سيف، والشَّيْخ محمَّد بن حمد الهديبي، والشَّيْخ عليُّ بن محمَّد أحد قضاة عنيزة، والشَّيْخ عبد الله بن إبراهيم النَّجديُّ، والشَّيْخ أبو المحاسن محمَّد بن خليل القادقجيُّ.

توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ بالقاهرة بعد أن جاوز الثَّمانين، وكانت وفاتُه عام ١٢٥٧.

---

(١) انظر ترجمته في علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٤٥٧)، مشاهير علماء نجد ص٦٥، ١٧١، ١٧٦.

٩- الشَّيْخ حسين بن غنَّام رحمه الله تعالى(١):

وهو الشَّيْخ العلَّامة والبحر الفهَّامة حسين بن أبي بكر غنَّام الأحسائيُّ المالكيُّ مذهبًا، التَّميميُّ نسبًا، وُلِدَ ببلدة المبرز بالأحساء، ونشأ بها، وترعرع علىٰ علمائها، ثمَّ نَزَحَ إلىٰ مدينة الدَّرعيَّة، فقدمها علىٰ عهد الإمام عبد العزيز بن محمَّد بن سعود، والشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب، فأكرماه وأنزلاه المنزلة الرَّفيعةَ، فاستقرَّ في الدَّرعيَّةِ، وجَلَسَ فيها لطلَّاب العلم، يقرأون عليه علم النَّحو، فأخذ عنه جملةٌ من علماء دعوة التَّوحيد من أهل الدَّرعيَّة وغيرهم، منهم: الشَّيْخ العلَّامة سليمان بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الوهَّاب، والشَّيْخ العلَّامة عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب، والشَّيْخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر.

وقد كانت له اليد الطّولىٰ في معرفة العلم وفنونه، وله معرفةٌ في شرح أصول الدِّين، له مؤلَّفاتٌ، منها كتاب «العقد الثَّمين في أصول الدِّين»، وألَّف التَّاريخ المشهور، وسمَّاه «روضةَ الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام» تُعَدِّدُ غزواتِ أهل الإسلام، وله قصائدُ طوالٌ موجودةٌ في تاريخِه المذكور.

توفِّي رحمه الله تعالىٰ في الدَّرعيَّة في عام ١٢٢٥.

١٠- الشَّيْخ حسن القويسنيُّ رحمه الله تعالى(٢):

وهو الشَّيْخ حسن القويسنيُّ الشَّافعيُّ، شيخ الجامع الأزهر، المتوفَّىٰ سنة ١٢٤٥. من آثارِه: رسالةٌ في المواريث، وشرحٌ علىٰ متن مسلمٍ.

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ ابن بشر (١/ ٣١٠) وروضة النَّاظرين (١/ ٨٥).
(٢) انظر ترجمته في معجم المؤلِّفين (٣/ ٤٣) وعجائب الآثار (٤/ ٤٩٠).

١١- الشَّيْخ عبدُ الله سويدان رحمه الله تعالى[١]:

وهو الشَّيْخ عبدُ الله بن عليٍّ بن عبد الرَّحمن الدّمليجيّ الأزبكيّ المصريّ الشَّافعيُّ، الشَّاذليُّ طريقةً، الأشعريُّ عقيدةً، الملقَّبُ بالصَّغير، والمعروفُ بسويدان، والمتوفَّىٰ سنة ١٢٣٤.

من آثاره: «الكواكبُ النُّورانيَّةُ علىٰ البيقونيَّةِ» في مصطلح الحديث، و«الأربعون في فضائل رمضان»، و«الجوهر الفرد في الكلام علىٰ أمَّا بعد»، و«القول المكرم لشرح معاني السلم»، و«كشف الغموض بشرح الرّجز المفروض».

١٢- الشَّيْخ عبد الرَّحمن الجبرتيُّ رحمه الله تعالى[٢]:

وهو الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن برهان الدِّين الجبرتيُّ، ولد بالقاهرة سنة ١١٦٧، وهو مؤرِّخٌ مصريٌّ عاصر الحملةَ الفرنسيَّةَ علىٰ مصر، ووصف تلك الفترة في كتابه «عجائب الآثار في التَّراجم والأخبار»، والمعروف اختصارًا بـ «تاريخ الجبرتيِّ» والذي يعدُّ مرجعًا أساسيًّا لتلك الفترة الهامَّةِ من الحملة الفرنسيَّةِ.

وكان والدُه من أعلام علماء الأزهر في عصره، والشَّيْخ عبد الرَّحمن هو الابنُ الوحيدُ له، فاهتمَّ به كثيرًا بعدَ أن لمس فيه الذَّكاءَ، والفهمَ ورجاحةَ العقلِ، فقد حفظ القرآنَ الكريمَ، وهو في السِّنِّ الحادية عشرة، وكان يحفظ الكثيرَ من الأحاديثِ والرِّوايات والأخبار.

وقد ظلَّ دؤوبًا في كتابة تاريخه رَحِمَهُ اللَّهُ في عمله حتىٰ عام ١٢٣٧ عندما فاجأته

---

(١) انظر ترجمته معجم المؤلِّفين (٣/ ٤٣)، هديَّةُ العارفين، لإسماعيل باشا البغداديِّ (١/ ٤٨٩).

(٢) انظر ترجمته أعيان القرن الثالث عشر ص١٤٤، تاريخ الأزهر ص١٩٢-١٩٣، هدية العارفين (١/ ٥٥٦)، الأعلام، للزركلي (٤/ ٧٥)، معجم المؤلِّفين (٥/ ١٣٣).

فاجعةٌ لم تَكُنْ بالحُسْبَانِ، فقد قُتِلَ ولدُه خليل، تلك الحادثة التي قصمت ظهرَه وهَدَّتْه، فلم يجد القدرةَ علىٰ استكمال تاريخِه، وَفَقَدَ دافعَه لاستكمالِ المسيرة التي بَدَأَها، وظلَّ يبكي ابنَه حتىٰ كفَّ بصرُه، ولَزِمَ بيتَه لا يقرأ ولا يكتب حتَّىٰ توفِّي عام ١٢٤٠ بعد مَقْتَلِ ولدِه بحوالي ثلاثِ سنوات.

وقيل: توفِّي مخنوقًا بطريق شبرا في رمضان عام ١٢٣٧.

١٣- الشَّيْخ محمَّد الجزائريُّ رحمه الله تعالى(١):

وهو الشَّيْخ محمَّد بن محمود بن محمَّد بن حسين الجزائريّ، عُرِفَ بابن عنَّابي، من أسرةٍ علميَّةٍ ودينيَّةٍ معروفةٍ؛ إذ شغل جدُّه الأكبرُ شيخُ الإسلام حسين بن محمَّد الإفتاءَ الحنفيَّ، كما كان جدُّه الأدنىٰ محمَّد بن حسين عالمًا حَظِيَ بالتَّقْدِيرِ الكبيرِ من علماء عصرِه.

وُلِدَ الشَّيْخ عام ١١٨٩، وعاصر الثَّوْرَةَ الفرنسيَّةَ وما نَتَجَ عنها من أحداث أَثَّرت في وانب متعدِّدة من الحضارة الإسلاميَّة، وعاصر في بلادِه الجزائر اعتداءاتٍ خارجيَّةً كثيرةً قام بها الإنجليز والأمريكان والفرنسيون والأسبان.

مِن آثَارِه: «التَّوفِيق والتَّسدِيد في شرح الفَريد في التَّجْويد»، و«السَّعي المحمود في ترتيب العسَاكِر والجنود». توفي رَحِمَهُ اللهُ عام ١٢٦٧.

١٤- الشَّيْخ إبراهيم العبيدي رحمه الله تعالى(٢):

وهو إبْرَاهيم بن بدَوِي العبيدي بن أحمد الحسني المقريء المالكي

(١) انظر ترجمتَه معجم المؤلِّفين (١٢/ ٥)، هديَّة العارفين (٢/ ٣٧٨)، الأعلام للزّركليِّ (٧/ ٣١).

(٢) لم أجد له ترجمة إلا في الموقع الإلكتروني الرسمي للملتقىٰ العلمي للتفسير وعلوم القرآن، ترجمة إبراهيم العبيدي مجمع أسانيد مصر والشام، مقالة عنه كتبها د. أغار في ٢٠/ ٤/ ١٤٢٥.

الأَزْهَري، أشعري العقيدة، مِن علماء القرن الثَّاني عشر، وشيخ القُرَّاء بالدِّيارِ المصريَّةِ في زمَانِه، وأعلىٰ إسْنَاد لقراءة القرآن الكريم مِن طريق العَشْر الصُّغرىٰ لأهل الشَّام، والكُبرىٰ لأهل مِصر، وجميع الأسَانِيد التي تتميَّز بالعُلُو في ذلك العصر مِن طريقِه، وقد قرأ عليه الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن سنة ١٢٣٣ وما بعدها.

مِن مؤلَّفَاته: «التَّحارير المنتخَبة علىٰ متن الطَّيبة». توفي ما يُقَارب ١٢٣٧.

١٥- الشَّيْخ أحمد سلمونة رحمه الله تعالى:

وهو الَّذِي قرأ عليه الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن كثيرًا، فأثنىٰ عليه في خُلُقه، حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وأمَّا الشَّيْخ أحمد سلمونة فلي به اختصاص كثير، وهو رجل حسن الخلق، متواضع، له اليد الطُّولَىٰ في القراءات والإفادات، قرأت عليه كثيرًا من «الشَّاطبية»، و«شرح الجزرية» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري. وقرأت عليه كثيرًا مِن القُرْآن، وأجَاد وأفَاد، وهو مالكِيُّ المذْهَب)[1].

١٦- الشَّيْخ يوسف الصَّاوي رحمه الله تعالى:

قال عنه صاحب «معجم المؤلفين»:

(١) «عقد الدرر» (ص٥٤).

(يوسف بن مصطفىٰ الصاوي، فاضلٌ، من آثاره «شرح البسملة». ت١٢٤١)[١].

١٧- إبراهيم الباجُورِي رحمه الله تعالى[٢]:

وهو الشَّيْخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الشَّافعي الباجُوري نسبة إلىٰ البَاجُور، مركزٌ بمديريَّة المنوفِيَّة، ولد بها سنة ثمانٍ وتسْعِين ومئةٍ بعْدَ الألْف.

تقلَّد رئاسة الأزهر سنة ١٢٦٣، ولم يَزَل مستمِرًّا علىٰ الدِّراسة، له مع قيامه بشؤون المشيخة، له مؤلَّفَات عِدَّة، منها: «تحفة المريد علىٰ جوهرة التوحيد»، ألَّفها سنة ١٢٣٤، وهي في عقيدة الأشاعرة، والتي قال عنها الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فصنف المتأخِّرُون مِن هؤلاء علىٰ مذهبهم الفاسِد مصَنَّفَات، كالأُرْجُوزَة التي يسمُّونها: «جوهرة التوحيد»، وهي إلحادٌ، وتعطيلٌ، لا يجوز النَّظَر إليها)[٣].

ومن مؤلَّفَاته: «حاشية علىٰ أُمِّ البراهين والعقَائد»، و«حاشية علىٰ متن البُرْدَة للبوصيري»، والتي بيَّن الشَّيْخ عبد الرحمن بطلان ما فيها وما تحويه مِن غُلُوٍّ وشِرْك، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(اعْلَم أنَّ البُرْدة التي تنسب للبوصيري، قد ضمَّنها أبياتًا شِركيَّة، تُنَافِي ما بعث الله به رسوله ﷺ مِن توحِيده، وقد افتتن بها كثيرٌ مِن النَّاس، وجعَلُوها

---

(١) «معجم المؤلفين» (١٣/ ٣٣٦).

(٢) انظر ترجمته في معجم المؤلفين (١/ ٨٤)، الأعلام للزركلي (١/ ٦٦)، مقدمة تحفة المريد ص٤-٦.

(٣) «الدرر السنية» (٣/ ٢٠٩) وانظر الرسالة الحادية عشرة.

أفضَل مِن الأوْرَاد النَّبويَّة، التي شرعها رسول الله صلىٰ عليه وسلم، وبعضهم اشتغل بها عن القرآن)[١].

والشَّيْخ عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنَّما أخذ عنه أحد علوم الآلة، حَيْثُ قرأ علَيْه كثيرًا مِن «شرح الخلاصة» لابن عقيل، وهي في قواعد العربية لابن مالك[٢].

توفي الباجوري سنة ١٢٧٧، غفر الله له عمَّا كتب، وقد أفْضَىٰ بما قدَّم، وسيقدم علىٰ ربٍّ رحيمٍ وسِعَت رحمته كُلَّ شيء، وهو الرَّحيم والحكِيم بما يرىٰ عزَّ وجَلَّ، ولكن التَّحْذير من البَاطِل والبِدَع مِن الوَاجِب، ومِن النَّصيحة لله، ورسُولِه، وكتابه، وللمسلمين، ولهذا فالشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن لما ذَكَر شيوخَه مِن الأزهر، ختم ذلك بقوله: (عمَّره الله تعالىٰ بالعِلْم والإيمان، وجعله محلًّا للعمَل بالسُّنة، وجميع المدن والأوْطَان، إنَّه واسِعُ الامْتِنان)[٣].

١٨- الشَّيْخ محمد الدمنهوري رحمه الله تعالى[٤]:

المصري الشَّافعي، مِن مُدَرِّسي الجامع الأزهر بمصر، له عِدَّة مؤلَّفات، منها: «الإرشاد الشَّافي علىٰ متن الكافي» في العَرُوض والقَوافي، ومنها: «لَقْط الجواهر السنية علىٰ الرِّسَالة السَّمَرقَندِيَّة» في البلاغة. ت١٢٨٨.

---

(١) «الدرر السنية» (١١/ ٢١٤).

(٢) «عقد الدرر» (ص٥٤).

(٣) نفس المرجع.

(٤) انظر ترجمته في معجم المؤلفين (٩/ ٣٠١)، الأعلام للزركلي (٦/ ٣٥٧).

المطلب الخامس
«تلاميذه»

إنَّ الشَّيْخ عبد الرحمن رحمه الله تعالىٰ مِن العلماء الَّذِين رفَع الله شأنهم، وذَاع صِيتهم، وجعل لهم القَبُول في قلوب العِبَاد حتَّىٰ رحَلَ إليه طُلَّاب العِلْم مِن كُلِّ حَدبٍ وصَوبٍ، فأصبح له عشَرات الطُّلاب الَّذِين انتفَعُوا منه ونفَع الله بهم. وسأختار بعضًا ممن اشْتُهِر أمره، وذاع صيته، وكتب عنه المؤرِّخُون، فأكتُب عنه ترجمةً تعريفيَّةً مختَصَرةً، مرتبًا لهم علىٰ سِنِيِّ وفِيَّاتهم.

١- الشَّيْخ محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمود رحمه الله تعالى(١).

وهو العالم الجليل، والحبر البحر الفهامة الشَّيْخ محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمود بن منصور بن عبد القادر بن محمد بن علي بن حامد، كان أحد أجْدَاد علي بن حامد، أميرًا في وادِي الدَّوَاسِر مِن قبل الشريف.

ولد المترجَم له في ضرما(٢) سنة ١٢٥٠، نشأ نشأةً حسنةً وربَّاه والِدُه أحسن

---

(١) انظر ترجمته: روضة الناظرين (٢/ ٢٤٨)، تراجم متأخري الحنابلة ص٣٤، ص١٤٢، علماء نجد (٥/ ٤٧٥)، معجم مصنفات الحنابلة (٦/ ٢٣٢).

(٢) محافظة تقع في منطقة العارض، وسط نجد، علىٰ بعد (٦٠) كيلوا، غرب مدينة الرياض، في وادي واسع يسمىٰ وادي البطين، ويحدها شمالاً جبال طويق، وجنوبـًا محافظتي القويعية والمزاحمية. =

تربية، وقرأ القرآن وحفِظَه علىٰ الشَّيْخ عبد الله بن نصير قاضي بلدة ضرما، ولازمه في مبادئ العُلوم، ثُمَّ رحَل للرِّيَاض فقَرأ علىٰ عُلمَائها، ومِن أبرزهم: الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن وابنه الشَّيْخ عبد اللطيف، والشَّيْخ عبد الرحمن بن عدوان وغيرهم، ثم لازم العَلَّامة حمد بن عتيق بالأفلاج، وقد وهبَهُ الله تعالىٰ فَهْمًا ثاقبًا وذكاءً متوقِّدًا وقوَّةً في الحِفْظ وسرعةً في الفَهْم.

عيَّنه الإمام فيصل بن تركي قاضيًا في وادِي الدواسر باستشارةٍ من الشَّيْخ عبد الرحمن، ثم قاضيًا في ضرما، ثم قاضيًا بالرِّيَاض في عهد الإمام عبد الله بن فيصل، وصار إمام وخطيب ومدرس الجامع الكبير. درس عليه كثيرٌ مِن الطُّلاب، مِن أبْرَزهم الشَّيْخ عبد الله بن عبد اللطيف.

له مآثِر خالدة، وفراسَة لا تُخطِي في الأحْكَام، وآية في التَّواضُع، والزُّهد، والوَرَع، والاستقامة في الدِّين، والنَّزَاهة، والتَّعَفُّف مع قِلَّة ذات يده، وكان لا يَقْبل شيئًا من الزَّكاة، ولا مِن بيت المال لأنَّه هاشِميُّ النَّسَب. كانت أوْقَاته معمُورَةً بالعِلْم تعلُّمًا وتعليمًا وإفتاءً وحَلًّا لمشاكل النَّاس، وإصلاحًا لذات، وكان وَصُولًا للرَّحِم، عَطوفًا علىٰ الفُقَراء، سَمْحًا، سخِيًّا، يُوصَف بحاتم الطَّائي، وظلَّ قاضِيًا سنين بالرِّيَاض حتَّىٰ وافاه أجَله المحتوم في مدينة الرياض في شهر صفر ١٢٣٣، عن ثلاث وثمانين سنة.

له من المصنفات: «الرحيق المسْلُوف عن اخْتِلاف الأدَوَات والحروف»(١).

=

انظر الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية، والموقع الرسمي لمحافظة ضرما.

(١) معجم مصنفات الحنابلة (٦/ ٢٣٣).

٢- العالم الضَّرير الشَّيْخ عبد الله بن نصير المطرفي رحمه الله تعالى(١).

من المطارفة أحد بطون قبيلة عنزة الشهيرة، رحل إلىٰ الرياض فتلَقَّىٰ العِلم عن علمائه، وأشهر مشايخه الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن، فلما تأهَّل في العِلْم عيَّنه الإمام تركي بن عبد العزيز آل سعود قاضيًا في مدينة الرياض، ثم نقله إلىٰ قضاء بلدة ضرما، فباشر القضاء ودرَّس فيها وأفْتَىٰ، وكان كفيف البصَر، وقد نفع الله تعالىٰ بعِلْمه، فكان من تلاميذه في ضرما الشَّيْخ محمد بن محمود، والشَّيْخ عبد الله بن محمود، فلم يزل في قضاء هذه البلدة حتىٰ توفي فيها في أيام الإمام تركي، وهي ما بين ١٢٤٠-١٢٤٩.

٣- الشَّيْخ العالم محمد بن إبراهيم بن سيف رحمه الله تعالى(٢).

قرأ علىٰ الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن، وقرأ علىٰ والده إبراهيم بن سيف(٣)، ثم سَافر إلىٰ مِصْر في حدود ١٢٥٤، وقرأ هناك جملةً مِن الفنون ثم

(١) علماء نجد (٤/ ٥١٨).

(٢) انظر ترجمته: روضة الناظرين (٢/ ٢١٥)، علماء نجد (٥/ ٤٥١)، معجم مصنفات الحنابلة (٦/ ١١٥).

(٣) هو العالم الجليل الشَّيْخ إبراهيم بن سيف، ولد في بلدة ثادق بلدان المحمل، ونشأ فيها نشأة حسنة، ورحل إلىٰ الدرعية، وقرأ علىٰ علمائها، ومن أشهر مشايخه حمد بن ناصر بن معمر وعبدالعزيز الحصين وعبدالله بن محمد بن عبدالوهاب. تولىٰ قضاء في عمان ثم في بلدان سدير من قبل الإمام عبدالله ابن مسعود، ثما قاضيـًا في الرياض بعهد الإمام تركي بن عبدالله وعهد ابنه فيصل، وكان الإمام فيصل يستشيره لأنه كان سديد الرأي أمينًا علىٰ السر، وغزا مع الإمام فيصل. واستمر قاضيـًا في الرياض وكان مثالاً في العدالة والنزاهة وعزة النفس والاستقامة في دينه وخلقه ولم يزل علىٰ الطريقة المثلىٰ حتىٰ وافاه الأجل المحتوم في ولاية الإمام فيصل عام ١٢٥٥. (روضة الناظرين ١/ ٣٥).

رجع، واستعمَلَه الإمام فيصل قاضيًا في جبل شمر، له الباع الطَّويل في الأدب والتَّاريخ وكان يجيد الشِّعْر، كان ذا مهابةً، محبوبًا لدَىٰ الخاص والعَام، كريمًا، سمحًا، عزيز النَّفْس، زاهِدًا، ورِعًا، ومَرجِعًا في الأنْسَاب، وفي الفرائض وحِسَابها.

له حواشٍ ورسائل مفيدة، كما له منظومة بعنوان: «نظم الدرر والجواهر في النواهي والأوامر» عقيدةٌ سُنِّيَّةٌ، ومنظومَةٌ فقهيةٌ أصوليةٌ، وقد طُبِعت بتحقيق: د. عبد الله محمد الطيار. توفي رحمه الله تعالىٰ في حائل سنة ١٢٦٥ وقيل ١٢٦٨.

٤- الشَّيْخ العالم الحبر عبد الله بن جبر رحمه الله تعالى.

قال عنه الشَّيْخ إبراهيم بن صالح بن عيسىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ: كان عالمًا فاضلًا، أخذ العِلْم عن الشَّيْخ الإمام العَالِم العَلَّامة، والقُدوة الفهَّامة عبد الرحمن بن حسن، وأخذ عن غيره مِن عُلمَاء عَصْره، وتفَقَّه، وولَّاه الإمام فيصل القضَاء في بلد منفوحة، فباشر في عِفَّةٍ وديانةٍ وصيانةٍ، وجلس للتَّدْريس في بلَدِه، فانتفع به خلقٌ كثيرٌ. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١٢٦٨(١).

٥- الشَّيْخ إبراهيم بن حمد بن عيسى رحمه الله تعالى(٢).

وهو العالم الجليل فقيه نجد ومُفْتِيها الشَّيْخ إبراهيم بن حمد بن محمد ين حمد بن عبد الله بن عيسىٰ، من بني زيد، القبيلة القضاعية المنحَدرة من قحطان،

(١) انظر ترجمته: عنوان المجد (٢/ ٤٥)، «عقد الدرر» (ص١١)، تراجم لمتأخري الحنابلة ص١١٩.

(٢) انظر ترجمته: «عقد الدرر» (ص٥٥)، «روضة الناظرين» (١/ ٣٦)، «علماء نجد» (١/ ٢٩٦)، «مشاهير علماء نجد» (ص١٧٧).

ولد عام ١٢٠٠ في مدينة شقراء، نشأ نشأةً حسنةً، وقرأ القرآن وحفِظَه عن ظَهْر قلب، وشرع في طلب العِلْم بهمَّةٍ ونشاطٍ ومُثابرةٍ، وقد وهَبه الله فهمًا ثاقبًا، فكان مِن أوْعِية العِلْم، لازم علماء بلده ثُمَّ رحَل إلىٰ المجمعة فلازَمَ عُلمَاءَها، ثم رحَلَ إلىٰ الرياض فلازم علماءها. ومن مشايخه: الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن، والشَّيْخ عبد الله بابطين[(١)]. ولَّاه الإمام فيصل قضاء الوشم. وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرجعًا في الأنساب وفي التَّاريخ.

تخرَّج علىٰ يديه ثُلَّة من طلبة العِلْم، من أبرزهم: ابنه العلامة أحمد بن عيسىٰ. توفي ليلة عرفة عام ١٢٨١، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعةً، وأسكنه فَسِيح جَنَّاته.

٦- الشَّيْخ عبد الرحمن بن عدوان رحمه الله تعالى[(٢)].

وهو العالم الجليل والفقيه المحقِّق المدَقِّق الشَّيْخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عدوان العزاعيزي اليربوعي الحنظلي التميمي، كان مسكن عشيرته أثيثة[(٣)] وانتقل جدُّه إلىٰ حريملاء.

---

(١) الشَّيْخ الإمام العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن خميس العائذي، ولد في بلدة الروضة من بلدان سدير عام ١١٩٤. أخذ العلم عن جمع من أهل العلم مثل الشَّيْخ عبدالعزيز الحصين والشَّيْخ أحمد العفالقي. وتتلمذ علىٰ يديه كثير من الطلاب، منهم إبراهيم بن عيسىٰ وابنه أحمد وغيرهم. من مؤلفاته: تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، والانتصار لحزب الله الموحدين والرد علىٰ المجادل عن المشركين. توفي سنة ١٢٧٠. انظر مشاهير علماء نجد ص١٧٦.

(٢) انظر ترجمته: روضة الناظرين (١/ ٢٠٦-٢٠٧)، علماء نجد (٢/ ٣٩٦-٣٩٧)، مشاهير علماء نجد ص٦١، ١١٣.

(٣) بلدة تابعة للوشم جنوب شقراء. (انظر خرائط الأطلس التاريخي للمملكة).

وُلِدَ سنة ١٢٢٩، تعلَّم مبادئ القِرَاءة والكِتَابة، ثُمَّ حلَّ عليهم الشَّيْخ العلامة محمد بن مقرن الودعاني الدوسري قاضيًا، فلازمه وأخذ عنه التَّوحِيد، والتَّفْسِير، والحدِيث، والفِقْه، والفَرائِض، وعلوم العَربِيَّة، ثُمَّ رحل إلىٰ الرياض فأخذ عن الشَّيْخ العلامة عبد الرحمن بن حسن، ثم أخذ عن الشَّيْخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن أوَّل مقدمه للرياض من مصر وذلك عام ١٢٦٤.

أخَذ عنه كثيرٌ مِن أهل العِلْم، ومِن هؤلاء العَلَّامة الشَّيْخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشَّيْخ عبد الله بن حسن المخضوب.

ولما اشْتُهر أمْرُه، وذاع صيته، وشاع ذِكْره عيَّنه الإمام فيصل بمشورة الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن قاضيًا في الرياض، وبقِيَ في عمَلِه في عهد الإمام عبد الله الفيصل حتىٰ وافاه الأجل عام ١٢٨٦ رحمه الله تعالىٰ.

٧- الشَّيْخ العالم الفاضل عبد اللطيف بن الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى(١).

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٢٢٥ في الدِّرعية، حفظ القرآن صغيرًا، ونُقِل مع والده وعمره ثمان سنوات إلىٰ مصر لما دُمِّرَت الدرعية علىٰ يد إبراهيم بن محمد علي باشا، ونشأ بها وتزوَّج فيها، وأقام بها إحدىٰ وثلاثين سنة. وبقي في مصر هذه المدة ينهل فيها مِن العُلُوم، ويتزَوَّد مِن المعارف والفنون حتىٰ بلغ رتبة الإمامَة في

(١) انظر ترجمته: «عقد الدرر» (ص٩٧)، «الدرر السنية» (١٦/ ٤١٣)، روضة الناظرين (١/ ٣٣٨)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٢٠٢)، تراجم لمتأخري الحنابلة لابن حمدان ص:١٥، مشاهير علماء نجد ص:٧٠.

العِلْم والفضْل، وبعدها عاد إلىٰ نجد سنة ألفٍ ومئتين وأربعٍ وسِتِّين. وكان له جهودٌ عظيمةٌ مع والده الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن بمناصرة الإمام فيصل بن الإمام تركي. وقد كرَّسَ جُهْده رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ نَشْر العِلْم؛ فأخذ عنه العِلْم خلائق من أهل نجد. وكتب مؤلفات كثيرة، منها: «تأسيس التقديس في الرد علىٰ داود بن جرجيس»، و«مصباح الظَّلام في الرَّد علىٰ من كذب علىٰ الشَّيْخ الإمام»، و«البراهين الإسلامية في الرد علىٰ الشبهات الفارسية»، و«تحفة الطَّالب والجليس في الرَّد علىٰ ابن جرجيس»، و«الإتحاف في الرَّد علىٰ الصَّحاف». توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ في الرَّابع عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٣.

٨- الشَّيْخ العالم البحر الغزير، والفقيه النحرير عبد العزيز بن حسن بن يحيى رحمه الله تعالى(١).

ولد عام ١٣٣١، وتربىٰ علىٰ يد أبيه تربيةً حسنةً، وكان أبوه وأعْمَامه يحوطُونَه ويوجِّهونه التَّوجِيه العِلْمي، فنشأ نشأةً طيِّبةً، وقرأ القرآن وحَفِظه عن ظَهْر قلب، ثُمَّ شرع في طلَبِ العِلْم بهمَّةٍ ونشَاطٍ ومُثَابرةٍ، فقرأ علىٰ علماء بلده المحمل. ثم رحل للرياض للتزوُّد والاستفادة من علمَائها، ومن أبرز مشائخه: الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن، وابنه الشَّيْخ عبد اللطيف، وغيرهم.

قال عنه ابن بشر رحمه الله تعالىٰ، وهو يتحدَّث عن الشَّيْخ محمد بن مقرن رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان مِن آخِر مَن أخذ عنه مِن تلامِذَته وبَرَع حتَّىٰ كان أطْوَلهم باعًا

(١) انظر ترجمته: تاريخ نجد (٢/ ٢٩٠)، «عقد الدرر» (ص١٠٤)، «روضة الناظرين» (١/ ٢٨٨)، مشاهير علماء نجد ص٦١، علماء نجد (٣/ ٣١٢)، معجم مصنفات الحنابلة (٦/ ١٧٣).

وأبسَطهم ذراعًا، وأتْقَنهم عِلْمًا وأثْقَبهم فَهْمًا، وأفْصَحهم لسانًا، وأجراهم جنانًا وأحسنهم بيانًا، وأكثرهم إحسانًا، الشَّاب التقي ذو العنصر الزَّكي، والبيت النقي الشَّيْخ عبد العزيز بن حسن بن يحيىٰ[(١)].

وقال عنه الشَّيْخ إبراهيم بن عيسىٰ: كان عالمًا فاضلًا متواضعًا حسن السيرة سخيًّا[(٢)]. توفي في بلدة ملهم سنة ١٢٩٩ رحمه الله تعالىٰ.

٩- الشَّيْخ العَالم المشَار إلَيْه بالتَّحْقيق حمد بن علي بن محمد بن عتيق رحمه الله تعالى.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ عام ١٢٢٧، تعلَّم القرآن وتشَبَّث بطَلب العِلم وهو في سِنٍّ صَغِيرٍ، قرأ علىٰ الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف وغيرهما مِن علماء نجد، وأخذ عنه العِلْم كثيرٌ مِن عُلمَاء نَجْد، منهم الشَّيْخ عبد الله بن عبد اللطيف بن الشَّيْخ سليمان بن شحمان، وأبناؤه الشَّيْخ سعد والشَّيْخ عبد العزيز، والشَّيْخ عبد الله، والشَّيْخ عبد اللطيف، والشَّيْخ إسحاق وغيرهم. له مؤلَّفات نافِعَة، منها: «إبْطَال التَّندِيد باختصار شرح التَّوحِيد»، و«بيان النَّجاة والفِكَاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك»، و«الفرق المبين بَيْن مَذْهب السَّلَف وابن سبعين»، توفي رحمه الله تعالىٰ في الأفلاج سنة ١٣٠١ وقيل ١٢٩٧[(٣)].

---

(١) تاريخ نجد (٢/ ٢٩٠).

(٢) «عقد الدرر» (ص١٠٦).

(٣) انظر ترجمته: عنوان المجد (٢/ ٤٥)، تراجم متأخري الحنابلة ص١٢٩، «عقد الدرر» (ص١٠٩)، علماء نجد (١/ ٢٢٨٢٣٢)، روضة الناظرين (١/ ٩٤-٩٥)، «الدرر السنية» (١٦/ ٤٣٠-٤٣٣)، ترجمة كتبها الشَّيْخ إسماعيل بن سعد بن عتيق مقدمة لكتاب إبطال التنديد، معجم مؤلفات الحنابلة =

١٠- الشَّيْخ محمد بن عمر آل سليم رحمه الله تعالى.

وهو العَالم الجلِيل، والوَرِع الزَّاهد المحقق الشَّيْخ محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن صالح بن حمد بن محمد بن سليم من سكان بريدة، وُلِد عام ١٢٤١، وارْتَحَل مع والِدَيه إلىٰ العيينة، وكانت مَوْطِنًا للعُلمَاء، قرأ القرآن وحَفِظه عن ظَهْر قلب، وشَرَع في طَلب العِلْم بهمَّةٍ ونشَاطٍ، قَدِم إلىٰ عنيزة وتزوَّج بها، ولَازم قاضِيهَا العَلَّامة عبد الله بن عبد الرحمن بن بابطين، ثُم ارْتَحل إلىٰ الدرعية، وصار يتردَّد بينها وبين الرياض ملازمًا للعلماء، ومن أبرز مشائخه هناك الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف، رُشِّح للقضاء مرارًا فامتنع تورُّعًا منه، وجلس للتَّدْرِيس في مدينة بريدة، فالتف إلىٰ حلقاته طلبة كثيرون.

له منسك مخطوط، وله تَعْليقَاتٌ مُفِيدةٌ، ورسائل عديدة لا تخلو مِن فوائد، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم السبت ٧ من جمادي الأولىٰ من عام ١٣٠٨(١).

١١- الشَّيْخ عبد الله بن حسين المخضوب رحمه الله تعالى(٢).

وهو العالم الجليل والشَّيْخ الواعِظ عبد الله بن حسين بن أحمد المخضوب الهاجري، ولد رحمه الله تعالىٰ في الخرج سنة ١٣٣٥، ونشأ نشأةً حسنةً بتربيةٍ صالحةٍ، فقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب، وقرأ مبادئ العلوم ببلده ثم رحل إلىٰ مدينة الرياض؛ فلازَمَ علماءَهَا بجِدٍّ ونشَاطٍ ومُثابرةٍ، ومِن أبرز مشائخه:

=

(٦/ ١٧٧-١٨٠).

(١) انظر ترجمته: روضة الناظرين (٢/ ٢٣٨).

(٢) انظر ترجمته: روضة الناظرين (١/ ٣٧٣)، علماء نجد (٤/ ٧٠).

العلامة عبد الرحمن بن حسن، وابنه الشَّيْخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، والشَّيْخ عبد الرحمن بن عدوان، والشَّيْخ حمد بن عتيق، لازم هؤلاء الفُحُول ليله ونهاره، وكانوا مُعْجَبين بفَرْط ذكَائِه، ونُبْلِه، واسْتِقَامته، ومُثَابرَته علىٰ الطَّلَب فأدْرَك في العُلُوم، وصَار أهلًا للقضَاء، واسعَ الاطِّلاع في الفُروع والأصُول ومَالَ إلىٰ الوَعْظ والإرْشَاد، كان حسَن التَّعْليم، وكان له تَلاميذ كُثر، مِن أبرزهم: حسن بن حسين آل الشَّيْخ، وعبد الله بن عبد اللطيف، وحمد بن فارس، وسليمان بن سحمان وغيرهم.

عيَّنه الإمام فيصل بن تركي قاضيًا في الخرج وما حولها، وإمامًا وخطيبًا في جامعها، وواعظها، له دِيوَان خُطَب، وله رسالة سماها «البرهان في تحريم الدُّخَان»، و«نَظْم الأسماء الحسنىٰ»، و«نظم الآجُرُّومِيَّة» في النحو.

توفي رحمه الله تعالىٰ ببلده الدلم في جمادىٰ الأولىٰ عام ١٣١٧.

١٢- الشَّيْخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى رحمه الله تعالى(١).

وهو العالم الجليل أحمد بن العالم الجليل إبراهيم بن حمد بن محمد بن عيسىٰ، ولد عام ١٢٥٢ في مدينة شقراء، وتربىٰ في بيت عِلْم وشرف ودين، فأبوه العلامة إبراهيم الآنِف الذِّكْر، قام بتَربِيَته، فنشأ نشأةً حسنةً، وقرأ القُرآن علىٰ مُقْرئ في بلده، ثُمَّ حفِظَه عن ظهر قلب علىٰ أبيه، وكان يُدَارِسُه ويَحُثه علىٰ طلب العِلْم بهمَّةٍ ونشَاطٍ. كما لازَمَ عُلمَاء الوشم، ومِن أبرزهم العلامة عبد الله

---

(١) انظر ترجمته: مشاهير علماء نجد ص١٨٥، علماء نجد (١/ ١٥٥-١٦٢)، روضة الناظرين (١/ ٦٩-٧٢).

بن عبد الرحمن بابطين.

ثُمَّ ارْتَحَل إلىٰ الرياض فلازم علمَاءهَا، ومِن أبرزهم العلامة عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف، كما رحل إلىٰ بغداد ولازم علماءها، ومنهم: العَلَّامة نُعمَان الآلوسي(١)، ثم عاد إلىٰ الزبير فقرأ علىٰ علمائه، ومن أبرزهم: الشَّيْخ صالح بن حمد المبيض الزبيري، ثم ذهب إلىٰ مكَّة وسَكَنها بعد حجِّه سنة ١٣٠٦ فقرأ علىٰ عُلمَائها، ومِن أشْهَرهم فيها: حُسَين بن محسن الأنْصَاري، ومحمَّد بن سليمان حسب الله المكِّي الشَّافِعِي، واتَّصَل بالشَّيْخ عبد القادر التلمساني، وكان مُتخَرِّجًا من جامع الأزهر، وكان يميل إلىٰ مذهب الأشاعرة، فما زال يناظره في مذهبه ومذهب أهل السنة حتىٰ هداه الله بسببه إلىٰ مذهب أهل السنة والجماعة.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ داعِيَةَ خَيرٍ ورُشدٍ وصلاحٍ، وكان حسَن التَّعلِيم واسِعَ الاطِّلاع، وهو المرجِع في حيَاتِه لتَارِيخ نَجْد وحوادثها وأنساب قبائلها، وكان له تلاميذ كثر، مِن أبْرَزِهم الشَّيْخ صالح بن عثمان القاضي(٢). له مؤلَّفَات عديدة، الموسومة بـ«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية». له رَدٌّ علىٰ داود بن

(١) نعمان بن محمود بن عبدالله الآلوسي، فقيه، متكلم، واعظ، ولد في بغداد عام (١٢٥٢) ونشأ بها، رحل إلىٰ بلاد عدة. جمع خزانة كتب نادرة. توفي ببغداد سنة (١٣١٢) له عدة مؤلفات، منها: الجواب الفسيح لما لفقه عبدالمسيح. حقق رسالة دكتوراة في الجامعة الإسلامية.

(٢) ولد في عنيزة عام ١٢٨٢، اتجه إلىٰ طلب العلم الشرعي فسافر إلىٰ القاهرة عام ١٣٠٧، وأقام في مكة عام ١٣١٣، ولازم الشَّيْخ أحمد بن عيسىٰ. له تلاميذ عدة في عنيزة وغيرها من أبرزهم العلامة الشَّيْخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي . توفي الشَّيْخ القاضي عام (١٣٥١).

جرجيس البغدادي[(١)]، وعلىٰ غيره مِن المنْحَرِفِين، وله رَدٌّ علىٰ أحمد دَحْلان[(٢)]، وله رسالة بعُنْوَان «تهديم المباني في الرد علىٰ النبهاني». توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجمعة بعد صلاة الجمعة عام ١٣٢٩.

١٣- الشَّيْخ حمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى[(٣)].

وهو ابن عمران العوسجي البدراني الدوسري، وُلِد في بلده ثادق سنة ١٣٤٥، تربَّىٰ علىٰ يَدِ أَبِيه تربيةً حسنةً، وقرأ القُرآن وحفِظَه عن ظَهْر قَلْب، وشَرعَ في طلَب العِلْم فقَرأ علىٰ الشَّيْخ محمد بن مقرن، والشَّيْخ عبد العزيز بن حسن الفضلي، ثُمَّ رحَلَ إلىٰ الرياض فقرأ علىٰ عُلمَائِها، ومِن أبرز مشائخه فيها الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف وغيرهما، ولَّاه الإمام فيصل قضاء سديد، ثم تعَيَّن قاضِيًا في الوشم في عهد الإمام عبد الله الفيصل.

ترجم له الشَّيْخ ابن قاسم في «الدرر»، وقال عنه: برع في جميع الفُنون، وكان

---

(١) داود بن سليمان البغدادي النقشبندي الحنفي، عالم أديب، ولد في بغداد، ورحل إلىٰ مكة والشام والموصل، له عدة مؤلفات. توفي سنة (١٢٩٩). (معجم المؤلفين (٤/ ١٣٦). وقد رد علىٰ إحدىٰ رسائله الشَّيْخ العلامة عبدالرحمن بن حسن في كتاب بعنوان (القول الفصل النفيس في الرد علىٰ المفتري داود بن جرجيس).

(٢) أحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي، فقيه مؤرخ، مفتي الشافعية بمكةِ، ولد بها وتوفي بالمدينة، له عدة مؤلفات. ولد سنة ١٢٣١، وتوفي ١٣٠٤. (معجم المؤلفين ١/ ٢٢٩). وكان معاديًا لدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب . وقد رد عليه الشَّيْخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، ورد عليه كذلك العلامة محمد بشير السهسواني الهندي (ت: ١٣٢٦) في كتابه (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان).

(٣) انظر ترجمته: «الدرر السنية» (١٦/ ١٣٦)، روضة الناظرين (١/ ٩٦)، علماء نجد (٢/ ٨٢).

يقِظًا فطِنًا، قليل المثَل في الشَّهامة والذَّكَاء، والدِّيانَة والعِبَادة، كثير الخير، له قدَم راسِخ في الفَتْوىٰ، ووَقْعٌ في النُّفوس، دَمث الأخْلاق، قوي الجأش في الأمر بالمعْرُوف والنَّهي عن المنْكَر.

توفي رحمه الله تعالىٰ في شعبان سنة ١٣٣٠.

١٤- الشَّيْخ العَلاَّمة عبد الله بن عبد اللطيف رحمه الله تعالى(١).

وهو الشَّيْخ العالم العلَّامة مُحْيي السُّنة وقامع البدعة عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد في الأحساء عام ١٢٦٥، أخذ عن أبيه وجدِّه، وعن الشَّيْخ حمد بن عتيق، والشَّيْخ عبد الرحمن بن عدوان، برع في جَمِيع الفُنون، وصار رفِيع القَدْر، جم الفضائل، أخَذَ عنه خلق لا يحصيهم إلَّا الله تعالىٰ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٣٣٩ ورثَاه جمعٌ مِن العُلمَاء منهم الشَّيْخ محمد بن إبراهيم، والشَّيْخ سليمان بن سحمان وغيرهم.

١٥- الشَّيْخ العالم الفَقِيه حسن بن القاضي حسين بن الشَّيْخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

وُلِد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٢٦٦، ونشَأ أحسن نشأة، فقرأ القرآن حتىٰ أتْقَنه عن ظَهْر قلب، واشتغل بطَلَب العِلْم مِن صغره، فأخذ عن جملةٍ مِن العُلمَاء الأجِلَّاء علم التَّوحيد والفِقْه وغيرهما من علوم السُّنة. تولَّىٰ قضاء الأفلاج والمجمعة ثم في الرياض.

(١) انظر ترجمته «الدرر السنية» (١٦/ ٤٥٩)، مشاهير علماء نجد ص١٠١.

كان رَحِمَهُ اللهُ صدَّاعًا بالحقِّ لا تأخذه في اللهِ لَوْمة لائِم، أمَّارًا بالمعروف، قويًّا في أمر الله، عليه هَيْبةٌ وسَكِينةٌ ووَقَارٌ، درس علىٰ يدَيْه جملَةٌ مِن العُلمَاء الأفَاضِل، توفي رَحِمَهُ اللهُ يوم الإثنين ربيع الأول سنة ١٣٤١ عن اثنين وسبعين سنة(١).

١٦- الشَّيْخ ذو الدِّرَاية والعِرْفَان محمد بن إبراهيم بن عجلان رحمه الله تعالى(٢).

وهو من المطارفة، أحد بطون قبيلة عنزة الشهيرة، ولد في الرياض، ونشأ فيها وأخذ مبادئ الكِتَابة والقراءة، ثم شرع في طلَبِ العِلْم علىٰ علمَاء الرِّياض، لاسِيَّما الشَّيْخ العلامة عبد الرحمن بن حسن، وعُيِّن قاضيًا في الخرج، ثم نقله الإمام فيصل إلىٰ قضاء حريق نعام، وكان كفيف البصر.

١٧- الشَّيْخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى(٣).

---

(١) انظر ترجمته: تراجم لمتأخري الحنابلة لابن حمدان ص٢٥، روضة الناظرين (١/ ٨١)، مشاهير علماء نجد ص١١٣، معجم مصنفات الحنابلة (٦/ ٢٥٠).

(٢) انظر ترجمته: علماء نجد (٥/ ٤٦٩).

(٣) تقدم ترجمته في المقدمة.

المطلب السادس
«أعماله ووظائفه»

لقد جَمَع اللهُ تعالىٰ للشيخ عبد الرحمن بن حسن مِن الموَاهِب الرَّبانِيَّة، وطول العُمُر، ما جعَلَه يَقُوم مِن الأعْمَال المتنوِّعَة والوظَائِف الكَثِيرة، ما لَا يقْدِر علَيْه إلَّا القَلِيل والنَّادِر مِن الرِّجَال، كمَا قال ﷺ: «**إنَّمَا النَّاس كَالإِبِلِ المئة لَا تَكَاد تَجِد فِيهَا رَاحِلَة**»(١). وإنَّه ليَصْدق علَيْه قَوْل الشَّاعِر(٢):

علـى قـدر أهـل العـزم تـأتي العـزائم ... وتأتـي علـى قـدر الكـرام المكـارم

وتعظـم في عـين الـصغير صـغارها ... وتـصغر في عـين العظـيم العظـائم

فهَذا الإمَام الجلِيل قد بارك الله في عُمُره، وأعْطَاه قوةً عزيمةً، فكان «في هذَا العُمُر المدِيد، والعَمَل الطَّويل، والأطْوَار المخْتلِفَة، والأحْوَال المتقَلِّبَة ثابتًا لم

---

(١) رواه البخاري (ح/ ٦٤٩٨) ومسلم (ح/ ٢٥٤٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) هو المتنبي أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي الأديب الشهير بالمتنبي. ولد سنة ثلاث وثلاث مائة، وأقام بالبادية يقتبس اللغة والأخبار، وكان من أذكياء عصره. بلغ الذروة في النظم، وأربىٰ علىٰ المتقدمين، وسار ديوانه في الآفاق.
قال الذهبي: قال التنّوخي: خرج المتنبي إلىٰ بني كلب، وأقام فيهم، وزعم أنه علوي ثم تنبأ، فافتضح وحبس دهراً، وأشرف علىٰ القتل، ثم تاب. قال الذهبي: وكان معجباً بنفسه، كثير البأو والتيه، فمقت لذلك. مات سنة أربع وخمسين وثلاث مائة. (سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٩٩-٢٠١).

يتَغَيَّر، صامِدًا لم يتَزعْزَع، عالمًا لم ينضب، مفكِّرًا لم يَكَل، حلِيمًا لم يَطِش ولم يتسَرَّع، وإنَّمَا هو مِثَال الرُّجُولة الكامِلَة والخلق المتين والعَقْل الرَّاسِخ، واليَقِين الثَّابِت، وبهٰذَا يتفَاضَل الرِّجَال»(١).

«فالشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن يُعَدُّ مِن أشْهَر العُلمَاء في الدَّولة السَّعودِيَّة، وبلَغَت شُهْرته الذُّرْوة في أوَاخِر حيَاتِه، وبالتَّحْديد في بداية الدَّولة السَّعودِيَّة الثَّانية، حينما احْتاجَت إليه البِلَاد، فقَامَ بأعْمَال كَثِيرة، كالقضَاء والإمَامة والتَّعْليم والإرْشَاد، بل كَان يَقُوم بهذه الأعْمَال مجتَمِعة، فكَانَ هو القَاضِي والخطِيب والإمَام، وهو المسْتَشَار للإمَام والمرْجع في شؤون البلاد الدِّينِيَّة، حتَّىٰ قيل: إنَّه ثاني رَجُل في البِلَاد، ولقب «بالمجدد الثاني»، وما ذَلِك إلَّا لأنَّه قد بلَغَ مكَانةً علمِيَّة رفِيعة، ولأنَّه قام بالأعْمَال الَّتِي قام بها جَدُّه رحمهما الله تعالىٰ»(٢).

إنَّ الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالىٰ «لما اسْتقَرَّ في بِلَاده وزَّع أوقَاته بَيْن مُجالسَة الإمام تركي للتَّشَاور في شُؤون الدَّولة، ومُقابَلة العُلمَاء ووُفُود البلْدَان، وتألِيف الكُتب، وبعث الرَّسائل والنَّصَائح إلىٰ أنْحَاء البِلَاد المحكُومَة، ووعظ العامَّة وإرشَادهم، وحلقَات التَّدْرِيس لطُلَّابه الَّذِين ضَربُوا إلَيْه آباط الإبِل مِن أنحاء الجزِيرَة بلْدَان نَجْد، وقطَعُوا للأخْذِ عنه المفَاوز الشَّاسِعَة، فرَتَّب هذه الأعْمَال وقام بها ووفَّاهَا حقَّها، وسار علىٰ هذا النَّهْج

---

(١) علماء نجد (١/ ١٩٢).

(٢) الشَّيْخ عبدالرحمن بن حسن لخالد الغنيم ص١٠٥.

الحكيم الرَّشِيد، وبارك الله له في أوْقَاته وأعَانه علىٰ أعْمَاله، ومَدَّ في حيَاته، ونسَأ في أجَلِه، حتَّىٰ شَهِد عَصْر سِتَّةٍ مِن أئمَّة حُكَّام آل سعود، فقَدْ عاصَر وعمل في عَهْد ثلاثة مِن الدَّولة السَّعودِيَّة الأولىٰ وهم: الإمام عبد العزيز بن محمد، والإمام سعود بن عبد العزيز، والإمام عبد الله بن سعود، وثلاثة مِن الدَّولة السعودية الثَّانية وهم: الإمام تركي، ثم ابنه الإمام فيصل، ثم ابنه الإمام عبد الله بن فيصل»[١].

❑وهذه بعض الأعمَال والوظَائف التي كان يَقُوم بها:

أولًا: التَّدريس.

يقول الشَّيْخ إبراهيم بن عيسىٰ عن الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن بعد قُدومِه مِن مِصْر إلىٰ بلد الرياض: «وجلَسَ للتَّدْرِيس فانْتَفع النَّاس بعُلومِه، وأخَذ عنه خَلائق كَثِيرة، فمِمَّن أخَذَ عنه وانْتَفَع به ابنه الشَّيْخ عبد اللطيف، قرأ علَيْه في مِصْر، ثُم قرأ في الرياض بعد قدومه مِن مِصْر، والشَّيْخ حسن بن حسين بن الشَّيْخ محمد بن عبد الوهاب...»[٢]. إلىٰ آخر ما ذَكَره مِمَّن قرأ علَيْه ممن تقَدَّم ذكرهم مِن التَّلامِيذ في المطلب السَّادِس.

وقال أيضًا:

«وكان مُلازِمًا للتَّدريس، مرغبًا للعِلم، معينًا عليه، كثير الإحْسَان للطَّلبة»[٣].

(١) علماء نجد للبسام (١/ ١٩١).

(٢) «عقد الدرر» ص٦٩.

(٣) «عقدالدرر» ص٧٠.

وقال الشَّيْخ عثمان ابن بشر عنه بعد قُدومِه علىٰ الإمام تركي: «وانْتفَع بعِلْمه كَثيرٌ مِن المسْتَفِيدِين، فمِمَّن انتفع به وتفَقَّه علَيْه حتَّىٰ صارَ قاضيًا يرجع في الفتوىٰ إليه مِن ذُرِّيته وذُرِّية جَدِّه محمد بن عبد الوهَّاب، ومن غيرهم كَثِير»(١).

وقال أيضًا:

«وأمَّا مَن أخَذ عَنْه ممن لم يَلِ قَضَاء فخَلْقٌ كثيرٌ لا يحصىٰ، فنفع الله الطَّالب بعِلْمه بحيث لا يَلْبث عنده إلَّا يَسِيرًا حتَّىٰ يكُون فائقًا بفَهْمِه، وضُربت إليه آباط الإبِل مِن جميع نوَاحِ نجد والإحساء، وظهرت أثَر البَركَات مِن تَعْليمه وفشَىٰ»(٢).

ثانيًا: التَّأليف والرُّدود والرَّسَائل.

يَقُول الشَّيْخ ابن عيسىٰ:

«وألَّفَ كُتبًا مُفِيدةً مِنْها: «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد» -ثم ذَكر بَعْض ما ألف مما ذكَرْنا في المطْلَب السَّابع- إلىٰ أنْ قال: وأجاب علىٰ أسْئِلةٍ عديدةٍ، بأجوبةٍ مسدَّدةٍ بديعةٍ لو جُمِعت لجاءت في مجلَّدٍ ضَخْمٍ، لكِنَّها لا تُوجَد مجموعَة، ويا ليتها جُمِعت، فإنَّها عظيمةُ النَّفْع»(٣).

---

(١) تاريخ ابن بشر (٢/ ٤٢).
(٢) تاريخ بن بشر (٢/ ٤٥).
(٣) «عقد الدرر» (ص٧٠).
وأقول: لقَدْ حقَّق الله تعالىٰ أُمْنِية الشَّيْخ ابن عيسىٰ، وفحفظ آثار ورسَائل الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن، حيث هيَّأ -تعالىٰ- لها الشَّيْخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالىٰ في زمن الإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وذلك عام ألف وثلاث مئة وثلاثة وأربعين، فجمع

ويقول الشَّيْخ ابن بشر :

«وقد صَنَّف الشَّيْخ عبد الرحمن متَّع الله به المسْلِمين، وأبقَاه للطَّالِبين والمسْتَفِيدين مُصَنَّفات في الأصُول والفُروع أكْثَرها ردًّا علىٰ أهل المقَالَات ومَن غلَط في الصِّفَات»(١).

والمتتبع لجهود الشَّيْخ في مؤلفاته ورسائله يجدها تنقسم إلى الآتي:

١- الشُّروح، منها: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، و«شرح رسالة أصل الدين وأساسه».

٢- المختصرات، كـ«مختصر تفسير سورة الفاتحة»، حيث اخْتصَرهَا مِن تفسير ابن كثير مع بَعْض الإضَافَات.

٣- الرُّدود، مِثْل: «الرد علىٰ داود بن جرجيس»، و«الرد علىٰ الكشميري عبد الحميد»، و«الرد علىٰ جهمي ضال».

٤- النَّصَائح، كرسائله للإمام فيصل، وكرسالته إلىٰ الإخوان في القصيم، وكرسالته إلىٰ أمراء جعلان.

=

رسائله ضمن رسائل أئمَّة دعوة التَّوْحِيد السَّلفِيَّة، بعنوان «الرسائل والمسائل»، وطُبعت علىٰ نفقة الإمام عبد العزيز . ثم جمعها بعد ذلك ورتبها الشَّيْخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجْدِي، وطبعت بمطبعة أُمِّ القُرىٰ بمكة بأمر الملك عبد العزيز بعنوان: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية». ومن ذلك أيضًا ما وفَّقَنِي الله به أنا وزملائي في القسم مِن جَمْع الرَّسَائل والمناصَحَات المتعَلِّقة بالعَقِيدة، ومِن ثَمَّ درَاسَتها وتَحْقِيقهَا بعد أن تقاسمناها بيننا نحن الخمسة.

(١) تاريخ بن بشر (٢/ ٤٦).

٥- الإجابة علىٰ بعض الأسئلة، كجوابه لَمَّا سُئل عن الجهمية والرافضة والمعتزلة، وكجوابه عن بعض أمور ابتدعها النَّاس.

ثالثًا: مجالسة الأئمة والتَّشَاوُر معهم في شُؤون الدَّوْلة ومقابلة العُلمَاء ووُفُود البلْدَان.

يقول الشَّيْخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف :

«فقام الشَّيْخ عبد الرحمن بمؤَازَرة الإمام تركي خَيْر قِيَام، فاسْتعَان به الإمام تركي علىٰ تأسِيس دَوْلةٍ إسلاميَّةٍ، ونشر دعوة سلفِيَّة، وأصلح الله بها ما أفْسَدته تلك العسَاكِر التُّركِيَّة، وأعَادَت إلىٰ أهل نجد ما فقَدُوه مِن الرُّوح الدِّينِيَّة والقُوَّة المعْنويَّة، فاسْتقَرَّ الأمْن، وسَاد النِّظَام والعَدْل، فأخَذَ الشَّيْخ عبد الرحمن يَنْشُر العِلْم، ويُناصِح أهل نجد بالرَّسَائل، ويأمُرهُم بالمعْروف، ويَحثُّهم علىٰ لُزوم جمَاعة المسْلِمِين، والسَّمْع والطَّاعة لولي أمْرِه»[١].

ونقل أيضًا كلام فلبي في تاريخ نجد حيث قال:

«وقد لَعِب الوَالِد وابنه دورًا مهِمًّا في جَعْل الدِّين عامِلًا له أثَره في حيَاة العَرب»[٢].

ويقول أيضًا الشَّيْخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف: «ولم يَزَلْ يفتي ويدرس ويُكَاتِب أهل بلدان نجد بالمراسَلَات والنَّصَائِح يَحُثُّهم علىٰ لزوم جماعَة

(١) مشاهير علماء نجد ص٦٠.

(٢) نقلاً عن مشاهير علماء نجد ص٦١.

المسْلِمِين ويُذَكِّرهم نِعْمة الإِسْلَام والدِّين زَمن الإمامِ تركي بن عبد الله ثُمَّ زمَن ابنه الإمَام فيصل حتَّىٰ توفَّاه الله»(١).

يقول الشَّيْخ آل بسَّام رحمه الله تعالىٰ:

«ولما قَام الإمام تركي بن عبد الله آل سعود جَدُّ الأسرة الحاكِمَة اليوم بإعَادَة الحكم مَرَّةً أخْرَىٰ وتجدِيد الدَّعْوة السَّلفِيَّة بعْد انْدِثَارهَا، واسْتعَاد السُّلطة في كَثِير مِن بلدان نجد، وطهَّر البلاد مِن الجنود الأتْرَاك المحتَلِّين والغُزَاة الغَاصِبين، وكان الإمام تركي يُكَاتب المشْهورِين مِن المبعدين كالشَّيْخ عبدالرحمن بن حسن وابن عمه مشاري بن عبد الرحمن آل سعود، ويرسل إليهم القصَائد الطَّنَّانة المثيرة ليسَاعِدُوه علىٰ مهَامِّ الحكْم، ويُعِينُوه علىٰ لَمِّ شَعْث الأمة المتفَرِّقة والبُلْدَان الممَزَّقة.

ولَمَس الشَّيْخ عبد الرحمن وهو في مَنْفَاه لِينًا في المراقبة، وسهولةً في المغَادَرة، فصمَّم علىٰ الخروج وتوجَّه مِن بلاد مِصْر إلىٰ بلاد نجد عام ١٢٤١هـ، فلمَّا وصَل إلىٰ الرياض التي جعلها الإمام تركي –عاصمة– مُلْكِه بعد خراب الدرعية فرح به الإمام فرحًا شديدًا، وسُرَّ به وتلقَّاه بالإكْرَام والتَّبْجِيل، كمَا فَرِح بمقْدِمه عامَّةُ المسلمين، فقام الشَّيْخ عبد الرحمن بمؤَازَرة الإمام تركي خير قيام، وجعله الإمام صاحب الكلمة المطْلَقة والقَول النَّافِذ في حُكُومَته، فبَاشر الأعْمَال التي كان يَقُوم بها جده الشَّيْخ محمد بن عبد الوهاب، واجتمعت عليه الكَلِمة والْتَأَمَ الشَّمْل، وصار رأسًا لعُلمَاء بُلْدَان نجد فَهُو مرْجِعُهم في جَمِيع

---

(١) مشاهير علماء نجد ص٦٣.

أمُورِهم، وأحسُّوا بأنَّ تِلْك الثَّغْرة الخالِيَة والمكان الفَارغ والشَّخْصية القِيادِيَّة المفْقُودة بموت الشَّيْخ محمد ونقْل الشيخ عبد الله قد عادت وامتلأ مكانها بعودة الشيخ عبدالرحمن بن حسن، فجمَع الشَّمْل ولَمَّ الشَّعث وجبَر الصَّدْع وسدَّ الفراغ، فالحمد لله علىٰ تمام نِعَمِه»(١).

ويقول محمد القاضي:

«وقد انتهت الفُتْيا والتَّدْريس إليه وصَار مرجِعًا في نجد وشدت المطي إليه من كل مكان للاسْتِفَادة، وأخَذ في التَّأليف والإرْشَاد والرُّدود علىٰ المنْحَرِفِين والمنَاصَحة والصَّدْع بالأمر بالمعْرُوف والنَّهْي عن المنكَر، وصَار له صَوْلة وجَوْلة في ذلك، وله مكَانةٌ مَرْمُوقَة وكلِمَةٌ نافذة»(٢).

ويقول أيضًا مُبَيِّنًا أنَّه كان مَحِل استشارةٍ للإمَام العَادل تركي بن عبد الله وأنه فرح بقدومه:

«ولما عادَت نَجْد إلىٰ سَابِق عَهْدِهَا في عَهْد الإمام العَادِل تركي بن عبد الله آل سعود عام ١٢٤٠ كتب إليه يَسْتحثه علىٰ القُدُوم مِن مِصْر إلىٰ نجد؛ فلَبَّىٰ طلَبَهُ وقَدِم إليه عام إحْدَىٰ وأرْبَعِين ومئتين، ففَرِح بقُدومِه وأكْرمَه وأجَلَّه وناصَرَه الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن ووازره؛ فسَادَ النِّظَام والعَدْل، وصَار يَسْتشِيره ويَسْترشِد مِنْه»(٣).

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ١٩٠-١٩١).

(٢) روضة الناظرين (١/ ٢٢١).

(٣) المصدر السابق.

رابعًا: القضَاء.

يقول عبد الله آل بسَّام:

«فصَار مِن العُلمَاء وهو في سِنِّ الشَّباب، فأقْبَل عليه الطُّلاب، وتحَلَّقوا حَوْله، وجلَسُوا بَيْن يدَيْه، وصَار يُدَرِّسهم التَّوحِيد والتفْسِير والحدِيث والفِقْه وغَيْرها؛ فاشتهر أمْرُه، وطَار صِيتُه، فرَأَىٰ الإمام سعود بن عبد العزيز بعد استشارةِ عمِّه الشَّيْخ عبد الله أنْ يتَوَلَّىٰ قضاء الدرعية، وهي يومَئذٍ قاعدة بلدان الجزيرة العَربيَّة، فسَار في عمَلَيْه الشَّريفَيْن: القضَاء والتَّدْرِيس، خير سيرة، وقام فيهما أتَم قِيَام، كمَا صَار أحد قُضَاة مكة المكرمة، فشَارَك في قضاة مكة الأوَّلِين وتفَوَّق في أقْضِيته وأحْكَامه وأحَبَّه أهل البلاد ورَغبوا في أحْكَامه»(١).

ويقول محمد بن عثمان القاضي :

«وعيَّنه تركي قاضيًا في الرياض، وسدَّد في أقْضِيته»(٢).

وقد كان قيام الشَّيْخ عبد الرحمن بهذا العمَل على عَهْد عدَّة أئمة، وهم كالتالي:

١- علىٰ عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد رحمه الله تعالىٰ، في مدينة الدرعية.

٢- علىٰ عهد الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ، في مدينة الدرعية كذلك.

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ١٨١).

(٢) تحفة الناظرين (١/ ٢٢١).

وفي هذين العهدين كان العلامة عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالىٰ مرجع القضاة.

٣- علىٰ عهد الإمام تركي بن عبد الله في مدينة الرياض.

٤- علىٰ عهد الإمام فيصل بن تركي في مدينة الرياض.

وقد أصبح رئيسًا للقضاة ومرجعًا في تَعْيِينهم، واسْتَمَرَّ علىٰ ذلك إِلَىٰ أن تُوفِّي رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة(١).

---

(١) الشَّيْخ عبدالرحمن بن حسن لخالد الغنيم ص١١٢-١١٣ بتصرف.

المطلبُ السابع
«ثناءُ العلماءِ عليه»

لقد جَعَلَ اللهُ تعالىٰ لهذا الإمام القَبولَ والمحبَّةَ بين الخاصَّة والعامَّة، وما ذاك إلَّا لإيمانه وصِدْقِه وجهادِه في سبيل الله واتِّباعِهِ لِهَدْيِ النَّبيِّ ﷺ الذي يُثْمِرُ للعبد إذا أراد اللهُ له خيرًا قبولًا وإمامةً في الدِّين.

يقول اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

وروىٰ البخاريُّ ومسلمٌ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَىٰ جِبْرِيلُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**»(١).

وهذا ما كان للشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فقد جعل اللهُ تعالىٰ له الإمامةَ في الدِّين، وجعل له القبولَ عند العبادِ، وقد أثنىٰ عليه العلماءُ بما

(١) رواه البخاريُّ (ح/ ٣٢٠٩) ومسلم (٢٦٣٧).

يستحقُّه من الثَّناء، حتىٰ عدَّه بعضُهم مجدِّدًا، فَلُقِّبَ بالمجدِّد الثَّاني(١).

يقول عنه الشَّيْخ إبراهيم بن صالح النَّجديّ في ترجمته في عقد الدُّرر: (الشَّيْخ الإمام الفاضل القدوة، رئيس الموحِّدين، وقامع الملحدين، كان إمامًا بارعًا)(٢).

ويقول عنه أيضًا أنه كان: (محدِّثًا، فقيهًا، ورعًا، نقيًّا، تقيًّا، صالحًا، له اليدُ الطولىٰ في جميع العلوم الدِّينيَّةِ)(٣). ويقول أيضًا: (ولم يَزَلْ علىٰ حسن الاستقامةِ والإعزازِ التَّامِّ ونفوذ الكلمة عند ولاة الأمر فمَنْ دونَهم)(٤).

ويقول عنه الشَّيْخُ عثمان بن عبد الله بن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمتِه في عنوانِ المجد: (الشَّيْخ العالم، النّحرير، والبحر الزَّاخر الغزير، مفيد الطَّالبين، ومرجع الفقهاء والمتكلِّمين، المحفوف بعناية ربِّ العالمين، جامع أنواع العلوم الشَّرعيَّة، ومحقِّق العلوم الدِّينيَّة، والأحاديث النَّبويَّة، والآثار السَّلفيَّة، وارث العلم كابرًا عن كابرٍ، الذي قصرت عن استنباطاته العلماء الأكابر، وصارت الأصاغر بإفاداته شيوخًا أكابر، ورجع العلم به غضًّا بعدما كان دابرًا، قاضي قضاة الإسلام والمسلمين، ومفتي فِرَقِ الأنام الموحِّدين، وناصر شريعة سيِّد

(١) قاله الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الدُّرَرِ السَّنيَّةِ» (١٦/ ٤٠٤) والشَّيْخ عبد الرَّحمن بن عبد اللَّطيف في مشاهير علماء نجد ص٥٨.

(٢) «عقد الدرر» (ص٦٤).

(٣) «عقد الدرر» ص٦٤.

(٤) «عقد الدرر» (ص٧٠).

المرسلين، الموفَّق للصَّواب في الجواب، الحافظ المتقن)[١].

وقال أيضًا مبيِّنًا كيف فرح المسلمون بقدومِهِ من مصر وإكرام الإمام تركيٍّ له: (فَقَدِمَ علىٰ الإمامِ تركيٍّ بن عبد الله قدَّس الله روحَه من مصرَ، ففرح به وأكرمه غايةَ الإكرام، واغتبط به المسلمون الخاصُّ والعامُّ، وقاموا بما يستحقُّه من الإعظام)[٢].

وقال عنه الشَّيْخُ عبدُ الله بن عبد الرَّحمن أبا بطين: (وحيدُ دَهْرِهِ، وفريدُ عَصْرِهِ، شيخُنا الشَّيْخُ عبد الرَّحمن بن حسن)[٣].

وذكره الشَّيْخُ عبد الرَّحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدُّرر السَّنيَّة في قسم التَّراجم، وقال عنه: (هو الإمامُ العالم العلَّامة، الحبر البحر الفهَّامة، مفيدُ الطَّالبين، مرجع الفقهاء والمتكلِّمين، المحفوف بعناية ربِّ العالمين، العالم الرَّبَّانيُّ، والمجدِّد الثَّاني، جامع أنواع العلوم الشَّرعيَّة، ومحقِّق العلوم الدينيَّة، والأحاديث النبويَّة، والآثار السَّلفيَّة، وارث العلم كابرًا عن كابر، رجع العلم به غضًّا بعد أن كان دابرًا، وظاهرًا بعد أن كان غابرًا، مفتي فرق الأنام، ناصر شريعة سيِّد الأنام، الموفَّق للصَّواب في الجواب)[٤].

وقال أيضًا: (وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ له اليد الطّولىٰ في الأصول والفروع، حتَّىٰ لم يكن

(١) تاريخ ابن بشر (٢/ ٤٢،٤١).
(٢) المصدر السَّابق (٢/ ٤٢).
(٣) «الدُّرَرُ السَّنيَّة» (٤/ ٢٥٤).
(٤) «الدُّرر السَّنيَّة» (١٦/ ٤٠٤، ٤٠٥).

في زمانه أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أتبع للسُّنَّة منه، وكان من الجبال التي لا ترتقىٰ ذروتها، ولا ينال سنامها، ومن أكبر السَّلَفِ وأعلامِها، غزير الفضل، كامل العقل، شديد التَّثَبُّتِ، حسنَ السَّمْتِ، إمامًا في جميع الفنون الدِّينيَّة، معرضًا عن الدُّنيا وأهلها، هيِّنًا ليِّنًا شجاعًا مهيبًا متواضعًا، محبًّا للطَّلبة والمساكين، حسنَ الخُلُقِ والخلق، جوادًا سخيًّا كثير العبادة والتَّضرُّع والدُّعاء، كأنَّ النُّورَ يخرج من وجهه، عن الدُّنيا ما كان أصبره، وبالسَّلف ما كان أشبهه، وبالصَّالحين ما كان ألحقه، اختصَّه الله بنصر دينه والقيام بحفظ سنَّتِه، ورضيه لإقامة حجَّتِه، قام مقام نبوَّة، واشتهر ذكرُه وانتشر، وأجمع علىٰ إمامتِه في الدِّين أهلُ نجد والأمصار، وشاع صِيتُه في الأقطار وشمائله)(١).

وقال عنه الشَّيْخُ عبد الرَّحمن بن عبد اللَّطيف: (هو العلَّامة المشهور، صاحب التَّاريخ الحافل بالجهاد والكفاح، والمشرِّف بالدَّعوة والإصلاح، الذي كَرَّسَ جهدَه، وأوقف حياتَه في بثِّ العلم ونَشْرِه، وجرَّد قلمه في الذَّبِّ عن دعوة الإسلام وعقيدة التَّوحيد، الإمام الأوحد الرَّبَّانيُّ والمجدِّد الثَّاني)(٢).

وذكره العلَّامة المحدِّث شيخنا الشَّيْخ ربيع بن هادي المدخليُّ في كتابه «تذكير النَّابهين بسير أسلافهم حفَّاظ الحديث السَّابقين واللَّاحقين»(٣) وهو كتابٌ جمع فيه الشَّيْخُ تراجمَ علماء الأمَّة، من أئمَّة الحديث وحفَّاظ السُّنَّة، منذ القرن الرَّابع إلىٰ عصرنا هذا، حيث قال في خلاصة الكتاب: (من هذا العرضِ

---

(١) «الدُّرَرُ السَّنيَّة» (١٦/ ٤٠٥، ٤٠٦).

(٢) مشاهير علماء نجد ص٥٨، علماء الدَّعوة ص٤٠.

(٣) مجموعة كتب ورسائل العلَّامة ربيع بن هادي المدخلي (٣/ ٣٢٥) رقم التَّرجمة (٩٧).

الموجزِ يتَّضح أنَّ الحفَّاظَ المعتنين بسنَّة رسول الله ﷺ لم ينقطعوا ولن ينقطعوا إن شاء الله، وأنَّ الاهتمامَ بأسانيد سنَّةِ رسول الله ﷺ مستمرٌّ لم ينقطع، كلُّ ذلك من تحقيقِ وعدِ الله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩] ومن تحقيق قول الصَّادق المصدوق ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ»(١).

فهذا بعضُ ما جاء من ثناء عليه نثرًا، وأمَّا ما جاء من ثناءٍ عليه شعرًا فقد جاء في مَدْحِهِ شيءٌ كثيرٌ، فمِنْ ذلك ما قاله الشَّيْخُ عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فـلا يبعدنَّـك اللـه مـن شيخ طاعـةٍ ... بعيـد عـن الأدنـاس نـاءٍ عـن الكِـبْرِ
قـوِيٍّ بأمـرِ اللهِ شهـمٍ مهـذَّبٍ ... أشـدّ لـدى هتـكِ الحـدودِ مـن النمـرِ
تجـرَّد للتَّدريـس والحفـظ دائبًـا ... وأسقـى غـراسَ العلـم في سائـر العمـرِ
ففـي الفقـه والتَّفسير بحـر غطمطـم ... وفـي بحثـه التَّوحيـد نـادرةُ العـصرِ
وفي النَّحـو والتَّأصيـل قـد صـار آيـةً ... وكـل فنـون العلـم أربـى علـى البحـرِ
يجيـب علـى الفتـيا جـوابًا مـسدّدًا ... يـزيح بـه الإشـكال عـن مرتـج الفكـرِ
فيضحى عـويص المشكلات موضحًا ... بتحقيـق أبحـاث أدقَّ مـن الـشّعر
فسل عنـه في التَّوحيـد تهذيبـه الـذي ... غـدا بـين تلـك الكتـب كالكوكـب الدّرِّ
وفـي ردِّه تـشبيه كـلِّ مـشبه ... مـن الملحـدين المعتدين أولـى الغـدرِ

(١) المصدر السَّابق ص٤١٥.

إذا مبطـــل يأتـــي بتزويـــق شبهـــة جلاها كـما يجـلى دجا اللـَّيل بالفجـر
ففــي كــلِّ إقليــم لــه الــرَّدُّ فانتهــت تــصانيفه في كــلِّ مــصر وفي كــلِّ قــصر
ولمــا طغــى علــجُ العــراق بجهلــه وغـــرره مـــا لفَّقـــوه مـــن الهـــذرِ
رمــاه كــما يرمــى الرَّجيــم بثاقــب فراح ابن جرجيس على الذُّلِّ والصّغرِ
وبــاء ابــنُ منــصور بإرغــام حجــة ودَحْـــض فَـــوَلَّى بالبـــوارِ وبالخـــسرِ
وفي كـــلِّ معـــنى وفي اللـــهِ قـــسمه وفضل إله العرش يسمو على الحصرِ
ولـست بمحـصٍ بعـض تعـداد فـضله ولكـــن ذا نـــزر يـــدلُّ علـــى الغمـــر(١)

وقال الشَّيْخُ أحمد بن عليّ بن مشرف بعد ثنائه الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كــذا عابــد الــرَّحمن أعــني حفيــدَه بنور الهـدى يهـدي فمـن ذا يعادلـه
ينافــح عــن ديــن الهــدى كــلَّ مُبْطِــلٍ فيبطـــل تمويهاتـــه ويناضلـــه(٢)

وقال:

ونحــا طريقــة الإمــام حفيــده أكــرم بـــه مـــن عالـــم وإمـــامِ
أعــني بذلــك شيخَــنا عَلَــمَ الهــدى زيـــن لأهـــل العلـــم والحكَّـــامِ
قـــد ردَّ مـــن كـــلِّ العلـــومِ شـــواردا نـــدت وقـــاد صعابَهـــا بزمـــامِ
فلقـــد كفـــى وشفـــى بتـــصنيفاته وأذلَّ مـــن أضحـــى ألـــدّ خـــصامِ

---

(١) «الدُّرَرُ السَّنِيَّة» (١٦/ ٤٠٦-٤٠٨).
(٢) المصدر السَّابق.

فهـم دعـاةُ الدِّيـن بـل أنـصارُه كـم أيقظـوا مـن معـشر نـوامِ

وقال:

إذا مبطـل أجـرى مـن الجهـل جـدولًا أتـاه بتيَّـار مـن العلـم كالبحـرِ
فجـلى ظـلام الجهـل والـشَّـك والعمـى بنـور هـدى يجلِّـي الغياهب كالفجـرِ
لئن كـان أهـلُ العلـم كالـشّهب في الـسماء فعالمنـا بـين الكواكـب كالبـدرِ[1]

(١) المصدر السَّابق.

المطلب الثامن
«وفاته والمرثيات التي قيلت فيه»

إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ إذَا أرَاد بعبده خيرًا اسْتَعْمَله فِي طَاعَتِه والجهَاد فِي سَبِيله، وجعل حيَاته كلها فِي سبيل الله، كما قال ﷺ: «**لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرس فِي هَذَا الدِّين غَرْسًا يَسْتعْمِلُهم فِي طَاعَتِه**»(١).

وإنَّ مِن هؤلاء الَّذِين اسْتعْملَهم الله عَزَّوَجَلَّ ممَّن علم حسن نيَّته وصدق قلبه الشَّيْخُ عبد الرَّحمن بن حسن، فهو ممَّن جعل الله له الإمامةَ فِي الدِّين لصبره ويقينه، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

فالشَّيْخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ لم يزل منذ حداثة سنِّه بين متعلِّم وعالم، (مُفْنيًا حياته للعلم والدَّعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف، يدرس ويكاتب أهل بلدان نجد بالمراسلات والنَّصائح، ويحثُّ علىٰ لزوم جماعة المسلمين، ويذكِّرهم نعمةَ الإسلام والدِّين والسُّنَّة، ولم يزل علىٰ حسن الاستقامة والإعزاز التَّامِّ ونفوذ الكلمة عند ولاة الأمر فمن دونهم، حتَّىٰ توفَّاه الله عشيَّةَ يوم السَّبت، حادي عشر

(١) رواه ابن ماجه من حديث أبي عنبة الخولانيِّ. وذكره البوصيريُّ في زاوئد ابن ماجه، وقال: إسنادُه صحيحٌ. (الزَّوائدُ ١/ ٤٥). وقال عنه الألبانيُّ: حَسَنٌ. (السِّلسلةُ الصَّحيحة ٢٤٤٢).

ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومائتين وألف، في بلدة الرِّياض، فصلِّي عليه بجامع الرِّياض، ودُفِنَ في مقبرة العود، وذلك في ولاية الإمام عبد الله بن فيصل)[١].

(ولقد بكاه المسلمون في أدنىٰ وأقصىٰ البلاد، وتأسَّفوا لفقده، وحزنوا علىٰ فراقه، وتبادلوا الرَّسائل بالتَّعازي والتَّأبين، فرحمه الله تعالىٰ رحمةَ الأبرار، وجعل الخيرَ والبركةَ في عقبه، إنَّ اللهَ سميعٌ مجيبٌ)[٢].

هذا وقد رَثَاه كثيرٌ من أهل العلم والشِّعر، منهم الشيخ عبدالرحمن بن عبد الله بن طوق، ومنهم الشيخ سليمان بن سحمان، وقد نقل ذلك ابن قاسم في الدرر السنية[٣]، ومنهم الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن الشَّيْخ محمَّد بن عبد الله بن مانع الوهيبيّ التّميميّ[٤]بهذه القصيدة أقتصر من هذه القصائد عليها، وهو من بحر الطَّويل، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَـرَدَّ رداءَ الـصَّبرِ في حـادثِ الأمـرِ ... وفـوِّضْ بتَـسْلِيمٍ مـع الحَمْـدِ والـشُّكْرِ
فـنِعْمَ احتـسابُ المـرءِ في حـالِ رُزْئِـه ... ونعـم ادِّرَاعُ الـصَّبْرِ في العُـسْرِ واليُـسْرِ
لَقَـدْ سَـاءَنَا مَـا جَاءَنَـا مِـنْ مُبَلِّـغٍ ... مُـشِيعٍ بِهَـا يَهْـدِي إِلَـى المَـسْمَعِ الوَقْـرِ
فـصخْتُ لـه سـمعًا وألحـت سائـلًا ... بمـاذا ينـادي والفـؤاد علـى جَمْـرِ

---

(١) مشاهير علماء نجد ص٦٣ بتصرُّف.
(٢) علماء نجد (١/ ١٩٤).
(٣) «الدرر السنية» (١٦/ ٤٢٤-٤٢٦).
(٤) تقدَّم ترجمته في المطلب السَّادس.

فقيـــل ينـــادي أخطـــأَ الله شـــرَّه ... بـــأنَّ إمـــامَ الدِّيـــن أوفى علـــى العمـــرِ
فـــأزعجَ عـــن ألبابنـــا كـــلَّ ساكـــن ... وحـــرَّك أشـــواقًا بهـــا عِيـــل مـــن صبـــري
وأيقنـــت أنَّ الأرضَ مـــادتْ بأهلهـــا ... وأنَّ الفـــضـــا ممَّـــا بنـــا صـــار كالـــشِّبْرِ
لقـــد ظـــلَّ أهـــلُ الحـــقِّ مـــن بعـــد موتـــه ... حَيَـــارى كأيتـــامٍ أُصِيبـــوا علـــى صغْـــرِ
فيـــا مُهْجَتِـــي حقًّـــا عليـــه تفتَّتـــي ... ويـــا عبرتـــي خَلِّـــي غـــرور الأســـى تجـــزي
مـــضى عابـــدُ الرَّحمـــن نجـــلُ محمَّـــد ... مجـــدِّد ديـــن الله عـــن وصمـــة الكفـــرِ
فـــلا يَبْعُـــدَنْكَ اللهُ مـــن شـــيخِ طـــاعةٍ ... بعيـــدٍ عـــن الأدنـــاسِ نـــاءٍ عـــن الكِبْـــرِ
قـــويٍّ بِأَمْـــرِ الله شَهْـــمٍ مهـــذَّبٍ ... أشـــدِّ لـــدى هتْـــك الحـــدود مـــن النَّهـــرِ
تجـــرَّدَ للتَّدريـــس والحفـــظ دائبًـــا ... وأسقـــى غِـــراس العلـــم في ســـائر العمـــرِ
ففـــي الفقـــه والتَّوحيـــد بحـــر غطمطـــم ... وفي بَحْثِـــه التَّوحيـــدَ نـــادرةُ العـــصرِ
وفي النَّحـــو والتَّأصيـــل قـــد صـــار آيـــةً ... وكـــلُّ فنـــون العلـــم أَرْبـــى علـــى البحـــرِ
يجيـــب علـــى الفتـــوى جوابًـــا مُـــسَدَّدًا ... يزيـــح بـــه الإشـــكالَ عـــن مَرْتَـــعِ الفِكْـــرِ
فيـــضحى عـــويص المـــشكلات موضَّـــحًا ... بتحقيـــق أبحـــاث أدقَّ مـــن الـــشَّعْرِ
فَـــسَلْ عنـــه في التَّوحيـــدِ تهذيبَـــه الـــذي ... غدا بـــين تِيْـــك الكُتْـــب كالكوكـــب الـــدُّرِّي
وفـــي ردِّه تـــشبيه كـــلِّ مـــشبِّه ... مـــن المُلْحـــديـــن المعتـــديـــن أو الغـــدرِ
إذا مبطـــلٌ يأتـــي بتزْوِيـــق شُبْهَـــةٍ ... جلَّاهـــا كمـــا يُجلـــى دُجَـــى اللَّيـــل مـــن الفجـــرِ
ففـــي كـــلِّ إقليـــم لـــه الـــرَّدُّ فانتهـــت ... تـــصانيفُه في كـــلِّ مـــصر وفي قـــصر
ولمـــا طغـــى عِلْـــج العـــراق بجهلـــه ... وغـــرَّره مـــا لفَّقـــوه مـــن الهـــذر

رماه كما يُرمى الرجيمُ بثاقب ... فراح ابن جرجيسٍ على الذُّلِّ والصُّغْر
وباء ابن منصور بإرغام حجَّة ... ودحضٍ فولَّى بالبوار وبالخُسْر
وفي كلِّ معنى وفَّر الله قسمه ... وفَضْل إله العشر يسمو عن الحصرِ
فلو كان يُفدى لافْتدتْه نفوسُنا ... بأرواحها لو كان ذلك من أمر
أو الأجل المحتوم يُدْفع بُرْهة ... لزدناه من وقت به مُنتَهى العمر
ولكنَّ أطواق المنايا قلائد ... بأعناقنا لا نفتديها من الأسرِ
لقد بان فيها النَّقص من بعد موته ... وموت أُهَيْل العلم قاصمة الظّهر
فكانوا كسِلْك قد وَهَى من نظامه ... فَلَهْفِي على أهل النُّهى الجلَّة الطُّهْر
فهذي علامات القيامة قد بدتْ ... ونَقْل خيار النَّاس من أعظم النُّذْر
فنرجو إله العالمين يُثِيبَنا ... ويجبرَ منَّا ما تصدَّع من كسرِ
ويسكنَهم جنَّاتِ عَدْن مع الأُلي ... سعوا في بيان الدِّين في العسر واليسرِ
وما مات من كان المبجَّل شَيْخنا ... خليفتَه عبد اللَّطيف ابن ذي القدرِ
سما رُتْبُه في العلم لم يتَّصلْ بها ... سواه ولم يبلغ سناها ذوو الصَّدرِ
فكانوا أحقَّ النَّاس في قول من مضى ... إذا ما انْتَدَى للقوم في محفلِ الذِّكْرِ
إذا قال لم يترك مقالًا لقائلٍ ... مصيبٍ ولم يَثْنِ اللِّسان على هجرِ
وأقلامُه تجري على مَتن طرسه ... فتشفي أوام الصَّدر عن مغلقِ الحصرِ
وإن طالب يأتيه يبغي إفادةً ... أزاح له الإشكالَ بالسَّبْر والخبرِ
وأنْهَلَه من بحره الجمِّ نَهْلة ... فراح بها يدري وقد كان لا يدري

فـلا زال يــولِّي الطَّالبيــن مـن الهـدى ... ويمنــح أهــلَ العلــم مـن سَيْبـه الغَمْــر

يجــــدِّد منهــــاجَ الأئمَّــــة جــــدّدوا ... لديــن الهــدى فانـضاح في البَـرِّ والبحــر

هُــمُ القــوم أَحْيَـوْا سنَّةَ الـدِّين واقتفـوا ... منــار طريــقِ الحــقِّ بالــسِّرِّ والجَهْــرِ

فأحيــوا سبيــلَ الرُّشْـدِ بعــد اندراسِـهِ ... وقـــد بذلــوا فيــه النَّفيسَ مــن العمـرِ

فأصبـــح منهـاجًـــا قويمًـــا لـــسالكٍ ... وبعــدَ الخَفَـا أضـحى يـضاهي سَنَا البَـدرِ

أولئــك أشيــاخي وقـــومي وســـادَتِي ... وهـــم قُـــدْوَتِي حــتَّى أُوَسَّـــد في قبـــري

لـئن أصـبحوا قـد ضـمَّهم بطـن مَلْحَـدٍ ... وماتـــوا كرامًـا مـــوت ذي نجـــدة حُـرِّ

فقـــد خلَّفـــوا فيـــنا تقاريـــر دينِنـــا ... ولــم يغفلــوا منــها أقــلَّ مــن الظِّفــرِ

تغمَّـدَهـــم ربُّ البَرَايَـــا بفـــضلِه ... وأسكنهــم مــن جنَّـة الخُلْـدِ في القَـصْرِ

وَأَحْـــيَا إِلَـــهُ العَالمـــين منارَهـــم ... بِـسُلْطانِنا الميمــون بالمجـدِ والفَخْــرِ

إمـامِ الهـدى عبـدِ الإلـه[1]ابـنِ فيـصل ... سمـــام العِـدَا نجــلِ الغطارفــةِ الغُــرِّ

كثيــرِ الأيـادي في البــوادي وحَـضْرِهِمْ ... مُبِيْـــد الأعـــادي بالمهنَّـــدةِ البُتْـــرِ

تــولَّى أمــورَ الخلــق حقًّـا فـساسهـم ... سياســـة عَـــدْلٍ غيــرِ جَــورٍ ولا عــشر

يَبِيـــتُ إذا نـــام الهـــدان بهمَّـــة ... يـوبِّـــرها بالحَـــزْمِ والعِـــزِّ والفِكْـــرِ

وألبـــسه الرَّحمـــن جِلْبَـــاب هيبـــةٍ ... كمــا ألبـــس الفـاروقَ بالبـأسِ والـصَّبْرِ

وإن يأتـــه ذو رِفْعــــة أو تكبُّـــــر ... تـــضاءل كالعُـــصْفُورِ أبـــصر بالحـــرِّ

إذا ســـار يَنْـــوي قَرْيَـــةً أو قبيلـــةً ... تقدَّمـــه جيـــشٌ مـــن الرُّعْـــبِ بالنَّـصْرِ

(١) والمراد به عبدالله بن فيصل بن تركي، وستأتي ترجمته في الرسالة الرابعة والثلاثين.

أدام لـــه المـــولى الكريـــمُ اعتـــزازَه   وأَيَّـــدَهُ بالنَّـــصْرِ والعَـــزْمِ والقَهْـــرِ
وبلَّغـــه مـــن كـــلِّ خيـــرٍ مَرَامـــه   مـن الأمـنِ والتَّوفيـق والـسَّعْد واليُـسْرِ
وســـدَّده في كـــلِّ حـــال وقـــادَه   بتوفيقـــه في ظاهـــر الأمـــر والـــسِّرِّ
وأحْـــسَنُ خَتْـــم للنّظـــام صلاتـــنا   على المـصطفى والآل مـع صَـحْبِهِ الطُّهْـر
صـــلاةً وتـــسليمًا يَـــدُومان مـــا ســـرى   نـسيمُ الـصَّبا أو نـاح في أَيْكِـهِ القُمْـرِي(١)

❊❊❊

(١) «عقد الدُّرر» (ص٧١-٧٤).

المطلب التاسع
«آثاره العلمية»(١)

لقد قام العَلَّامة الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن بِبَثِّ العِلْم ونَشْر الدَّعوة، وتصَدَّىٰ للرَّد علىٰ زعَماء الضَّلال، ورؤساء البدع، المعَارِضِين لدعوة الإخلاص والتَّوحِيد، التي قام بها جَدُّه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقد صنَّف رحمه الله تعالىٰ مصَنَّفات في الأُصُول والفُروع، وترك آثارًا علميَّةً كثيرةً مِن كتب ورسائل، منها في التَّوحِيد، ومنها في العَقِيدة، ومنها في الرَّد علىٰ المخَالِفِين وأهل البِدَع وأعْدَاء دعوة التَّوحِيد، ووالمنَاوِئِين لدَعْوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

فمن ذلك:

١- «القول الفصل النفيس في الرد علىٰ داود بن جرجيس».

٢- «المقامات»، وهي ردٌّ علىٰ عثمان بن عبد العزيز بن منصور، ويُعَدُّ ردًّا علميًّا وسبرًا تاريخيًّا، حيث أتىٰ علىٰ بعض الحروب الَّتِي وقَعَت بين أهل هذه

---

(١) انظر روضة الناظرين (١/ ٢٢٢)، ومشاهير علماء نجد ص٦٢ ومعجم المؤلفين (٥/ ١٣٥) وعقد «الدرر» (ص٧٠)، وعلماء الدعوة (ص٤٣، ٤٤).

الدَّعوة السَّلفِيَّة والدَّولة العثْمَانية المصْريَّة.

٣- «المحجة في الرد علىٰ صاحب اللجة»، وهي ردٌّ علىٰ محمد بن حميد.

٤- «بيان كلمة التوحيد والرد علىٰ الكَشْميري عبد الحميد».

٥- «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد».

٦- «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين».

٧- «الإيمان والرد علىٰ أهل البدع».

٨- «شرح رسالة أصل دين الإسلام وقاعدته»، وهي رسالةٌ صغيرةٌ شرَحَ فيها رسَالَة جدِّه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب «أصل دين الإسلام وقاعدته».

٩- «رسالة في الرَّد علىٰ قصيدة البُرْدَة» للشاعر البوصيري.

١٠- «رسالة في الرَّد علىٰ رجُلٍ من أهل فارس».

١١- «رسالة مختصرة في تفسير سورة الفاتحة».

١٢- «رسالة في معنىٰ الطَّاغُوت».

١٣- «رسالة في معنىٰ لا إله إلا الله».

هذا بالإضافة إلىٰ رسائل ونصَائِح وفتاوىٰ عقَدِيَّة وفقْهِيَّة، ورُدُود مختصَرة ومُتَنوِّعة، وقد جمعت في «الدُّرر السنية»، و«الرسائل والمسائل».

وقد كتب الأستاذ أحمد بن حافظ الحكمي بحثًا بعنوان «آثار الشَّيْخ عبد

الرحمن بن حسن ابن مجدد الدعوة الإصلاحية في نجد» في مجلة «الدارة» لعدَّة حلقات، حيث جمع فيها جميع كتابات الشَّيْخ عبد الرحمن من مؤلفات مستقلَّة أو رسائل وفتاوىٰ ومُناصَحات، وفصل فيها تفصيلًا دقيقًا، وجاء علىٰ جميع مواضعها في الرَّسَائل والمسَائل وفي «الدرر السنية»[1].

كما قام الأستاذ خالد عبد العزيز الغنيم في كتابه «المجدد الثاني الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن آل الشَّيْخ وطريقته في تقرير العقيدة» بذكر مؤلَّفَاته تحت عنوان «الفصل الرابع: آثاره» حيث ذكر عرْضًا مفصَّلًا لمؤلَّفَاته بَيَّن فيها اسم الكتاب ونِسْبته إلَيْه، وطبعات ذلك الكِتَاب، والمبَاحِث التي تطَرَّق لها فيه.

كما ذكر له مجموعةً كبيرةً مِن الرَّسائل المتنوِّعة مِن رسَائل طَويلَةٍ وقصِيرةٍ، وخاصَّة وعامَّة، ومنها الردود، ومنها النَّصَائح والإجَابَات علىٰ الأسْئِلَة.

وقد قسَّم الأستاذ خالد هذه الرَّسَائل إلىٰ ثَلاثة أقْسَام، وهي:

القسم الأول: رسَائل طَويلَة، وهي ما بلَغَت خَمْس صفَحَاتٍ فأكْثَر.

القسم الثَّاني: رسائل قَصِيرة، وهي ما دُونَ ذَلِك.

القسم الثَّالث: الرَّسَائل التي تَبْحَث في غير مسَائل العَقِيدة.

وهو يَعْزو هذه الرَّسَائل إلَىٰ موَاضِع طبْعَها في «الرَّسَائل والمسَائل»،

---

(١) انظر مستخلصات بحوث مجلة الدارة (من العدد الأول – السنة الأولىٰ ١٣٩٥ إلىٰ العدد الرابع السنة السادسة والعشرين ١٤٢١) والعدد الأول – السنة السادسة ١٤٠٠ – والعدد الثالث للسنة السادسة جمادي الثانية ١٤٠١ – العدد الرابع للسنة السادسة ١٤٠١.

و«الدُّرر السَّنية»، و«مجموعة التوحيد»، و«الجامع الفريد»[١].

(١) انظر كتاب الأستاذ خالد الغنيم المذكور من ص١٢٥-١٧٧.

الفصل الثاني

((دراسة الآثار العقدية))

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول: تحقيق عناوين الرسائل وتوثيق نسبتها إلى المؤلف.

المبحث الثاني: موضوعاتها.

المبحث الثالث: منهج المؤلف فيها.

المبحث الرابع: مصادره فيها.

المبحث الخامس: قيمتها العلمية.

المبحث السادس: وصف النسخ الخطية المطبوعة، ونماذج منها.

المبحث الأول
تحقيق عناوين الرسائل وتوثيق نسبتها إلى المؤلف

تحقيق عناوين الرَّسائل:

نظرًا لأنَّ الرَّسائل الَّتي هي من نصيبي للقيام بتحقيقها ودِرَاسَتها هي عبارةٌ عن ذكر مَسَائل في العقيدة مختصرةً، وبعض وَصَايا ومُنَاصحات لا يَعْدو متوسط صفحاتها من الثَّلاث إلىٰ الأربع، فإِنَّ مؤلفها الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ لم يُعَنْون لها، وإنَّما كتبها أو أرسلها باسم مَنْ أُرْسلت إليه دون أن يُعْطي لها عنوانًا.

كما أنَّ كلًّا من الشَّيخ ابن سحمان، والشَّيخ ابن قاسم، لم يَضَعا لهذِهِ الرَّسائل عناوين، وإنَّما جمعاها دون عناوين.

ولأجل هذا، فقد اجتهدتُ بوَضْع عناوين لكلِّ رسالةٍ بما يناسب موضوعها، كما سيأتي ذكرها في المبحث الثَّاني.

توثيق نسبتها إلىٰ المؤلف:

مَنْ تتبَّع مظانَّ هذِهِ الرَّسائل، وتراجم مُؤلِّفها، فإنَّه يتأكَّد له من خلالها ثُبُوت نسبتها إليه، وذلك كالتَّالي:

١- أنَّ مخطوطات هذِهِ الرَّسائل الَّتي تَدَاولها تلاميذ أئمَّة الدَّعوة وتَناقَلها النُّسَّاخ، وانتشرت في البلدان، وتَسَابقت المُؤسَّسات العلميَّة والمراكز لاقتنائها، كلُّها تثبت نسبتها إليه رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- أنَّ هذِهِ الرَّسائل أثبت نسبتها للشَّيخ عبد الرَّحمن تلميذه المُلَازم له العلامة صاحب المُؤلَّفات والرُّدود الشَّيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموعة الرَّسائل والمسائل والَّتي جمعها فيه. وكانت أوَّل طبعةٍ لها عام (١٣٤٩)، وتَدَاولها العلماء وطُلَّاب العلم، ثمَّ أذنت بطبعه رئاسة الإفتاء والدَّعوة والإرشاد برئاسة سماحة الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز يرحمه الله، وذلك في ٤/ ٦/ ١٤٠٩.

٣- أنَّ الشَّيخ عبد الرَّحمن بن قاسم العاصمي النَّجدي قَدْ قام بجمع رَسَائل ومسائل علماء نجد في مجموعه: «الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة»، ومنها رسائل الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن، وقَدْ نسبها إليه، وهذا المجموع قَدْ قرَّره وأقرظه علماء جهابذة عام ١٣٥١، وهم[1]:

أ- العلَّامة محمد ابن الشَّيخ عبد اللَّطيف ابن الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهم الله.

ب- العلَّامة الشَّيخ محمد ابن الشَّيخ إبراهيم ابن الشَّيخ عبد اللَّطيف ابن الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن رحمهم الله.

جـ- الشَّيخ المُحقِّق عبد الله بن عبد العزيز العنقري التَّميمي النَّجدي قاضي المجمعة رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) انظر تراجم هؤلاء الأعلام المشهورين، كتاب «مشاهير علماء نجد» (ص١١٧، ص١٣٤، ص٢٤٦).

هذا وقَدْ قال الشَّيخ عبد الرَّحمن بن قاسم عن جمعه لهَذَا المجموع:

«وقَدْ أعانني عليه شيخنا الفاضل، الحبر الثِّقة، الشَّيخ محمد بن الشَّيخ إبراهيم، وحرَّره وهذَّبه، أعدته وأبديته عليه، فزَهَىٰ، فظهر آثار القَبُول عليه وأَبْهىٰ، كرَّرت الفقه عليه مرارًا، والأُصُول وغيرها إمرارًا، وقرأتُ أَكْثَره علىٰ شيخنا النَّبيل الشَّيخ محمد بن الشَّيخ عبد اللَّطيف، وعلىٰ الشَّيخ سعد بن حمد بن عتيق(١)، والشَّيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، فجاء -بحمد الله- جامعًا جلَّ رسائلهم وفتاويهم، بل كلَّها إلَّا قليلًا»(٢).

٤- أنَّ بعض هَذِهِ الرَّسائل طبعت ضمن مجموعة التَّوحيد لابن تيمية، وابن عبد الوَهَّاب، وشُيُوخ الدَّعوة، ومنها بعض رسائل الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن، ناسبًا إيَّاها إليه، وقد طبعت في الهند بدلهي سنة ١٣١٣، طبع حجر. وقد اقتنيتها مصورةً.

٥- أنَّ بعض رسائله طبعت في الجامع الفريد، وقَدْ نسبت إليه، وهو من جمع الشَّيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض التَّميمي، مدير عام المكتبات بوزارة المعارف، جمعها عام ١٣٨٧.

٦- أنَّ كل من ترجم للشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ يثبت نسبة هَذِهِ الرَّسائل أو بعضها له. وممَّن ترجم له ذاكرًا رسائله ومَظَانها أَوْ بعضها:

أ- الشَّيخ عبد الله بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ في كتابه مشاهير علماء(٣).

---

(١) انظر ترجمته: كتاب «مشاهير علماء نجد» (ص٢١٣).

(٢) «الدرر السنية» (١/ ٢٠، ٢١).

(٣) انظر «مشاهير علماء نجد» (ص٥٨).

وأفردت مقالة له عن الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن في مجلة الدارة عام (١٣٩٧)، وقَدْ ذكر بعض رسائله[١].

ب- الأستاذ أحمد بن حافظ الحكمي، كتب عدَّة كتاباتٍ، تَتضمَّن ذِكْر رسائله ونسبتها إليه، وهي:

١- مجلَّة رابطة العالم الإسلاميِّ، سنة (١٣٩٥)[٢].

٢- مجلَّة الدارة، وقَدْ كتب فيها مقالتين طويلتين عن آثار الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن في عددين من المجلَّة، وهو أَوْسَع من حصر أسماء رسائله، وهذان العددان أحدهما في رجب عام ١٤٠٠[٣]، والآخر في شعبان عام ١٤٠١[٤].

٣- كتاب الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن، مُجدِّد الدَّعوة الإصلاحيَّة في نجد، وهو كتابٌ عنه، تَناوَل فيه كثيرًا من حياته، ومن ذلك مُؤلَّفاته وآثاره[٥].

---

(١) مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة، شوال ١٣٩٧، سبتمبر ١٩٧٧م.

(٢) مجلة رابطة العالم الإسلامي، العدد العاشر، السنة الثالثة، شوال سنة ١٣٩٥ (ص٤٧-٥١).

(٣) مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الخامسة، رجب ١٤٠٠، يونيو ١٩٨٠م.

(٤) مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة السادسة، شعبان ١٤٠١، يونيو ١٩٨١م.

(٥) مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الخامسة، رجب ١٤٠٠، يونيو ١٩٨٠ (ص٨٣).

المبحث الثاني
موضوعاتها

لقَدْ تنوَّعت مواضيع هَذِهِ الرَّسائل الاثنين والخمسين في عُمُوم مسائل العقيدة، حيث إنَّها مراسلاتٌ ومناصحاتٌ، وإجابة علىٰ بَعْض مسائل في الاعتقاد. فبعضها في بيان التَّوحيد، وشرح كلمة التَّوحيد، وبيان شُرُوطها، وبعضها في مسائل الإيمان، وبعضها في صفات الله وأسمائِهِ، وبعضها في الرَّدِّ علىٰ بعض الشُّبَه، وبعضها في بيان الشِّرْك، أو أنواعه، وبعضها في بيان بعض الفِرَقِ، وبعضها في بيان أهميَّة الجماعة، وتحريم الخُرُوج، إلىٰ غير ذلك ممَّا سَيتبيَّن من خلال كتابة نبذةٍ مختصرةٍ عن كلِّ رسالةٍ، مع بيان عنوان كلِّ واحدةٍ منها بما اجتهدت بوضعِهِ بما يُنَاسب مواضعها كما سَبَق ذِكْرُهُ.

الرِّسالة الأولى
(الرَّدُّ على جهميٍّ ضالٍّ، وتفنيد شُبَهه)

هَذِهِ الرِّسالة أجاب فيها الشَّيخ عبد الرَّحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أسئلةٍ أوردها جهميٌّ ضالٌّ يستعجز بها بعض المسلمين، مثل: الاسم مشتقٌّ من السُّمُو أو من السمة، ومثل الفَرْق بين القضاء والقدر، ومثل مسألة الاستواء علىٰ العرش. بَيَّنَ من خلالها معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في عُلوِّ الله واستوائِهِ علىٰ عرشه وإثبات عُمُوم صفات الله عَزَّوَجَلَّ، والرَّد علىٰ مَنْ زعم أنَّ الأدلَّة الدَّالَّة علىٰ استوائه علىٰ عرشه لا تمنع أن يكون مستويًا علىٰ غيره، مبينًا إجماع أهل السُّنَّة والجماعة قديمًا وحديثًا أنَّه لا يجوز أن يُوصَف الله بما لم يصف به نفسه، ولا وَصَفه به رسوله ﷺ، كما بَيَّنَ أنَّ ذلك من دَلَائل عُلوِّه عَزَّوَجَلَّ.

وأَوْرَد كثيرًا من الأدلَّة من القرآن والسُّنَّة، وأقوال السَّلَف علىٰ أنَّ الله تَعَالىٰ مستوٍ علىٰ عرشه، بائنٌ من خلقه.

وبَيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوال المبتدعة؛ كالجهميَّة، والحُلُوليَّة، والفلاسفة، وأَهْل وَحْدة الوُجُود، موضحًا انحرافهم عن الكتاب والسُّنَّة، وسبيل السَّلَف الصَّالح.

الرِّسالة الثانية

(مختصر تفسير سورة الفاتحة)

وَهِيَ مُخْتصرةٌ من تفسير ابن كثيرٍ، مع بعض الزِّيادات والنُّقُولات، وخاصَّةً من شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم رحمهما الله، وقَدْ نبَّه رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال هَذِهِ السُّورة علىٰ أهميَّة التَّوحيد، وحاجة العبد وضرورتِهِ إلىٰ سؤال الله، والتَّضرُّع له.

وخَتمَ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الرسالة المختصرة في تفسير سورة الفاتحة بذكر ما اشتملت عليه من فوائدَ ومسائلَ مستنبطةٍ، وقَدْ ذكرت في الحاشية دليلَ كلِّ واحدةٍ منها، وهَذِهِ الفوائد هي:

١- ذكر حَمْد الله وتمجيده، والثَّناء عليه بذكر أسمائِهِ الحسنىٰ المستلزمة لصفاتِهِ العلىٰ.

٢- ذِكْر المعاد وهو يوم الدِّين.

٣- إرشاد العباد إلىٰ سؤال الله، والتَّضرُّع إليه.

٤- التَّبرِّي من الحول والقوَّة إلَّا بالله.

٥- التنويه إلىٰ إخلاص العبادة له.

٦- بيان توحيد الأُلُوهيَّة.

٧- تنزيه الله أن يكون له شريكٌ أو نظيرٌ ومماثلٌ.

٨- أهمية سؤال الله الهداية إلىٰ الصِّراط المستقيم، وتثبيتهم عليه.

٩- التَّرغيب في الأعمال الصَّالحة.

١٠- التَّحذير من مسالك الباطل.
١١- التَّحذير من مَسَالك اليهود والنَّصارىٰ.

الرِّسالة الثالثة
(شرح رسالة أصل دين الإسلام وقاعدته)

وهي شرحٌ لرسالة جَدِّه الإمام المُجدِّد شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ (أصل دين الإسلام وقاعدته)، والَّذي هو أمران:

الأوَّل: الأمر بعبادة الله وَحْده لا شريكَ له، والتَّحريض علىٰ ذلك، والمُوَالاة فيه، وتكفير مَنْ تركه.

الثَّاني: الإنذار عن الشِّرك في عبادة الله، والتَّغليظ في ذلك، والمُعَاداة فيه، وتَكْفير مَنْ فعله.

وبَيَّن فيها شيخ الإسلام المخالفين في ذلك، وذَكَر أَنْوَاعهم، وهم:

١- أشدُّهم مخالفةً مَنْ خالف في الجميع، فلم يعبد الله وحده، ولم يحصل له موالاة في التوحيد، ولم يعاد أهل الشرك، ولم يكفر من فعله.
٢- مَنْ عبد الله وحده، ولم ينكر الشِّرك، ولم يُعَادِ أهله.
٣- مَنْ عَادَاهم ولَمْ يُكفِّرهم.
٤- مَنْ لم يحبَّ التَّوحيد، ولم يبغضه.

٥- مَنْ لم يبغض الشِّرك، ولم يحبَّه.

٦- مَنْ لم يعرف الشِّرك ولَمْ ينكره.

٧- مَنْ لم يعرف التَّوحيد ولم ينكره.

٨- مَنْ عمل بالتَّوحيد، ولم يعرف قَدْره، فلم يبغض مَنْ تركه، ولم يُكفِّرهم، وهو أشدُّ الأنواع خطرًا.

٩- مَنْ ترك الشِّرك، وكرهه، ولَمْ يعرف قَدْره.

ثمَّ في آخر الرِّسالة تكلم الشَّيخ عبد الرَّحمن عن مسألةٍ مهمَّةٍ، وذكر فيها كلامَ ابن تيمية، وابن عبد الوَهَّاب رحمهما الله، وهي مسألة تَكْفير المُعيَّن ابتداءً، هل يكفر؟ أم حتَّىٰ تُقَام عليه الحُجَّة؟

وقَدْ نقلت في حاشية الرِّسالة كلام العلماء المُتقدِّمين والمعاصرين في هَذِهِ المسألة، والَّتي كان فيها بعض النَّاس بين إفراطٍ وتفريطٍ.

هَذَا وقَدْ بَيَّنت أنَّ هناك مَنْ طبع هَذِهِ الرِّسالة، وحَرَّف فيها، ونقص منها وزاد.

الرِّسالة الرَّابعة
(الإسلام والإيمان والفرق بينهما)

هَذِهِ الرِّسالة بَيَّنَ فيها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الإسلامَ له معنىٰ، والإيمان له معنىٰ إذا

اقترنا، فالإسلامُ يُفسَّر بالأعمال الظَّاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة كما في حديث جبريل عليه السلام.

وأمَّا إذا افترقا وأفرد كلٌّ منهما علىٰ حدةٍ، دخل في كلٍّ منهما الأعمال الظَّاهرة والباطنة. كما بَيَّن أنَّ الأعمال ظاهرها وباطنها داخلة في مُسمَّىٰ الإيمان. وهَذَا هو الَّذي تدلُّ عليه كثيرٌ من الآيات والأحاديث، وهو معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، وأطبق عليه السَّلَف الصَّالح في أقوالهم ومُؤلَّفاتهم(١).

كما بَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الطَّاعات تزيد في الإيمان، وأنَّ نقص الأعمال الَّتي لا يخرج نقصها من الإسلام فهو نقصٌ في كمال الإيمان الواجب.

كما بَيَّنَ الفرقَ بَيْنَ الإيمان المطلق ومطلق الإيمان.

فالأوَّل فهو الَّذي لا يَتقيَّد بمعصيةٍ، ولا بفُسُوقٍ، وهو الَّذي أتىٰ بما يَسْتطيعه من الواجبات مع تَرْكه لجميع المُحرَّمات.

وأمَّا الثَّاني فهو الَّذي يَتقيَّد بمعصيةٍ أو فسوقٍ، وهو المصرُّ علىٰ بعض الذُّنُوب.

وهذا التَّفصيل الَّذي ذكره هو الَّذي عليه المُحقِّقون من أهل السُّنَّة من المُتقدِّمين والمُتأخِّرين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ:

«وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّة: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ

(١) انظر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية من «الفتاوىٰ» (٧/ ٥-١٢).

وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَل الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الملِّي اسْمَ الإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ، بَل الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلَا

يُعْطَىٰ الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الإيمان»(١).

الرِّسالة الخامسة

(في بيان معنى لا إله إلَّا اللّه والرَّد على مَنْ ضلَّ في تفسيرها من الفلاسفة وأهل الاتِّحاد)

بَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ في هَذِهِ الرِّسالة أنَّ «لا إله إلَّا الله» لها معنًىٰ عظيمٌ، دلَّ عليه القرآن، وبعث الله به جميعَ الرُّسُل من أَوَّلهم إلىٰ آخرهم، وخلق الله العبادَ لأَجْل تَحْقيق هذا المعنىٰ.

معناها الَّذي لا ريبَ فيه والَّذي تدلُّ النُّصُوص إثبات العُبُوديَّة الحقَّة لله وحده لا شريك له، ونفيها عمَّا سوىٰ الله من كلِّ المعبودات.

وهَذَا ما تدلُّ عليه سورة الكافرون، وسورة الإخلاص، وما أَخْبر اللهُ تَعَالىٰ به علىٰ لسان إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام، أنَّه قال لقومِهِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٧، ٢٨].

ثمَّ بَيَّنَ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ المُخَالفين من الفِرَقِ لهَذَا المَفْهوم الصَّحيح، وهم: الخوارج، المعتزلة، المُتكلِّمون، من أشعريٍّ، وكراميٍّ، وماتريديٍّ، وهؤلاء

(١) «العقيدة الواسطية» بشرح الشيخ الفوزان (ص١٦١، ١٦٢).

اضطربوا واختلفوا في مفهوم «لا إله إلَّا الله»، كما سيأتي ذِكْرُ ذلك في الرِّسالة الخامسة، وفي حَوَاشي البعض الآخر من الرَّسائل.

ومن المخالفين أيضًا: الفلاسفة وأهل الاتِّحاد، فهُمْ يَرَوْنَ أنَّ المنفي بـ «لا إله إلَّا الله» معنىٰ كلي، لا يُوجَد منه في الخارج إلَّا الفرد، وهو الله، فهو المنفيُّ، وهو المثبت، وذلك بِنَاءً علىٰ مَذْهبهم الكفريِّ، وهو أنَّ الله هو الوُجُود المطلق، ومثلهم أهل وَحْدة الوُجُود القائلين بأنَّ اللهَ تَعَالىٰ هو الوُجُود بعينِهِ.

الرِّسالة السَّادسة
(أنواع التوحيد)

بَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ في هَذِهِ الرِّسالة أنَّ الله خلق الجنَّ والإنس لتحقيق التَّوحيد، وأنَّ التَّوحيد ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسامٍ؛ توحيد الرُّبُوبيَّة، وتوحيد الأُلُوهيَّة، وتوحيد الأسماء والصِّفات. ووضح بالأدلَّة مفهومَ كلِّ قسمٍ.

وقَدْ بَيَّنت بحاشية الرِّسالة أنَّ هذا التَّقسيم تقسيمٌ استقرائيٌّ، فهو وإِنْ كان غير منصوصٍ عليه، لكن المُتدبِّر لكتاب الله تعالىٰ، ولسُنَّة رسولِهِ ﷺ يَتبيَّن له هذا التَّقسيم، فهو ليس ببدعٍ من القول كما يدَّعيه البعض من أهل الأهواء. وذكرت من كلام العلماء ما يُؤكِّد ذلك.

ثمَّ بَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ ما يضادُّ التَّوحيد، وهو الشِّرك، وأنَّه ثلاثةُ أَقْسامٍ: شركٌ أكبر،

وشركٌ أصغر، وشركٌ خفيٌّ، وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدلَّة هَذِهِ الأقسام وأنواعها، وذكر أقسام الكفر، وأنواع كلِّ قسمٍ، وأقسام النِّفاق وأنواعه.

وقَدْ ذكرت أيضًا أنَّ هَذِا التقسيم تقسيمٌ استقرائيٌّ، وبَيَّنتُ أيضًا حدَّ الشِّرك الأكبر، والشِّرك الأصغر.

الرِّسالة السَّابعة

(مسألتان أجاب عنهما رَحِمَهُ ٱللَّهُ حقيقة كلمة التَوحيد، وحكم تقبيل اليد، وحكم الصَّلاة على النَبيِّ جهرًا، والإمام يخطب)

وقَدْ أجاب الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هاتين المسألتين، كالتَّالي:

وقَدْ بَيَّنتُ في الحاشية كيف تكون مجاوزة الحدِّ المشروع في المعبود، والمتبوع، والمُطَاع.

فالأولىٰ: بَيَّن حكم تقبيل اليد، وبَيَّنَ فعل الصَّحابة -رضوان الله عليهم- مع رسول الله ﷺ، وذَكَر أقوالَ أَهْل العلم في المسألة، وهي:

١- جَوَّزه بعضُ الأئمَّة، كالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا وقع كذلك لا علىٰ وجه التَّعظيم.

٢- اشترط بعض الأَئمَّة في ذلك ألَّا يمدَّ يده. ذكره عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

٣- وذَهَب البعض إلىٰ كراهة تقبيل اليد مطلقًا؛ كالإمام مالكٍ، وصفها سليمان بن حرب أنَّها السَّجدة الصُّغرىٰ.

وبَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ هَذِهِ الأقوال تدور ما إذا لم يُفْضِ إلىٰ التَّعظيم والخُضُوع، وتغيير السُّنَّة، أمَّا إذا اقترن بشيءٍ من ذلك، فلا يجوز أن ينسب إلىٰ أحدٍ من الأَئمَّة تجويزه.

والثانية: أجاب رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا أنَّ الجهرَ بالصَّلاة علىٰ النبي ﷺ، والتَّرضِّي حال الخطبة من غير الخطيب- بدعةٌ مخالفةٌ للشَّريعة، موضحًا مآخذ السَّلف لهذا الحكم.

وقَدْ بيَّنت في الحاشية بعض الأُمُور المشابهة ممَّا أحدثه النَّاس اليوم، كتلحين الدُّعاء بالقنوت، ورفع الصَّوت به والمبالغة في الإطالة والبكاء، وكذا قراءة القرآن بالتَّلحين الَّذي يُشْبه الغناء. ونقلتُ كلام أهل العلم في هذِهِ المسائل.

الرِّسالة الثامنة

(الفرق بين الإسلام والإيمان، وحكم زيارة قبر النَّبيِّ ﷺ)

بَيَّنَ فيها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مراتبَ الدِّين الثَّلاث:

فأَعْلَاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليه الإسلام. وقَدْ بَيَّنَ شيخ الإسلام

ابن تيمية هَذِهِ المسألة في كتابِهِ الإيمان، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأمَّا الإحسان فهو أعمُّ من جهة نفسه، وأخصُّ من جهة أصحابِهِ من الإيمان، والإيمان أعمُّ من جهة نفسِهِ، وأخصُّ من جهة أصحابِهِ من الإسلام، فالإحسانُ يدخل فيه الإيمان، والإيمانُ يدخل فيه الإسلامُ، والمحسنون أخصُّ من المؤمنين، والمؤمنون أخصُّ من المسلمين، وهذا كما يُقَال في الرِّسالة والنُّبوَّة، فالنُّبوَّة داخلةٌ في الرِّسالة، والرِّسالة أعمُّ من جهة نفسها، وأخصُّ من جهة أهلها، فكلُّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولًا، فالأنبياء أعمُّ، والنُّبوَّة نفسها جزءٌ من الرِّسالة، فالرِّسالة تتناول النُّبوَّة وغيرها بخلاف النُّبوَّة، فإنَّها لا تتناول الرِّسالة»(١).

وتكلَّم أيضًا عن الفرق بين الإسلام والإيمان، والفرق بين الإيمان المُطْلق، ومُطْلق الإيمان، وأنَّ الأعمالَ داخلةٌ في مُسمَّىٰ الإيمان بأكثر استدلالًا وتفصيلًا ممَّا في الرِّسالة الرَّابعة.

ثمَّ أجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قول السَّائل: هل يحرم شدُّ الرَّحل إلىٰ قبر النَّبيِّ ﷺ، فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتَحْريم ذلك، مستدلًّا بقَوْل النَّبيِّ ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحال إلَّا إلىٰ ثلاثةِ مَسَاجد، المسجد الحرام، والمسجد الأقصىٰ، ومسجدي هذا**»(٢)، وردَّ علىٰ المجيزين بالحديث الوارد فيه قوله ﷺ: «**فَزُورُوها**».

وخَتَم الجوابَ بالتَّفريق بين زيارة قبر النَّبيِّ ﷺ إذا كانت تَبَعًا لزيارة مسجد

(١) كتاب الإيمان من «الفتاوىٰ» (٧/ ١٠).
(٢) سيأتي تخريجه في الرسالة الثامنة.

النَّبيِّ ﷺ، فإنَّ الحَالَ عند ذلك جائزةٌ إجماعًا، وبَيَّن حُكْمَ زِيارة قَبره ﷺ، وشَدِّ الرَّحْل له اسْتِقْلَالًا، لا تَبَعًا.

الرِّسالة التَّاسعة

(التَّوحيد وطُرُوءِ الشِّرك على المسلمين، وجهاد العلماء له)

في هَذِهِ الرِّسالة تكلَّم الشَّيخ عن التَّوحيد وأهميَّته، والنُّصُوص الواردة في التَّوحيد وتَعْظيمه، والشِّرك وخُطُورته، وبَيَّنَ فيها معنىٰ كلمة التَّوحيد، ومعنىٰ الإلهيَّة، وبَيَّنَ فيها ما كان عليه العرب، وكيف غَيَّرَ دينهم عمرو بن لحي الخزاعي، وأنَّ العربَ كانت تعرف معنىٰ «لا إله إلَّا الله» ومُقْتَضياتها، ولذلك رَفَضوا دعوةَ الرَّسول ﷺ، مع أنَّهم يُقرُّون بالرُّبوبيَّة لله عز وجل، ولكن لم يَنْفعهم ذلك.

كما بَيَّنَ في الرِّسالة أقوال العلماء في معنىٰ «لا إله إلَّا الله».

ثمَّ بَيَّنَ رحمه الله غُرْبة الإسلام، وتَمثَّل ذلك في دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وما جَرَىٰ عليه من المُلُوك والقُضَاة والرُّؤساء لمَّا دعاهم إلىٰ ما تَضمَّنته «لا إله إلَّا الله»، ومعناها الَّذي تَقدَّم بيانه عنه في مُؤلَّفاته الكثيرة -وذكر شيئًا منها- ثمَّ تلميذه ابن القيِّم ومُؤلَّفاته في بيان التَّوحيد، ثمَّ صارت مُؤلَّفاتهم في أيدي أناسٍ جهلةٍ، وفي خزائن الكُتُب الموقوفة، فلَمْ يلتفت لها النَّاس، ورجعوا إلىٰ ما كان عليه من قبلهم من المبتدعة، وكثر الشِّرك في القرىٰ والأمصار.

ثمَّ بَيَّنَ ما حصل من شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكيف شرح الله صَدْره للتَّوحيد ودَعَا إليه، وبَيَّنَ ما حصل له من الابتلاءات حتَّىٰ هَيَّأ الله له الإمام مُحمَّد بن سعود، وأولاده، وإخوانه حتَّىٰ نَصَرهم الله، وَانْتَشَرتْ دَعْوته في الأمصار.

وخَتَم الرِّسالة بنقلٍ عظيمٍ عن ابن القيِّم من كتاب «الصَّواعق المرسلة» يتكلَّم فيها عن نوعي التَّوحيد: العِلميِّ والعَمَليِّ، وعظيم فائدتِهِ، وشدَّة الحاجة إليه.

الرِّسالة العاشرة

(رسالة في أُصول فرق المبتدعة من الجهميَّة، والرَّافضة، والمعتزلة)

في هَذِهِ الرِّسالة تكلَّم الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ثلاث فرقٍ، وهي:

١- الجهميَّة.

٢- الرَّافضة.

٣- المعتزلة.

وبَيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ هَذِهِ الفرق الثَّلاث هي أصل ضلال مَنْ ضلَّ من هَذِهِ الأُمَّة، وأنَّهم أصل الشَّرِّ في هَذِهِ الأُمَّة، وبَيَّنَ أنَّهم خصوم أهل التَّوحيد والسُّنَّة. كما تكلَّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الأشعريَّة، وأنَّهم خالفوا أبا الحسن الأشعري، الَّذي ينتسبون

إليه، وأنَّهم وصفوا ربَّ العالمين بصفات المعدوم والجماد، وأنَّها طائفةٌ منحرفةٌ عن الحقِّ كما تَكلَّم عن الخوارج وانحرافهم، وأنَّهم أهل تشديدٍ وجهلٍ كثيفٍ.

الرِّسالة الحادية عشرة

(تعليق على قوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾)

أجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سؤالٍ عن معنىٰ هَذِهِ الآية، فنقل أقوال العلماء فيها، وبَيَّنَ ما فيها من مسائل عقدية، مثل أنَّ الله خلق الخلق للجماعة والرَّحمة، لا للافتراق والاختلاف، مبينًا أنَّ ذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، فالحكمة من خَلْقهم تحقيق العبادة والتَّوحيد، ولكن قَدْ يحصل منهم وقد لا يحصل، فاللَّام للتَّعليل، وأنَّ المراد بالحكمة في هَذِهِ الآية الدِّينيَّة الشَّرعيَّة، مبينًا أنَّ الواجب علىٰ العبد بَذْل الأسباب، والإقبال علىٰ الله، وقد نقلت في الحاشية أقوال العلماء في هَذِهِ المسألة.

ثمَّ شرح رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدعاء المأثور: «اللَّهمَّ إنِّي أسألك الثَّبات في الأمر، والعزيمة علىٰ الرشد»، مبينًا أنَّ الأمر هنا الأمر الدِّيني الشَّرعي، فيسأل العبد ربَّه الثَّبات عليه بتحصيل أسبابها، وختم جوابه بقولٍ عظيمٍ، حيث قال: فالخير لا يحصل إلَّا بطلبٍ وعملٍ، واستعانةٍ بالله علىٰ ذلك، وافتقارٍ إليه، وإنابةٍ إليه، وتَوكُّل عليه، ومَنْ ضَيَّع أسبابَ الثَّبات ضاع، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

الرِّسالة الثانية عشرة
(فضل العلم وأهميَّته، والموقف ممَّن أعرض عن الحقّ)

تكلَّم فيها الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن فضل العلم، وحاجة الإنسان الماسَّة له في حياته، وأورد فيه شعرًا في فَضْل العلم لعمرو بن مسعدة. وتَعرَّض فيها لرجل نسب لأهل العلم، ومدح بما له به شهرة، وهو عثمان بن سند البصري الوائلي(١)، فبَيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان العالم السَّلفي الغيور علىٰ الدِّين، المُتَّبع لمنهج السَّلف في معاملة أهل البدع، حيث حَذَّر منه، وبَيَّنَ ما عنده من بدعٍ وخبائث، حتَّىٰ لا يغترَّ الطُّلاب به وبكتاباته.

وذكر من خلال ذلك كلامًا لابن القيِّم عن مراتب «لا إله إلَّا الله»، وهي:

أوَّلها: العلم والمعرفة، واعتقاد صحَّة المشهود به وثُبُوته.

والثَّاني: نطقه بذلك.

والثَّالث: أن يعلم غيره بما يشهد به، ويُبيِّنه له بالقول تارةً، وبالفعل أخرىٰ.

رابعها: أن يَلْتزم بمضمون هَذِهِ الشَّهادة، ويأمر غيره أن يَعْمل بذلك.

ولا تتمُّ الشَّهادة إلَّا بهَذِهِ المراتب الأربع.

قال الشَّيخ: «وهذا الرَّجل المذكور عن هَذِهِ المراتب في بونٍ بعيدٍ، وأنَّه من التَّقوىٰ عارٍ من اللِّباس، هادمًا لأصل التَّوحيد والأساس».

---

(١) ستأتي ترجمته في حاشية الرسالة الثانية عشرة.

وقد عَلَّقت في الحاشية علىٰ هذا الموقف من الشَّيخ أنَّه هو الموقف الشَّرعيُّ الصَّحيح للعالم الرَّبَّاني المتَّبع لقواعد السَّلف، الَّذي يربِّي تلاميذه علىٰ اتباع السُّنَّة، وترك البدعة، وعدم الاغترار بزهد الرَّجل واجتهاده وتَقفُّره للعلم، وكثرة أشعاره وتآليفه ما لم يكن علىٰ الطَّريقة السُّنيَّة السَّلفية.

الرِّسالة الثالثة عشرة

(وُجُوب الاهتمام بمسائل التَّوحيد)

بَيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هَذِهِ الرِّسالة أنَّ التَّعريف الصَّحيح لتوحيد الاعتقاد الَّذي يجب أن يؤخذ به هو ما قاله السَّلف الأوَّل، والأئمَّة وأتباعهم من أهل السُّنَّة. وأمَّا سائر الطوائف الَّتي غلطت في مُسمَّىٰ التَّوحيد من أهل الكلام والتَّصوُّف، فإنَّه يجب البُعْد عنها، لما فيه من التَّخبُّط والاضطراب والخطأ. وقَدْ وَضَّح رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئًا مختصرًا من مَقَالاتهم في تعريف التَّوحيد.

هذا وقَدْ نقلت في الحاشية مقالات الطَّوائف في مُسمَّىٰ التَّوحيد من كتاب «مدارج السالكين» للإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الرِّسالة الرَّابعة عشرة

(وُجُوب تعظيم التَوحيد والتَحذير من الغفلة عنه)

نصيحة كتبها الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوصي بها بالتَّوحيد ووُجُوب معرفته وتعظيمه، والتَّحذير من الغفلة عنه، ووُجُوب معرفة شهادة أنَّ محمدًا ﷺ رسول الله، وما تَضمَّنته، وبَيَّن فيها أنَّه لا صلاح للعباد في معاشهم ومعادهم إلَّا بالعلم بالله، وما يجب له علىٰ عباده من دينه الَّذي ارتضاه لهم، فالقيامُ به صلاح الدُّنيا والآخرة، وفي الغفلة عنه زوالُ النِّعم وحُلُول النِّقم.

كما يُوجِّه الشَّيخ فيها إلىٰ أنَّه يلزم الاهتمام برسائل شيخ الإسلام وتدريسها، ككتاب التَّوحيد، والثَّلاثة الأُصُول، والأربع القواعد. كما بَيَّنَ أنَّه يلزم تَفقُّد النَّاس في المساجد حتَّىٰ يعرف من يَتخلَّف عن الصَّلاة وتهاون بها، مبينًا أهميَّة الصَّلاة ووجوب تعظيمها.

الرِّسالة الخامسة عشرة

(رسالة في بيان أصول الاعتقاد والصَّلاة)

تكلَّم الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هَذِهِ الرِّسالة بصيغة السُّؤال والجواب عن الرَّبِّ والدِّين والنَّبيِّ، والبعث بعد اليوم، وهي من أصول الاعتقاد. وتكلَّم أيضًا باختصارٍ عن الصَّلاة وفضلها، وبيان شروطها وأركانها وواجباتها.

وقد نقلت في الحاشية تعليقات ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هَذِهِ الرِّسالة المختصرة لشمولها وأقدمها.

الرِّسالة السَّادسة عشرة
(فضل العلم في تحقيق التَّوحيد والمتابعة)

وهَذِهِ الرِّسالة هي فائدةٌ نقلها الشَّيخ من كتاب «دار السَّعادة»، الوجه الرَّابع والثَّلاثون بعد المئة منه، ثمَّ أرسلها إلىٰ ابنه الشَّيخ عبد اللَّطيف قائلًا: هذا الوجه من أنفع ما رأيت في تحقيق المتابعة، فأنت اقرأه علىٰ الإمام، فيا سعادة مَنْ عقله، وصار علىٰ بالِهِ.

وهَذَا الوجه الَّذي ذكره ابن القيِّم هو من ضمن وُجُوه الأصل الأول في العلم وفضله، وشرفه، وبيان عُمُوم الحاجة إليه، وتوقُّف كمال العبد ونجاته في معاشه ومعاده عليه.

الرِّسالة السَّابعة عشرة
(فضل لا إله إلَّا اللّه ومتى يحرم دم ومال قائلها)

وقد تكلَّم الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن فضل كلمة التَّوحيد، وأنَّها كلمة الإخلاص،

وكلمة التَّقوىٰ والعروة الوثقىٰ، وبَيَّنَ معناها وما تَتضمَّنه وتقتضيه، وما تدلُّ عليه مطابقةً من إخلاص العبادة بجميع أفرادها لله تعالىٰ، ونفي كلِّ معبودٍ سواه، وأنَّ مَنْ تحقَّق بمدلول هَذِهِ الكلمة العظيمة، من إخلاص العبادة لله تعالىٰ، والبراءة من عبادة ما سواه بالجنان والأركان، وعمل بما اقتضته من فَرَائض الإسلام والإيمان، كان معصوم الدَّم والمال، ومَنْ لا فلا. واستدلَّ بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥]، فدلَّت هَذِهِ الآية الكريمة علىٰ أنَّ عصمة الدَّم والمال لا تحصل بدون هَذِهِ الثَّلاث، لتَرتُّبها عليه تَرتُّب الجزاء علىٰ الشَّرط.

الرِّسالة الثامنة عشرة
(استقامة أهل الإيمان والسُنَّة وحيرة أهل الكلام والبدعة)

هَذِهِ الرِّسالة في الأصل إجابة عن سؤال عن لفظةٍ يستعملها بعض الخطباء، وهي قولهم: «الحمد لله الَّذي تَحيَّرت العقول في مبدأ أنواره، وتاهت الألباب في صمديَّته، وكنه ذاته»، فأجاب الشَّيخ أنَّ هذا من بدع أهل الكلام، وأنَّهم هم الَّذين تاهوا وتَحيَّروا في الإيمان الَّذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب.

إلَّا أنَّ الشَّيخ استطرد كعادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما يراه مناسبًا للجواب، والقارئ، فتكلَّم عن طريقة أهل السنة والقرآن، وطريقة أهل الجدل والكلام، مبينًا كلًّا منهما.

فطريقة القرآن حمد الله لنفسه بأسمائِهِ وصفاتِهِ، وما يُعْرف به، ويوجب

الإيمان به، ومعرفته وإثبات رُبُوبيَّته، وصفات كمالِهِ.

وهَذِهِ الطَّريقة، والَّتي هي اتِّباع القرآن وتَدبُّره والعمل به، يَحْصل به كما الإيمان، وتنتفي الحيرة، ويَحْصل كمال الهداية، ويعصم القُلُوب أن تتيه في ربِّها وصفاته. وأمَّا طريقة المُتكلِّمين، والَّتي هي تقديم العقل والفلسفة والرَّأي علىٰ النَّقل، فقَدْ أوصلتهم للحيرة والتِّيه، وقد أثبت ذلك مُتقدِّموهم مما نقل إقرارهم بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتوىٰ الحموية»، وغيرها من رسائلِهِ.

الرِّسالة التَّاسعة عشرة
(التَوجيه الإعرابي الصَّحيح لكلمة لا إله إلَّا اللّه)

في هَذِهِ الرِّسالة ردَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ مَنْ أدخل لفظ الجلالة (وهو المستثنىٰ بإلَّا) في عموم المنفيِّ، وبَيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بطلان هذا من ثلاثة وجوهٍ:

الوجه الأوَّل: أنَّ النَّفي يناقض الإثبات، فاجتماعهما جمعٌ بَيْنَ النَّقيضين.

الوجه الثَّاني: من جهة الإعراب، وقَدْ فَصَّل ذلك في الرِّسالة.

الوَجْه الثَّالث: الاستدلال علىٰ ذلك من القرآن الكريم، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ -٢٨].

قال: «فأتىٰ بمعناها نفيًا وإثباتًا، فيجري في مدلولها ما جرىٰ في الدَّال»، هذا

وقَدْ بينت في الحاشية أنَّ مراد المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذا التَّحقيق هو الرَّدُّ علىٰ مَنْ أخطأ من النَّحويين في التوجيه الإعرابي لكلمة لا إله إلا الله، مُتَّبعين في ذلك الفلاسفة وأهل الكلام في إعراب كلمة التَّوحيد، وتقديرها، وتوجيهاتها. وأنَّ هَذِهِ التوجيهات يترتَّب عليها أمورٌ خطيرةٌ، منها نفي الآلهة الباطلة، وهذا يُنَافِي الواقع. ومنها أنَّ ذلك يوهم أنَّ كلَّ معبود عُبِدَ في الوجود هو الله، وهَذِهِ عقيدة الحلوليَّة، والقول بوحدة الوجود.

وقَدْ نقلت كلام ابن أبي العز الحنفي وسماحة الشَّيخ عبد العزيز بن باز في هَذِهِ المسألة.

الرِّسالة العشرون
(أسئلة عن بعض أمور ابتدعها الناس)

وهَذِهِ الرِّسالة إجابة عن أُمُورٍ ابتدعها النَّاس، تُخَالف هدي النَّبيِّ صلىٰ الله عليه سلم، وخلفائه الرَّاشدين، وقد فَنَّدها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة، وهَذِهِ الأمور:

١- تخصيص يوم المولد بالذَّبح.

٢- تخصيص يوم السَّابع والعشرين من رجب بالصَّوم والنَّحر.

٣- ما يفعل في ليلة النِّصف من شعبان من النَّحر وصيام اليوم.

٤- ما يخصُّ به يوم عاشوراء من النَّحر.

٥- حكم الأكل ممَّا يخصُّ به يوم عاشوراء من نحرٍ، وإعدادِ طعامٍ.

٦- ما الواجب علىٰ الأمراء والعلماء تجاه ذلك؟

وقَدْ بَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر الرِّسالة الحكم علىٰ الحديث الوارد في التَّوسعة علىٰ العيال ممَّا ذكره شيخ الإسلام، والَّذي نقلت نصَّه في الحاشية من «الفتاوىٰ» (٢٥/ ٣٠٠-٣١٠).

الرِّسالة الحادية والعشرون

(حكم قول «وهو القادر على ما يشاء»)

تكلَّم في هَذِهِ الرِّسالة عن قول البعض في المكاتبات والبعض في الخطب: «وهو القادر علىٰ ما يشاء»، حيث بَيَّنَ أن هَذِهِ الكلمة يقصد بها أهل البدع شرًّا، وهو أنَّ القدرة لا تتعلَّق إلا بما تَعلَّقت به المشيئة. فردَّ الشَّيخ علىٰ ذلك، وأنَّ القدرةَ شاملةٌ كاملةٌ، وأنَّها هي والعلم صفتان شاملتان يتعلَّقان بالموجودات والمعدومات.

وقد نقلتُ في الحاشية ما يُؤيِّد قوله رَحِمَهُ اللَّهُ ويزيده توضيحًا من كلام العلماء؛ كابن تيمية، وابن أبي العزِّ في «شرح الطحاوية»، وابن مانع في تعليقه علىٰ «الطحاوية».

الرِّسالة الثانية والعشرون
(وجوب تعلم لا إله إلَّا اللّه، والعمل بشروطها)

بَيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هَذِهِ الرِّسالة أنَّه لا بدَّ للمسلم من معرفة معنىٰ «لا إله إلَّا الله»، ومعرفة شُرُوطها السَّبعة ليُوَافق القلب اللِّسان علمًا، وعملًا، واعتقادًا، وقبولًا، ومحبةً، وانقيادًا. ثمَّ بَيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ وجه الاختصار هَذِهِ الشُّروط.

وهَذِهِ الرِّسالة علىٰ صغرها تُبيِّن اهتمام الإمام عبد الرَّحمن بن حسن بمسائل التَّوحيد، وتنبيه النَّاس علىٰ ما يقع فيه من خللٍ ونقصٍ، ومراسلة النَّاس علىٰ ذلك، وكل ذلك يدلُّ علىٰ عظم التَّوحيد، وتعظيم العلماء له، وتعظيم جانب النَّصيحة، ومن أعظمها جانب التَّوحيد ومسائله، وهذا هو سبيل النَّبيِّ ﷺ، فإنَّ حياته ﷺ كلها قَضَاها وهو يدعو إلىٰ التَّوحيد، ويُنبِّه علىٰ ما يقع فيه من نقصٍ في أصله، أو كماله حتَّىٰ لقي ربَّه، وهذا تحقيقٌ لأمر الله تعالىٰ له، حيث قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

ولأهميَّة معرفة هَذِهِ الشُّروط ختم الشَّيخ رسالته بقوله: «فمَنْ تحقَّق ما ذكرته وقع منه موقعًا صرف الهمَّة إلىٰ تعلُّم معنىٰ «لا إله إلَّا الله»، وصار علىٰ بصيرةٍ من دينه، وفرقانٍ، ونورٍ، وهدىً، واستقامةٍ»، وهَذِهِ الشُّروط قد فَصَّلها بأدلَّتها الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرِّسالة السَّابعة والعشرين.

الرِّسالة الثالثة والعشرون
(التوجيه الإعرابي لقوله ﷺ «ولا إله غيرك»)

بَيَّنَ فيها الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنىٰ ما ورد في دعاء الاستفتاح: «**ولا إله غيره**»، والتوجيه الإعرابي، وأنَّها توافق «لا إله إلَّا الله»، والمقدَّر فيها: «لا إله حق إلَّا الله». وقَدْ تقدَّم في الرِّسالة التَّاسعة عشرة.

الرِّسالة الرابعة والعشرون
(مذهب أهل السُنَّة والجماعة في كلام الله)

بَيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ وجه الاختصار عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في صفة كلام الله، وأنَّ السَّلف والأَئمَّة يُثْبتون ذلك علىٰ ما يليق بجلال الله، وجميع ما وصف الله به نفسه، ووَصَفه به رسوله ﷺ يثبتونه، إثباتًا بلا تأويلٍ، وتنزيهًا بلا تعطيلٍ، فلا ينفون ما أثبته، ولا يثبتون ما نفاه. وردَّ علىٰ الكرامية المخالف قولهم لقول أهل السُّنَّة.

وقد كتبت في الحاشية التَّعريف التَّفصيلي لمعتقد أهل السُّنَّة في صفة كلام الله، ونقلت ما كتبه ابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العز، وحافظ حكمي علىٰ وجه الاختصار.

الرِّسالة الخامسة والعشرون
(شرح شروط «لا إله إلَّا الله»)

في هَذِهِ الرِّسالة أورد الشَّيخ شروط «لا إله إلَّا الله»، وقام بشرحها مستدلًّا لكلِّ شرطٍ بأدلَّةٍ من القرآن والسُّنَّة، وقَدْ توسَّع الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا في الشَّرح والاستدلال بعكس ما كان في الرِّسالة الثَّانية والعشرين، فقد أوردها إجمالًا.

وخَتَم الشرح مبينًا أهميَّة هَذِهِ الشُّروط حيث قال:

«فالصَّادق: يعرف معنىٰ هَذِهِ الكلمة، ويقبله، ويعمل بما تقتضيه، وما يلزم قائلها من واجبات الدِّين، فيصدق قلبه لسانه، فلا تصحُّ هَذِهِ الكلمة إلَّا إذا اجتمعت هَذِهِ الشُّروط، وبالله التوفيق».

هذا وقَدْ بينت في الحاشية أنَّ جمع هذه الشروط جمع استقرائيٌّ من أدلَّة الكتاب والسُّنَّة. وأوردت نظمًا للشَّيخ حافظ حكمي جمع فيه هَذِهِ الشُّروط السَّبعة.

الرِّسالة السادسة والعشرون
(حكم قول «أتوسل إليك بصفاتك الكاملة الَّتي لا يعلمها إلَّا أنت»)

في هَذِهِ الرِّسالة يردُّ الشَّيخ علىٰ عبارةٍ وردت عليه في رسالةٍ كتبها إليه أحد تلامذته يُهنِّيه بقدوم ابنه الشَّيخ عبد اللَّطيف، يتوسَّل إلىٰ الله في دعائه بقوله:

«وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة الَّتي لا يعلمها إلَّا أنت».

فبَيَّن الشَّيخ أنَّ الَّذي لا يعلمها إلَّا هو كيفيَّة الصِّفة، وأمَّا الصِّفة ومعناها فيعلمها أهل العلم بالله. واستدلَّ رَحِمَهُ اللهُ علىٰ ذلك بقول مالكٍ الَّذي صار قاعدةً وأصلًا يُرْجع إليه في جميع صفات الله تعالىٰ.

وهذا يدلُّ علىٰ نَباهَة الشَّيخ ودِقَّتِهِ وملاحظته للألفاظ المخالفة، وما يَترتَّب عليها في عقيدة المسلم.

الرِّسالة السابعة والعشرون
(حكم البلدة الَّتي بها وثنٌ يُدْعى من دون الله)

وقَدْ بَيَّن الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ في هذا الجواب أنَّه لا ينبغي الجزم بأنَّها بلدة كفر، أو بلدة إسلام، لاحتمال أن يكون في البلد جماعةٌ علىٰ الإسلام مظهرين ذلك.

ونقل فتوىٰ الشَّيخ عبد الله أبا بطين رَحِمَهُ اللهُ في البلدة الَّتي كلُّ أهلها يهود أو نصارىٰ، أنَّهم إذا بذلوا الجزية صارت بلادهم بلاد إسلام، وتُسمَّىٰ دار إسلام، فبالأَوْلَىٰ أنَّ البلاد الَّتي فيها مَشَاهد الشِّرك، والشِّرك فيها ظاهر، وأهلها يشهدون «لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله»، مع عدم القيام بحقيقتها، ويُؤذِّنون، ويصلُّون الجمعة والجماعة مع التقصير في ذلك، أنَّها تُسمَّىٰ بلاد إسلام، مع وُجُوب مقاتلتهم لإزالة مَشَاهد الشِّرك، والإقرار بالتَّوحيد والعمل به.

الرِّسالة الثامنة والعشرون

(الخوارج ومذهبهم في التَّكفير بالمعاصي)

بَيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هَذِهِ الرِّسالة عقيدة الخَوَارج في صاحب الكبيرة بأنَّهم يكفرون أهل الإيمان بارتكاب الذُّنُوب. وبَيَّنَ أيضًا متىٰ كان خُرُوجهم، كما بَيَّنَ معتقد أهل السُّنَّة في هَذِهِ المسألة، أنَّه لا يكفر إلَّا مَنْ فعل مكفرًا دلَّ الكتاب والسُّنَّة علىٰ أنَّه كفرٌ، أو مَنْ جحد وُجُوب ما هو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة، أو استحلَّ ما هو معروفٌ بالضرورة تحريمه.

كما بَيَّن -باختصار- خلاف العلماء فيمَنْ ترك الصلاة تهاونًا وكسلًا. وقد نقلت في الحاشية كلام الآجري والشَّاطبي في الخوارج وصفاتهم، وأنَّهم ينطلقون إلىٰ آياتٍ أنزلت في أهل الكتاب، فيجعلونها علىٰ المؤمنين.

وعَلَّقت -مضيفًا- أنَّ هَذِهِ الطَّرائق الَّتي يسلكها الخوارج من التَّكفير وقتل المخالف هي ما زالت عند وُرَّاثهم إلىٰ اليوم، إلَّا أنَّ وُرَّاثهم زادوا عليهم بخصال، منها الكذب، والفجور، وسلوك أبشع السبل في القتل والتدمير، وهلاك الحرث والنسل، وإزهاق الأنفس البرية.

الرِّسالة التاسعة والعشرون
(رسالة في معنى الطاغوت ومعنى العبادة)

وهَذِهِ الرِّسالة رسالة عظيمةٌ وَضَّحت أهميَّة ووجوب التَّحاكم إلىٰ شريعة الله، وأنَّ هذا من واجبات الإيمان، كما بَيَّنَ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ خطورة تَرْك التَّحاكم إلىٰ شرع الله ممَّا يُفْسد علىٰ الخلق معاشهم ودنياهم وآخرتهم. كذلك وَضَّح فيها حكم التَّحاكم إلىٰ غير شرع الله، ومتىٰ يكون كفرًا عقديًّا مخرجًا من الملَّة، ومتىٰ يكون كفرًا عمليًّا، هو كفرٌ دون كفرٍ.

ومسألة الحكم بغير ما أنزل الله ممَّا حدث فيها الكلام الكثير قديمًا وحديثًا، وقَدْ فصَّل فيها علماء أهل السُّنَّة، وبَيَّنوا الفرقَ بَيْنَ مَنْ حكم بغير ما أنزل الله معتقدًا وجوب التَّحاكم إلىٰ ما أنزل الله، وعدُّوا ذلك من الكفر العمليِّ الَّذي هو كفرٌ دون كفرٍ، وبَيَّنَ من يعتقد عدمَ وُجُوب ذلك، أو جواز التَّحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله واستحلاله، أو مُسَاواة حكم غير ما أنزل الله بحكم ما أنزل الله، أو أفضليَّة حكم غير حكم الله علىٰ حكم الله، فإنَّهم عَدُّوا ذلك من الكفر الاعتقاديِّ الَّذي هو مخرجٌ من الملَّة.

وهَذِهِ الرِّسالة قد فصَّل فيها الشَّيخ هَذِهِ المسألة تفصيلًا بينًا واضحًا متبعًا فيه منهج أهل السُّنَّة والجماعة، فجزاه الله خيرًا، ورحمه، وأسكنه فسيح جناته.

الرِّسالة الثلاثون

(تعليق على ملخص أبيات من النونية)

في هَذِهِ الرِّسالة اختار الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن أبياتٍ متفرقةً من قصيدة ابن القيم الجوزيَّة « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » المعروفة بـ « نونية ابن القيم »، وعلَّق عليها تعليقًا مختصرًا نافعًا، والأبيات المختارة ستة وعشرون بيتًا تتحدَّث عن العلم وفضله وأقسامه، وعن التَّوحيد، وتَحْقيق العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، وأنواع العبادة.

الرِّسالة الحادية والثلاثون

(رسالة مناصحة للإمام فيصل بن تركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ)

هَذِهِ رسالة مناصحة كَتبَها الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ للإمام فيصل بن تركي يرحمه الله، حيث قال: «الواجب علينا التَّناصح في دين الله، والتَّذكير بنعم الله وأيَّامه، فإنَّ في ذلك من المصالح الخاصَّة والعامَّة ما لا يحيط به إلَّا الله»، وقد أرشده فيها إلىٰ عدَّة أمورٍ، وذلك مثل:

- الاهتمام بالتَّوحيد، وإرسال الدُّعاة إلىٰ الناس لتعليمهم ذلك.
- خطورة الشِّرك والعقائد الفاسدة علىٰ النَّاس.
- أنَّ التَّوحيد من أسباب تمكين الدَّولة.
- ذكره بما آل إليه أمر الدَّولة العبَّاسيَّة لما انتشر فيهم البدع والعقائد

الفاسدة والفرق المبتدعة المخالفة والشِّرك.

- بيان خُطُورة الذُّنُوب في حُصُول المصائب والابتلاءات والمحن.
- خطورة التَّغافل والتَّساهل عن تنبيه النَّاس عن ذلك.
- تذكيره بأَنَّ من واجبات الإمام العظام دعوة النَّاس للتَّوحيد، وعدم إهماله له، وأنَّ ذلك داخلٌ في قوله عليه السلام: «**كُلُّكمْ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّته**».
- وُجُوب الاهتمام بالصَّلاة، والنَّظر في حال الناس في صلاتهم.
- وُجُوب الاهتمام بالزَّكاة، وإرسال العُمَّال لتَحْصيلها علىٰ الوجه الشَّرعيِّ.
- تَفقُّد النَّاس عن الوُقُوع فيما نَهَىٰ الله عنه ورسولُهُ من الفواحش، ومُخَالطة الرِّجال للنِّساء، وكف النِّساء عن الخروج إلَّا للضَّرورة والحاجة، وغير ذلك من المنكرات.
- وختم الرِّسالة بوجوب الاهتمام بالعلم، حيث قال:

«وكذلك يجب علىٰ الإمام النَّظر في العلم، وتَرْغيب الناس في طلبه، وإعانة من تَصدَّىٰ للطلب، لقلَّة العلم وكثرة الجهل، وإن كان قَدْ قام ببعض الواجب، فينبغي له أن يهتمَّ بهذا الأمر، لفضيلة العلم، وكثرة ثواب مَنْ قام به وأعان عليه»، إلىٰ غير ذلك من الوصايا.

فهي رسالةٌ قيمةٌ عظيمةٌ، تدل علىٰ اهتمام العلماء بمناصحة الولاة والأئمَّة، وتدلُّ علىٰ مكانة الشَّيخ في الدَّولة، وأنَّه رجلُ أُمَّةٍ ودولةٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ رحمةً واسعةً، وأجزل له المثوبة، فما أشبهه بالمُتقدِّمين من السَّلف الصَّالحين.

الرِّسالة الثانية والثلاثون

(وجوب معرفة الشِّرك والبراءة من أهله)

هَذِهِ الرِّسالة كتبها الشَّيخ بمشاركة مع الشَّيخ عليِّ بن حسين بن مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، والشَّيخ إبراهيم بن سيف رحمهم الله، في بيان حقيقة التَّوحيد، وحقيقة الشِّرك. وسرد الأدلَّة من القرآن في بيان ذلك، وبيان حقيقة الإسلام، وهو الانقياد لله بالتَّوحيد، والخضوع والإذعان له بالرُّبُوبية والإلهيَّة دون كلِّ ما سواه.

كما بَيَّنوا أنَّ حقيقة التَّوحيد البراءة من الشِّرك والمشركين، ثمَّ بَيَّنوا ما عليه بعض مدَّعي العلم، ممَّن لم يَفْهموا حقيقة الولاء والبراء، والحب في الله والبغض فيه، وذلك في مُجَالستهم أهل الشِّرك، ومُخَالطتهم لهم، ومناكحتهم، فهؤلاء في الحقيقة لم يعرفوا ما بعث الله به رسوله من توحيده.

الرِّسالة الثالثة والثلاثون

(رسالة إلى الإمام فيصل بتذكيره بحال أعمامه وجدِّه، وكيف أعزَّ الله بهم دينه، وبيان الواجب عليه)

في هَذِهِ الرِّسالة يذَكِّر الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإمام فيصل بن تركي كيف أعزَّ الله هَذِهِ الأسرة، وملَّكها الجزيرة بسبب دعوة التَّوحيد الَّتي قام بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوَهَّاب، وسانده الإمام مُحمَّد بن سعود في انتشارها، وجهاد مَنْ عَادَاها.

وكيف نَصَرهم الله علىٰ أعدائهم مع قلَّة مالٍ وعددٍ؛ لأنَّ مقصودهم نصرة التَّوحيد، فأَيَّدهم الله بدينه، وكان كلُّ عدوٍّ يقصدهم يكسره الله.

ثمَّ ذكر شيئًا من سيرتهم في بعث الدُّعاة إلىٰ الله إلىٰ البلدان والقرىٰ يُعلِّمونهم دينهم، ويسألونهم عن ثلاثة الأُصُول والقواعد الأربعة. كما يذكر شيئًا من مجالس العلم، وما يقرأ فيها عند شيخ الإسلام، وكيف كان الأئمَّة يجالسون الشَّيخ في سماع العلم.

ثمَّ يذكره كيف حصلت المصيبة بسقوط الدرعية بسبب الغفلة، والإعراض، والإقبال علىٰ الدُّنيا، ثمَّ بعد ذلك عادت الأمور، وأصبحت زمام الأمور بيد الإمام فيصل بن تركي بعد والدِهِ الإمام تركي.

فيذكِّره بوُجُوب العمل للدِّين قائلًا في آخر هَذِهِ الرِّسالة:

«جَدِّد هذا الدِّين الَّذي اخْلَوْلق، لما أقدرك الله علىٰ ذلك، والتمس من أهل الخير عددًا يدعو إلىٰ هذا الدِّين، ويذكرونه النَّاس، ويُعلِّمونه الجاهل والغافل».

فهذ الرِّسالة رسالةٌ عظيمةٌ من رجلٍ ناصحٍ، وإمامٍ مجاهدٍ، وعالمٍ ربانيٍّ، جديرة بالاهتمام بها، ونشرها بين الناس، الخاصَّة والعامَّة.

الرِّسالة الرَّابعة والثلاثون

(رسالة إلى علماءِ المسلمين في بيانٍ موجزٍ لتاريخ قيام دعوة التَوحيد والدَّولة السعودية)

هَذِهِ الرِّسالة كتبها الشَّيخ بمشاركة الإمام عبد الله بن فيصل، وابنه عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن، وهي رسالةٌ عظيمةٌ جمعت بين الوعظ والتذكير، وذكر ما كان عليه النَّاس في نجد، وكيف أصبحت بعد قيام الدَّولة السَّعودية، وتذكير النَّاس بفضل هَذِهِ الدعوة، وما مَنَّ الله به عليهم من قيام شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب بدعوة التَّوحيد، ونبذ الشِّرك، ومناصرة الإمام مُحمَّد بن سعودٍ له، وما لَاقَاه من تكالب النَّاس عليه من كلِّ حدبٍ وصوبٍ حتَّىٰ نصره الله عَزَّ وَجَلَّ بدعوة التَّوحيد مع قلة عُدَدٍ وعددٍ.

وأنَّ هَذِهِ الحال الَّتي مرَّ بها محمد بن سعود، وشيخ الإسلام هي حالٌ قريبٌ من حال بدء الدعوة النبويَّة. مع بيان ما كانت عليه نجد والجزيرة من الشرك، وعبادة ما سوىٰ الله.

وشملت الرِّسالة تذكير النَّاس وخاصَّةً العلماء والأمراء بهَذِهِ النِّعمة، وعدم الغفلة والإعراض عمَّا افترضه الله عليهم، والإقبال علىٰ التَّوحيد، وطاعة الله، وتحقيق الولاء له.

الرِّسالة الخامسة والثلاثون
(الوصيَّة بالتَوحيد والعلم)

وهي كذلك رسالة له بمشاركة الإمام فيصل بن تركي، والشَّيخ علي بن حسين، يوصون فيها بالتَّقوىٰ، وأنَّ أعظمها اتِّقاء الشِّرك، وتحقيق التَّوحيد، وشهادة أن لا إله إلَّا الله، وما دَلَّتْ عليه من الإخلاص له وحده، وإخلاص المحبَّة لله، وما يقتضي ذلك من الحبِّ في الله، والمعاداة والموالاة فيه، وبيان أهميَّة صرف الهمم إلىٰ العلم النَّافع، والعمل الصَّالح.

الرِّسالة السَّادسة والثلاثون
(نصيحة لوليِّ الأمر بالحرص على إقامة الدين)

هَذِهِ رسالةٌ من الشَّيخ إلىٰ الإمام فيصل بن تركي يذكره بما أنعم الله علىٰ نجد بدين الإسلام الَّذي هو توحيد الله، واجتناب الشِّرك، وأنَّ الواجب شكر الله تعالىٰ عليها، وعدم التَّفريط والتَّهاون بها، وأنَّ من الشكر التحدُّث بها، والعمل بموجبها، وبيان ذمِّ الله في كتابه أهل الغفلة والإعراض. وأنَّ الواجب نصح المسلمين، وتذكيرهم بما أنعم الله عليهم من الدِّين، ووُجُوب تعليمهم ما يجب عليهم تعلُّمه ممَّا فيه صلاحهم، وفلاحهم، ونجاحهم، وسعادتهم، ونجاتهم، من شُرُور الدُّنيا والآخرة.

كما تَتضمَّن الوصيَّة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهمية

ذلك وفضله، وخطورة تركه. كما تَتضمَّن الوصية بما يدفع الله به العقوبات، ويزيد به الحسنات وهي الصَّدقة علىٰ الفقراء والمساكين، إلىٰ غير ذلك من الوصايا المهمَّة، والَّتي ضمنها أدلةً من كلام الله تعالىٰ، وكلام رسوله ﷺ وآثار السَّلف.

الرِّسالة السَّابعة والثلاثون
(حاجة العامَّة والخاصَّة إلى العلم ومجالسة أهله)

وهَذِهِ رسالةٌ أخرىٰ للإمام فيصل، يذكره فيها بحاجته الماسَّة للعلم، وتقريب أهله من الناصحين، الآمرين بالمعروف والنَّاهين عن المنكر، الَّذين هم إخوانُ صدقٍ، يذكرونه إذا نسي، ويُعينونه إذا ذكر، وبَيَّنَ أنَّ هؤلاء هم الَّذين أمر الله بالصَّبر معهم.

كما بَيَّنَ أنَّ العلم وأهله واتِّخاذهم أولياء هو سبب الفلاح، والغلبة، والنَّصر.

الرِّسالة الثامنة والثلاثون

(رسالة إلى فيصل بن تركي في وجوب تقريب أهل العلم والصِّدق، وإبعاد أهل النِّفاق والخيانة والظلم)

وهَذِهِ الرِّسالة للإمام فيصل يذكره فيها الشَّيخ بما ابتلىٰ الله به أهل نجد ممَّا حصل من فتنة خُرُوج خالد بن سعود عام ١٢٥٣ عندما دخلت قوات محمد علي باشا، وما حصل في ذلك من الابتلاء والتَّمحيص، وتَمْييز الطَّيِّب من الخبيث.

كما يُحذِّره من المنافقين وأشباههم، وأنَّ عليه أن يقرب أهل العلم والحق، فإنَّ في قربهم نصرًا للعبد وتأييدًا، حيث ذكَّره بقوله له رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فعليك بقرب مَنْ إذا قرَّبتهم قرَّبك الله وأحبَّك، وإذا نصرتهم نَصَرك الله وأيَّدك، واحذر أهل الباطل الَّذين إذا قرَّبتهم أبعدك الله، وأوجب لك سخطه».

كما أَوْصَاه بالقيام بالدِّين، والحذر من سَيِّئات الأعمال، فإنَّ العبد ما يأتيه ما يكره إلَّا من شرور نفسِهِ، وسَيِّئات أعماله.

فهَذِهِ الرِّسالة رسالةٌ عظيمةٌ، وهي من الرَّسائل المهمة الَّتي كتبها الشَّيخ عبد الرَّحمن للأئمَّة. وفيها التَّنبيه إلىٰ خطورة بطانة الحاكم، فإنَّ البطانة إذا كانت صالحةً، صلح بها الحاكم، وكانت عونًا له علىٰ ما يرضي الله، وإذا كانت فاسدةً دَلَّته علىٰ الشُّرور وعلىٰ ما فيه سخط الله.

وقد نبَّه النَّبيُّ ﷺ علىٰ ذلك حيث قال: «**ما من والٍ إلَّا وله بطانتان، بطانةٌ تأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وبطانةٌ لا تألوه خبالًا، فمن وُقِيَ شرَّها فقد**

وُقِيَ، وهو من الَّتي تَغْلب عليه منهما»(١).

الرِّسالة التَّاسعة والثلاثون
(حقيقة التَّوحيد ووجوب معرفته)

يبين الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هَذِهِ الرِّسالة أنَّ الأشاعرة خالفوا في مسائل ثلاث:

١- تأويل الصِّفات، وحاصلها سَلْب صفات الكمال عن ذي الجلال.

٢- أخذوا ببدعة ابن كلاب في كلام الرَّبِّ تعالىٰ وتَقدَّس.

٣- لَمْ يعرفوا من تفسير «لا إله إلَّا الله» إلَّا أنه القادر علىٰ الاختراع.

وبَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه يجب معرفة معنىٰ كلمة التَّوحيد وتعظيمها، وبَيَّنَ فيها أنَّ بعض علماء الأحساء ما عادوا شيخ الإسلام في مبدأ دعوته إلَّا من أجل دعوة التَّوحيد.

---

(١) رواه النسائي (٢/ ١٨٦)، وأحمد (٢/ ٢٣٧و٣٨٩) من حديث أبي هريرة، وصَحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٣٤١).

الرِّسالة الأربعون
(سبيل العزِّ والتمكين في الأرض)

هَذِهِ الرِّسالة كتبها الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ إلىٰ الإمام عبد الله بن فيصل لما رأىٰ من الغفلة عن التَّوحيد، والإقبال علىٰ الدُّنيا، وأنَّ ذلك من أسباب ضعف الدَّولة. ويذكره بما كان آباؤه وأجداده وأعمامه عليه، وأنهم لمَّا نَصَروا الدِّين، وجعلوها خلافة نبوَّة، أعزَّهم الله، وكسر عدوَّهم قبل أن يصل إليهم، وذلك لأنَّهم قاموا علىٰ النَّاس بالقرآن، والعمل به. فتَحقَّق فيهم ما وَعَده الله بنصره لمَنْ حَقَّق أسبابه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

الرِّسالة الحادية والأربعون
(الآيات في التوحيد الَّذي دعت إليه كل الأنبياء)

ذكر الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ في هَذِهِ الرِّسالة بعضًا من الآيات الَّتي نَوَّع الله فيها البيان لمعنىٰ كلمة التَّوحيد، مثل البراءة من كلِّ ما يعبد من دون الله، والنِّداء لجميع الخلق بالاجتماع علىٰ عبادة الله، وأمر الله عباده بألَّا يُعْبد إلَّا هو، إلىٰ غير ذلك.
وهَذِهِ الأنواع الَّتي ذكرها الشَّيخ إنَّما هي علىٰ سبيل المثال لا الحصر.

وقَدْ وضح من خلالها التَّذكير بهَذِهِ النِّعمة العظيمة، نعمة ما منَّ الله به علىٰ أهل نجد بتوحيده، وترك عبادة ما سواه، وبَيَّنَ أَنَّ كثيرًا من النَّاس ما عرفوا قدرها، وهم في غفلةٍ وإعراضٍ عنها.

الرِّسالة الثانية والأربعون
(علم المنطق، وحكم الاشتغال به)

تكلَّم الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هَذِهِ الرِّسالة عن مسألتين:

المسألة الأولىٰ: حكم علم المنطق، حيث بَيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قد أفتىٰ بتحريمه كثير من المُحَقِّقين، وذلك لأُمُورٍ ثلاثةٍ:

الأول: أنَّه ليس من علوم الشَّريعة المحمديَّة، بل هو من علوم اليونان.

الثاني: أنَّ السَّلف لا يعرفون هذا العلم.

الثالث: أنَّ هذا العلم أحدثه الجهميَّة، لما أحدثوا في أسماء الله وصفاتِهِ ما أحدثوا من تحريفٍ أو إلحادٍ.

المسألة الثَّانية: أنواع التَّوحيد، وأنَّه ينقسم إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ.

الرِّسالة الثالثة والأربعون
(وجوب الاجتماع على من انعقدت له البيعة)

تكلَّم رَحِمَهُ اللَّهُ في هَذِهِ الرِّسالة عن موضوع الجماعة، وأنَّه لا تَحْصل الجماعة إلَّا بالسَّمع والطَّاعة لمَنْ ولَّاه الله أمر المسلمين، ثمَّ تكلم علىٰ ولاية الإمام عبد الله بن فيصل، وخُرُوج سعود بن فيصل عليه، ونقضه للبيعة، وأنَّه فارق للجماعة، ودعوته النَّاس لنقض البيعة، وأنَّه علىٰ هذا يجب قتالُهُ، وقتال مَنْ أعانه.

ثمَّ تكلَّم أنَّ هذا لا يعارضه حديث: «**إذا الْتقَىٰ المسلمان بسيفيهما، فالقاتلُ والمقتولُ في النَّار**»، ووضَّح الفرق بَيْنَ قتال البغي، وقتال العصبيَّة.

الرِّسالة الرَّابعة والأربعون
(أهميَّة العبوديَّة، والاستعانة بالله على تحقيقها)

وهَذِهِ الرِّسالة علىٰ اختصارها فهي مُهمَّةٌ، وذكر فيها رَحِمَهُ اللَّهُ مسائلَ عظيمةً تتعلَّق بأهميَّة التَّوحيد، وتحقيق العبادة، وحاجة العبد الماسَّة لها، وأهميَّة الاستعانة بالله في تحقيقها، وأهميَّة الدُّعاء في طلب الهداية. وبَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ سبيل الَّذين أنعم الله عليهم، وسبيل المغضوب عليهم، وسبيل الضَّالِّين، وكيف أنَّ الطَّائفتين (المغضوب عليهم، والضَّالين) اشتركتا في القول علىٰ الله في خلقِهِ وأمره، وأسمائه وصفاته بغير علمٍ، وأنَّ سبيل المنعم عليهم مغايرٌ لهما، علمًا وعملًا.

الرِّسالة الخامسة والأربعون
(نعمة الدَّعوة إلى التَّوحيد، ووجوب شكرها)

رسالة مختصرة كتبها الشَّيخ إلىٰ أحد طُلَّابه يحثُّه علىٰ الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد، ويذكره بهَٰذِهِ النعمة، حيث أقامه الله في ناحيةٍ أهلُها جهالٌ بالتَّوحيد، ما له عندهم قدرٌ ولا قيمةٌ، وجعله الله يدعوهم للتَّوحيد، ويحمل الناس عليه، فيذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويحثُّه علىٰ حمد الله وشكره، وأنَّ هذا من علامات القلب الحيِّ.

❊ ❊ ❊

الرِّسالة السَّادسة والأربعون
(وُجُوب جهاد أهل الفساد والانحراف في الدِّين)

في هذه الرسالة بيانُ نعمةِ الإسلام والاجتماع علىٰ ذلك، وجهاد مَنْ خرج عنه من أهل الفساد والانحراف، وأنَّ الله أَوْجَب جهادهم دفعًا لعنادهم وخُرُوجهم عن جماعة المسلمين، كما بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجوب السَّمع والطَّاعة لمَنْ ولَّاه الله أمرهم. كما بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ فضلَ الجهاد وثوابه.

❊ ❊ ❊

الرِّسالة السَّابعة والأربعون
(الوصيَّة بتقوى الله وبيان حقيقتها)

هَذِهِ الرِّسالة يوصي فيها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بتقوىٰ الله تَعَالىٰ، ويُعلِّق فيها علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]، إلىٰ قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران:١٠٥]، وأورد آثارًا عن السلف في بيان معنىٰ التَّقوىٰ، وتكلَّم فيها عن الجماعة وأهميَّتها، والتَّحذير من الافتراق، وتَحدَّث عن أسباب الاجتماع، ومن أَعْظَمها الاعتصام بكتابِهِ ودينه، علمًا وعملًا، وحَذَّر من الاختلاف، ومن أكبر أسبابه الإعراض عن كتاب الله، وما بعث الله به رسوله من الهدىٰ والعلم.

الرِّسالة الثامنة والأربعون
(التَنبيه على أمورٍ وقع فيها الخلل بسبب الإقبال على الدُّنيا، والإعراض عن الآخرة)

يتحدَّث فيها الشَّيخ عن أُمُورٍ وقع فيها الخلل بسبب الإقبال علىٰ الدُّنيا، والإعراض عن الآخرة، منها التَّهاون بالصَّلاة، وبَيَّنَ حكم تركها، أو التهاون في أدائها جماعةً. ومنها ترك صلاة الجُمُعة، وبيان حكم ذلك، وبَيَّنَ أنَّ الواجب علىٰ الأُمَراء ونُوَّابهم القيام بما أمر الله في ذلك، وأنَّ الخطر إذا تركوا القيام بما

أَوْجَبَ الله عليهم من القيام بأمر الله علىٰ الدَّاني والقاصي، والقريب والبعيد، والعدو والصَّديق.

الرِّسالة التَّاسعة والأربعون
(الوصيَّة بتدبُّر كتاب الله، ودلائل التَّوحيد)

وهَذِهِ الرِّسالة رسالةٌ عظيمةٌ في إشاراتها علىٰ أهميَّة تَدبُّر كتاب الله وآياتِهِ الشَّرعيَّة والكونيَّة الَّتي بَيَّنها الله في كتابه، وخاصَّةً دلائل التَّوحيد الثَّلاثة؛ الرُّبُوبيَّة، والأُلُوهيَّة، وأسماء الله الحسنىٰ وصفاته العُلَىٰ. والتَّفكُّر في مدلولات ذلك، وما يناقضه وينافيه، فإنَّ الخطرَ في ذلك جسيمٌ، والتَّحذير من خطر الجهل بنوعيه.

الرِّسالة الخمسون
(الوصيَّة بالصِّدق مع الله، وتعلُّم العلم)

وهَذِهِ الرِّسالة جاءت ردًّا علىٰ رسالةٍ جاءت للشيخ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث يُنوِّه الشَّيخ فيها علىٰ نعمة التَّوحيد، ووجوب حفظها بالشُّكر لله عَزَّ وَجَلَّ وحمده، لأنَّ في ذلك بقاءً لها، وأنَّ الإعراض عن التَّوحيد، وعن تعلُّمه

وتعليمه ونشره بين النَّاس ما ينافي شكر هَذِهِ النعمة، وسببٌ لنقصانها.

كما يُنوِّه علىٰ أهميَّة وجود طائفةٍ من أهل الإيمان والتَّوحيد والاتباع يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ونوَّه أيضًا علىٰ أهميَّة العلم في دفع الشُّبهات.

الرِّسالة الحادية والخمسون
(الوصايا الثلاث الَّتي لا يتمُّ الدِّين إلَّا بها)

تكلَّم الشَّيخ في هَذِهِ الرِّسالة عن ثلاث وصايا عظيمةٍ، وهي:

١- الوصيَّة بتقوىٰ الله.

٢- الوصيَّة بالتَّمسُّك بالإسلام، والمحافظة عليه إلىٰ الممات.

٣- الاعتصام بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ، والتَّمسُّك بها.

وبَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ هَذِهِ الثلاث الوصايا لا يتمُّ الدِّين إلَّا بها.

الرِّسالة الثانية والخمسون
(حال من اتَّبع هواه)

رسالةٌ مختصرةٌ يُوضِّح فيها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حال من اتَّبع هواه، وعميت

بصيرته، وفسدت سريرتُهُ، فإنَّه لا يَخْفىٰ حاله عند كلِّ مَنْ له بصيرةٌ، فإنَّه سَيتَّضح له مظاهر انحرافه وانجرافه وراء هوىٰ نفسِهِ. وبَيَّنَ الشَّيخ أنَّه كالأعمىٰ، الذي يَتَّبع قائده، ولا يرىٰ الأمر علىٰ ما هو عليه، فكان عدم التَّصوُّر من عدم البصيرة، وربَّما اعتقد النَّافع ضارًّا، وبالعكس.

المبحث الثالث
منهج المؤلف في الرسائل

إنَّ نشأة الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي نشأةٌ علميةٌ سلفيةٌ، وهَذِهِ بالتَّالي يكون لها عظيم الأثر علىٰ الإنسان في جميع شأن حياتِهِ ودينِهِ، ومنها حياته العلميَّة والدعويَّة، وكتاباته، فإنَّ المرء علىٰ أوَّل نشوئه ومشربه الَّذي يرتوي منه أوَّل حياته.

وهذا ما يظهر علىٰ كتابات الشَّيخ ومنهجه في كتاباتِهِ، ووصاياه، ورسائله، وذلك كالتَّالي:

أولًا: الالتزام بنُصُوص الكتاب والسُّنَّة، اتِّباعًا واستدلالًا.

ثانيًا: اتِّباع هَدْي الخلفاء الرَّاشدين، والصَّحابة، والسَّلف الصَّالحين، واستدلالٌ بآثارهم.

ثالثًا: الاهتمام بالتَّوحيد والعقيدة السَّلفيَّة، والمنافحة عنهما، فما يجد من مناسبةٍ إلَّا كتب عنها، ونَافَح عنها كما في الرسالة الأولىٰ في الرد علىٰ جهمي ألقىٰ شُبَهًا يَستعجز بها الناس.

رابعًا: التَّحذير من البدع والمقالات الفاسدة والشِّدَّة في ذلك المُوَافقة

للشَّرع والحكمة، مثل ما جاء في الرسالة الثامنة عشرة في بيان قول الخطيب: «الحمد لله الذي تحيرت العقول في مبدأ أنواره، وتاهت الألباب في صمديته». ومثل ما جاء في الرسالة العشرون لما سئل عما يخص به يوم المولود من النحر وما يفعل في السابع والعشرين من رجب، وليلة النصف من شعبان، ويوم عاشوراء وما يخص به من النحر وغيرها.

خامسًا: التَّحذير من الفِرَقِ ودُعَاتها، كالرسالة العاشرة في بيان الجهمية والرافضة والمعتزلة.

سادسًا: الانتباه لدَسَائس أهل البدع وكتاباتهم، وتلبيساتهم، والتَّنبيه عليها كما جاء في رسالته لابن بشر في حكم قول أهل البدع «وهو القادر علىٰ ما يشاء»، كما جاء في الرسالة الحادية والعشرين، ومثل تنبيهه علىٰ قول ابن بشر: «وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التي لا يعلمها إلا أنت»، كما جاءَ في الرسالة السادسة والعشرين.

سابعًا: تقديم النَّصيحة للخاصَّة والعامَّة؛ كرسائله للإمام تركي، والإمام فيصل، والإمام عبد الله.

ثامنًا: سُلُوكه مسلك السَّلف في التناصح، وخاصَّةً مع الأئمَّة، كما جاء في رسالته للإمام فيصل بن تركي حيث قال: «لا يخفاك أنَّ حقَّك عليَّ كبيرٌ، وأكبر منه حقُّ الله تعالىٰ عليَّ وعليك، ويجب عليَّ النصح...».

تاسعًا: سُلُوكه الاختصار في الرَّسائل والوَصَايا، واكتفاؤه بالمهمِّ من الأمور مع التَّنبيه علىٰ ذلك من الآيات القرآنيَّة، والأحاديث النَّبويَّة.

عاشرًا: أحيانًا يَتنزل في أسلوب كتابته إلىٰ مستوىٰ المخاطبة، في اختيار بعض الألفاظ العامية؛ لأن المقصد عنده فهم الخطاب والعمل به، وذلك مثل ما جاء في الرسالة الثالثة والثلاثين للإمام فيصل: (موجب الخط أبين لك ما أنت خابر من أمر دعوة الإسلام)، و(وأقدمك في المحبة علىٰ من مضىٰ، من حمولتك وحمولتي)، و(اشتد نكير الناس عليه، العامة والمطاوعة)، و(لما عرف عداوة الناس له، أرخص له عن البلد)، و(صار رحمة ونعمة عظيمة لكم يا حمولة)، و(فإذا أراد السفر استحلق أهل الدين من أهل البلد)، و(وجعلوا فيه رفًا للنساء،.... وفيه معاميل وقهوة وما نابها، مقيوم به من بيت المال)، و(وحدث ما حدث من البلاوي بالعدو، وذا شيء أنت خابره)، و(والأجنبي الذي يبغي يركب لديرته، يصغي للمذاكرة، عارف أن أهل ديرته يسألون: إيش درس الشيخ فيه؟).

ومثل أيضًا الرسالة الثانية والأربعين في بيان علم المنطق والعمل به حيث يقول: (واللي يبي يقبل علمنا هذا الذي منَّ الله به علينا... فهو أخونا، واللي يرىٰ غير ذلك فلا نحن بإخوان له).

حادي عشر: تعظيمه للقرآن الكريم، والوصيَّة البالغة والمستمرَّة بتَدبُّر آياتِهِ.

ثاني عشر: الإكثار من النَّقل عن الأئمَّة المُحقِّقين، وخاصَّةً شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم رحمهم الله، حيث اشتهرا بالتَّحقيق، واتِّباع السَّلف، وسعة الاطِّلاع علىٰ أقوالهم ومُؤلَّفاتهم.

ثالث عشر: غيرته في العقيدة السلفية في كتاباته ورسائله، وتوصيته بأهل

السنة، كما في الرسالة التاسعة والثلاثين لما بلغه تعيين أئمة أشاعرة في الأحساء، فكتب منكرًا ذلك مبينًا ما عند الأشاعرة من أخطاء، مادحًا عالم الأحساء الشيخ أحمد بن مشرف واصفًا له بأنه رجل سلفي.

المبحث الرابع
مصادر المؤلف

كَمَا أسلفنا في المبحث السَّابق أنَّ نشأة الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلميَّة أثَّرت في حياته تأثيرًا كبيرًا، من ذلك محبَّته للعلم، واقتناء الكُتُب، فلهذا كانت لديه من المراجع والمَصَادر الَّتي يعتمد عليها في الكتابة والتَّأليف كثيرة، يظهر ذلك من خلال رسائِلِهِ ومُؤلَّفاتِهِ، كما أنه استفاد كثيرًا لما كان في مصر من مصادر ومراجع في الأزهر وغيره.

أما المصادر التي اعتمد عليها في رسائله التي بين أيدينا فهي:

١- «السُّنَّة» لعبد الله بن أحمد.

٢- «التَّوحيد» لإمام الأئمَّة محمد بن خزيمة.

٣- «السُّنَّة» للأثرم.

٤- «الرَّدُّ علىٰ المريسي» لعثمان بن سعيد الدارمي.

٥- «السُّنَّة» للخلال.

٦- «العلوُّ» للذَّهبي.

٧- «تفسير ابن أبي حاتم».

٨- «تفسير الطبري».

٩- «تفسير القرطبي».

١٠- «تفسير ابن كثير».

١١- «صحيح البخاري».

١٢- «صحيح مسلم».

١٣- «سنن أبي داود».

١٤- «سنن الترمذي».

١٥- «سنن ابن ماجه».

١٦- «مسند الإمام أحمد».

١٧- «مسند أبي داود الطيالسي».

١٨- «السنن للبيهقي».

١٩- «المدخل» للبيهقي.

٢٠- «السُّنَّة» لابن أبي عاصم.

٢١- «مصنف ابن أبي شيبة».

٢٢- «المعجم الكبير للطبراني».

٢٣- «نونية ابن القيم».

٢٤- «الإفصاح عن معاني الصحاح» للوزير أبي المظفر بن هبيرة.

٢٥- «بدائع الفوائد» لابن القيم.

٢٦- «مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور» لابن أبي بكر البقاعي.

٢٧- «منهاج السُّنَّة» لابن تيمية.

٢٨- «إغاثة اللهفان» لابن القيم.

٢٩- «الصَّواعق المرسلة في الرَّدِّ علىٰ الجهميَّة والمُعطِّلة» لابن القيم.

٣٠- «الصَّارم المنكي» للحافظ ابن عبد الهادي.

٣١- «الاستغاثة في الرَّدِّ علىٰ البكري» لابن تيمية.

٣٢- «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية.

٣٣- «الإبانة عن أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعري.

٣٤- «المقالات» لأبي الحسن الأشعري.

٣٥- «شرح السُّنَّة» للالكائي.

٣٦- «عقيدة السلف أصحاب الحديث» للصابوني.

٣٧- «التمهيد» لابن عبد البر.

٣٨- «الإيمان» لابن تيمية.

٣٩- «التَّوحيد» للإمام محمد بن عبد الوَهَّاب.

٤٠- «أصل دين الإسلام وقاعدته» للإمام محمد بن عبد الوَهَّاب.

٤١- «ثلاثة الأُصُول» للإمام محمد بن عبد الوَهَّاب.

٤٢- «القواعد الأربع» للإمام محمد بن عبد الوَهَّاب.

٤٣- «كتاب الزهد» لعبد الله بن المبارك.

٤٤- «تعظيم قدر الصلاة» للمروزي.

٤٥- «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية.

٤٦- «الحلية» لأبي نعيم.

٤٧- «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر.

٤٨- «البداية والنهاية» لابن كثيرٍ.

٤٩- «المستدرك» للحاكم.

٥٠- الرد علىٰ الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل.

٥١- السنة للمروزي.

٥٢- كتاب الصلاة لابن القيم.

٥٣- قاعدة في الجماعة والفرقة لابن تيمية.

٥٤- زاد المستقنع للحجاوي.

٥٥- من ديوان محمد بن إسماعيل الصنعاني.

٥٦- من ديوان المتنبي.

٥٧- إعلام الموقعين لابن القيم.

٥٨- الداء والدواء لابن القيم.

٥٩- مفتاح دار السعادة لابن القيم.

٦٠- من ديوان الأخفش.

المبحث الخامس
قيمتها العلمية

إنَّ أيَّ مؤلَّفٍ إنَّما تكمن قيمتُهُ العلميَّة في أمرين:

١- مؤلِّفه.

٢- موضوعه.

والرَّسائل الَّتي بَيْنَ أيدينا مُؤلِّفها هو الإمام العالم العلَّامة الجِهْبَذ المُحقِّق الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن، والَّذي عرف بسلاسة الكتابة، ودقَّة التَّحقيق، وقوَّة الاستنباط، مع سَيْره علىٰ مسلك السَّلف الصَّالح، وكثرة استدلاله من الوحيين، ونُقُولاته عن أئمَّة السَّلف، وَسَعة الاطِّلاع علىٰ مُؤلَّفاتهم، ومُؤلَّفات الشَّيخين الإمامين ابن تيمية، وابن القيم، رحم الله الجميع.

وأمَّا مَوْضوعاتها فإِنَّ مَنْ ينظر إلىٰ تلك الرَّسائل وتلك الوَصَايا والمناصحات، وما بُحِثَ فيها من مسائلَ مُتنَوعةٍ عقديَّةٍ، وأُمُور يحتاجها الرَّاعي والرَّعيَّة، وما فيه صلاحٌ للعباد والبلاد ليرىٰ بحقٍّ مكانتها الشرعية، وقيمتها العلميَّة.

وأُعْطي علىٰ ذلك أمثلةً يَتبيَّن من خلالها هذا الَّذي قررته:

١- الرِّسالة الثَّالثة: (شرح رسالة أصل دين الإسلام وقاعدته):

وقيمتها العلميَّة أنَّ أصلها لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي رسالةٌ قيمةٌ ومهمةٌ، فهي تتحدث عن التَّوحيد وما يضادُّه من الشرك، وتتكلم عن أنواع النَّاس تجاه ذلك.

كما تكمن قِيمتُهَا أنَّه لم يشرح أحدٌ هَذِهِ الرِّسالة سوىٰ الشَّيخ عبد الرَّحمن، وقد تعرَّض خلال شرحها أيضًا إلىٰ مسألةٍ مهمةٍ جدًّا لا يزال النَّاس فيها في تجاذبٍ، وهي مسألة تكفير المُعيَّن والعذر بالجهل.

٢- الرِّسالة التَّاسعة: (التَّوحيد وطروء الشِّرك علىٰ المسلمين، وجهاد العلماء له):

وتَكْمن قيمتها العلميَّة في أنَّها تتحدَّث عن تاريخ دعوة التَّوحيد منذ عهد النَّبيِّ ﷺ إلىٰ القُرُون الأولىٰ إلىٰ عهد شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم، إلىٰ وقت المُجدِّد شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، وما نالهم من أذىٰ في سبيل الله، ونشر التَّوحيد، ومُحَاربة الشِّرك. وما قامت عليه هَذِهِ الدَّولة السلفيَّة من مناصرةٍ لشيخ الإسلام علىٰ يد الإمام محمد بن سعود ومَنْ تبعه من أئمَّة وحُكَّام هَذِهِ الدولة.

٣- الرِّسالة الخامسة والعشرون: (شرح شروط لا إله إلَّا الله):

وتكمن أَهمِّيتها أنَّها أول شرحٍ لشُرُوط «لا إله إلَّا الله»، والَّتي ذكرها شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، كما أَنَّها شرحٌ مختصرٌ مفيدٌ مبنيٌّ علىٰ الاستدلال، معينٌ لطالب العلم في حفظها وفهمها، فهي بحق تبصرة للمبتدي وتذكرة للمنتهي.

٤- الرِّسالة التَّاسعة والعشرون: (رسالة في معنىٰ الطاغوت وأنواعه):

وتكمن أَهمِّيتها في أَنَّها وَضَّحت أهميَّة التَّحاكم إلىٰ شريعة الله، وأنَّ هذا من واجبات الإيمان، كما بَيَّنت خُطُورة ترك التَّحاكم إلىٰ شرع الله ممَّا يُفْسد علىٰ الخَلْق مَعَاشهم ودنياهم وآخرتهم.

كما تظهر قيمتها العلميَّة في أمرين مُهمِّين كثر الجدلُ فيها، وهما:

أ- بَيَّنت حكم التَّحاكم إلىٰ غير شريعة الله، ومتىٰ يكون كفرًا عقديًّا مخرجًا من الملَّة، ومتىٰ يكون كفرًا عمليًّا، هو كفرٌ دون كفرٍ.

ب- أنَّ فيها ردًّا علىٰ مَنْ يتَّهم أئمَّة نجد بسُلُوكهم مسلكَ الخَوَارج بالتَّكفير.

٥- الرسالة الحادية والثلاثون: (رسالة مناصحة للإمام فيصل بن تركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ):

وتَكْمُنُ قيمتُها العلميَّةُ في بيان موقف العلماء الرَّبَّانيِّين من المناصحة لوليِّ الأمر، وأن ذلك تطبيقًا لحديث النَّصيحة، كما أنَّ فيها بيانَ أهمِّ المهمَّات، وآكَدِ الأصولِ والواجباتِ علىٰ وليِّ الأمرِ تجاه رعيَّتِه.

كما فيها بيان أنَّ بقاءَ الإسلام والإيمان من أكبر أسبابه استقامة الوُلاة، وزوالَ الإسلام وانقضاءَه في انحرافِهم.

وضرب علىٰ ذلك مثالًا بحال الدَّولة العبَّاسيَّة، وما وقع فيها من الخَلَلِ والزَّلَلِ، وقد اشتدَّت غُرْبَةُ الإسلام وظهرت البِدَعُ العظامُ، وذلك بسبب إهمال الرُّؤساءِ الملوكِ.

٥- الرِّسالة الثَّالثة والثَّلاثون (رسالة إلىٰ الإمام فيصل بتذكيره بحال أعمامه وجدِّه، وكيف أعزَّ الله بهم دينَه، وبيانِ الواجب عليه)، والرِّسالةُ الرَّابعة والثَّلاثون (رسالةٌ إلىٰ علماء المسلمين في بيانٍ موجزٍ لتاريخ قيام دعوة التَّوحيد والدَّولة السُّعوديَّة).

وتَكْمُنُ قيمتُهما العلميَّة في أنهما تعدان مَرْجِعًا تاريخيًّا مختَصَرًا، لما قامت عليه الدَّعوةُ السَّلفيَّة في نجد علىٰ يد مجددها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ومؤازرة الإمام محمَّد بن سعود وأبنائه لها، كما أنَّ فيها ردًّا علىٰ من يقول أنَّ نجدًا والجزيرة لم تكن فيها شيء من مظاهر الشِّرك، وأنَّ انطلاقَ دعوة شيخ الإسلام ومؤازرة الإمام محمَّد بن سعود له، إنَّما هو انطلاقٌ سياسيٌّ وليس دينيًّا.

٦- الرِّسالة الثَّانية والأربعون (أسباب التَّمكين والعزِّ في الأرض).

وتَظْهَرُ قيمتُها العلميَّةُ في أنَّها رسالةُ مناصَحةٍ، يُذكِّر فيها الشَّيخُ عبد الرَّحمن الإمامَ عبد الله بن فيصل بأنَّ حكمَ أجداده وأعمامه، إنَّما هو خلافةُ نبوَّة يطلبون به الحقَّ، ويعملون به، ويقومون به، ويغضبون له، وأنَّ اللهَ بهذا كفاهم أعداءَهم، إذا مشىٰ العدوُّ إليهم كَسَرَه اللهُ قبل أن يَصِلَ؛ لأنَّها خلافةُ نبوَّةٍ، كما أنَّ فيها بيانَ أسباب التَّمكين والنَّصر، وأسباب تسلُّط الأعداء.

المبحثُ السَّادس
((وصفُ النُّسَخِ الخَطِّيَّة والمطبوعة ونماذج منها))

إنَّه بعد اعتماد الموضوع وتقسيمه إلىٰ خمس مجموعات، وكان من نصيبي المجموعة الخامسة، والَّتي هي عبارةٌ عن مسائل في العقيدة وبعض الوصايا والمناصحات، فقد قُمْتُ أنا وزملائي في البحث بتقسيم العمل والبحث عن مخطوطاتِ هَٰذِهِ الرَّسائل، والتَّقَصِّي عنها، سواء بزيارات للمؤسَّسات العلميَّة الَّتي تعتني بالمخطوطات، أو بزيارة بعض المشايخ والباحثين الحريصين علىٰ جمع المخطوطات، وذلك مثل:

١- مكتبة الإفتاء.

٢- مكتبة الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة.

٣- مكتبة المسجد النَّبويِّ.

٤- مكتبة الأمير سلمان بجامعة الملك سعود.

٥- مكتبة الملك فهد بالرياض.

٦- دارة الملك عبد العزيز.

٧- مركز الملك فيصل الثقافي.

٨- مكتبة وزارة الأوقاف الكويتيَّة.

٩- مركز جمعة المساجد في دبي.

١٠- مركز المخطوطات والتراث بالكويت.

وأمَّا الباحثون فقد قمنا بالزِّيارة لبعض المهتمِّين وأخص بالذكر:

١- الأستاذ خالد بن زيد بن سعود المانع، صاحب كتاب ناسخو المخطوطات النجديون.

٢- الأستاذ راشد بن محمد بن عساكر، صاحب كتاب المخطوطات النجدية في الخزانة الشاويشية، فَجَزَاهم اللهُ خيرًا علىٰ ما قَدَّموه، ونَشكرهم علىٰ ما بَذَلُوه.

كما قمنا بالاطِّلاع علىٰ بعض الفهارس، مثل فهارس مخطوطات مكتبة الحرم المكِّيِّ الشَّريف، وفهارس المخطوطات الأصليَّة في حائل، وغيرها.

وكانت طريقتُنا في البحث أنَّنا نجمع كلَّ ما وجدناه من مخطوطات للشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ، بِغَضِّ النَّظَرِ عن موضوعها وفَنِّها، فجمعنا حصيلةً كثيرة من المخطوطات، ثمَّ بعد ذلك نستخلص منها ما يَخُصُّ العقيدة، ثمَّ بعد ذلك يأخذ كلٌّ منَّا نحن الخمسة ما يخصُّه من رسائل.

وكان أقلهم نصيبًا من المخطوطات هو ما كان يتعلَّق بالرَّسائل الَّتي تخصُّني، وذلك لأسباب:

أولًا: أنَّها كلَّها لا تنفرد بالنَّسخ كسائر مؤلَّفاته الكبيرة رَحِمَهُ اللهُ، وإنَّما تأتي ضمن مجموعاتٍ؛ لصِغَرِ حَجْمها، فكان احتمالُ سَقْطِها واردًا، مثاله:

١- مجموعٌ للشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن في دارة الملك عبد العزيز برقم (٣٢٦ق) وقد جمع ثلاث رسائل، وهي:

أ- تعليقٌ علىٰ كتاب التَّوحيد، لشيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ب- تعليق علىٰ ملخَّص أبيات من النُّونيَّة له رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

ت- الكلمات النَّافعة في الكفَّارات الواقعة، من تأليف الشَّيخ الإمام العالم العلَّامة عبد الله بن الشَّيخ محمَّد بن محمَّد بن عبد الوهَّاب.

وقد فرحتُ به لمَّا وجدتُه، وطلبتُ تصويرَه من الدَّارة، إلَّا أنه بعد استلام المجموع تفاجأت أنَّ رسالة التَّعليقَ علىٰ النُّونيَّة غيرُ موجودٍ، وهي الرِّسالة الثَّلاثون من الرَّسائل الَّتي من نصيبي في التَّحقيق، إلَّا أنَّني - ولله الحمد - وجدتُها في مكتبة الملك فهد الوطنيَّة كما سيأتي.

٢- مجموعٌ في مكتبة الأمير سلمان برقم (١٦٣٩-٩-م) من ضمنه رسالةٌ للشَّيخ عبد الرَّحمن بعنوان: «الكلام علىٰ قول الخطيب: الحمد لله الذي تحيرت العقول في مبدأ أنواره...») إلَّا أنَّ المخطوطةَ غيرُ موجودةٍ ضمن المجموع، وهي الرِّسالة الثَّامنة عشرة من الرَّسائل الَّتي تخصُّني.

ثانيًا: أنَّ هَذِهِ الرَّسائل لصِغَرِ حجمها فإنه يصعب حفظها استقلالًا، فالفقدان لها واردٌ إلَّا ما كان محفوظًا ضمن المجموعات.

فلهذين السَّبَبَيْنِ كان قلَّةُ المخطوطات لهَذِهِ الرَّسائل أمرًا واردًا، إلَّا أنَّه بحمد الله فقد هيَّأَ من العلماء مَنْ يحفظها ويُدَوِّنُها في وقت مبكر من زمن وفاة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وهو ما قام به كلٌّ من:**

١- الشَّيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في جمعه لرسائل أئمَّة نجد، في مجموعة الرَّسائل والمسائل.

٢- الشَّيخ عبد الرَّحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في جمعه لرسائل أئمَّة نجد، في كتاب الدُّرَرِ السَّنيَّة.

فلهذا كان اعتمادي في التَّحقيق والدِّراسة علىٰ مصدرين:

الأول: المخطوطات الَّتي تحصَّلتُ عليها، وهي لخمس عَشْرة رسالة.

الثَّاني: علىٰ المجموعات المطبوعة المعتمدة علىٰ مخطوطات، اعتمدها علماء أجلَّاء، وقُرِئَتْ عليهم، وهي:

١- مجموعات الرَّسائل والمسائل النَّجديَّة لبعض علماء نجد الأعلام، للشَّيخ سليمان بن سحمان، المطبوعة عام ١٣٤٩.

٢- الدُّرَرُ السَّنيَّة في الأجوبة النَّجْديَّة، للشَّيخ عبد الرَّحمن بن قاسم، المطبوعة عام ١٣٥١، والَّتي قُرِئت علىٰ علماء جهابذةٍ، كما سبق في المبحث الأَوَّلِ من هذا الفصل.

٣- كتاب الجامع الفريد.

٤- مجموعة التَّوحيد النَّجْدِيَّة الهندية.

٥- تاريخ ابن بِشْر، حيث ذكر رسالتَيْنِ للشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وسأتكلَّم عن وصف النُّسَخِ الخَطِّيَّة والمطبوعة للرَّسائل علىٰ النَّحو التَّالي:

أوَّلًا: ما اعتمدت منها علىٰ المخطوطات.

ثانيًا: ما لم أجد لها مخطوطًا، واعتمدت فيها علىٰ المطبوع.

أوَّلًا: الرَّسائل الَّتي اعتمدتُ فيها علىٰ المخطوط:

١- الرِّسالة الثَّالثة، عنوانُها (شرح رسالة أصل دين الإسلام وقاعدته).

حصلت علىٰ نسختها الخطِّيَّة من مكتبة الأمير سلمان بجامعة الملك سعود، وهي تحت رقم ٥٣/ ٧-٥س، وعدد صفحاتها ثلاث صفحات ونصف الصفحة، وعدد سطور الصَّفحة ما بين (٣٠) إلىٰ (٣٣) سطرًا، وتاريخ نسخها في آخر شعبان ١٣١٨، ولم يُكْتَبْ عليها اسمُ النَّاسخ.

وذُكِرَتْ أيضًا ضمن مجموع فيه عدَّة رسائل، في دارة الملك عبد العزيز، برقم ٣٥٦، إلَّا أنَّني لم أَجِدْها ضمن المجموع.

ويوجَدُ كذلك منها نسخةٌ في مكتبة الملك فهد الوطنيَّة، برقم ٢٦٩، مجموعة الإفتاء.

٢- الرِّسالة الرَّابعة، عنوانُها (الإسلام والإيمان والفرقُ بينهما).

حصلت علىٰ نسختِها الخطِّيَّة من مكتبة الأمير سلمان، بجامعة الملك سعود، وهي تحت رقم ٥٤ف/ ١٣(س) لم يُسَجَّلْ عليها اسمُ النَّاسخ ولا تاريخ النَّسْخِ، وعددُ صفحاتِها (٣) صفحات.

٣- الرسالة السابعة، عنوانها (مسألتان أجاب عنهما رَحِمَهُ اللَّهُ: حكم تقبيل اليد – وحكم الصلاة علىٰ النبي جهرًا والإمام يخطب).

وقد حصلت عليها ضمن مجموع عبدالعزيز بن صالح المرشد في دارة الملك عبدالعزيز، برقم (٨٩). اسم الناسخ: عبدالعزيز بن صالح المرشد، وتاريخ النسخ (١٣٤٠/ ١٩٢١).

٤- الرِّسالة الثَّامنة، عنوانُها (الفرقُ بين الإسلام والإيمان، وحكمُ شَدِّ الرَّحل إلىٰ قبر النَّبيِّ ﷺ).

وحصلتُ منها علىٰ نسخةٍ من دارة الملك عبد العزيز، برقم (١٢٨) ضمن مجموعة المرشد، النَّاسخ: عبد العزيز بن صالح بن عبد العزيز آل مرشد، تاريخ النَّسخ: ١٣٣٠هـ/ ١٩٠٢م، عدد أوراقِها (٣) ورقات، عدد الأسطر (٢٣) سطرًا.

٥- الرِّسالة السَّابعة عشرة، عنوانها (فضل لا إله إلَّا الله، ومتىٰ يَحْرُمُ دَمُ ومالُ قائلها).

وحصلتُ منها علىٰ نسخةٍ من دارة الملك عبد العزيز، برقم (٨٩) ضمن مجموعة المرشد، اسم النَّاسخ: عبد العزيز بن صالح بن عبد العزيز آل مرشد، تاريخ النَّسخ: ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، عدد أوراقها (٤) ورقات، عدد الأسطر (٢٢) سطرًا.

٦- الرسالة العشرون، عنوانها: (أسئلة عن بعض أمور ابتدعها الناس).

حصلت عليها ضمن مجموع بخط علي بن عبد الله المديميغ، وهي في مكتبة الملك فهد الوطنية، والمنقولة من مخطوطات مكتبة شقراء برقم (٣٢٦ ق/ ٣).

٧- الرِّسالة الحادية والعشرون، عنوانها (في حكم قول: «هو القادر علىٰ ما يشاء»).

حصلتُ منها علىٰ نسختين:

الأولىٰ: ضمن مجموع مكتبة الأمير سلمان بجامعة الملك سعود، ومصوَّرة لدىٰ مكتبة الأستاذ هاني الحارثي الخاصَّة، والمجموع مصوَّرٌ كاملٌ لديَّ،

جاءت هَذِهِ الرِّسالة في فهرسة المجموع بصفحة (١٣٠) بعنوان (رسالة للشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن، لابن بشر) عددُ ورقاتها ورقتان، اسم النَّاسخ: عبد الله الرَّبيعي، تاريخ النَّسخ: ١٣٤٣، آخر جمادىٰ الآخر، وبداية المخطوط: (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، من عبد الرَّحمن بن حسن، إلىٰ الأخ عثمان بن بشر سلَّمه الله تعالىٰ، آمين، سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه، وقد وَصَلَ الخطُّ وَصَّلَكَ اللهُ ما يُرْضِيه، وسَرَّنا طيبُك وصحَّةُ حالك... إلخ).

الثَّانية: نسخة مصوَّرة من جمعيَّة أشيقر الخيريَّة - مشروع جمع التُّراث، وعليها ختمُ الجمعيَّة، وبداية المخطوط (من عبد الرَّحمن بن حسن، إلىٰ الأخ عثمان بن بشر، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، كلمةٌ اشتهرت علىٰ الألسن من غير قصد... إلخ) وآخرُها (نقلتُه من أصله وعليه ختم الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن).

وهَذِهِ الرِّسالة قد نَقَلَها ابنُ بِشْرٍ في تاريخه، حيث قال في ترجمة الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن: وقد كان متنبِّهًا فَطِنًا لدسائس أهل البدع، كتبت له مرَّة، ودعوتُ له في آخر الكتاب، وفي تمام الدُّعاء قلتُ أنَّه علىٰ ما يشاء قدير، وكتب لي وقال في أثناء جوابه، قال: (هَذِهِ كلمةٌ اشتهرت علىٰ الألسن من غير قصد، وهو قول الكثير في المكاتبات ...إلخ)(١).

٨- الرِّسالة الثَّانية والعشرون، عنوانها (وجوب تَعَلُّم «لا إله إلا الله»، والعمل بشروطها).

(١) تاريخ ابن بشر (٢/ ٤٦، ٤٧).

حصلت منها علىٰ نسخة من دارة الملك عبد العزيز ضمن مجموعة عبد الرَّحمن الجبرين برقم ١٢٠١، نسخت بتاريخ ١٣٢٧ - ١٩٠٩م، عدد أوراقها ورقة واحدة، عدد أسطرِها (١٢) سطرًا، ولا يوجد اسم النَّاسخ.

٩- الرِّسالة التَّاسعة والعشرون، عنوانُها (رسالة في معنىٰ الطَّاغوت وأنواعه).

حصلت علىٰ نسخة مصوَّرة من دارة الملك عبد العزيز برقم: (٤٦) مجموعة المرشد، عدد أوراقها (٤) ورقات، عدد أسطرها (٢٩) سطرًا، لا يوجد اسم النَّاسخ ولا تاريخ النَّسخ.

١٠- الرِّسالة الثَّلاثون عنوانها (تعليقٌ علىٰ ملخَّص من أبيات النُّونيَّة)

حصلتُ منها علىٰ نسخة مصوَّرة من مكتبة الملك فهد الوطنيَّة، والمنقولة من مخطوطات مكتبة شقراء، برقم ٣٢٦ ق/ ٣، ضمن مجموع بخطِّ عليٍّ بن عبد الله المديميغ، وليس لها تاريخ للنَّسخ.

١١- الرِّسالة الحادية والثلاثون عنوانُها (رسالة مناصحة للإمام فيصل بن تركي رَحِمَهُ اللَّهُ).

وقد حصلتُ منها علىٰ نسختين، وهما:

الأولىٰ: من دارة الملك عبد العزيز، رقمها (٤٨٨) ضمن مجموعة العنقري الناسخ: عبد العزيز بن عبد الله العنقري، عدد أوراقها (٦) ورقات، عدد الأسطر لكلِّ صفحة (٢٧) سطرًا، وبدايةُ المخطوط (من عبد الرَّحمن بن حسن إلىٰ

الإمام المكرَّم فيصل بن تركي سلمه الله وهداه، آمين. سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه، أمَّا بعد... إلخ).

الثَّانية: من دارة الملك عبد العزيز، رقمها (٢١٧) ضمن مجموعة المرشد، النَّاسخ: عبد العزيز بن صالح بن عبد العزيز آل مرشد، تاريخ النَّسخ: ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، عدد أوراقها (٤) ورقات، عدد الأسطر (٢٨) سطرًا، وبداية المخطوط: (من عبد الرَّحمن بن حسن إلىٰ من يراه من أئمَّة المسلمين وعامَّتهم سلَّمهم الله تعالىٰ وهداهم ... إلخ).

١٢- الرِّسالة الثَّامنة والثَّلاثون، عنوانُها (رسالةٌ إلىٰ الإمام فيصل بن تركي في وجوب تقريب أهلِ العلمِ والصِّدق، وإبعاد أهل النِّفاق والخيانة والظُّلم).

قد وَجَدْتُ منها نسخة ضمن مجموعٍ في مكتبة الأمير سلمان بجامعة الملك سعود، ومصوَّرة منها نسخة لدىٰ مكتبة الأستاذ هاني الحارثي، في مكتبته الخاصَّة. وقد حصلنا عليها منه.

عدد أوراقها (٣) أوراق، وكلُّ ورقة بوجهين، لا يوجد اسم النَّاسخ، كما لا يوجد تاريخ النَّسخ، وهي موجودة ضمن فهرس المجموع ص١٥٥ تحت عنوان (رسالة للشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن، إلىٰ فيصل بن تركي، يعظه وينبِّهه، فيها موعظةٌ وعبرةٌ لكلِّ معتبرٍ).

١٣- الرِّسالة الأربعون عنوانُها (أسبابُ التَّمكين والعزِّ في الأرض)

قد وجدت منها نسخةً ضمن المجموع السَّابق، وهي موجودةٌ ضمن فهرس المجموع في (ص٧) تحت عنوان (رسالة للشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن إلىٰ

الإمام عبد الله بن فيصل ينصحه فيها) عددُ أوراقِها ورقتان، لا يوجد اسمُ النَّاسخ، كما لا يوجد تاريخ النَّسخ.

١٤- الرِّسالة الرَّابعة والأربعون عنوانها (أهميَّة العبوديَّة والاستعانة بالله علىٰ تحقيقها).

حصلت منها علىٰ نسخة من مكتبة الأمير سلمان بجامعة الملك سعود، ضمن مجموع برقم / ٤٥٦٤/ ٤/ م، عدد أوراقها ورقتان، ولا يوجد فيها اسم النَّاسخ، ولا تاريخ النَّسخ.

١٥- الرِّسالة السَّابعة والأربعون عنوانها (الوصيَّة بتقوىٰ الله وبيان حقيقتها).

حصلتُ منها علىٰ نسخة ضمن مجموع العنقريّ تحت عنوان: مجموعة من الفتاوىٰ النَّجديَّة، عدد أوراقها ورقتان، تاريخ النَّسخ: ١٣٤٢، اسم النَّاسخ: عبد العزيز بن عبد الله العنقريّ، كما حصلت علىٰ نسخة أخرىٰ من ضمن مجموع من مكتبة الأمير سلمان، بجامعة الملك سعود، رقمها / ٤٤٥٦/ ١/ م وهي في(ص ١٩٤) من المجموع.

ثانيًا: الرَّسائل الَّتي اعتمدتُ فيها علىٰ المطبوع ولم أجد له مخطوطًا.

كما تقدَّم في مبدأ هذا المبحث أنَّني لم أجد من المخطوطات – بعد البحث والتَّقَصِّي- سوىٰ ثلاث عشرة رسالة، وما سوىٰ ذلك ممَّا تبقَّىٰ من الرَّسائل فإنَّني سأعمل في التَّحقيق لها علىٰ المطبوع.

وهي والحمد لله طُبِعَتْ في مجاميع معتمدة وموثوقة، حيث إنَّها قرئت علىٰ

فطاحلة من العلماء، كما تقدَّم في المبحث الأوَّل من هذا الفصل.

وهَٰذِهِ الرَّسائل ومكان طبعها كالتَّالي:

رقم الرسالة	عنوانها	مكان وجودها
الأولى	الرد علىٰ جَهْمي ضَالٍّ، وتفنيد شُبهه.	طُبعت في الدُّرر السَّنيَّة (٣/ ٢١٢-٢٢١)، والجامع الفريد ص (٢٨٥) ومجموعة التَّوحيد ص (١٩٧-٢٠٥)
الثانية	مختصر تفسير سورة الفاتحة.	طبعت في الدُّرَرِ السَّنيَّة (١٣/ ٧٧-٨٦).
الخامسة	في بيان معنىٰ لا إله إلا الله، والرد علىٰ مَنْ ضَلَّ في تفسيرها من الفلاسفة وأهل الاتحاد.	الدرر السنية (٢/ ٢٥٨-٢٦٣).
السادسة	أنواع التَّوحيد.	طبعت في مجموعة التَّوحيد ص٢٠٦-٢١١، والجامع الفريد ص٣٩١.
التاسعة	التَّوحيد، وطروء الشِّرك علىٰ المسلمين، وجهاد العلماء له.	طبعت في الجامع الفريد ص٣٠٥-٤٠٣.

العاشرة	رسالة في أصول فرق المبتدعة من الجهميَّة والرَّافضة والمعتزلة	طبعت في الرَّسائل والمسائل (١/ ٣٤٤-٣٤٧) والدُّرر السَّنيَّة (٣/ ٢٠٨-٢١٢)
الحادية عشرة	تعليق علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨، ١١٩]	طُبِعت في الدُّرر السَّنيَّة (١٣/ ٢٢٩-٢٣٣).
الثانية عشرة	فضل العلم وأهميَّته، والموقف ممَّن أعرض عن الحقِّ.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١١/ ٥٥١-٥٥٢).
الثالثة عشرة	وجوب الاهتمام بمسائل التَّوحيد	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١/ ٣٢٧-٣٢٩).
الرابعة عشرة	وجوب تعظيم التَّوحيد والتَّحذير من الغفلة عنه	طبعت في الرَّسائل والمسائل (٤/ ٤٢٩-٤٣١).
الخامسة عشرة	رسالة في بيان أصول الاعتقاد والصَّلاة	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١/ ٣٤٢-٣٤٥).
السادسة عشرة	فضل العلم في تحقيق التَّوحيد والمتابعة.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (٢/ ٢٧٧-٢٨٠).

الثامنة عشرة	استقامة أهل الإيمان والسُّنَّة وحيرة أهل الكلام والبدعة	طبعت في الرَّسائل والمسائل (٤/ ٣٦٦-٣٦٧)، والدُّرر السَّنيَّة (٣/ ٢٢٨-٢٢٩).
التاسعة عشرة	التوجيه الإعرابي الصَّحيح لكلمة «لا إله إلَّا الله».	طبعت في الرَّسائل والمسائل (١/ ٣٤٤-٣٤٧) والدُّرر السَّنيَّة (٢/ ٢٥٦-٢٥٨).
الثالثة والعشرون	التَّوجيه الإعرابيّ لقوله ﷺ: «ولا إله غيرك».	طبعت في الرَّسائل والمسائل (٤/ ٣٧٥-٣٧٦).
الرابعة والعشرون	مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في كلام الله	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١/ ٣٣٩-٣٤٠).
الخامسة والعشرون	شرح شروط لا إله إلَّا الله	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (٢/ ٢٥٢-٢٥٥).
السادسة والعشرون	حكم قول: «أتوسَّل إليك بصفاتك الكاملة الَّتي لا يعلمها إلَّا أنت».	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (٣/ ٢٣٠).
السابعة والعشرون	حكم البلدة الَّتي فيها وَثَنٌ يُدْعَىٰ من دون الله.	طبعت في الدُّرَرِ السَّنيَّة (٩/ ٢٥٤-٢٥٥).
الثامنة والعشرون	الخوارج ومذهبهم في التَّكفير بالمعاصي.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١٠/ ٥٠٢-٥١١).

الثانية والثلاثون	وجوب معرفة الشِّرك، والبراءة منه.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (٢/ ٢٦٣-٢٧٠).
الثالثة والثلاثون	رسالة إلىٰ الإمام فيصل بتذكيره بحال أعمامه وجدِّه، وكيف أعزَّ الله بهم دينه، وبيان الواجب عليه.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١٤/ ٨٤-٩٠).
الرابعة والثلاثون	رسالة إلىٰ علماء المسلمين في بيان موجز لتاريخ قيام دعوة التَّوحيد والدَّولة السُّعوديَّة.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١٤/ ١٦١-١٦٧).
الخامسة والثلاثون	الوصيَّة بالتَّوحيد والعلم.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١٤/ ١٣٤-١٣٩).
السادسة والثلاثون	نصيحة لوليِّ الأمر بالحرص علىٰ إقامة الدِّين	طبعت في الرَّسائل والمسائل (٤/ ٣٧٩-٣٨٣).
السابعة والثلاثون	حاجة العبد للعلم، ومجالسة أهله.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١٤/ ٩٦-١٠٠).
التاسعة والثلاثون	في بيان ما عند الأشاعرة من أخطاء، وبيان حقيقة التَّوحيد ووجوب معرفته	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١/ ٣١٩-٣٢٢) ومجموعة الرَّسائل والمسائل (٢/ ٨٤-٨٧).

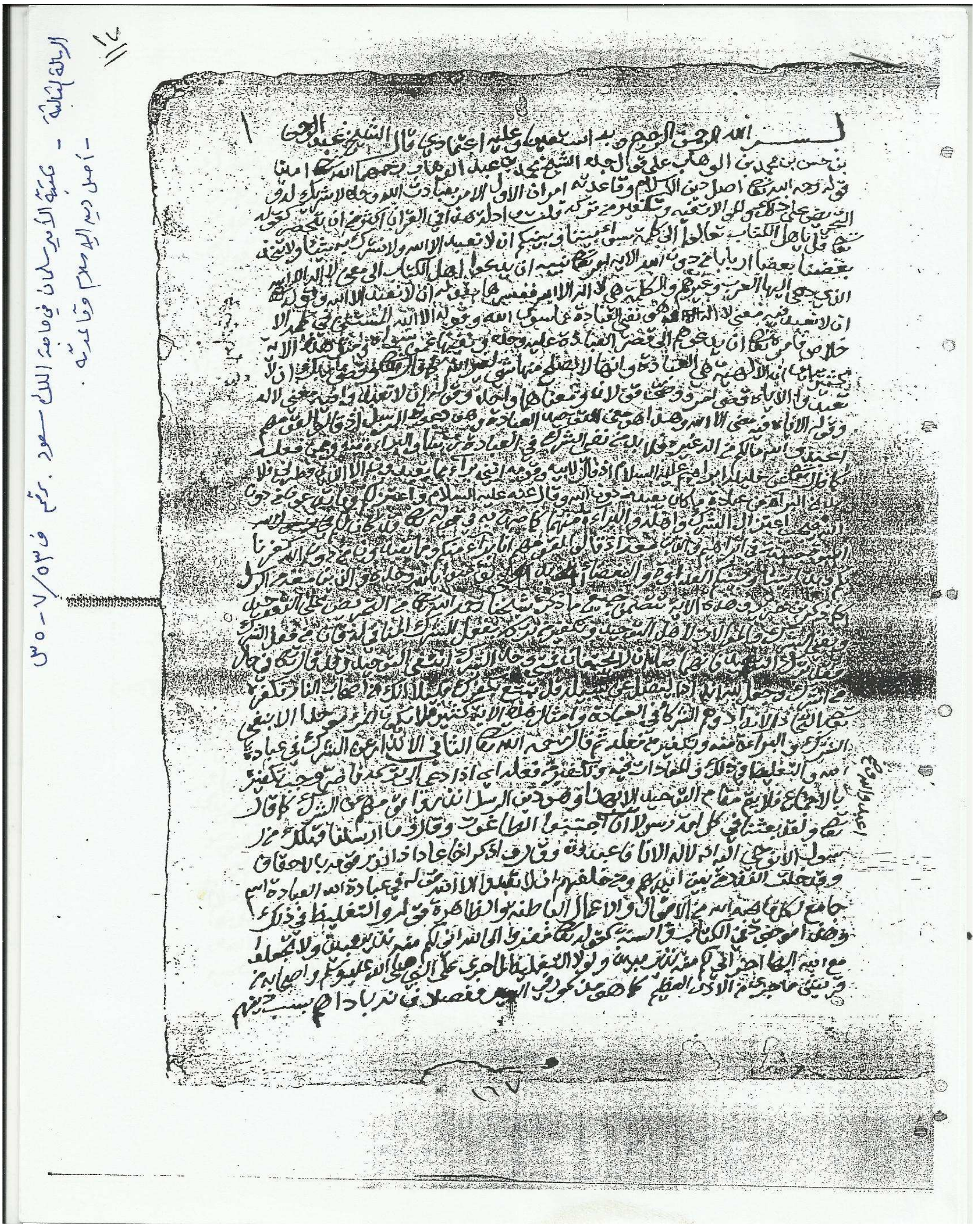
الحادية والأربعون	الآيات في التَّوحيد الَّتي دعت إليه كلُّ الأنبياء.	طُبِعت في الرَّسائل والمسائل (٤/ ٥٤٧-٥٤٨).
الثانية والأربعون	علم المنطق، وحكم الاشتغال به.	طبعت في الرَّسائل والمسائل (٤/ ٥٤٩-٥٥٠)، وفي الدُّرر السَّنيَّة (١/ ٣٣٨-٣٣٩).
الثالثة والأربعون	وجوب الاجتماع علىٰ مَن انعقدت له البيعة.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (٩/ ١١-١٤) وفي الرَّسائل والمسائل (٢/ ٧-٩)
الخامسة والأربعون	نعمة الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد، ووجوب شكرها.	طبعت في الرَّسائل والمسائل (٤/ ٤٢٨-٤٢٩)، والدُّرر السَّنيَّة (١٤/ ١٢٦).
السادسة والأربعون	وجوب جهاد أهل الفساد، ودفع فسادهم في الدِّين.	طبعت في الرَّسائل والمسائل (٤/ ٥٤٥-٥٤٦).
الثامنة والأربعون	التَّنبيه علىٰ أمورٍ وقع فيها الخَلَل بسبب الإقبال علىٰ الدُّنيا، والإعراض عن الآخرة	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١٤/ ١١٧-١١٨).
التاسعة والإربعون	الوصيَّة بتدبُّر كتاب الله، ودلائل	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة

	التَّوحيد.	(١٤/ ١٢٥-١٢٦)
الخمسون	الوصيَّة بالصِّدق مع الله، وتعلُّم العلم.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١٤/ ١٢٧).
الحادية والخمسون	الوصايا الثَّلاث الَّتي لا يتمُّ الدِّين إلَّا بها.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١٤/ ١٢٧-١٢٨)
الثانية والخمسون	حال مَن اتَّبعَ هَوَاه.	طبعت في الدُّرر السَّنيَّة (١٤/ ١٣٢-١٣٣).

وبعد وصف النُّسَخِ الخَطِّيَّة والمطبوعة، أعرض فيما يلي نماذج مصوَّرةً من النُّسخ الخطِّيَّة:

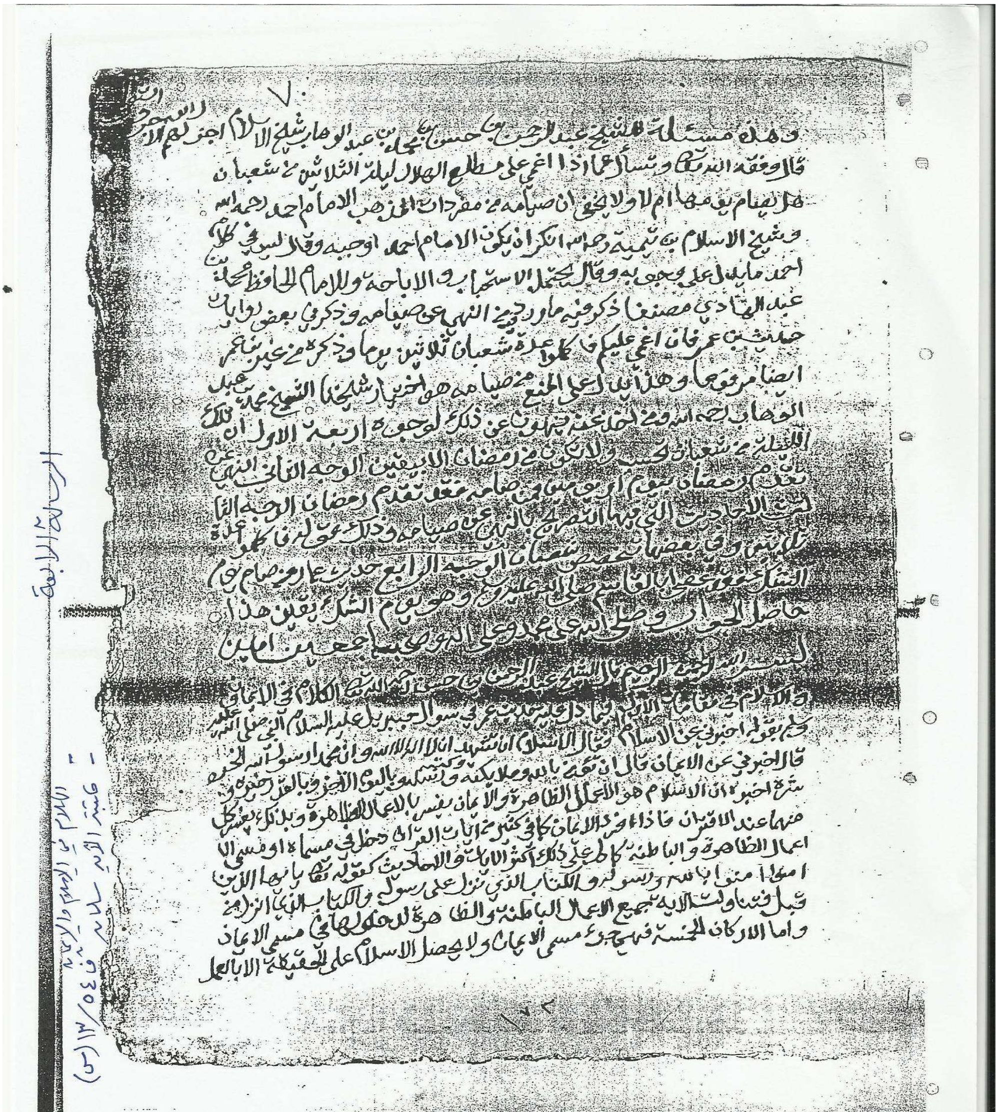
الرِّسالة الثَّالثة: (أصل دين الإسلام وقاعدتُه)

نسخةٌ من مكتبة الأمير سلمان



الرِّسالة الرَّابعة: (الكلام في الإسلام والإيمان)

نسخة من مكتبة الأمير سلمان

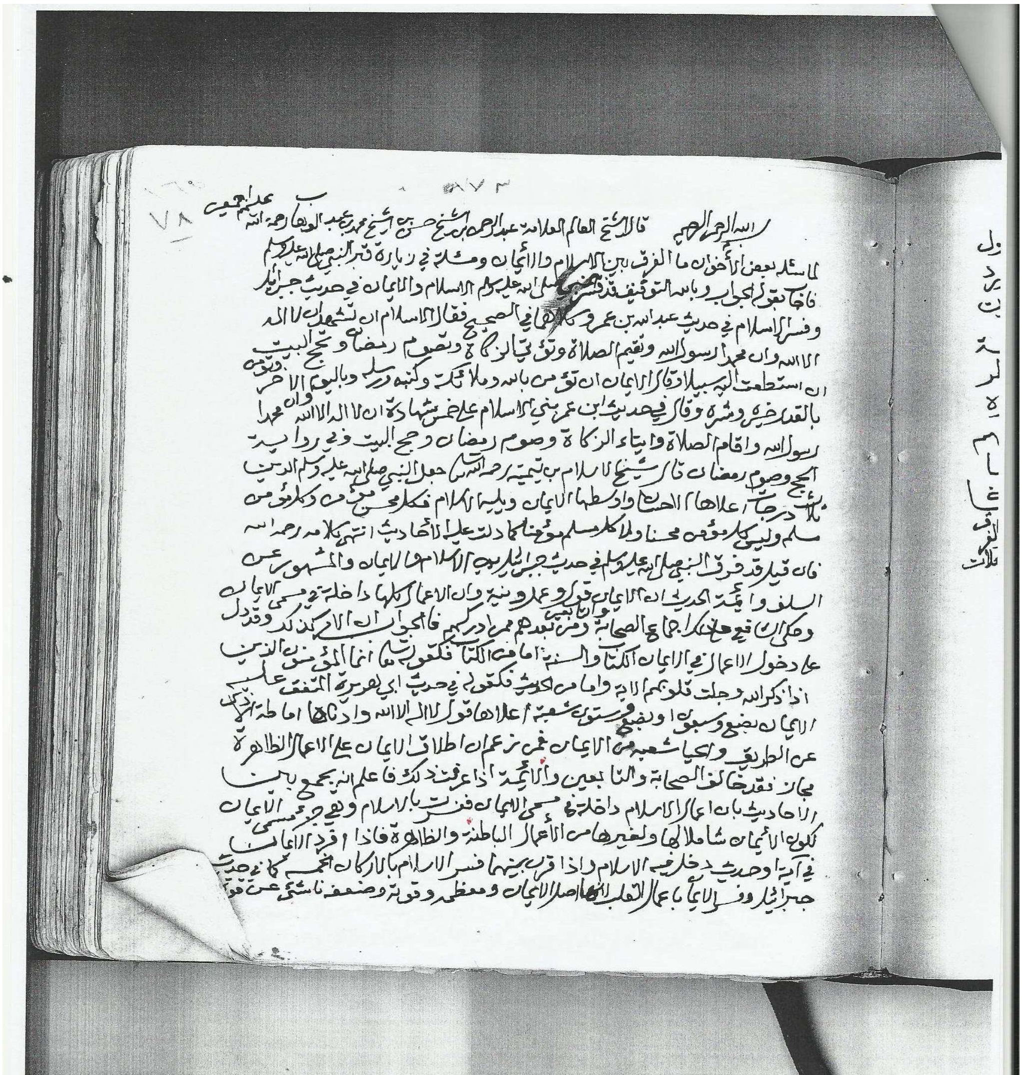


وهذه مسئلة للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب شيخ الإسلام اجزل لهم الاجر العظيم
قال وفقه الله تعالى وتسأل عما إذا أغمي على مطلع الهلال ليلة الثلاثين من شعبان
هل يصام يومها أم لا ولا يخفى أن صيامه من مفردات المذهب الإمام أحمد رحمه الله
وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنكر أن يكون الإمام أحمد أوجبه وقال ليس في كلام
أحمد ما يدل على وجوبه وقال يحتمل الاستحباب والإباحة وللإمام الحافظ محمد بن
عبد الهادي مصنفا ذكر فيه ما ورد في النهي عن صيامه وذكر في بعض روايات
حديث ابن عمر فإن أغمي عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما وذكره من حديث ابن عمر
أيضا مرفوعا وهذا يدل على المنع من صيامه هو اختيار شيخنا الشيخ محمد بن عبد
الوهاب رحمه الله ومن أخذ عنه ينهون عن ذلك لوجوه أربعة الأول أن تلك
الليلة من شعبان بحسب ولا يكون من رمضان إلا بيقين الوجه الثاني النهي عن
تقدم رمضان بيوم أو يومين ومن صامه فقد تقدم رمضان الوجه الثالث
الأحاديث التي فيها التصريح بالنهي عن صيامه وذلك في لفظ فاكملوا عدة
ثلاثين وفي بعضها عدة شعبان الوجه الرابع حديث عمار من صام يوم
الشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم وهو يوم الشك بيقين هذا
حاصل الجواب وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين
بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى الكلام في الإيمان
والإسلام في مقامات الأول فيما دل عليه حديث عمر في سؤال جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله أخبرني عن الإسلام فقال الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الحديث
قال أخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره و
شره أخبره أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان يفسر بالأعمال الباطنة وبذلك يفسر كل
منهما عند الاقتران فإذا أفرد الإيمان كما في كثير من آيات القرآن دخل في مسماه أو في مسمى ال
أعمال الظاهرة والباطنة كما دل على ذلك أكثر الآيات والأحاديث كقوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل
من قبل فتناولت الآية جميع الأعمال الباطنة والظاهرة لدخولها في مسمى الإيمان
وأما الأركان الخمسة فهي جزء مسمى الإيمان ولا يحصل الإسلام على الحقيقة إلا بالعمل

الرِّسالة السابعة: (مسألتان أجاب عنهما رَحِمَهُ اللَّهُ: حكم تقبيل اليد، وحكم الصلاة علىٰ النبي جهرًا والإمام يخطب)، نسخة دارة الملك عبد العزيز برقم/ ٨٩



الرِّسالة الثَّامنة: (الفرق بين الإسلام والإيمان، وحكم شَدِّ الرَّحْلِ إلىٰ قبر النَّبيِّ ﷺ)، نسخة من دارة الملك عبد العزيز



بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ العالم العلامة عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليهم أجمعين

لما سأل بعض الإخوان ما الفرق بين الإسلام والإيمان ومسألة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم

فأجاب تعين الجواب وبالله التوفيق قد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام والإيمان في حديث جبرائيل

وفسر الإسلام في حديث عبد الله بن عمر وكلاهما في الصحيح فقال الإسلام أن تشهد أن لا إله

إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت

إن استطعت إليه سبيلا وقال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وتؤمن

بالقدر خيره وشره وقال في حديث ابن عمر بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا

رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وفي رواية

الحج وصوم رمضان قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى جعل النبي صلى الله عليه وسلم الدين

ثلاث درجات أعلاها الإحسان وأوسطها الإيمان ويليه الإسلام فكل محسن مؤمن وكل مؤمن

مسلم وليس كل مؤمن محسنا ولا كل مسلم مؤمنا كما دلت عليه الأحاديث انتهى كلامه رحمه الله

فإن قيل قد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبرائيل بين الإسلام والإيمان والمشهور عن

السلف وأئمة الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان

وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم فالجواب أن الأمر كذلك وقد دل

على دخول الأعمال في الإيمان الكتاب والسنة أما الكتاب فكقوله تعالى إنما المؤمنون الذين

إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية وأما من الحديث فكقوله في حديث أبي هريرة المتفق عليه

الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى

عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان فمن زعم أن إطلاق الإيمان على الأعمال الظاهرة

مجاز فقد خالف الصحابة والتابعين والأئمة إذا عرفت ذلك فاعلم أنه يجمع بين

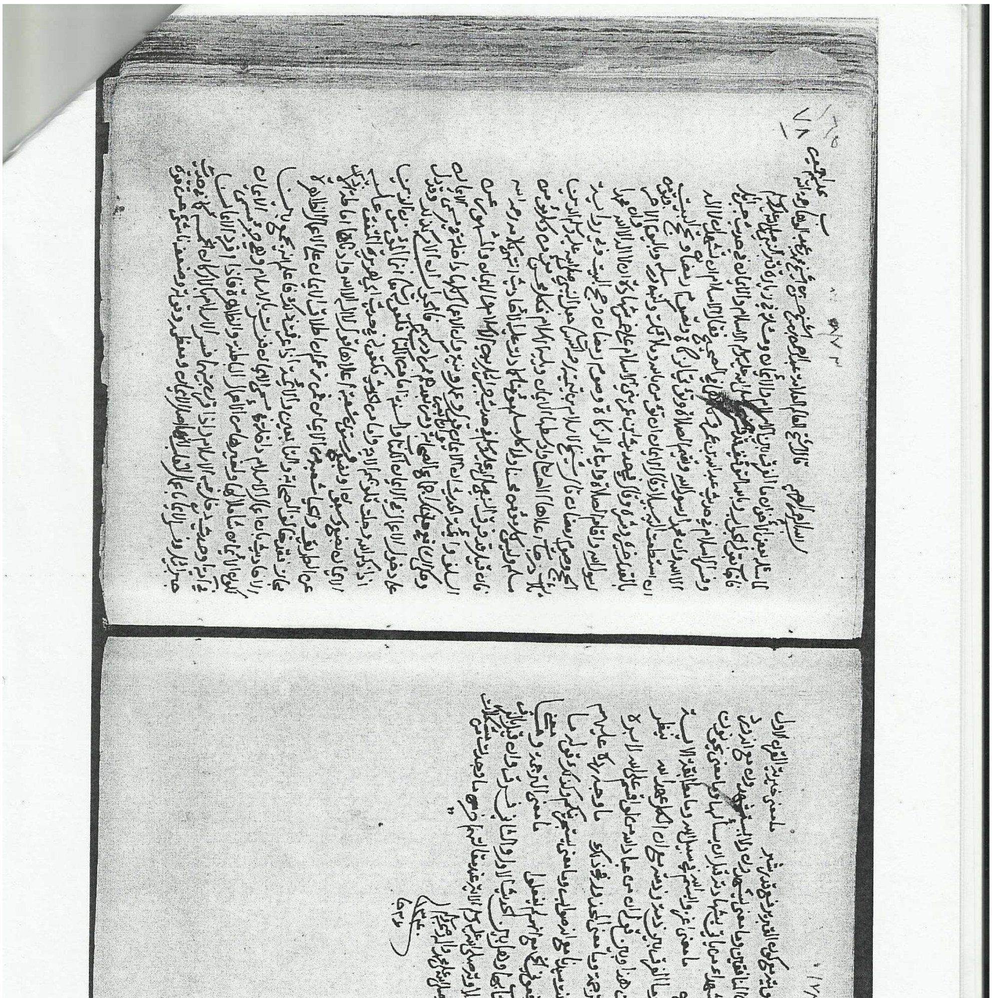
الأحاديث بأن أعمال الإسلام داخلة في مسمى الإيمان ففسرت بالإسلام وهي جزء مسمى الإيمان

لكون الإيمان شاملا لها ولغيرها من الأعمال الباطنة والظاهرة فإذا أفرد الإيمان

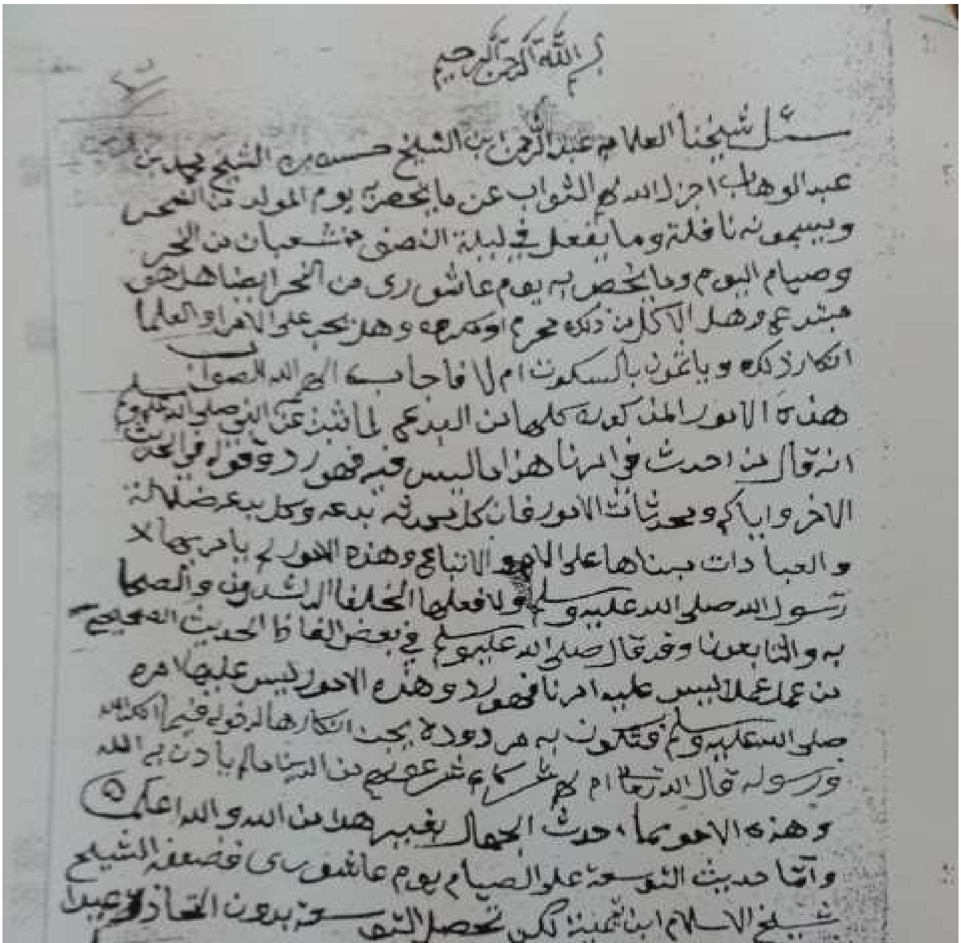
في آية وحديث دخل فيه الإسلام وإذا قرن بينهما فسر الإسلام بالأركان الخمس كما في حديث

جبرائيل وفسر الإيمان بأعمال القلب لأنها أصل الإيمان ومعظمه وقوته وضعفه ناشئ عن قوة

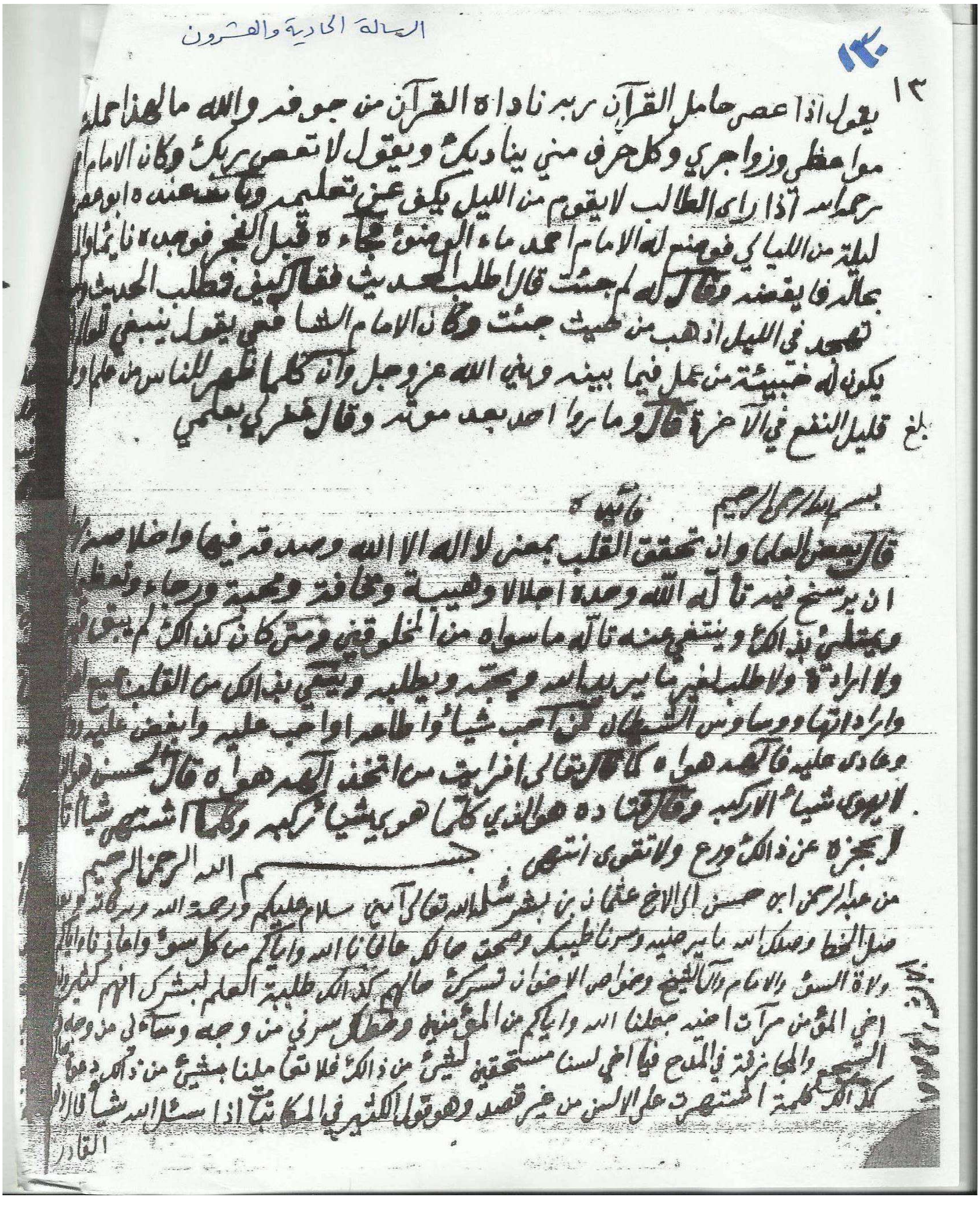
الرِّسالة السَّابعة عشرة :(فضل لا إله إلَّا الله، ومتىٰ يَحرم دَمُ ومال قائلها)، نسخةٌ من دارة الملك عبد العزيز



الرِّسالة العشرون: (أسئلة عن بعض أمور ابتدعها الناس)، نسخة مكتبة الملك فهد الوطنية


بسم الله الرحمن الرحيم
سئل شيخنا العلامة عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن
عبد الوهاب أجزل الله له الثواب عن ما يخص يوم المولد من العمل
ويسمونه نافلة وما يفعل في ليلة النصف من شعبان من الخير
وصيام اليوم وما يخص به يوم عاشوراء من الخير أيضا هل هو
مبتدع وهل الأكل من ذلك محرم أو مكروه وهل يجب على الأمراء والعلماء
إنكار ذلك ويأثمون بالسكوت أم لا فأجاب رحمه الله تعالى
هذه الأمور المذكورة كلها من البدع لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وقوله في الحديث
الآخر وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
والعبادات مبناها على الأمر والاتباع وهذه الأمور لم يأمر بها لا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فعلها الخلفاء الراشدون والصحابة
رضي الله عنهم والتابعون وقد قال صلى الله عليه وسلم في بعض ألفاظ الحديث الصحيح
من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وهذه الأمور ليس عليها أمره
صلى الله عليه وسلم فتكون بدعة مردودة يجب إنكارها [illegible]
ورسوله قال الله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله
وهذه الأمور مما أحدث الجهال بغير هدى من الله والله أعلم
وأما حديث التوسعة على الصيام يوم عاشوراء فضعفه الشيخ
شيخ الإسلام ابن تيمية لكن تحصل التوسعة بدون اعتقاد عيد
آخر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا ٥

الرِّسالة الحادية والعشرون: (في حكم قول: «هو القادر علىٰ ما يشاء»، نسخة مكتبة الأمير سلمان


الرسالة الحادية والعشرون

١٣٠

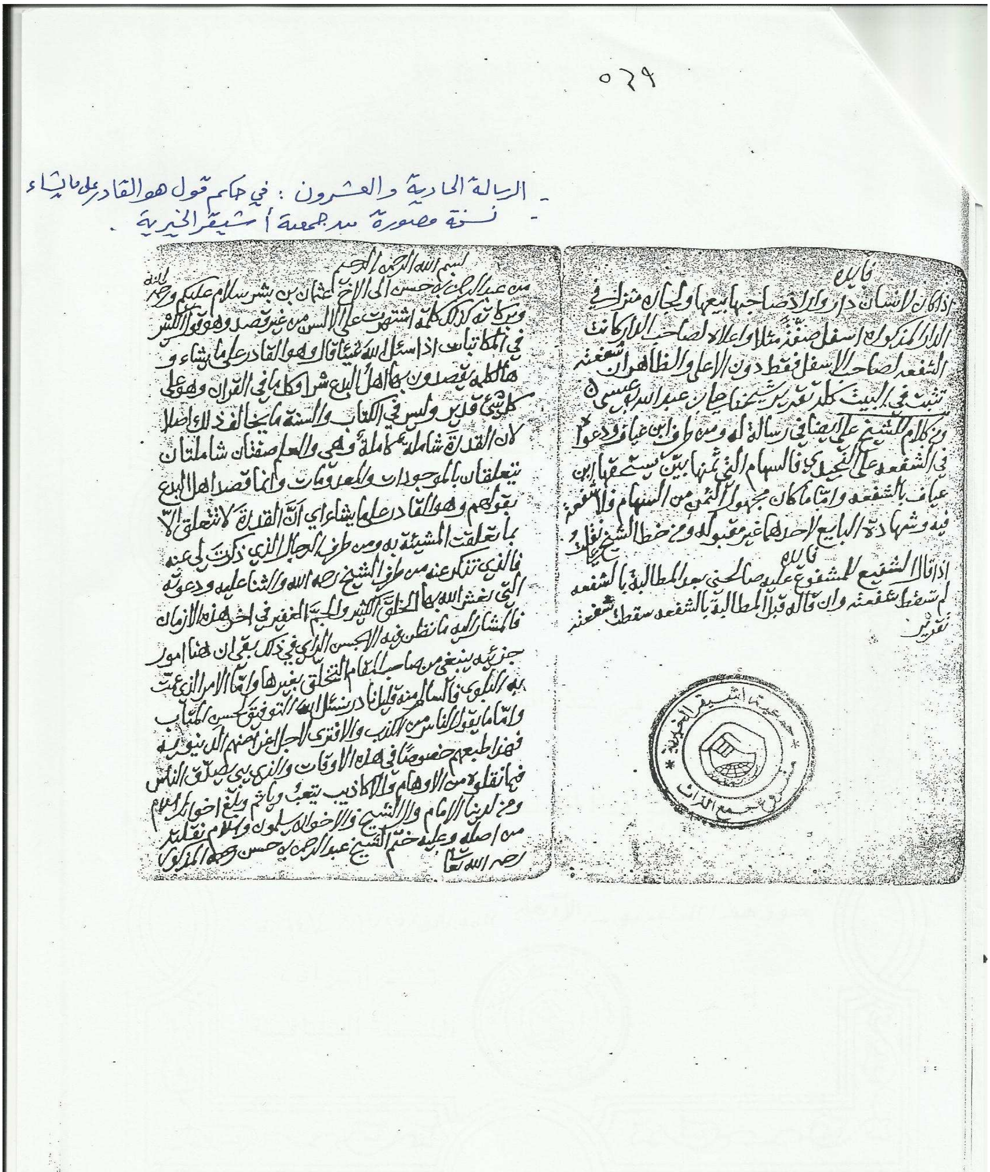
١٣

يقول إذا عصى حامل القرآن ربه ناداه القرآن من جوفه والله ما لهذا حملتـ
مواعظي وزواجري وكل حرف مني ينادي ربك ويقول لا تعص ربك وكان الإمام أ
رحمه الله إذا رأى الطالب لا يقوم من الليل يكف عن تعليمه وبات عنده أبو عصـ
ليلة من الليالي فوضع له الإمام أحمد ماء الوضوء فجاءه قبيل الفجر فوجده نائما والـ
بحاله فأيقظه وقال له لم جئت قال أطلب الحديث فقال كيف تطلب الحديث و
تهجد في الليل اذهب من حيث جئت وكان الإمام الشافعي يقول ينبغي للعالـ
يكون له خبيئة من عمل فيما بينه وبين الله عز وجل وإن كلما تظهر للناس من علم أو
بلغ قليل النفع في الآخرة قال وما رأوا أحد بعد موته وقال ... بعلمي

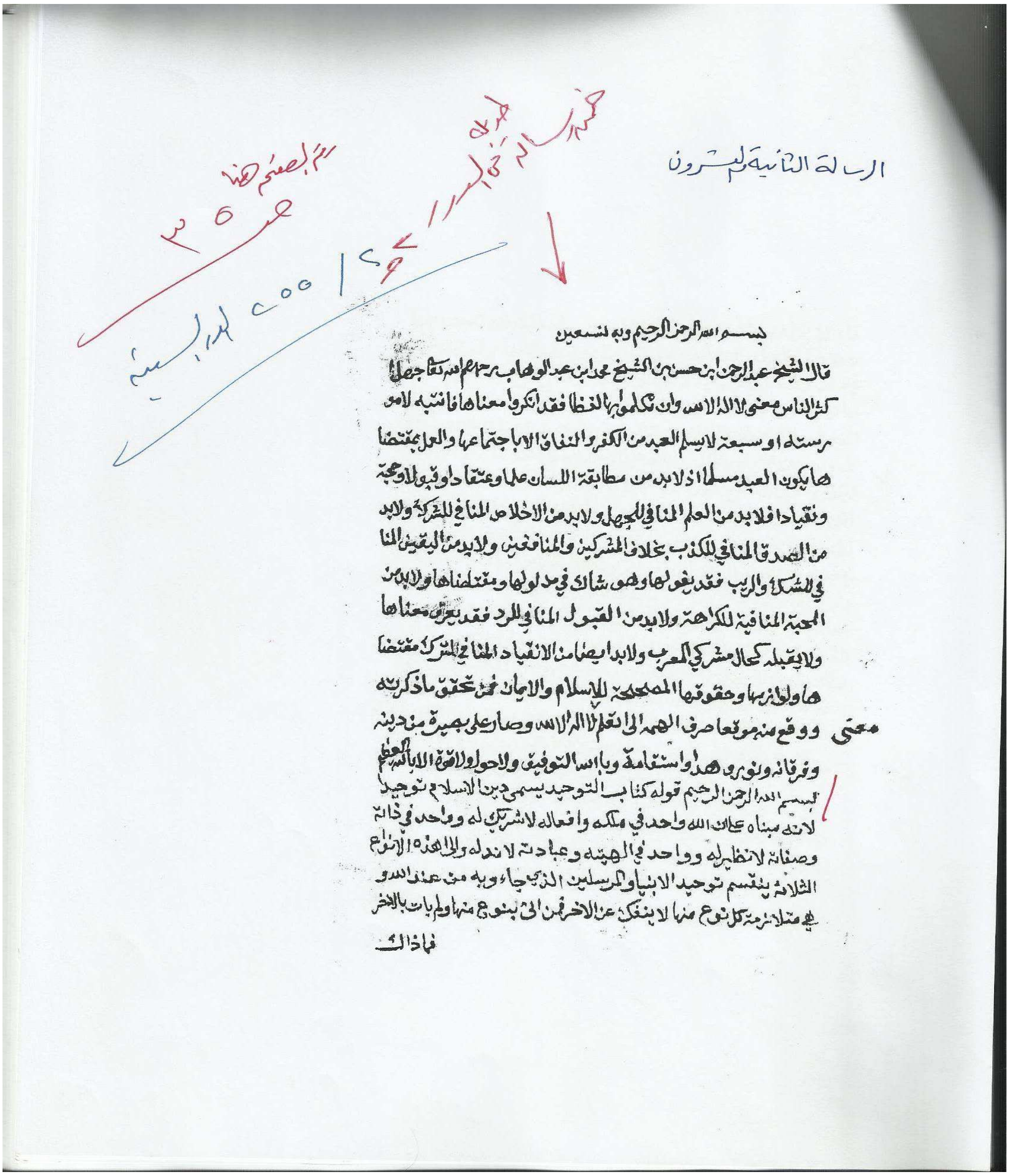
بسم الله الرحمن الرحيم فائدة
قال بعض العلماء وإن تحقق القلب بمعنى لا إله إلا الله وصدق فيها وإخلاصه
أن يرسخ فيه تأله الله وحده إجلالا وهيبة ومخافة ومحبة ورجاء وتعظيـ
ويمتلئ بذلك وينتفي عنه تأله ما سواه من المخلوقين ومتى كان كذلك لم يبق فيه
ولا إرادة ولا طلب لغير ما يريده الله ويحبه ويطلبه وينتفي بذلك من القلب جميع
إرادات النفس ووساوس الشيطان فمن أحب شيئا أو أطاعه أو أحب عليه وأبغض عليه
وعادى عليه فإلهه هواه كما قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه قال الحسن هو الذي
لا يهوى شيئا إلا ركبه وقال قتادة هو الذي كلما هوي شيئا ركبه وكلما اشتهى شيئا أتاه
لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الرحمن ابن حسن إلى الأخ عثمان بن بشر سلمه الله تعالى آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعـ
فقد وصل الخط وصلك الله بما يرضيه وسرنا طيبك وصحة حالك حالنا الله وإياكم من كل سوء وأعاذنا وإياكم
ولاة السوء والإمام وآل الشيخ وخواص الإخوان تسركم حالهم كذلك طلبة العلم يبشرك إنهم كثير
أخي المؤمن مرآة أخيه جعلنا الله وإياكم من المؤمنين وخطك سرني من وجه وساءني من وجه
السجع والمجازفة في المدح فيا أخي لسنا مستحقين لشيء من ذلك فلا تعاملنا بشيء من ذلك
كذلك الكلمة المشتهرة على الألسن من غير قصد وهو قول الكثير في المكاتبات إذا سأل الله شيئا قال
القادر

نسخة من جمعية الأشيقر الخيريَّة



الرِّسالة الثَّانية والعشرون: (متىٰ يَسْلَمُ العبد من الشِّرك والكفر والنِّفاق)، نسخة من دارة الملك عبد العزيز


الرسالة الثانية والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

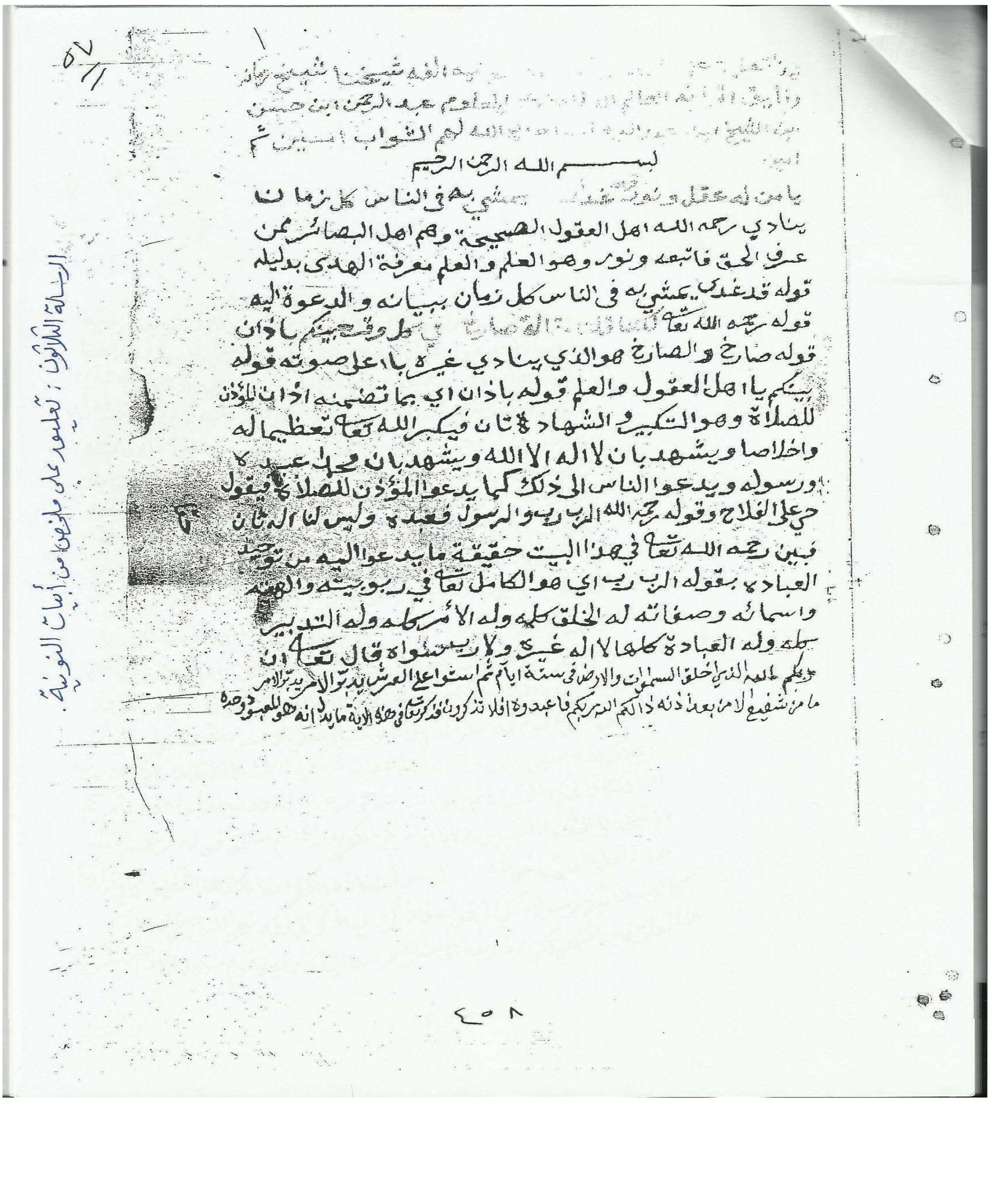
قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى جهل أكثر الناس معنى لا إله إلا الله وإن تكلموا بها لفظا فقد أنكروا معناها فانتبه لأمور ستة أو سبعة لا يسلم العبد من الكفر والنفاق إلا باجتماعها والعمل بمقتضاها يكون العبد مسلما إذ لا بد من مطابقة اللسان علما واعتقادا وقبولا ومحبة وانقيادا فلا بد من العلم المنافي للجهل ولا بد من الإخلاص المنافي للشرك ولا بد من الصدق المنافي للكذب بخلاف المشركين والمنافقين ولا بد من اليقين المنافي للشك والريب فقد يقولها وهو شاك في مدلولها ومقتضاها ولا بد من المحبة المنافية للكراهة ولا بد من القبول المنافي للرد فقد يعرف معناها ولا يقبله كحال مشركي العرب ولا بد أيضا من الانقياد المنافي للترك مقتضاها ولوازمها وحقوقها المصححة للإسلام والإيمان فمن تحقق ما ذكرته معنى ووقع منه موقعا صرف الهمة إلى تعلم لا إله إلا الله وصار على بصيرة من دينه وفرقانه ونور وهدى واستقامة وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله كتاب التوحيد يسمى دين الإسلام توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذي جاءوا به من عند الله وهي متلازمة كل نوع منها لا ينفك عن الآخر فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر فما ذاك

الرِّسالة التَّاسعة والعشرون: (رسالة في معنىٰ الطَّاغوت وأنواعها)، نسخة من دارة الملك عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم هذه كلمات في بيان الطاغوت ووجوب اجتنابه للشيخ عبد الرحمن بن حسن
ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله أرواحهم قال الله تعالى لا إكراه في الدين قد تبين الرشد
من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم
فبين تعالى أن المستمسك بالعروة الوثقى هو الذي يكفر بالطاغوت وقدم الكفر به على الإيمان
بالله لأنه قد يدعي المدعي أنه يؤمن بالله وهو لا يجتنب الطاغوت وتكون دعواه كاذبة وقال
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فأخبر تعالى أن جميع المرسلين
قد بعثوا باجتناب الطاغوت فمن لم يجتنبه فهو مخالف لجميع المرسلين قال تعالى والذين
اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى ففي هذه الآيات من الحجج
على وجوب اجتنابه وجوه كثيرة والمراد من اجتنابه هو بغضه وعداوته وسبه وتقبيحه
باللسان وإزالته باليد عند القدرة ومفارقته فمن ادعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك
فما صدق وأما حقيقته والمراد به فقد تعددت عبارات السلف عنه وأحسن ما قيل
فيه كلام ابن القيم رحمه الله حيث قال الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع
أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو
يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت
العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله
إلى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته انتهى
وحاصله أن الطاغوت ثلاثة أنواع طاغوت حكم وطاغوت عبادة وطاغوت طاعة ومتابعة
والمقصود في هذه الورقة طاغوت الحكم فإن كثيرا من الطوائف المنتسبين إلى الإسلام
قد صاروا يتحاكمون إلى عادات آبائهم ويسمون ذلك الحق بشرع الرفاقة كقولهم شرع عجمان
وشرع قحطان وغير ذلك وهذا هو الطاغوت بعينه الذي أمر الله باجتنابه
وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة وابن كثير في تفسيره أن من فعل ذلك فهو
كافر بالله زاد ابن كثير يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله قال شيخ الإسلام ولا ريب
أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ومن استحل أن يحكم بين الناس
بما يراه عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل
وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون
بعاداتهم التي لم ينزل الله بها من سلطان كسوالف البوادي وكأوامر المطاعين في عشائرهم
ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر فإن كثيرا من الناس
أسلموا ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون في عشائرهم
فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف
ما أنزل الله فهم كفار انتهى وفيه بيان كفر الحاكم نفسه والمتحاكمين على الوجه الذي ذكره

الرِّسالة الثَّلاثون: (تعليق على ملخَّص من أبيات النُّونيَّة)، نسخة من مكتبة الملك فهد الوطنيَّة



[illegible] رحمه الله شيخنا شيخ [illegible]
[illegible] العلامة عبد الرحمن بن حسن
[illegible] الله لهم الثواب [illegible]

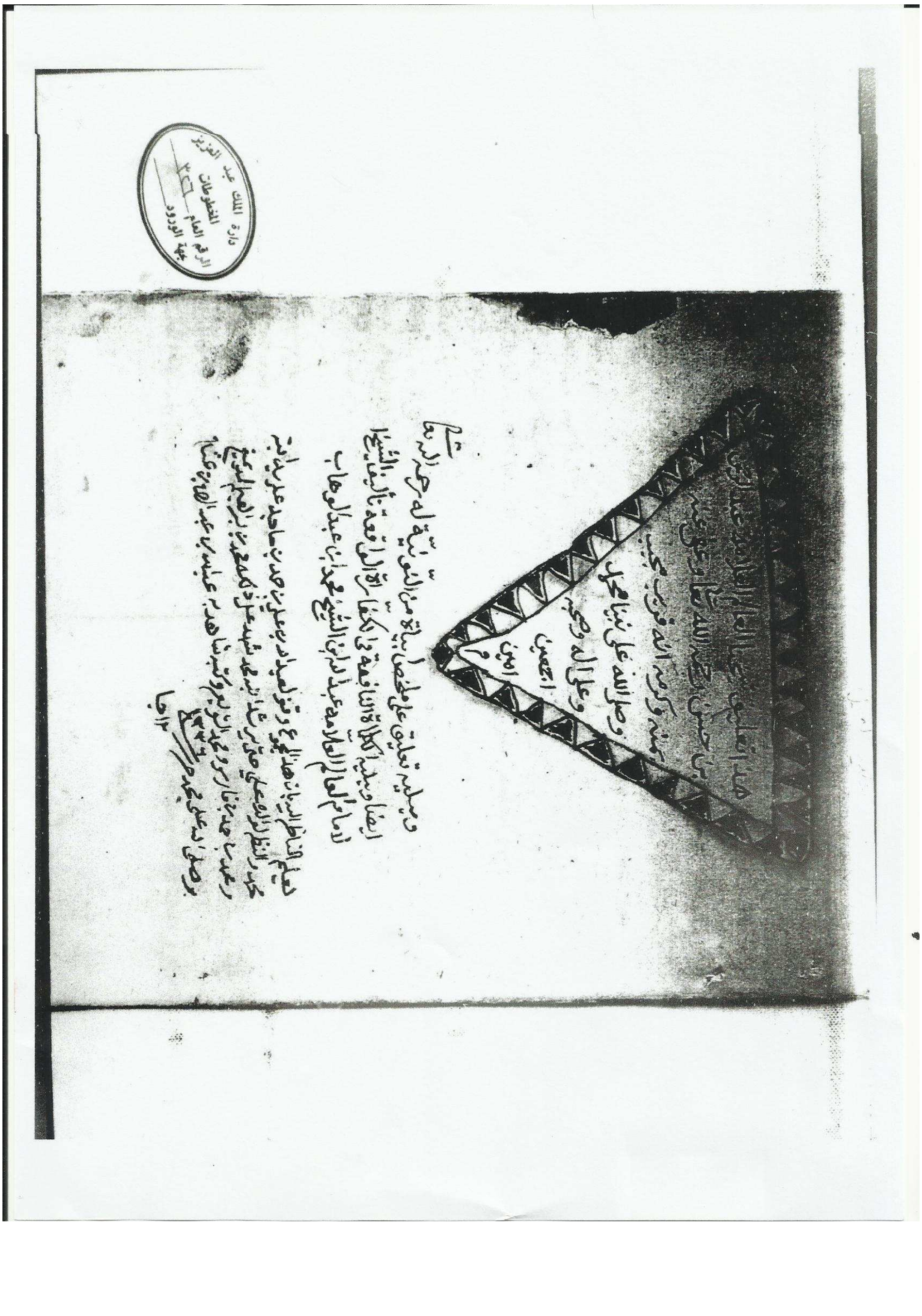
بسم الله الرحمن الرحيم

يا من له عقل ونور قد غدا [illegible] يمشي به في الناس كل زمان

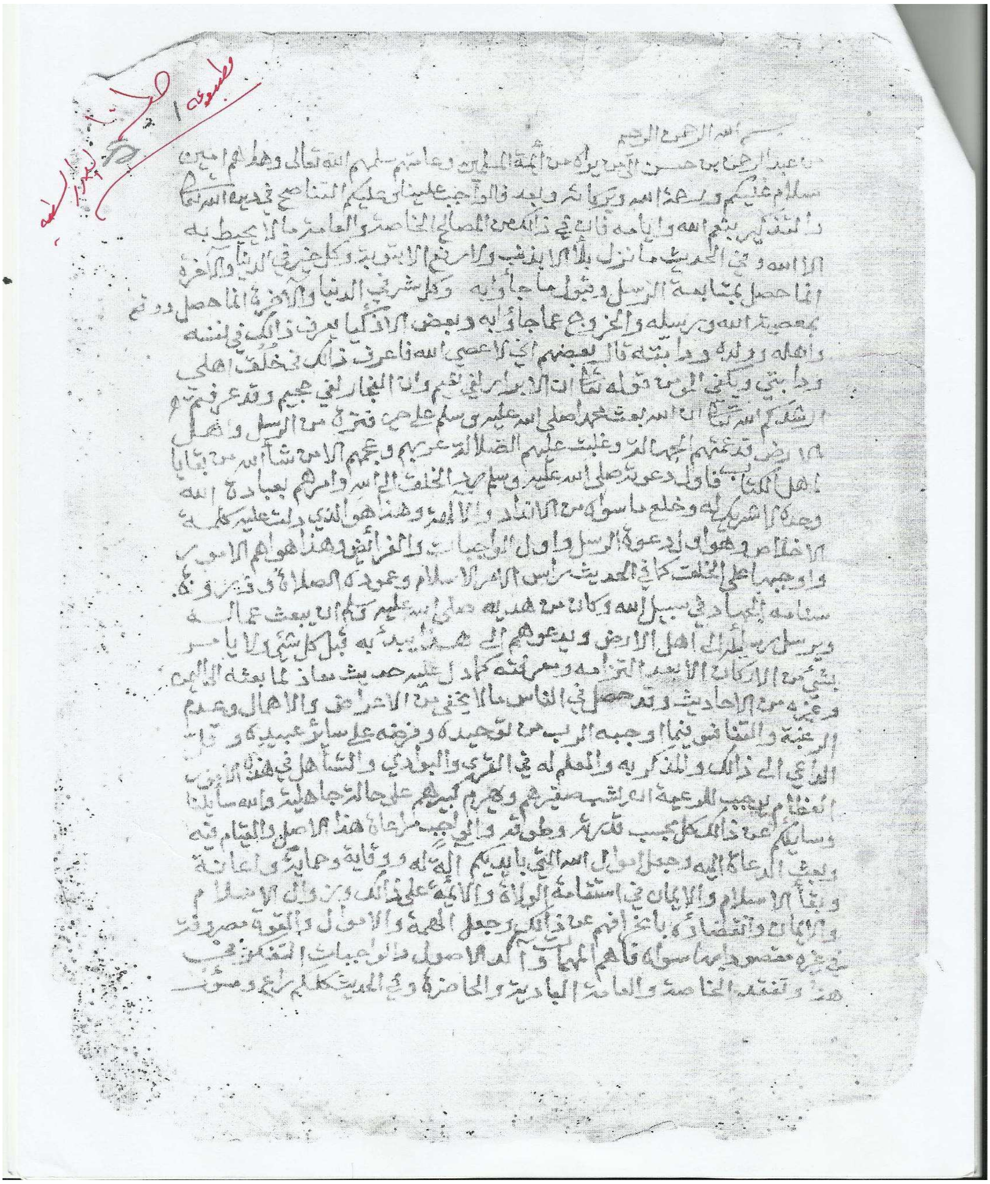
ينادي رحمه الله اهل العقول الصحيحة وهم اهل البصائر ممن عرف الحق فاتبعه ونور وهو العلم والعلم معرفة الهدى بدليله قوله قد غدى يمشي به في الناس كل زمان ببيانه والدعوة اليه قوله رحمه الله تعالى [illegible] طرقت بينكم باذان قوله صارخ والصارخ هو الذي ينادي غيره باعلى صوته قوله بينكم يا اهل العقول والعلم قوله باذان اي بما تضمنه اذان المؤذن للصلاة وهو التكبير والشهادتان فيكبر الله تعالى تعظيما له واخلاصا ويشهد بان لا اله الا الله ويشهد بان محمدا عبده ورسوله ويدعوا الناس الى ذلك كما يدعوا المؤذن للصلاة فيقول حي على الفلاح وقوله رحمه الله الرب ربي والرسول فعبده وليس لنا اله ثان فبين رحمه الله تعالى في هذا البيت حقيقة ما يدعوا اليه من توحيد العبادة بقوله الرب ربي اي هو الكامل تعالى في ربوبيته والهيته واسمائه وصفاته له الخلق كله وله الامر كله وله التدبير كله وله العبادة كلها لا اله غيره ولا رب سواه قال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون فذكر تعالى في هذه الاية ما يدل انه هو المعبود وحده

٤٥٨

نسخة من دارة الملك عبد العزيز



الرسالة الحادية والثلاثون: (رسالة مناصحة للإمام فيصل بن تركي رَحِمَهُ اللَّهُ)، دارة الملك عبد العزيز برقم/ ٢١٧

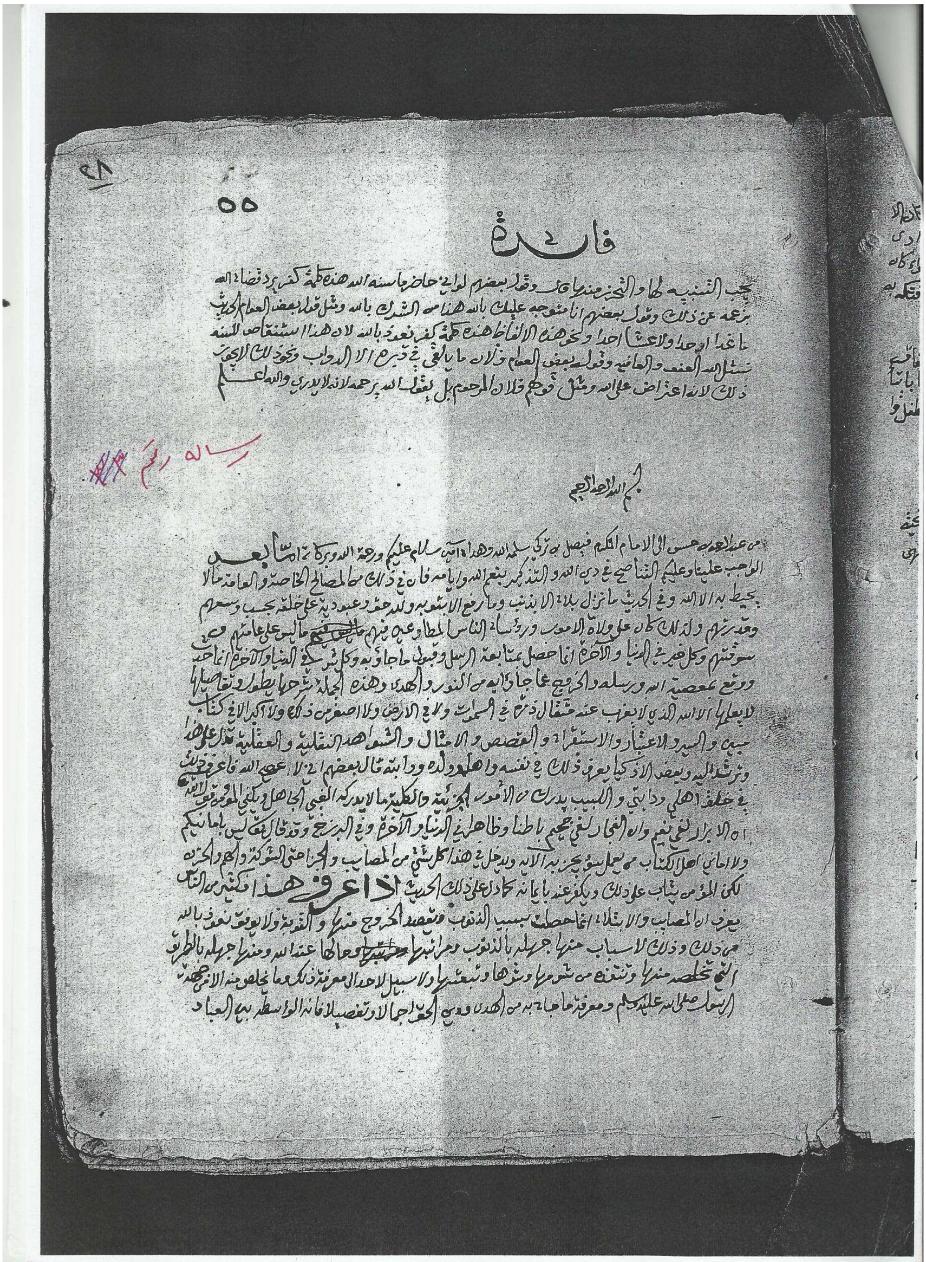


مطبوعة ١

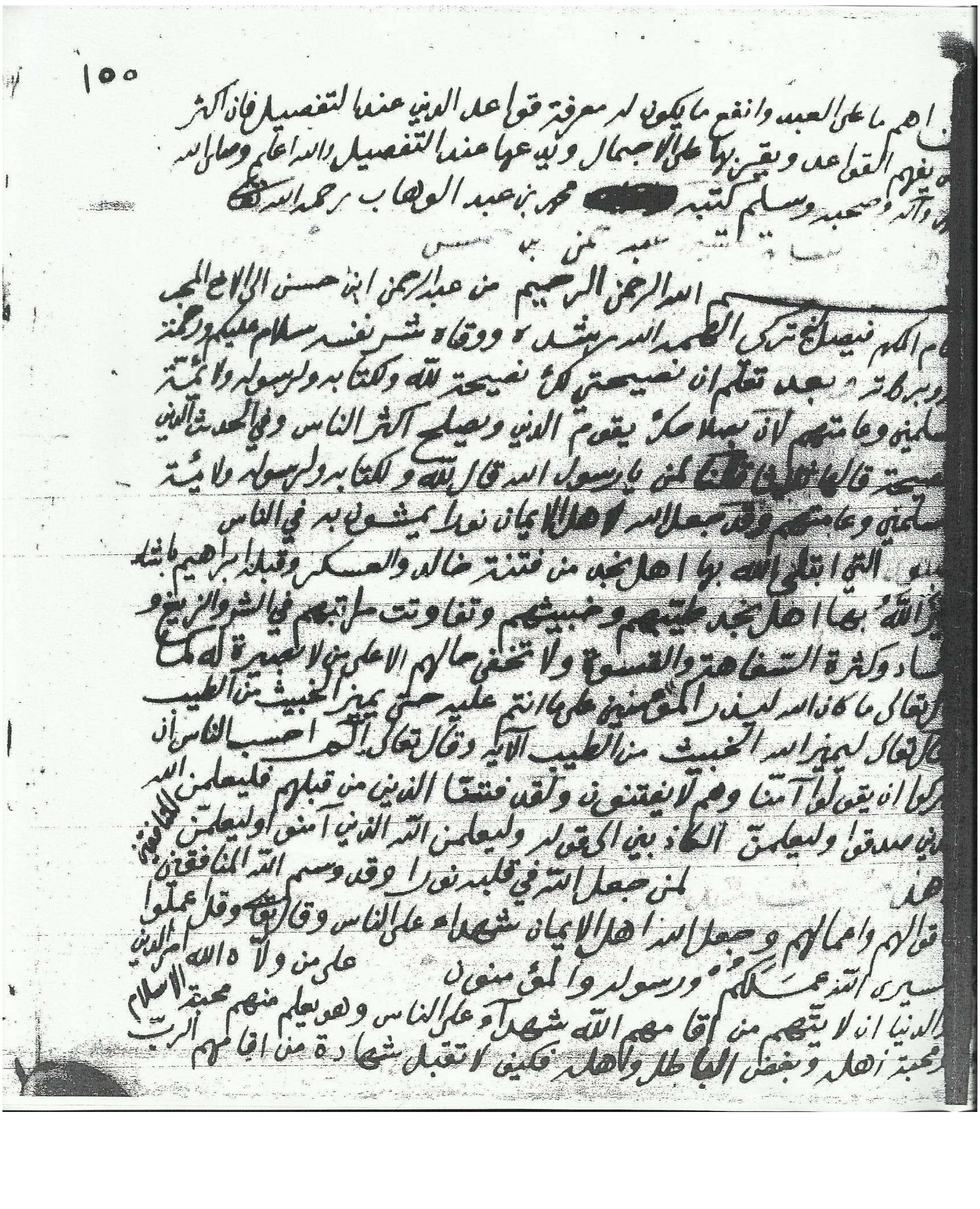
بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى من يراه من أئمة المسلمين وعامتهم سلمهم الله تعالى وهداهم آمين
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالواجب علينا وعليكم التناصح فحمد الله إنما
لا تنقطع بشم الله وإياكم [illegible] في ذلك من المصالح الخاصة والعامة ما لا يحيط به
إلا الله وفي الحديث ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة وكل خير في الدنيا والآخرة
إنما حصل بمتابعة الرسل وقبول ما جاؤوا به وكل شر في الدنيا والآخرة إنما حصل ودوم
بمعصية الله ورسله والخروج عما جاؤوا به وبعض الأذكياء يعرف ذلك في نفسه
وأهله وولده ودابته قال بعضهم إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق أهلي
ودابتي ويكفي المؤمن قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وقد عرفتم
رشدكم الله تعالى أن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل وأهل
الأرض قد عمتهم الجهالة وغلبت عليهم الضلالة عربهم وعجمهم إلا من شاء الله من بقايا
أهل الكتاب فأول دعوته صلى الله عليه وسلم دعا الخلق إليه وأمرهم بعبادة الله
وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأنداد والأصنام وهذا هو الذي دلت عليه كلمة
الإخلاص وهو أول دعوة الرسل وأول الواجبات والفرائض وهذا هو أهم الأمور
وأوجبها على الخلق كما في الحديث رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة
سنامه الجهاد في سبيل الله وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه إذا بعث عماله
ويرسل رسله إلى أهل الأرض يدعوهم إلى هذا ويبدأ به قبل كل شيء ولا يأمر
بشيء من الأركان الأربعة إلا بعد التزامه ومعرفته كما دل عليه حديث معاذ لما بعثه إلى اليمن
وغيره من الأحاديث وقد حصل في الناس ما لا يخفى من الإعراض والإهمال وعدم
الرغبة والتفاني فيما أوجبه الرب من توحيده وفرضه على سائر عبيده وقلة
الداعي إلى ذلك والمذكر به والمعلم له في القرى والبوادي والتساهل في هذه الأمور
العظام بسبب الرعية الرئيسة صغيرهم وهرم كبيرهم على حالة جاهلية والله سائلنا
وسائلكم عن ذلك فكل يجب بقدره وطوقه والواجب مراعاة هذا الأصل والقيام فيه
وبعث الدعاة إليه وجعل أموال الله التي بأيديكم إليه له وقاية وحماية وإعانة
وبقاء الإسلام والإيمان في استقامة الولاة والأئمة على ذلك [illegible] الإسلام
والإيمان وانتقاضه بإعراضهم عن ذلك [illegible] وجعل الهمة والأموال والقوة مصروفة
في غيره مقصوداً بها سواه فأهم المهمات وآكد الأصول والواجبات التفكر في
هذا وتفقد الخاصة والعامة البادية والحاضرة وفي الحديث كلكم راع ومسؤول

نسخة دارة الملك عبد العزيز برقم/ ٤٨٨



الرِّسالة الثَّامنة والثَّلاثون: (رسالة إلىٰ الإمام فيصل بن تركي في وجوب تقريب أهل العلم والصِّدق، وإبعاد أهل النِّفاق والخيانة والظُّلم)، نسخة من مكتبة الأمير سلمان

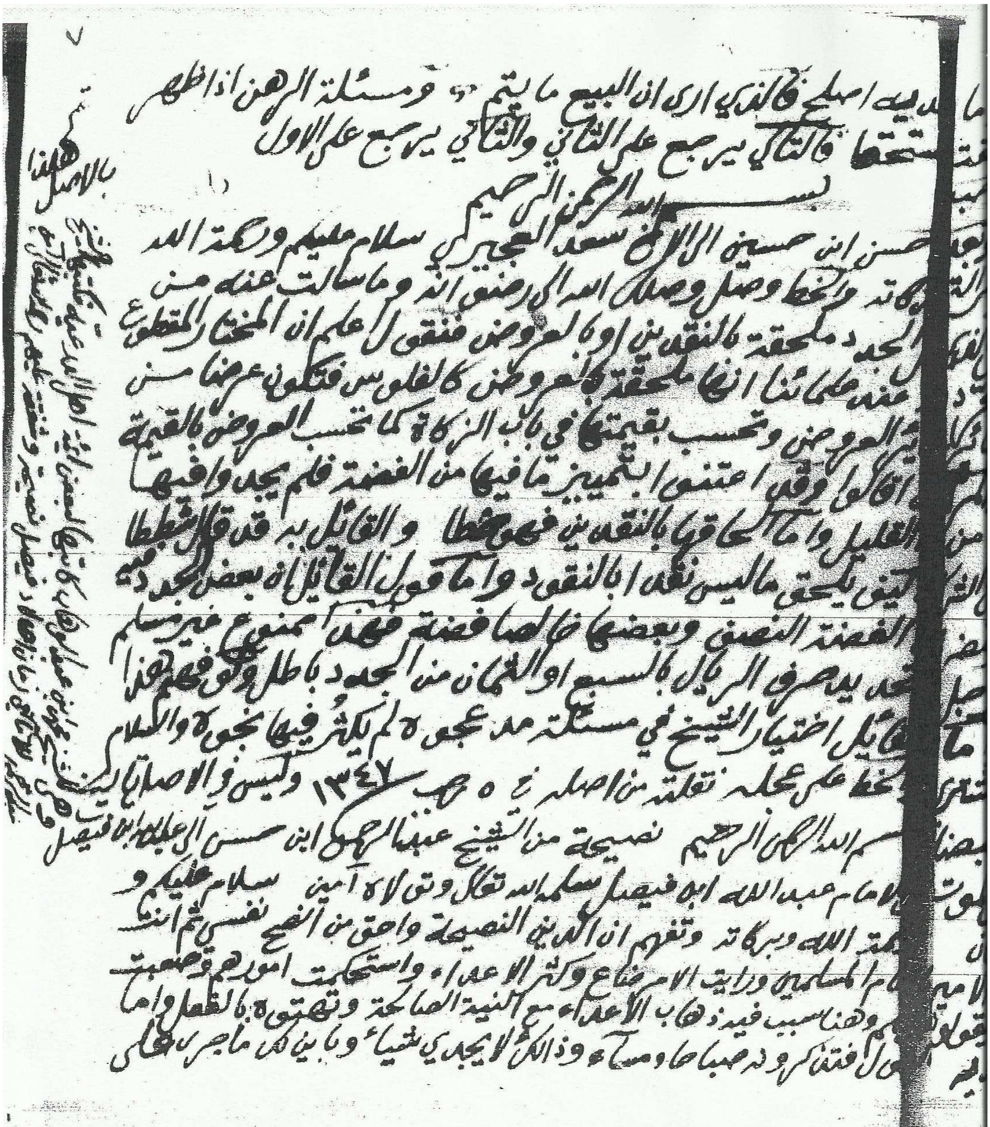


١٥٠

اهم ما على العبد وانفع ما يكون له معرفة قواعد الدين عندها التفصيل فان اكثر
القواعد ويقرين بها على الاجمال ويدعها عند التفصيل والله اعلم وصلى الله
وآله وصحبه وسلم كتبه [redacted] محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

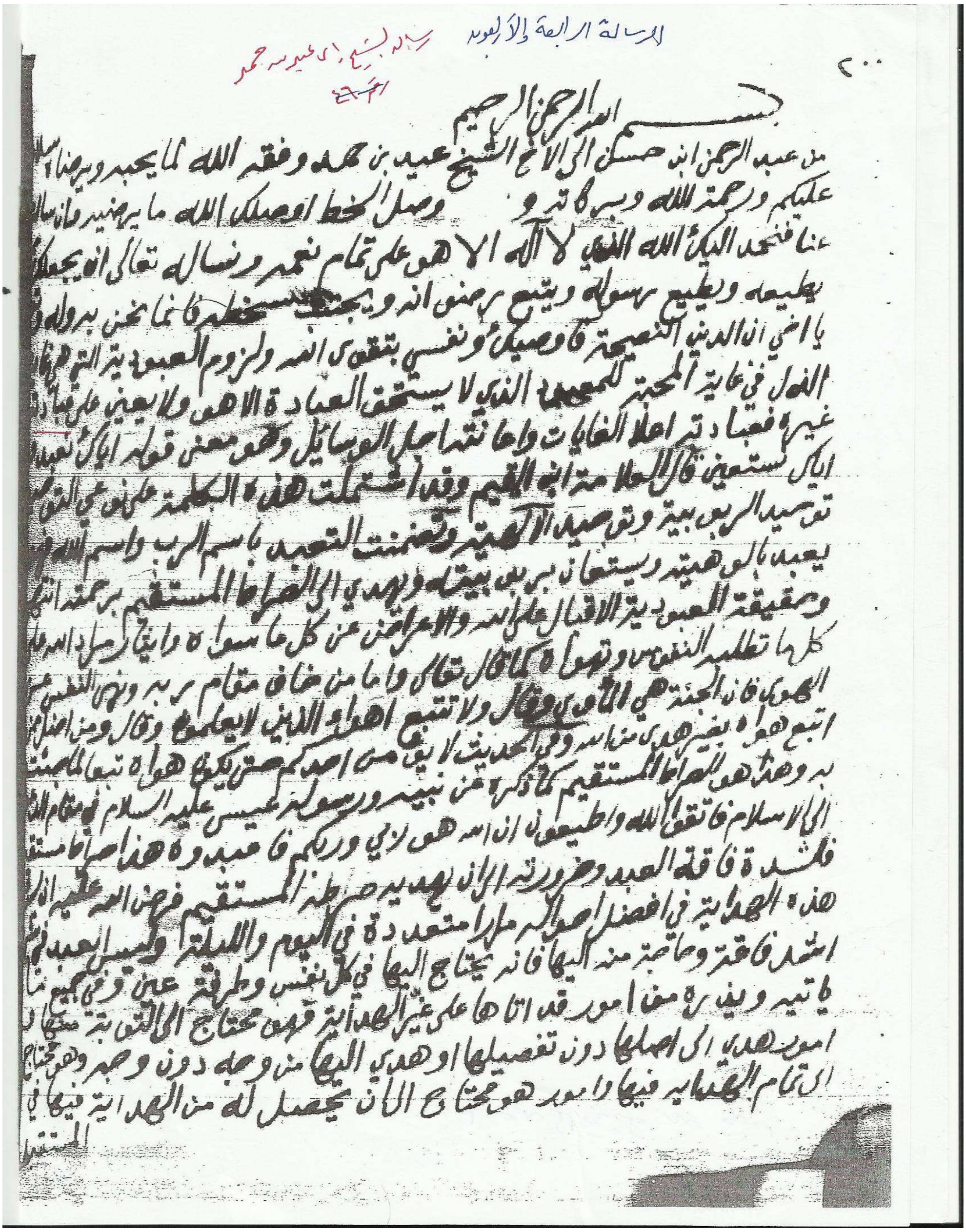
الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن ابن حسن الى الامام المجد
فيصل بن تركي الحمد الله رشده ووقاه شر نفسه سلام عليكم ورحمة
وبركاته وبعد تعلم ان نصيحتي لك نصيحة لله ولكتابه ولرسوله والائمة
المسلمين وعامتهم لان بصلاحك يقوم الدين ويصلح اكثر الناس وفي الحديث الدين
النصيحة قالها ثلاثا قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة
المسلمين وعامتهم وقد جعل الله لاهل الايمان نورا يمشون به في الناس
التي ابتلى الله بها اهل نجد من فتنة خالد والعسكر وقبله ابراهيم باشه
الله بها اهل نجد طيبهم وخبيثهم وتفاوتت مراتبهم في الشر والزيغ و
وكثرة السفاهة والفسوق ولا تخفى حالهم الا على من لا بصيرة له كما
تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب الآية وقال تعالى الم احسب الناس ان
يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين الى قوله وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين
لمن جعل الله في قلبه نورا وقد وسم الله المنافقين
اقوالهم واعمالهم وجعل الله اهل الايمان شهداء على الناس وقال تعالى وقل اعملوا
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون على من ولاه الله امر الدين
الدنيا ان لا يتهم من اقامهم الله شهداء على الناس وهو يعلم منهم محبة الاسلام
محبة اهله وبغض الباطل واهله فكيف لا تقبل شهادة من اقامهم الرب

الرِّسالة الأربعون: (أسباب التَّمكين والعزِّ في الأرض)، نسخة من مكتبة الأمير سلمان


ما يديه اصلح فالذي ارى ان البيع ما يتم ، ومسئلة الرهن اذا ظهر
مستحقا فالثاني يرجع على الثاني والثاني يرجع على الاول
بسم الله الرحمن الرحيم
حسن ابن حسين آل الشيخ الى الاخ سعد العجيري سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته وبعد الخط وصل وصلك الله الى رضى الله وما سألت عنه من
الجدد ملحقة بالنقدين او بالعروض فنفيدك اعلم ان المختار المقطوع
عنده علمائنا انها ملحقة بالعروض كالفلوس فتكون عروضا من
العروض وتحسب بقيمتها في باب الزكاة كما تحسب العروض بالقيمة
وقد اعتنى بتمييز ما فيها من الفضة فلم يجد وافيها
القليل واما الحاقها بالنقدين فهو غلطا والقائل به قد قال شططا
كيف يلحق ما ليس نقدا بالنقود واما قول القائل ان بعض الجدد فيه
الفضة النصف وبعضها خالصا فضة فهذا ممنوع غير مسلم
يصرف الريال بالسبع او الثمان من الجدد باطل وكذا فهم هذا
اختيار الشيخ في مسئلة مد عجوة لم يكثر فيها نحو والسلام
خط على عجلة نقلته من اصله في ٥ رجب ١٣٤٧ وليس في الاصل
بسم الله الرحمن الرحيم نصيحة من الشيخ عبد الرحمن ابن حسن آل الشيخ الى ابن فيصل
الامام عبد الله ابن فيصل سلمه الله تعالى وتولاه آمين سلام عليكم و
رحمة الله وبركاته وتفهم ان الدين النصيحة واحق من انصح نفسي ثم انت
المسلمين ورأيت الامر ضاع وكثر الاعداء واستحكمت امورهم وصعبت
وهذا سبب فيه ذهاب الاعداء مع النية الصالحة وتهتدي بالفعل واما
فتذكره صباحا ومساء وذلك لا يجدي شيئا وبان لكم ما جرى

الرِّسالة الرَّابعة والأربعون: (أهميَّة العبوديَّة، والاستعانة بالله علىٰ تحقيقها)،

نسخة من مكتبة الأمير سلمان



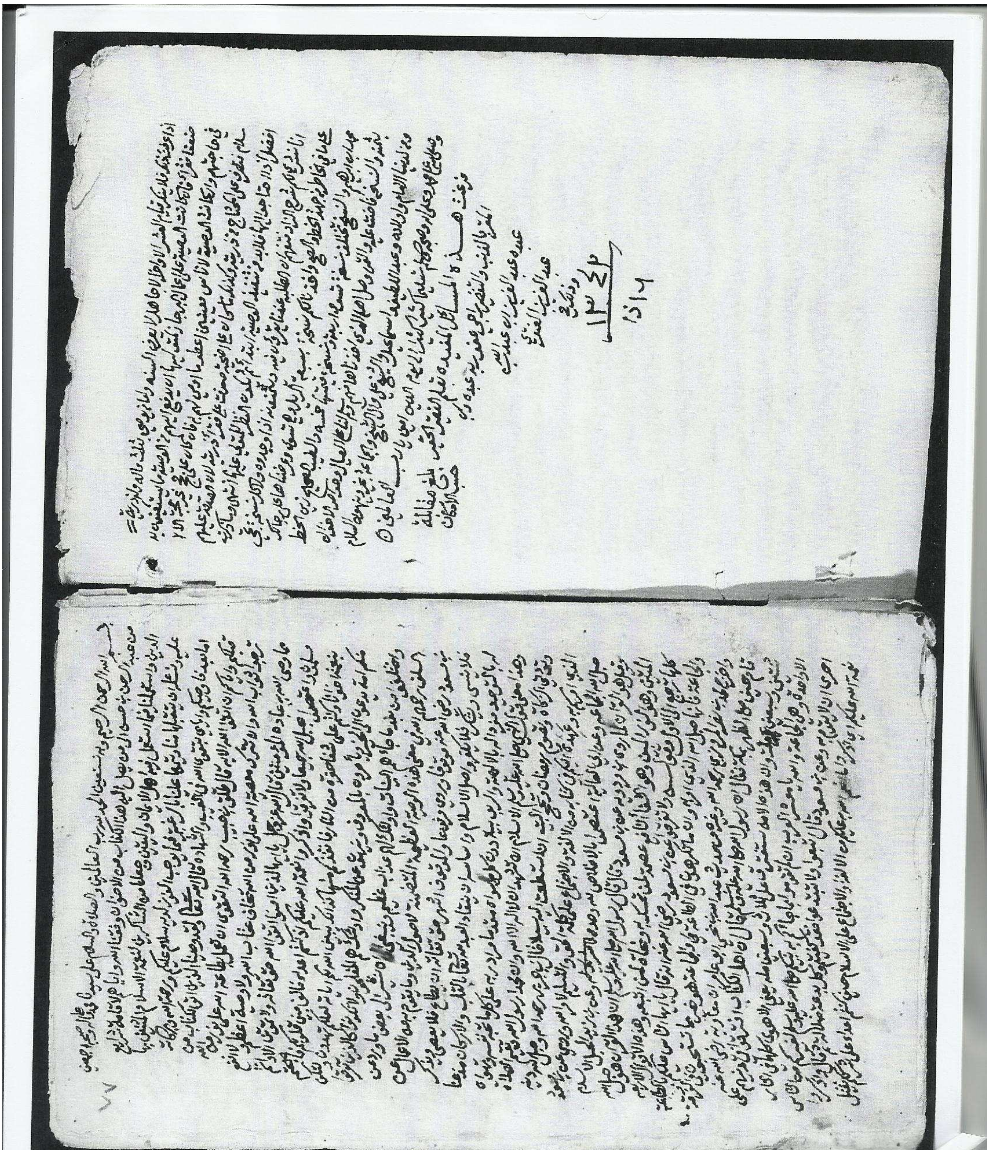
الرسالة الرابعة والأربعون

رسالة الشيخ إلى عبيد بن حمد

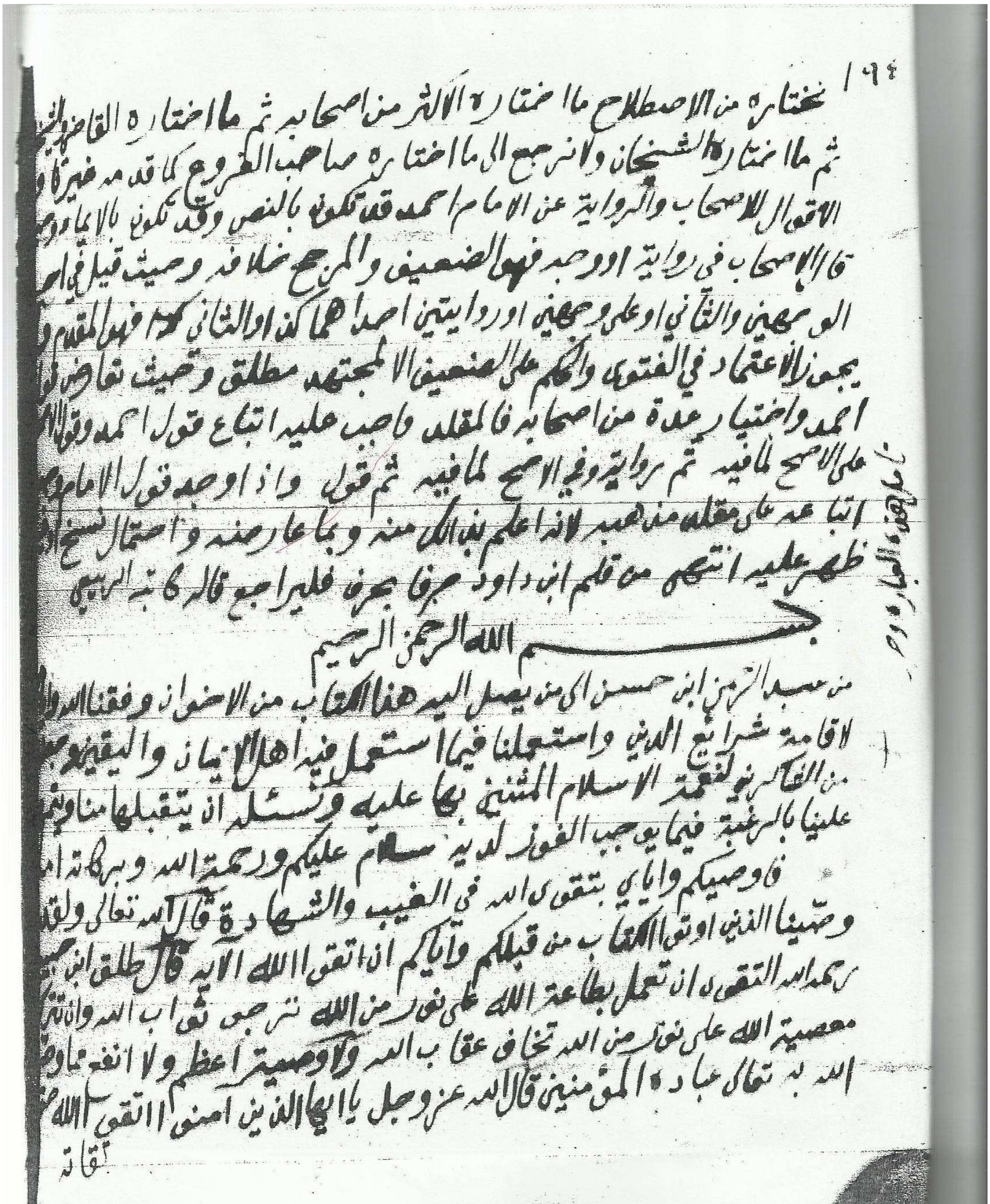
بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن ابن حسن إلى الأخ الشيخ عبيد بن حمد وفقه الله لما يحبه ويرضاه [illegible]
عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد وصل الخط أوصلك الله ما يرضيه وإن سألت [illegible]
عنا فنحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو على تمام نعمه ونسأله تعالى أن يجعلنا [illegible]
يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فإنما نحن به وله [illegible]
يا أخي إن الدين النصيحة فأوصيك ونفسي بتقوى الله ولزوم العبودية التي هي [illegible]
الذل في غاية المحبة للمعبود الذي لا يستحق العبادة إلا هو ولا يعين على عبادته
غيره فعبادته أعلا الغايات وإعانته أجل الوسائل وهو معنى قوله إياك نعبد
وإياك نستعين قال العلامة ابن القيم وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد
توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله [illegible]
يعبد بالإلهية ويستعان بربوبيته ويهدي إلى الصراط المستقيم برحمته [illegible]
وحقيقة العبودية الإقبال على الله والإعراض عن كل ما سواه وإيثار مراد الله على
كل ما تطلبه النفوس وتهواه كما قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهوى فإن الجنة هي المأوى وقال ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون وقال ومن أضل ممن
اتبع هواه بغير هدى من الله وفي الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت
به وهذا هو الصراط المستقيم كما ذكره عن نبيه ورسوله عيسى عليه السلام في مقام الدعوة
إلى الإسلام فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
فلشدة فاقة العبد وضرورته إلى أن يهديه صراطه المستقيم فرض الله عليه أن [illegible]
هذه الهداية في أفضل أحواله مرارا متعددة في اليوم والليلة وليس العبد [illegible]
أشد فاقة وحاجة منه إليها فإنه يحتاج إليها في كل نفس وطرفة عين وفي جميع ما
يأتيه ويذره من أمور قد أتاها على غير الهداية فهو محتاج إلى التوبة منها [illegible]
أمور هدي إلى أصلها دون تفصيلها أو هدي إليها من وجه دون وجه وهو محتاج
إلى تمام الهداية فيها وأمور هو محتاج الآن يحصل له من الهداية فيها في
المستقبل

الرِّسالة السَّابعة والأربعون: (الوصيَّة بتقوى الله وبيان حقيقتها)، نسخة من دارة الملك عبد العزيز



نسخة من مكتبة الأمير سلمان



١٦٤

مختاره من الاصطلاح ما اختاره الأكثر من أصحابه ثم ما اختاره القاضي
ثم ما اختاره الشيخان وانه يرجع الى ما اختاره صاحب الفروع كما قدمه في غيرها
الأقوال للأصحاب والرواية عن الامام احمد قد تكون بالنص وقد تكون بالإيماء
قال الاصحاب في رواية او وجه فهو الضعيف والمرجح خلافه وحيث قيل في
الوجهين والثاني او على وجهين او روايتين احدهما كذا والثاني كذا فهو المقدم
يجوز الاعتماد في الفتوى والحكم على الضعيف الا لمجتهد مطلق وحيث تعارض
احمد واختيار عدة من اصحابه فالمقلد واجب عليه اتباع قول احمد
على الاصح لما فيه ثم رواية وجه الاصح لما فيه ثم قول واذا وجد قول الامام
اتباعه على تقليد مذهبه لانه اعلم بذلك منه وبما عارضه واحتمال النسخ
ظهر عليه انتهى من قلم ابن داود حرفا بحرف فليراجع قاله كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن الى من يصل اليه هذا الكتاب من الاخوان وفقنا الله
لاقامة شرائع الدين واستعملنا فيما استعمل فيه اهل الايمان واليقين
من الشاكرين لنعمة الاسلام المثنين بها عليه ونسأله ان يتقبلها منا
علينا بالرغبة فيما يوجب الفوز لديه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما
فأوصيكم واياي بتقوى الله في الغيب والشهادة قال الله تعالى ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله الآية قال طلق بن حبيب
رحمه الله التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك
معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله ولا وصية اعظم ولا انفع مما وصى
الله به تعالى عباده المؤمنين قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق
تقاته

القسم الثاني: تحقيــق الرســائل

الرسالة الأولى(١)

«الرد على جهمي ضال وتفنيد شبهه»(٢)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله علىٰ النَّبيِّ الصَّادق الأمين، وعلىٰ آله وصحبه وَسلَّم تسليمًا، **أمَّا بعد:**

فقَدْ وردت علينا أسئلة من عُمان، صدرت من جهميٍّ ضالٍّ(٣)، يستعجز بها بعض المسلمين، فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم، وما لا فائدة فيه لا يحتاج إلىٰ الاشتغال بالجواب عنه.

---

(١) طبعت في «الدرر السنية» (٣/ ٢١٢، ٢٢١)، و«الجامع الفريد» (ص٢٨٥)، و«مجموعة التوحيد» (ص١٩٧-٢٠٥).

(٢) قد وضعت لجميع الرسائل عناوين باجتهاد مني، بما يناسب موضوع الرسالة، حيث إن الرسائل كلها إلا القليل طبعت في «الرسائل» و«المسائل»، وفي «الدرر»، وفي «الجامع الفريد»، وفي «مجموعة التوحيد» دون عناوين.

(٣) لم يتبين لي مَنْ هو هذا الجهمي. وأما الجهمية فهي فرقة من فرق أهل الكلام، من أشهر بدعهم: نفي الأسماء والصفات، وقولهم: إن الإيمان هو المعرفة، ويقولون بالجبر وبفناء النار، وهي تنسب إلىٰ جهم بن صفوان السمرقندي، قتله مسلم بن أحوز المازني أمير مرو بخراسان في آخر بني أمية.

قال عنه الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: الضال المبتدع رأس الجهمية. «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٢٦).

وقال عنه أيضًا: هلك في زمان التابعين، وما علمته روىٰ شيئًا، لكنه زرع شرًّا عظيمًا. «لسان الميزان» (٢/ ١٤٢). انظر عن الجهمية «مقالات الإسلامية» للأشعري (١/ ٢١٤)، «الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص١٨٦)، «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٩٧).

فممَّا ينبغي أن نجيب عنه قوله: إنَّ الاسمَ مشتقٌّ من السُّمو، أو من السِّمة، واشتقاق الاسم من هذين ذكره[١] العلماء -رحمهم الله تعالىٰ- في كتبهم، لكن يَتعيَّن أن نسأله عن كيفيَّة هذا الاشتقاق؟ وما معنىٰ الاشتقاق الَّذي ذكره العلماء؟ فنَطْلب منه الجواب عن هذين الأمرين، وإن كانا مذكورين في كتب النُّحاة وغيرهم، وقد ذكرته في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»[٢].

وأمَّا سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر، فالقدر أصلٌ من أصول الإيمان، كما في سؤال جبريل ﷺ، وما أَجَابه به رسول الله ﷺ حين سأله، قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[٣]، وفي الحديث الصحيح: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرىٰ بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة**»[٤]، أي: جرىٰ بما يكون ممَّا يعلم[٥] الله تعالىٰ، فإنَّه تعالىٰ يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف يكون ﴿لَا

(١) في «مجموعة التوحيد الهندية»: «يذكره».

(٢) «فتح المجيد» (ص١١)، ونصه: «والاسم مشتق من السمو، وهو العلو، وقيل: من الوسم وهو العلامة؛ لأن كل ما سمي فقد نوه باسمه ووسم».

(٣) طرف من حديث جبريل المشهور الذي رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه (ح/ ٨)، وجاء أيضًا من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (ح/ ٥٠)، ومسلم (ح/ ٩)، وهذا الحديث بيان سؤال جبريل عليه السلام النَّبيَّ ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وعلاماتها، وهو حديث مشهور يعد من الأحاديث الشاملة علىٰ أصول الدين. قال عنه ابن رجب رحمه الله تعالىٰ: «وهو حديث عظيم جدًّا اشتمل علىٰ شرح الدين كله». «جامع العلوم والحكم» (ص٣٥).

(٤) رواه الترمذي في التفسير (ح/ ٣٣١٩)، وفي أبواب القدر (ح/ ٢١٥٥)، ورواه أبو داود في السُّنَّة (ح/ ٤٧٠٠).

(٥) في «مجموعة التوحيد الهندية»: «يعلمه الله».

يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٣]، وأمَّا القضاء: فيطلق في القرآن، ويراد به إيجاد المقدَّر، كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:١٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ:١٤].

ويُطْلق ويراد به(١): الإخبار بما سيقع ممَّا قدر،كقولِهِ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء:٤] أخبرهم في كتابه(٢) أنَّهم يفسدون في الأرض مرتين، ويطلق ويراد به الأمر والوصية، كَمَا قَالَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٤]، أي: أمر ووصىٰ.

ويطلق ويراد به: الحكم، كقوله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر:٦٩]، ويطلق ويراد به القدر، ونحو ذلك.

وأمَّا ما زعمه من أنَّ الأدلَّة الدَّالَّة علىٰ استوائه علىٰ عرشه لا تمنع أن يكون مستويًا علىٰ غيره. فالجواب أن نقول: قد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة قديمًا وحديثًا علىٰ أنَّه لا يجوز أن يوصف الله بما لم(٣) يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله ﷺ، ومَنْ وصفه بغير ما وصف به نفسه، أو وَصَفه به رسوله ﷺ فهو جهميٌّ، ضالٌّ مضلٌّ، يقول علىٰ الله بلا علمٍ(٤).

---

(١) في «مجموعة التوحيد الهندية»: «ويراد بها».

(٢) في «مجموعة التوحيد الهندية»: «كتابهم». قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: تقدم إليهم، وأخبرهم في الكتاب الذي أنزل عليهم... إلخ». (٣/ ٣٨).

(٣) في «مجموعة التوحيد الهندية»: «بما لا».

(٤) روىٰ البيهقي عن الإمام الأوزاعي قال: «كنا -والتابعون متوافرون- نقول: إن الله -تعالىٰ =

=

ذِكْره- فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السُّنَّة من الصفات». «الأسماء والصفات» (ص٤٠٨). وصحح إسناده ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الحموية» (ص٢٩٦)، وفي «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٦٢)، ورَوَاه الذهبي أيضًا في «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٨١)، وقال: هذا إسناد صحيح. وكذا جود إسناده ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٧).

وقال محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة: «اتفق الفقهاء علىٰ ما جاءت به النصوص من صفات الله عَزَّوَجَلَّ حيث يقول: اتفق الفقهاء من المشرق إلىٰ المغرب علىٰ الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عَزَّوَجَلَّ من غير تفسير، ولا وصف، ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئًا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النَّبيُّ ﷺ، وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا، ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسُّنَّة، ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم، فقَدْ فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء»، أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» (٢/ ٤٣٢)، وابن قدامة في «ذم التأويل» (ص١٣)، وذكره ابن تيمية في «الفتاوىٰ» (٤/ ٤)، وقال معلقًا: «فانظر -رحمك الله- إلىٰ هذا الإمام كيف حكىٰ الإجماع في هذه المسألة، ولا خير فيما خرج عن إجماعهم». ونقله أيضًا في «الحموية»، ثم قال: محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء. وقد نقل هذا الإجماع، وأخبر أن الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالبًا أو دائمًا. «الفتاوىٰ» (٥/ ٥٠). وقد نقل الإجماع علىٰ هذا أيضًا الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «أهل السُّنَّة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة، والإيمان بها، وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها، والخوارج، فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئًا منها علىٰ الحقيقة، ويزعمون أنَّ مَنْ أقرَّ بها مشبه، وهم عند مَنْ أثبتها نافون للمعبود. والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسُنَّة رسوله، وهم أئمة الجماعة». «التمهيد» (٧/ ١٤٥). ونقل الإجماع أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «فالذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يُوصَف الله بما وصف به نفسه، وبما وصف به رسوله من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، فإنه قد علم بالشرع مع العقل أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله». «شرح الأصبهانية» (ص٣٤، ٣٥)، ونقله كذلك في «الفتاوىٰ» (١١/ ٢٥٠)، (١٢/ ٦٧)، و«منهاج السُّنَّة» (٢/ ١٢٩).

وقَدْ ذكر سبحانه استواءه علىٰ عرشه في سبعة مواضع من كتابه؛ في سورة الأعراف(١)، وفي سورة يونس(٢)، وفي سورة الرعد(٣)، وفي سورة طه(٤)، وفي سورة الفرقان(٥)، وفي سورة السجدة(٦)، وفي سورة الحديد(٧)، ولم يذكر تعالىٰ أنَّه استوىٰ علىٰ غير العرش، ولا ذكره رسوله ﷺ، فعلم أنَّه ليس من صفاته التي يجوز أن يوصف بها، فمَنْ أدخل في صفات الله ما لم يذكر في كتاب الله، ولا في سُنَّة رسولِهِ، فهو جهميٌّ، يقول علىٰ الله ما لا يعلم.

وقَدْ قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾(٨) [سبأ:٢٣] عُلُو القَدْر، وعُلُو القهر، وعُلُو الذَّات، لا يجوز أن يوصف إلَّا

(١) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟﴾ [الآية:٥٤].
(٢) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية:٣].
(٣) ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية:٢].
(٤) ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الآية:٥].
(٥) ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الآية:٥٩].
(٦) ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية:٤].
(٧) ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية:٤].
(٨) قال ابن كثير عند شرحه لهذه الآية: «وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح (إمرارها كما جاءت)، من غير تكييفٍ، ولا تشبيهٍ». «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٣٢).

بذلك كلِّه، لكماله تعالىٰ في أوصافه، فله الكمال المطلق في كلِّ صفة وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ، وقال تعالىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [غافر:١٥].

فذكر العرش عند هَذِهِ الصِّفة من أدلَّة فوقيَّته تعالىٰ كما هو صريحٌ فيما تقدَّم من الآيات، وكقوله تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾(١) [الشورىٰ:٥].

وذكر النَّبيُّ ﷺ في معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾(٢) [الحديد:٣] «**اللَّهمَّ أنت الأوَّل فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخر فليس بعدك شيءٌ، وأنت الظَّاهر فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطن فليس دونك شيءٌ**»(٣)، فقوله: «**ليس فوقك شيءٌ**» نصٌّ في أنَّه تعالىٰ فوق جميع المخلوقات، وهو الَّذي ورد عن الصَّحَابة والتَّابعين من المُفسِّرين وغيرهم(٤) في معنىٰ قوله:

(١) في «مجموعة التوحيد الهندية»: زيادة (الآية).

(٢) في «مجموعة التوحيد الهندية»: زيادة (الآية).

(٣) هذا الحديث رواه مسلم (ح/ ٢٧١٣)، ولفظه: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**»، وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِي ﷺ.

(٤) انظر كتاب: «إثبات صفة العلو» لابن قدامة المقدسي، وكتاب «العرش»، وكتاب «العلو» للذهبي، فقد أوردوا نصوصًا كثيرةً عن الصحابة، والتابعين، وأئمة السلف في استواء الله علىٰ عرشه، وعلوه علىٰ جميع مخلوقاته، وغيرها من كتب التفسير والعقائد للسلف.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] إنَّ معنىٰ استوىٰ: استقرَّ وارتفع وعَلَا، وكلُّها بمعنىٰ واحدٍ(١)، لا ينكر هذا إلَّا جهميٌّ(٢) زنديقٌ(٣)، يحكم علىٰ الله، وعلىٰ أسمائه وصفاته بالتَّعطيل، قَاتَلهم الله أنَّىٰ يؤفكون. والنُّصُوص الدَّالَّة علىٰ إثبات الصِّفات كثيرة جدًّا. وقَدْ صَنَّف أهل السُّنَّة من المحدثين والعلماء مصنفات كبارًا، ومن ذلك: كتاب السُّنَّة لعبد الله بن الإمام أحمد(٤)، ذكر فيه

(١) قال الإمام ابن كثير في «تفسيره»: «وأما قوله تعالىٰ: «ثم استوىٰ علىٰ العرش»، فللناس في هذا المقام مقالاتٌ كثيرةٌ جدًّا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم، من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت، من غير تكييفٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيلٍ». «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٠٤-٣/ ١٩٨).

(٢) الجهمية قد تقدم تعريفها.

(٣) الزنديق هو الذي يظهر الإسلام، ويستتر بالكفر، وهو المنافق، كان يُسمَّىٰ في عصر النَّبيِّ ﷺ منافقًا، ويسمىٰ اليوم زنديقًا. «المغني» لابن قدامة (٩/ ١٥٩). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: «ومن الناس من يقول: الزنديق هو الجاحد المعطل، وهذا يسمىٰ الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة، ونقلة مقالات». «الفتاوىٰ» (٧/ ٤٧١).

قال ابن منظور: والزنديق في اللغة: فارسي معرب، وهو بالفارسية: زَنْدِكِرايْ. وليس في كلام العرب زنديق، وإنما تقول العرب: رجل زَنْدَق وزندقي إذا كان شديد البخل، فإذا أرادت العرب معنىٰ ما تقوله العامة قالوا: مُلحِد ودَهرِيٌّ. «لسان العرب» (١٠/ ١٤٧).

وقال الفيومي: والمشهور علىٰ ألسنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بالشريعة، ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبر عن هذا بقولهم: ملحد، أي: طاعن في الأديان. «المصباح المنير» (ص٩٨).

(٤) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، الإمام الحافظ الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن الشيباني المروزي. روىٰ عن أبيه شيئًا كثيرًا، من جملته «المسند» كله، و«الزهد»، وغيرها. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة تسعين ومئتين، وله سبع وسبعون. انظر ترجمته مطولة في «السير» للذهبي (١٣/ ٥١٦)، وكتاب «السُّنَّة» طبع بعدة تحقيقات.

=

أقوال الصحابة، والتابعين والأئمة، وكتاب التوحيد لإمام الأئمة محمد بن خزيمة(١)، وكتاب السُّنَّة للأثرم(٢) صاحب الإمام أحمد، وكتاب عثمان بن سعيد

=

قلت: ومن مواقفه واتباعه للسُّنَّة وحرصه علىٰ اتباع سبيل السلف الصالح أنه امتنع من الأخذ عن علي بن الجعد لوقفه في مسألة القرآن. هذا وقد أخطأ في حقه وحق والده -رحمهما الله- محقق الجزء الثالث عشر من «سير أعلام النبلاء»، حيث قال معلقًا علىٰ هذا الموقف: «وهذا من تشدداته التي ورثها عن أبيه»! قلت: بل هذا من اتباعهما للسُّنَّة، وتعظيمهما للقرآن، وأنه كلام الله تعالىٰ جزمًا دون تردد أو توقف، وأن المتوقف في ذلك أشد خطرًا ممن يرىٰ أن القرآن مخلوق؛ لأن توقفه يلبس علىٰ الناس، وإيقاع الشك في أن القرآن غير مخلوق، وما هذا الكلام من المحقق إلا جهلًا بمنهج السلف الصالح في التعامل مع المخالف.

(١) محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف، عني في حداثته بالحديث والفقه، حتىٰ صار يُضْرَب به المثل في سعة العلم والإتقان. قال عنه الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب، لعلمه ودينه واتباعه السُّنَّة.

قلت: ومن غيرته علىٰ السُّنَّة واتباعه لسبيل السلف في تحذيره ومعاداته لأهل البدع أنه كتب للسلطان يخبره باستفحال أمر محمد بن كرام، وأن البلية قد عظمت علىٰ العامة بهذا الرجل، وأمره يزداد كل يوم انتشارًا، فكتب السلطان إلىٰ نائبه بنيسابور: أن يمتثل جميع ما يأمره الشيخ محمد بن إسحاق، ولا يخالفه في شيء يشير إليه، فأخذ الأمير إبراهيم بن الحصين برأي ابن خزيمة وغيره من الأئمة، فطرد ابن كرام من نيسابور، فخرج منها إلىٰ بيت المقدس، ومات فيها. ذكر ذلك الإمام أبو القاسم الزنجاني في شرح «المنظومة الرائية» (ص١١٧)، وفي «لسان الميزان» (٥/ ١٤٦)، توفي الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة إحدىٰ عشرة وثلاث مئة.

وكتابه الذي ذكره المؤلف، عنوانه: «كتاب التوحيد وإثبات صفة الرب عَزَّوَجَلَّ» طبع بتحقيق د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان. انظر ترجمته مطولة في «السير» للذهبي (١٤/ ٣٦٥).

(٢) الإمام الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي، الأثرم الطائي، وقيل: الكلبي، أحد الأعلام، ومصنف «السنن»، وتلميذ الإمام أحمد، ولد في دولة الرشيد، حدث عنه النسائي في «سننه»، توفي في حدود الستين ومئتين. انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٣/ ٦٢٣).

الدارمي في رده علىٰ المريسي[(١)].

وكتاب السُّنَّة للخلال[(٢)]، وكتاب العلو للذهبي[(٣)]، وغير ذلك ممَّا لا

(١) الإمام العلامة الحافظ الناقد عثمان بن سعيد التميمي الدارمي السجستاني. صاحب «المسند الكبير»، و«التصانيف»، ولد قبل المئتين بيسيرٍ، وطوف الأقاليم في طلب الحديث. قال الذهبي: كان عثمان الدارمي جذعًا في أعين المبتدعة. توفي الإمام الدارمي سنة ثمانين ومئتين.
وكتابه في الرد علىٰ بشر المريسي ذكره الذهبي في ترجمته، حيث قال: وصنف كتابًا في الرد علىٰ بشر المريسي، وكتابًا في الرد علىٰ الجهمية. وذكره أيضًا في ترجمة بشر المريسي، قال: وقع كلامه إلىٰ عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ، فصنف مجلدًا في الرد عليه. «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣١٩)، والمريسي هو بشر بن غياث بن أبي كريمة، العدوي البغدادي. قال الذهبي: نظر في الكلام، فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوىٰ، وجرد القول بخلق القرآن، ودعا إليه حتىٰ كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم، وكفره عدَّة، ولم يدرك جهم بن صفوان، بل تلقف مقالاته من أتباعه. وقال الذهبي أيضًا: قال أبو بكر الأثرم: سئل أحمد عن الصلاة خلف بشر المريسي، فقال: لا تُصلِّ خلفه. وقال قتيبة: بشر المريسي كافر. هلك بشر المريسي سنة ثماني عشرة ومئتين. وقد قارب الثمانين. «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٩٩).
قلت: هذا العمر قضاه في معاندة السُّنَّة ومحاربة أهلها، ونشر البدعة ومناصرة أهلها، نعوذ بالله من الزيغ والضلال. وهنيئًا لمن استعمله الله في طاعته، يقول الرسول ﷺ: «إنَّ من النَّاس مفاتيح للخير، مغاليق للشَّرِّ، وإنَّ من النَّاس مفاتيح للشَّرِّ، مغاليق للخير، فطُوبىٰ لمن جعل اللهُ مفاتيح الخير علىٰ يديه، وويلٌ لمن جعل اللهُ مفاتيح الشَّرِّ علىٰ يديه»، رواه ابن ماجه (ح/ ١٩٥)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه «السلسلة الصحيحة» (ح/ ١٣٣٢).

(٢) الإمام العلامة الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، ولد في سنة أربع وثلاثين ومئتين. رحل إلىٰ فارس وإلىٰ الشام والجزيرة يتطلب فقه الإمام أحمد وفتاواه وأجوبته، وكتب عن الكبار والصغار، حتىٰ كتب عن تلامذته، وجمع فأوعىٰ. ثم إنه صنف كتاب «الجامع في الفقه» من كلام الإمام أحمد، بأخبرنا وحدثنا يكون عشرين مجلدًا. وألف كتاب السُّنَّة. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في شهر ربيع الأول سنة إحدىٰ عشرة وثلاث مئة. «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٩٧).

(٣) الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين قدوة الحفاظ محدث الشام ومؤرخه شمس الدين أبو =

يُحْصىٰ كثرةً، ولله الحمد والمنَّة.

ونذكر بعض الأحاديث الصَّريحة في المعنىٰ، فمن ذلك: ما رَوَاه ابن أبي حاتم عن النَّوَّاس بن سمعان، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله تعالىٰ أن يوحي بالأمر تكلَّم بالوحي، أخذت السَّمَاوات منه رجفة، أو قَالَ: رعدة شديدة، خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا سمع**[(١)] **ذلك أهل السَّمَاوات، صعقوا، وخرُّوا لله سجدًا، فيكون أوَّل من يرفع رأسه جبرائيل، فيكلِّمه الله من وحيه بما أراد، ثمَّ يمرُّ جبرائيل علىٰ الملائكة، كلَّما مرَّ علىٰ سماءٍ، سأله ملائكتها: ماذا قال ربُّنا يا جبرائيل؟ فيقول جبرائيل: قال الحقَّ، وهو العليُّ الكبير؛ فيقولون كلُّهم مثل ما قال جبرائيل، فينتهي جبرائيل بالوحي إلىٰ حيث أمره الله عَزَّوَجَلَّ**»[(٢)]، ففي هذا

=

عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الفارقي الأصل الدمشقي، الشافعي، المعروف بالذهبي. ولد سنة ثلاث وسبعين وست مئة بدمشق. خرج لجماعة من شيوخه، وجرح وعدل، وفرع وصحح، وعلل واستدرك، وأفاد وانتقىٰ، واختصر كثيرًا من تآليف المتقدمين والمتأخرين، وكتب علمًا كثيرًا. وصنف الكتب المفيدة، ومن أطولها: «تاريخ الإسلام»، ومن أحسنها: «ميزان الاعتدال في نقد الرجال». مات في ليلة الإثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة بدمشق. «ذيل تذكرة الحفاظ» للحافظ أبي المحاسن الدمشقي (ص٣٤).

(١) في «مجموعة التوحيد الهندية»: «سمعوا».

(٢) رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السُّنَّة» برقم (٥١٥)، وابن خزيمة في كتاب «التوحيد» برقم (٢٠٦)، وابن جرير الطبري في «التفسير» برقم (٢٨٨٥٢)، والطبراني في «مسند الشاميين» برقم (٥١٩)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» برقم (٢١٦)، والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» (ص٢٦٣)، كلهم من طريق نعيم بن حماد، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عبد الله بن أبي زكريا، عن النواس بن سمعان به. ونعيم بن حماد، والوليد بن
=

الحديث التَّصريح بأَنَّ جبرائيل ينزل بالوحي من فوق السَّمَاوات السَّبع، فيمر بها كلِّها، نازلًا إلىٰ حيث أمره الله، وهَذَا صريحٌ بأنَّ الله تعالىٰ فوق السَّمَاوات علىٰ عرشه بائنٌ من خَلْقه، كما قال عبد الله بن المبارك[1]، لما قيل له: بم نعرف ربَّنا؟ قال: بأنَّه علىٰ عرشه، بائنٌ من خلقه[2]. وهذا قول أئمَّة الإسلام قاطبةً، خلافًا للجهميَّة الحلوليَّة[3]، والفلاسفة[1]، وأهل وحدة الوجود[2]، وغيرهم، من أهل

=

مسلم، وعبد الرحمن بن يزيد متكلم فيهم. ولهذا حكم الألباني عليه، فقال: إسناده ضعيف إلا أن للحديث شاهدًا عند البخاري من حديث أبي هريرة (ح/ ٤٨٠٠)، وآخر عند أبي داود من حديث عبد الله بن مسعود (ح/ ٤٧٣٨).

(١) عبدالله بن المبارك بن واضح، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، وكانت أمه خوارمزية. مولده في سنة ثمان عشرة ومئة. أكثر من الترحال والتطواف، وإلىٰ أن مات في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإنفاق علىٰ الإخوان في الله، وتجهيزهم معه إلىٰ الحج. حديثه حُجَّة بالإجماع، وهو في المسانيد والأصول. ارتحل إلىٰ الحرمين والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وحدَّث بأماكن. «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٧٨).

(٢) رواه الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٦٧،١٦٢)، وعبد الله بن أحمد في كتاب «السُّنَّة» (برقم ٢٢)، وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص١٥)، وأخرجه ابن قدامة في كتابه «العلو» (برقم ٨٣)، والأثر صَحَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» (ص٣١٧)، وابن القيم في «الجيوش الإسلامية» (ص١٢٢) حيث قال: «وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر»، وقال أيضًا: «ذكره البيهقي، وقبله الحاكم، وقبله الدارمي عثمان»، وكذا الذهبي في كتابه: «العلو». انظر «المختصر» للألباني (ص١٥١). ووافق الجميع الشيخ الألباني رحم الله الجميع.

(٣) **الحلول**: فكرة عرفت في النصرانية بفكرة اتحاد اللاهوت بالناسوت، ثم تأثرت بها الصوفية، وأوَّل مَنْ تأثر بها الحلاج الصوفي، وتأثر بها الشيعة والنصيرية والباطنية مثل الإسماعيلية، حيث يعتقدون أن الله تعالىٰ قد حلَّ في بعض مخلوقاته، تعالىٰ وتقدس وعلا عن قولهم علوًّا كبيرًا. انظر: «موسوعة الأديان والمذاهب» (٢/ ١٤٩)، ومصطلحات في كتب العقائد (ص٤٠).

البدع، فرحم الله أهل السُّنَّة والجَمَاعة المُتمسِّكين بالوحيين. وصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّه قَالَ: «**إنَّ الله كتبَ كتابًا قبل أن يخلقَ الخَلْق: إنَّ رحمتي سَبقَتْ غَضَبي، فهو عنده فوق العرش**»(٣).

وفي حديث العبَّاس بن عبد المطَّلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّذي رواه أبو داود، والتِّرمذيُّ، وابن ماجه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ ذكر سبع سَمَاوات وما بينهما، ثمَّ قَالَ: «**وفوق ذلك بحر، بين أعلاه وأسفله كما بين سماءٍ إلىٰ سماءٍ، ثمَّ فوق ذلك ثمانية أوعالٍ، ما بين أظلافهنَّ وركبهنَّ كما بين سماءٍ إلىٰ سماءٍ، ثمَّ فوق ظهورهنَّ العرش، ما بين أعلاه وأسفله كما بين سماءٍ إلىٰ سماءٍ، والله تعالىٰ فوق ذلك**»(٤).

=

(١) **الفلسفة باليونانية**: محبة الحكمة، والفيلسوف هو: فيلا وسوفا، وفيلا هو المحب، وسوفا: الحكمة. أي هو محب الحكمة. «الملل والنحل» للشهرستاني (٢/ ٣٦٩). قال ابن القيم: الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها، وقد صار هذا الاسم في عُرْف كثيرٍ من الناس مختصًّا بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلىٰ ما يقتضيه العقل في زعمه. «إغاثة اللهفان» (ص٥٦٥).

(٢) في «مجموعة التوحيد الهندية»: «وأهل الوحدة بدون الوجود»، وهي مذهب فلسفي لا ديني، يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه -تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا- صورة هذا العالم المخلوق. «موسوعة الأديان والمذاهب» (٢/ ٧٨٣)، فأهل وحدة الوجود هم الذين لا يُميِّزون الخالق بصفات تميزه عن المخلوق، ويقولون بأن وجود الخالق هو وجود المخلوق. «مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات» للتميمي (ص٧٦).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (ح/ ٧٥٥٣)، ومسلم في «صحيحه» (ح/ ٢٧٥١).

(٤) رواه أبو داود في «سننه» (ح/ ٤٧٢٣)، والترمذي في «سننه» (ح/ ٣٣٢٠)، وابن ماجه في «سننه» (ح/ ١٩٣)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (ح/ ٥٧٧)، وابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (ح/ ١٤٤)، والآجري في =

وفي حديث ابن مسعودٍ الَّذي رواه عبد الرَّحمن بن مهدي[١]، شيخ الإمام أحمد، عن حَمَّاد بن سَلَمة[٢]، عن عاصمٍ[٣] عن زرٍّ[٤] عَنْ عبد الله بن مسعودٍ،

=

«الشريعة» (ح/ ٦٦٣)، وابن قدامة في كتاب: «إثبات صفة العلو» (ح/ ١٥)، والحديث يدور علىٰ الراوي عبد الله بن عميرة، وقد تُكلِّم فيه إلا أن كثيرًا من المحققين قَدْ صححه. فقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ رادًّا علىٰ مَنْ ضعف الحديث في كلام له دقيق: «فقلت: هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود، وابن ماجه، وغيرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر. فقال: أليس مدارُهُ علىٰ ابن عُمَيرة، وقَدْ قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف؟ فقلت: قد رَوَاه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل، موصولًا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ. قلت: والإثبات مقدم علىٰ النفي، والبخاري إنما نفىٰ معرفة سماعه من الأحنف، لم ينفِ معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره -كإمام الأئمة ابن خزيمة- ما ثبت به الإسناد كانت معرفته وإثباته مقدمًا علىٰ نفي غيره، وعدم معرفته». انتهىٰ. «الفتاوىٰ» (٣/ ١٩٢). ورَجَّح صحته ابن القيم، ورد علىٰ المضعفين له في «تهذيب السنن». «حاشية عون المعبود» (١٣/ ٦٦). وقال الذهبي في كتاب العرش: «رواه أبو داود بإسناد حسن وفوق الحسن» (٢/ ٣٣). والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الشيخ عبد الرَّحمن بن حسن قد رجح صحته أيضًا، فقال: «وهذا الحديث له شواهد في «الصحيحين» وغيرهما مع ما يدل عليه صريح القرآن، فلا عبرة بقول من ضعفه». «قرة عيون الموحدين» (ص٢١٣). ومن العلماء المعاصرين من قد رده مثل المحدث الألباني، فقد قال عنه في تخريج كتاب «السُّنَّة» لابن أبي عاصم: إسناده ضعيف، وكذا ضعفه في «سنن أبي داود» و«الترمذي».

(١) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم أبو سعيد البصري، ثقة ثبت حافظ. قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه. ت: ١٩٨ «التقريب» (ص٦٠١).

(٢) حماد بن سلمة بن دينار البصري، ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت، (ت/ ١٦٨). «التقريب» (ص٢٦٩).

(٣) عاصم بن بهدلة، وهو ابن أبي النجود، الأسدي مولاهم، الكوفي، أبو بكر المقرئ، صدوق له أوهام، حجة في القراءة. «التقريب» (ص٤٧١).

(٤) زر بن جيش الأسدي الكوفي، ثقة جليل مخضرم. مات سنة إحدىٰ أو اثنتين أو ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة وسبع وعشرين. «التقريب» (ص٢١٥).

قَالَ: «**بين السَّماء الدُّنيا والَّتي تليها خمس مئة عام، وبين كلِّ سماءٍ إلىٰ سماءٍ خمس مئة عام، وبين السَّماء السَّابعة والكرسي خمس مئة عام، وبين الكرسي والماء خمس مئة عام، والعرش فوق الماء، والله تَعَالىٰ فوق العرش، لا يَخْفىٰ عليه شيءٌ من أعمالكم**»(١)، والجهميَّة جَحَدوا هَذِهِ النُّصُوص، وعاندوا في التَّكْذيب، فصاروا بذلك كفَّارًا عند أكثر أهل السُّنَّة والجماعة(٢).

وهَذَا القدر الَّذي ذكرت كافٍ في بيان ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة من عُلُو الله تعالىٰ علىٰ جميع المخلوقات، واستوائه علىٰ عرشه، وقَدْ تظاهرت الأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة علىٰ ذلك، ولو ذهبنا نذكر ما وَرَد في ذلك لاحتمل مجلدًا(٣)، فالحَمْد لله الَّذي حفظ علىٰ الأُمَّة دينها في كتابه، وفي سُنَّة رسولِهِ،

---

(١) رواه عثمان الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (رقم ٨١)، وابن خزيمة (برقم ٥٩٤)، والطبري في «المعجم الكبير» (برقم ٨٩٨٧)، والأصبهاني في كتاب العظمة (برقم ٢٧٩)، وابن أبي زمنين في «أصول السُّنَّة» (برقم ٣٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» (برقم ٦٥٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩)، والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» (ص٥٠٧)، وابن قدامة في كتاب «إثبات صفة العلو» (برقم٦٠)، والذهبي في العلو (برقم ٤٨-المختصر)، وفي كتاب العرش (برقم ١٠٥).

(٢) قد وردت آثارٌ كثيرة عن السلف في ذم الجهمية وتكفيرهم، نقل كثيرًا منها شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتوىٰ الحموية» (ص٣٠٥-٣٢٥)، ومن ذلك قول عبد الرحمن بن مهدي: ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم، يدورون علىٰ أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرىٰ -والله- ألَّا يناكحوا، ولا يورثوا. «الفتوىٰ الحموية» (ص٣٢٢).

(٣) وقد جمع أدلة علو الله واستوائه علىٰ عرشه من كتاب الله تعالىٰ، وسُنَّة نبيه ﷺ، وآثار السلف في كتاب مستقل: الإمام ابن قدامة المقدسي في كتابه «إثبات صفة العلو»، وهو مطبوع بتحقيق الدكتور أحمد عطية الغامدي، وكذلك الإمام الذهبي في كتابه «العلو» الذي حققه واختصره الألباني، وكتابه الآخر «العرش» بتحقيق د. محمد التميمي.

وبنقل العلماء، الَّذين هم في هَذِهِ الأُمَّة، كأنبياء بني إسرائيل، وهَدَانا إلىٰ ذلك، فأَبْطَل الله بالعلماء[١] كلَّ بدعةٍ وضلالةٍ، حدثت في هَذِهِ الأُمَّة، فيا لها من نعمةٍ، ما أَجلَّها في حقِّ مَنْ تلقَّىٰ الحقَّ بالقبول، وعرفه، ورضي به، نسأل الله أن يَجْعلنَا شاكرين لنعمه، مُثْنين بها عليه، فله الحَمْد لا يحصىٰ ثناء عليه، هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، وفوق ما يثني عليه خَلْقه.

فأَهْل السُّنَّة والجماعة عرفوا ربَّهم بما تَعرَّف به إليهم، من صفات كماله اللَّائقة بجلال الله، فأثبتوا له تعالىٰ ما أثبته لنفسه، وأَثْبتَه له رسوله، إثباتًا بلا تمثيلٍ، وتنزيهًا بلا تعطيلٍ، وعرفوه بأفعاله، وعجائب مخلوقاته، وبما أظهره لهم من عظيم قدرته، وبما أَسْبَغه عليهم من عظيم نعمِهِ، فعبدوا ربًّا أحدًا صمدًا، إلهًا واحدًا، وهو الَّذي الإلهيَّة وصفه، فالخلقُ خلقُهُ، والملك ملكُهُ، لا شريك له في إلهيَّته، ولا في رُبُوبيته، ولا في ملكه، تعالىٰ وتقدَّس، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس:١-٣]، ونزَّهوه

(١) **والمراد بالعلماء:** علماء أهل السُّنَّة والحديث، السائرين مسلك سلف هذه الأمة، فبهم حفظ الله الدين والعقيدة، وهم أهل التربية، والتوجيه، والعلم، لا أهل البدع والأهواء، وأهل التنظير الفكري. يقول الإمام أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ: إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يُوفَّقا لِعَالِمٍ من أهل السُّنَّة. «اللالكائي» (١/ ٦٠).

ويقول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة كتابه: «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية»: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترةً من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلىٰ الهدىٰ، ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يُحْيون بكتاب الله الموتىٰ، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمىٰ، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أَحْيَوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم علىٰ الناس! وأقبح أثر الناس عليهم!».

عما تنزَّه عنه، وعن كلِّ ما فيه عيبٌ ونقصٌ، وعن كلِّ ما وصفته الجهميَّة، وأهل البدع، ممَّا لا يليق بجلاله وعظمته.

وأمَّا الجهميَّة(١)، فعَطَّلوه من صفات الكمال، وصاروا إنَّما يعبدون عدمًا؛ لأنَّهم وَصَفوه بما ينافي الكمال، ويوقع في النَّقص العظيم، فشَبَّهوه بالنَّاقصات تارةً، وبالمعدوم تارةً، فهم أَهْل التَّشبيه، كما عرفت من حالهم، وضلالهم، ومحالهم(٢).

وأمَّا ما أورده هذا الجهميُّ الجاهل من آيات العلم، كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]، فلا منافاة بين استوائه علىٰ عرشه، وإحاطة علمه بخلقِهِ، والسِّياق يدلُّ علىٰ ذلك، أمَّا الآية الأولىٰ فهي مسبوقةٌ بقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ﴾ [الحديد:٤]، ذكر استواءه علىٰ عرشه، وذكر إحاطة علمه بما في الأرض والسَّمَاوات، ثمَّ قَالَ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] أي: بعلمه المحيط بما كان وما يكون، وأمَّا الآية الثَّانية، فهي كذلك

(١) في «مجموعة التوحيد الهندية» بدون: «وأما الجهمية».

(٢) **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجهمية والقرامطة الباطنية ونحوهم، فإنهم علىٰ ضد ذلك، فإنَّهم يصفونه بالصفات السلبية علىٰ وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلىٰ وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان. فقولهم يستلزم غاية التعطيل، وغاية التمثيل، فإنَّهم يمثلونه بالممتنعات، والمعدومات، والجمادات، ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلًا يستلزم نفي الذات». «التدمرية» (ص١٤-١٦).

مسبوقةٌ بالعلم، وختمها تعالىٰ به، فقَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة:٧]، فعلم أنَّ المراد: علمه بخلقه، وأنَّه لا يخفىٰ عليه شيءٌ من أعمالهم، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢]، وهذا المعنىٰ الَّذي ذكرنا، هو الَّذي عليه المُفسِّرون من الصَّحابة والتَّابعين والأئمَّة وجميع أَهْل السُّنَّة والجماعة(١).

وأمَّا الجهميَّة وأهل البدع، فحرموا معرفة الحقِّ لانحرافهم عنه، وجهلهم به، وبالقرآن والسُّنَّة، كما قَالَ العلَّامة ابن القَيِّم رحمه الله تعالىٰ(٢):

(١) **يقول ابن عبد البر** رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]، هو علىٰ العرش، وعلمُهُ في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله. «مختصر العلو» للذهبي (ص٢٦٨).
وقال أبو نصر السجزي: أئمتنا كسفيان الثوري، ومالك، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، والفضيل، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق، متفقون علىٰ أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وعلمه بكل مكانٍ، وأنه ينزل إلىٰ سماء الدنيا، وأنه يغضب، يرضىٰ ويتكلم بما شاء. «مختصر العلو» (ص٢٦٦).

(٢) الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزي المعروف بابن القيم الجوزية، سمع وقرأ علىٰ كثيرٍ من العلماء، منهم العالم المحرر، والإمام السلفي شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث لازمه منذ عاد من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبع مئة إلىٰ أن مات في عام ثمان وعشرين وسبع مئة. وأخذ عنه علمًا جمًّا. يقول عنه ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: صار فريدًا في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلًا ونهارًا، وكثرة الابتهال، وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحدًا، ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد علىٰ أحد، وكنت من أَصْحَب الناس له، وأحب الناس إليه، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادةً منه. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ ليلة الخميس =

ثقـــل الكتـــاب علـــيهم لمـــا رأوا تقييـــــده بـــــشرائع الإيمـــــان(١)

ومن المعلوم أنَّه لا يَقبَل الحقَّ إلَّا مَنْ طلبه، وأمَّا أهل البدع فأُشْربوا في قلوبهم ما وقعوا فيه من البدع، والضَّلال، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقَّ، فأبىٰ الله إلَّا أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون.

فإذا عرف ذلك، فيتعيَّن أن نسأل هذا الجهميَّ، وغيره من المبتدعة عن أُمُور لا يسع مسلمًا أن يجهلها؛ لأنَّ الإسلام يتوقَّف علىٰ معرفتها.

فمن ذلك، ما معنىٰ كلمة الإخلاص (لا إله إلَّا الله)؟ وما الإلهيَّة المنفيَّة بـ «لا» النَّافية للجنس؟ وما خبرها؟ وما معنىٰ الإلهيَّة الَّتي ثبتت لله وحده دون ما سواه؟ وما أنواع التَّوحيد؟ وألقابه؟ وأركانه؟ وما معنىٰ الإخلاص الَّذي أمر الله به عباده، وأَخْبَرهم أنَّه له وحده؟ وما تعريف العبادة الَّتي خلقوا لها؟ وما أقسام العلم النَّافع الَّذي لا يسع أحدًا جهله؟ وما معنىٰ اسم الله تعالىٰ الَّذي لا يُسمَّىٰ بهذا الاسم غيره؟ وما صفة اشتقاقه من المصدر الَّذي هو معناه؟(٢) فالجواب

=

ثالث عشر رجب عام إحدىٰ وخمسين وسبع مئة. انظر «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢/ ١٩٥)، و«البداية والنهاية» (١٤/ ٢٤٣).

(١) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، المعروفة بـ «نونية ابن القيم»، فصل في سماع أهل الجنة (ص٢٨٤). وانظر شرحها لابن عيسىٰ (٢/ ٥٢١). وقد قام الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتعليق علىٰ بعض أبياتها، وستأتي في الرسالة الثلاثين.

(٢) وهذه الأسئلة أوردها الشيخ لهذا الجهمي الضال، من باب إلزام الحجة، وإظهار حقيقة عجزه، وعدم فهمه للدين الصحيح، والتوحيد الخالص. وهذه الأسئلة قَدْ شرحها الشيخ، ووَضَّحها في مؤلفاته ورسائله، كـ «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، وجُلُّ هذه الرسائل التي بين أيدينا.

عن هذا مطلوبٌ، والله المستعان، وعليه التُّكْلان، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم، وصلَّىٰ الله علىٰ مُحمَّد سيِّد المرسلين، وإمام المُتَّقين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين[1].

(١) في «مجموعة التوحيد الهندية» زيادة: «وسلم تسليمًا كثيرًا».

الرسالة الثانية(١)
مختصر تفسير سورة الفاتحة(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين.

معنى: «أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم»، أي: أستجير بجناب الله من الشَّيطان أن يضرَّني في ديني أو دنياي، أو يَصدني عن فِعْلِ ما أمرت به، أو يحثُّني علىٰ فعل ما نهيت عنه، والاستعاذة هي الالتجاء إلىٰ الله والالتصاق بجَنَابه من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ، العياذ يكون لدفع الشَّرِّ، واللِّياذ لطَلَب الخير.

و«الشَّيطان» في لغة العرب، مشتقٌّ من شَطَن إذا بَعُدَ، فهو بعيدٌ بطبعه عن طباع البشر، وبعيدٌ بفسقِهِ عن كلِّ خيرٍ(٣)، و«الرجيم» فعيل بمعنىٰ مفعول، أي:

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٣/ ٧٧-٨٦).

(٢) وهي مختصرة من تفسير ابن كثير مع بعض الزيادات والنقولات، وخاصة من بعض مؤلفات ابن القيم مثل بدائع الفوائد والجواب الكافي.

(٣) قال الجوهري: شطن عنه: بعد، وأشطنه: أبعده، وبئر شطون: بعيدة القعر. والشيطان معروف، وكل عاتٍ من الإنس والجن والدواب شيطان. «الصحاح» (٥/ ١٧٢٥). وقال ابن فارس: (شطن): الشين، والطاء، والنون أصل مطرد صحيح يدل علىٰ معنىٰ البعد. يقال: شطنت الدار =

بعد عن الخير كلِّه.

«بسم الله الرحمن الرحيم»، فالمشروع ذكر اسم الله تبركًا وتيمنًا، واستعانةً علىٰ الإتمام والتَّقبُّل.

«الله» عَلَم علىٰ الرَّبِّ تبارك وتعالىٰ، ويقال: إنَّه الاسم الأعظم؛ لأنَّه يوصف بجميع الصِّفات. قال العلَّامة ابن القيِّم -جوابًا لقول مَنْ قال[1] «الله» غير مشتق- إن أريد بالاشتقاق أنَّه مشتقٌّ من أصل آخر، فهو باطلٌ، وإنَّما أرادوا أنَّه دالٌّ علىٰ صفةٍ له تعالىٰ، وهي الإلهيَّة، كسائر أسمائه الحسنىٰ، كالعليم والقدير، فإنَّ هَذِهِ الأسماء مُشتقَّة من مَصَادرها، فما كان جوابكم عن هَذِهِ الأسماء، فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله، ثمَّ الجواب عن الجميع أنَّا لا نعني أسماء الاشتقاق؛ لأنَّها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنىٰ، ولا أنَّها متولِّدة منها تولَّد

=

تشطن شطونًا إذا غربت. ونوىً شطونٌ، أي: بعيدة. قال النابغة:

نأت بسعاد عنك نوىً شطُونٌ فبانت والفؤادُ بها رهينُ

وأما الشيطان فقال قوم: هو من هذا الباب، والنون فيه أصلية، فسُمِّي بذلك لبُعْده عن الحق وتمرده، وذلك كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان، قال جرير:

أيَّام يَدْعونني الشَّيطانَ من غَزَلي وهنَّ يهوينني إذ كنتُ شيطانَا

«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (ص٤٤٧).

(١) وهما: القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي صاحب «عارضة الأحوذي»، وتلميذه عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأندلسي صاحب «الروض الأنف»، كما جاء في «بدائع الفوائد» لابن القيم (١/ ٤٤)، وانظر ترجمتهما في «السير» (٢٠/ ١٨٩)، و«طبقات الحفاظ» (ص٤٨١).

الفرع من أصله، ولا محذوف في اشتقاق أسماء الله تعالىٰ بهذا المعنىٰ[١]. وقال الكسائي[٢] والفراء[٣]: أصله «الإله» حذفوا الهمزة، وأدغموا اللَّام في اللَّام، فصارتا في اللَّفظ لامًا واحدةً مشددةً مفخمةً[٤]، وهذا هو الَّذي ذكره أبو جعفر ابن جرير في تفسيره[٥]، وهو قول سيبويه وأكثر[٦] أصحابه.

وذكر ابن جرير[٧] قول ابن عباس في معنىٰ هذا الاسم، الله ذو الألوهيَّة والعبوديَّة علىٰ خلقه أجمعين، فإِنْ قال لنا قائلٌ: وما دلَّ علىٰ أنَّ الإلهيَّة[٨] هي العبادة، وأنَّ الإله هو المعبود، وأنَّ له أصلًا في «فعل» و«يفعل»، وذكر بيت رؤبة بن العجاج[٩]:

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ٤٤).

(٢) الإمام شيخ القراءة والعربية، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي مولاهم الكوفي الملقب بالكسائي؛ لكساءٍ أحرم به (ت/ ١٨٩). «السير» (٩/ ١٣١).

(٣) أبو زكريا يحيىٰ بن زياد الأسدي مولاهم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي، قيل: عرف بالفراء؛ لأنه يفري الكلام، (ت/ ٢٠٧). «السير» (١٠/ ١١٨).

(٤) انظر «لسان العرب» (١٣/ ٤٦٧).

(٥) «تفسير ابن جرير» (١/ ٧٠).

(٦) انظر «لسان العرب» (١٣/ ٤٦٧). ونقل هذا ابن القيم في «بدائع الفوائد» حيث قال: القول الصحيح أن «الله» أصله «الإله» كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذَّ منهم. وانظر «الكتاب» لسيبويه (٢/ ١٩٧).

(٧) «تفسير ابن جرير» (١/ ٦٨).

(٨) في «تفسير ابن جرير» (١/ ٦٨): «الألوهية».

(٩) رؤبة بن العجاج، واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن أسد بن صخر، يتصل نسبه بزيد بن مناة. الراجز المشهور من مخضرمي الدولتين (الأُمويَّة والعبَّاسية) سمع من أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عداده من التابعين (ت/ ١٤٥). «معجم الأدباء» للحموي (٤/ ٢٦١).

للـــه دَرُّ الغـــانيـــات المُدَّه سَبَّـحْنَ واسْتَرْجَعن مِن تَأَلُّـه

يعني: مَنْ تعبَّد لله، وطلب الله بعملٍ، ولا شكَّ أنَّ التَّأَلُّه التَّفعُّل، من أله يأله، وقد جاء منه مصدر يدلُّ علىٰ أنَّ العربَ قد نطقت منه بفعل يفعل بغير زيادةٍ، وذلك ما حدَّثنا به سفيان عن وكيع، ساق السَّنَد إلىٰ ابن عبَّاس أنَّه قرأ: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧]، قال: عبادتك، ويقول: إنَّه كان يعبد ولا يعبد(١).

«الرَّحمن الرَّحيم» اسمان مشتقَّان من الرَّحمة علىٰ وجه المبالغة، و«رحمن» أشد مبالغة من رحيم(٢)، وفي الأثر عن عيسىٰ، أنَّه قال: الرَّحمن رحمن الدُّنيا، والرَّحيم رحيم الآخرة(٣).

وقال ابن القيِّم: الرَّحمن دالٌّ علىٰ الصِّفة القائمة به، والرَّحيم دالٌّ علىٰ تعلُّقها بالمرحوم، فإذا أردت فَهْم هذا فتأمَّل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة:١١٧]، ولم يجئ رحمن بهم، فالرَّحمن اسمه ووصفه، فمن حيث هو صفة جرىٰ تابعًا لاسم الله، ومن حيث هو اسم وَرَد في القرآن غير تابعٍ، بل ورود الاسم العلم كقوله:

---

(١) قال ابن فارس: «أله» الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله الله تعالىٰ، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل: إذا تعبد. «معجم مقاييس اللغة» (ص٤٩)، وانظر كذلك «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٧٨٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٨).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ١٢٧)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور»، وذكر أنه أخرجه ابن جرير، وابن عدي في «الكامل»، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، والثعلبي. وحكم عليه السيوطي بأن سنده ضعيف جدًّا. «الدر المنثور» (١/ ٢٠).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥]. انتهىٰ ملخصًا[١].

«الحمد لله»، ومعناه الثَّناء بالكلام علىٰ الجميل، علىٰ وجه التَّعظيم، فمَوْرده اللِّسان والقلب، والشُّكر يكون باللِّسان والجَنَان والأركان، فهو أعمُّ من الحمد متعلقًا، وأخص سببًا؛ لأنَّه يكون في مقابلة النِّعمة وغيرها، فبَيْنهما عُمُومٌ وخصوصٌ وجهيٌّ، يجتمعان في مادَّة، وينفرد كلُّ واحدٍ عن الآخرين في مادَّة.

والألف واللَّام في الحمد، لاستغراق أجناس الحمد، وإفراده لله تعالىٰ، فلا يصلح منه شيءٌ لغير الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل:٦٣].

والرَّبُّ هو المالك المتصرِّف، ويطلق علىٰ السَّيِّد وعلىٰ المعبود، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٥٣]، وكلُّ ذلك صحيحٌ.

«العالمين» جمع عالمٍ، وهو كلُّ موجودٍ سوىٰ الله تعالىٰ، والعوالم: أصناف المخلوقات في السَّمَاوات، وفي البرِّ والبحر، وكلُّ قرنٍ وجيلٍ يُسمَّىٰ عالمًا أيضًا، والعالم مشتقٌّ من العلامة؛ لأنَّه علمٌ دالٌّ علىٰ وجود خالقه وصانعه ووحدانيَّته[٢].

قال ابن المعتز[٣]:

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ٤٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٢-٥٤).

(٣) أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد. أخذ الأدب عن أبي

فيا عَجَبًا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنَّه واحد

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤]، قرأ بعض القُرَّاء: ﴿مَلِك﴾، وقرأ آخرون: ﴿مَٰلِكِ﴾، وكلاهما صحيحٌ متواترٌ في السَّبع(١). وتخصيص الملك بيوم الدِّين لا ينفيه عمَّا عداه؛ لأنَّه قد تقدَّم الإخبار بأنَّه ربُّ العَالَمين، وذلك عامٌّ في الدُّنيا والآخرة، وإنَّما أُضِيفَ إلىٰ يوم الدِّين؛ لأنَّه لا يَدَّعي أحدٌ هناك شيئًا، فلا يتكلَّم أحدٌ إلَّا بإذنه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [النبأ:٣٨].

و«يوم الدِّين» يوم الحساب للخَلَائق، وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم، إنْ خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، إلَّا مَنْ عفا عنه، قاله ابن عباس وغيره من الصَّحَابة والتَّابعين والسَّلَف(٢). والملك في الحقيقة هو لله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الطلاق:١٢]، ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [البقرة:١٠٧].

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥] العبادة في الشَّرع عبارة عمَّا

=

العباس المبرد، وأبي العباس ثعلب، كان أديبًا بليغًا شاعرًا، مخالطًا بالعلماء والأدباء، معدودًا من جملتهم، بديع للخلافة لسبع بقين من شهر ربيع الأول سنة ست تسعين ومئتين، وأقام يومًا وليلةً، ثم أزيح من الحكم، وقتل بعدها. انظر «تاريخ بغداد» (١٠/ ٩٥)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٣٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٤٢)، و«العبر» للذهبي (١/ ٤٣٠).

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٣).

يجمع كمال المحبَّة، وكمال الخضوع والخوف(١). قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العبادة أن يوافق العبد ربَّه فيما يحبُّه ويرضاه، ويحب في الله، ويبغض في الله. قال العماد ابن كثير: قدم المفعول وهو «إيَّاك»، وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلَّا إيَّاك، ولا نتوكَّل إلَّا عليك، وهذا كمال الطَّاعة، والدِّين كلُّه يرجع إلىٰ هذين المعنيين. وهذا كما قال بعض السَّلَف: الفاتحة سرُّ القرآن، وسرُّها هَذِهِ الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾. فالأُولَىٰ تبرؤٌ من الشِّرْك، والثَّانية تبرؤٌ من الحول والقوَّة، وهذا في غير آيةٍ من القرآن كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣].

وتَحوُّل الكلام من الغيبة إلىٰ المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبٌ؛ لأنَّه لمَّا أثنىٰ علىٰ الله تعالىٰ، فكأنَّه قرب وحضر بين يدي الله تعالىٰ، فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾(٢)، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾، كما تقدَّم الثَّناء علىٰ المسؤول تبارك وتعالىٰ، ناسب أن يعقب بالسُّؤال، كما قال: «**فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل**»(٣).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦).

(٣) رواه مسلم (ح/ ٨٧٨) من حديث أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ صلَّىٰ صلاةً لم يقرأ فيها بأُمِّ القُرآن فهي خداجٌ - ثلاثًا - غيرُ تمام**»، فقيل لأبي هُرَيرة: إنَّا نكُونُ وراء الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك، فإنِّي سمعتُ رسُول الله ﷺ يقُولُ: «**قال اللهُ تعالىٰ: قسمتُ الصَّلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢]، **قال اللهُ تعالىٰ: حمدني عبدي، وإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة:٣]، **قال اللهُ تعالىٰ: أثنىٰ عليَّ عبدي. وإذا قال:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤]. **قال: مَجَّدني عبدي** -وقال مرَّةً: =

وهذا أكمل أحوال السَّائل: أن يمدح مسؤوله، ثمَّ يسأل حاجته، وحاجة إخوانه المؤمنين، بقوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾؛ لأنَّه أنجح وأجمع للإجابة، ولهَذَا أرشد الله تعالىٰ إليه لأنَّه الأكمل، والهداية ها هنا: الإرشاد والتَّوفيق.

قال العَلَّامة ابن القيم: وكذلك اشتدَّت حاجة العبد، بل ضرورته إِلَىٰ أن يسأل الله أن يهديه الصِّراط المستقيم، فليس العبد أحوج منه إِلَىٰ هَذِهِ الدعوة، وليس شيءٌ أنفع له منها، فإنَّ الصِّراط المستقيم يَتضمَّن علومًا وإراداتٍ وأعمالًا ومدارك، ظاهرة وباطنة، تجري عليه كلَّ وقتٍ. فتفاصيل الصِّراط المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها، وقد يكون ما لا يعلمه أكثر ممَّا يعلمه، وما يعلمه قد يقدر عليه، وقَدْ لا يقدر عليه، وهو من الصِّراط المستقيم وإِنْ عَجَز عنه.

وما يقدر عليه قد تريدُهُ نفسه، وقد لا تريده، كسَلًا وتهاونًا، لقيام مانعٍ، وغير ذلك، وما يريده قَدْ يفعله، وقَدْ لا يفعله، وما يفعله قد يقوم فيه بشروط الإخلاص، وقَدْ لا يقوم فيه. وما يقوم فيه بشروط الإخلاص قد يقوم فيه بكمال المتابعة، وقَدْ لا يقوم، وما يقوم فيه بالمتابعة قد يثبت عليه، وقد يصرف قلبه عنه. هَذَا كلُّه واقعٌ سارٍ في الخلق، فمستقلٌّ ومستكثرٌ، ليس في طباع الخلق الهداية إِلَىٰ ذلك، بل متىٰ نظر إِلَىٰ طباعه حيل بينه وبين ذلك كلِّه. فالرَّبُّ - تبارك وتعالىٰ- علىٰ صراطٍ مستقيمٍ في قضائه وقدره، ونهيه وأمره، ونصب لعباده

=

فوَّض إليَّ عبدي- فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]. قال: **هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٦، ٧]. **قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل».**

من أمره صراطًا مستقيمًا، ودعاهم جميعًا إليه حجةً منه وعدلًا، وهدىٰ مَنْ شاء منهم إِلَىٰ سلوكه نعمةً منه وفضلًا، ولم يخرج بهَذَا العدل وهَذَا الفضل عن صراطه المستقيم الَّذي هو عليه، ثمَّ صرف عنه في الدُّنيا، وأقام عليه مَنْ أقامه في الدُّنيا. فإذا كان يوم القيامة نصب لخلقه صراطًا مستقيمًا يوصلهم إِلَىٰ جنَّته، وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وما جاء به، الَّذي كان في قلوبهم في الدُّنيا، نورًا يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم في ظُلْمة الحشر، وحفظ عليهم الإيمان حتَّىٰ لقوه، وأطفأ نور المنافقين أحوج ما كانوا إليه في الدُّنيا، وأقام أعمال العصاة بجَنَبتي الصِّراط كلاليب وحسكًا تخطفهم، كما خطفتهم في الدُّنيا عن الاستقامة عليه، وجعل قوَّة سيرهم وسرعتهم علىٰ قَدْر قوَّة سيرهم وسرعتهم إليه في الدُّنيا(١).

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٧]

المُنْعَم عليهم هم: كلُّ من عرف الحقَّ واتَّبعه، فهو منعمٌ عليه، ومَنْ لم يعرفه فهو ضالٌّ، ومن عرفه وآثر غيره فهو مغضوبٌ عليه، ولهَذَا كان النَّصَارىٰ أخصَّ بالضَّلال؛ لأنَّهم أُمَّة جهل، واليهود أخصُّ بالغضب؛ لأنَّهم أُمَّة عنادٍ، ومؤمنو هَذِهِ الأُمَّة هم المنعم عليهم. وفي المسند والترمذي من حديث عدي بن حاتم، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**اليهود مغضوب عليهم، والنَّصَارىٰ ضالون**»(٢). وقال سفيان

(١) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص١٨٣) بتصرفٍ واختصارٍ.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٧٨/ ٣٧٩)، والترمذي (ح/ ٢٩٥٤)، والطبري في «تفسيره» (١/ ١٨٥)، وجزم بنسبته إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ابن تيمية في «الفتاوىٰ» (٢/ ١٢٧)، وصححه في «الفتاوىٰ» (١/ ٦٤)، وأورده ابن كثير في «تفسيره»، وقال: وقد روي حديث عدي هذا من طرق، وله ألفاظ كثيرة (١/ ٦٢). وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه لـ «تفسير الطبري» (١/ ١٨٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧/ ٧٨٥).

بن عيينة: مَنْ فسد من علمائنا، ففيه شبهٌ من اليهود، ومَنْ فسد من عبادنا ففيه شبهٌ من النَّصَارىٰ(١).

وأمَّا حقيقة الصِّراط المستقيم، فقال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: ولنذكر في الصِّراط المستقيم قولًا وجيزًا، فإنَّ النَّاس قد تنوَّعت عباراتهم عنه، بحسب صفاته ومتعلَّقاته. وحقيقته شيءٌ واحدٌ، وهو طريق الله الَّذي نَصَبه لعباده موصلًا إليه، ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطُّرُق كلُّها مسدودةٌ علىٰ الخلق، إلَّا طريقه الَّذي نَصَبه علىٰ ألسن رسلِهِ، وجعله موصلًا لعباده إليه، وهو إفراده بالعُبُوديَّة، وإفراد رسوله بالطَّاعة، فلا يشرك به أحدًا في عبوديَّته، ولا يشرك برسوله أحدًا في طاعته، فيجرد التَّوحيد لله، ويجرَّد متابعة الرَّسول ﷺ وهَذَا مضمون شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، فأيُّ شيءٍ فسر به الصِّراط المستقيم، فهو داخلٌ في هذين الأصلين.

ونكتة ذلك: أن تحبَّه بقلبك، وترضيه بجهدك كلِّه، فلا يكون في قلبك موضعٌ إلَّا معمورًا بحبِّه، ولا يكون لك إرادةٌ إلَّا متعلِّقة بمرضاته.

فالأوَّل: يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلَّا الله.

والثَّاني: يحصل بتحقيق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله، وهَذَا هو الهدىٰ ودين الحقِّ، وهو معرفة الحقِّ والعمل به، وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به، وقل ما شئت من العبارات الَّتي هَذَا أحسنها وقطب رحاها، انتهىٰ(٢).

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٦٧)، و«بدائع التفسير» لابن القيم (١/ ٢٤٧).
(٢) أورده ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٢/ ٥٧).

وأمَّا «آمين» فهي طابع الدُّعاء(١) ومعناها: اللَّهمَّ استجب(٢)، وليست من الفاتحة، والله أعلم. وقد اشتملت هَذِهِ السُّورة الكريمة، وهي سبعُ آياتٍ، علىٰ حمد الله وتمجيدِهِ، والثَّناء عليه، بذكر أسمائه الحسنىٰ المستلزمة لصفاته العُلَىٰ(٣)، وعلىٰ ذكر المعاد وهو يوم الدِّين(٤)، وعلىٰ إرشاد عبادِهِ إِلَىٰ سؤاله والتَّضرُّع إليه، والتَّبري من حولهم وقُوَّتهم، وإِلَىٰ إخلاص العبادة له، وتوحيده

(١) هذا إشارة إلىٰ حديث رواه أبو داود (ح/ ٩٣٤) من حديث طويل رواه زهير النُّميري، وفيه أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**أوجب إن ختم**»، فقال رجُلٌ من القوم: بأي شيءٍ يختمُ؟ قال: «**بآمين، فإنَّهُ إن ختم بآمين فقد أَوْجَبَ**»، والحديث ضَعَّفه الألبانيُّ في «ضعيف سنن أبي داود». وقال في «المشكاة»: سنده لين، فيه صبيح بن محرز، قال الذهبي: تفرد عنه محمد بن يوسف الفريابي. قلت: يشير بذلك إلىٰ أنه مجهول، وتوثيق ابن حبان إياه مما لا يعتد به. قال ابن عبد البر: ليس إسناده بالقائم.اهـ. «مشكاة المصابيح» (١/ ٢٦٨).

قلت: ويغني في فضل: «آمين» أحاديث كثيرة صحيحة، منها ما رواه البخاري (ح/ ٧٨٠)، ومسلم (ح/ ٤١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا أَمَّن الإمامُ فأَمِّنُوا، فإنَّهُ مَنْ وافق تأمينُهُ تأمين الملائكة، غُفِرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبه**»، ومنها ما رواه أحمد من حديث عائشة أنَّ رسول الله ﷺ ذكرت عنده، فقال: «**إنَّهُم لا يحسُدُونا علىٰ شيءٍ كما يَحْسُدُونا علىٰ يوم الجُمُعة الَّتي هدانا اللهُ لها وضلُّوا عنها، وعلىٰ القبلة الَّتي هدانا اللهُ لها وضلُّوا عنها، وعلىٰ قولنا خلف الإمام آمين**»، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٣٤١)، ورواه مسلم (ح/ ٤٠٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صلَّيتُم فأقيمُوا صُفُوفكُم، ثُمَّ ليؤُمَّكُم أحدُكُم، فإذا كبَّر فَكَبِّرُوا، وإذا قال:** ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾[الفاتحة:٧] **فقُولُوا: آمين، يُجبكُمُ اللهُ، فإذا كبَّر وركع فكبِّرُوا واركعُوا، فإنَّ الإمام يركعُ قبلكُم، ويرفعُ قبلكُم**».

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٤).

(٣) ويدل عليها قوله تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة:٢، ٣].

(٤) ويدل عليها قوله تعالىٰ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤].

بالإلهيَّة، وتَنْزيهه أن يكون له شريكٌ، أو نظيرٌ، أو مماثلٌ[(١)]، وإِلَىٰ سؤالهم إيَّاه الهداية إِلَىٰ الصِّراط المستقيم، وهو الدِّين القويم، وتثبيتهم عليه حتَّىٰ يفضي بهم ذلك إِلَىٰ جَوَاز الصِّراط الحسي يوم القيامة، المفضي بهم إِلَىٰ جنات النَّعيم، في جوار النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهَداء والصَّالحين. وَاشْتَملت علىٰ التَّرغيب في الأعمال الصَّالحة ليكونوا مع أَهْلها يوم القيامة[(٢)]، والتَّحذير من مسالك الباطل لئلَّا يحشر مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضَّالُّون[(٣)]، والله أعلم.

❀❀❀

(١) ويدل علىٰ ذلك كله قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

(٢) ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٦،٧]، وذلك أن الهداية إلىٰ صراط الذين أنعم الله عليهم يتضمن تحقيق الإيمان الصادق، والتوحيد الخالص، وجميع أعمال القلوب، وأعمال الجوارح المشروعة، والتي توصل صاحبها لمرضاة الله وتكون سببًا لدخوله جنات النعيم مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيِّين، والصديقين، والشهداء الصالحين، وحسن أولئك رفيقًا. كما قال تعالىٰ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء:٦٩]

(٣) ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٧].

الرسالة الثالثة[١]
شرح رسالة أصل دين الإسلام وقاعدته

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين وعليه اعتمادي قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب علىٰ قول جده الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله، آمين[٢]:

قوله رحمه الله تعالى:

«أصل دين الإسلام وقاعدته أمران؛ الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض[٣] علىٰ ذلك والموالاة فيه، وتكفير من تركه».

قلت: وأدلة هَذَا في القرآن أكثر من أن تحصر كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ[٤] وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٦٤] الآية، أمر الله تعالىٰ

---

(١) طبعت في «الدرر السنية» (٢/ ٢٠٢-٢١١).

(٢) في المطبوع: «قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن -رحمه الله تعالىٰ- شرحًا لكلام جده الشيخ محمد رحمه الله تعالىٰ».

(٣) في المطبوع: «بدون الواو».

(٤) إلىٰ هنا من الآية غير موجود في المطبوع.

نبيَّه أن يدعو أهل الكتاب إِلَىٰ معنىٰ «لا إله إلَّا الله»، الَّذي دعا إليها[1] العرب وغيرهم.

والكلمة هي: «لا إله إلَّا الله»، ففَسَّرها بقوله: (ألا نعبد إلا الله)[2] فقوله: «ألَّا نعبد»، فيه معنىٰ «لا إله»، وهو نَفْي العبادة عمَّا سوىٰ الله، وقوله: «إلَّا الله» هو المستثنىٰ في كلمة الإخلاص، فأمره تعالىٰ أن يدعوهم إِلَىٰ قَصْر العبادة عليه وحده، ونفيها عمَّا سواه. ومثل هَذِهِ الآية كثير يُبيِّن أنَّ الإلهيَّة هي العبادة، وأنَّها لا يصلح منها شيءٌ لغير الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] معنىٰ ﴿وَقَضَىٰ﴾: أمر ووصىٰ، قولان ومعناهما واحد. وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فيه معنىٰ «لا إله»، وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فيه معنىٰ «إلَّا الله».

وهَذَا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرُّسُل إذ قالوا لقومهم: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٣٢] فلا بُدَّ من نفي الشِّرك في العبادة رأسًا، والبراءة منه ومِمَّنْ فَعَله، كما قال تعالىٰ عن خليلِهِ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧]، فلا بُدَّ من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله.

وقال عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٨]، فيجب اعتزال الشِّرْك وأهله بالبراءة منهما، كما صرَّح به في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

(١) في المطبوع: «إليه».

(٢) في المطبوع: «لا رب إلا الله».

كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة:٤]، والَّذين معه هم الرُّسُل، كما ذكره ابن جرير(١).

وهَذِهِ الآية تَتضمَّن جميع ما ذكره شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التَّحريض علىٰ التَّوحيد، ونفي الشِّرك، والموالاة لأهل التَّوحيد، وتكفير مَنْ تركه بفعل الشِّرك المُنَافي له، فإنَّ مَنْ فعل الشِّرك فقد ترك التَّوحيد، فإنَّهما ضدَّان لا يجتمعان، فمتىٰ وجد الشِّرك انْتفَىٰ التَّوحيد.

وقَدْ قال تعالىٰ في حال(٢) مَنْ أشرك ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨]، فكفره تعالىٰ باتِّخاذ الأنداد، وهم الشُّركاء في العبادة، وأمثال هَذِهِ الآيات كثيرةٌ، فلا يكون مُوحِّدًا إلَّا بنفي الشِّرك، والبراءة منه، وتكْفير مَنْ فَعَله.

ثمَّ قال رحمه الله تعالى:

«**الثَّاني: الإنذار عن الشِّرك في عبادة الله، والتَّغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير مَنْ فعله**».

فلا يتمُّ مقام التَّوحيد إلَّا بهَذَا، وهو دين الرسل؛ أنذروا قومهم عن الشِّركِ، كما قَالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا

(١) ذكر بسنده إلىٰ ابن زيد قال: الذين معه الأنبياء. «تفسير ابن جرير» (١٤/ ٧٧).
(٢) في «مجموعة التوحيد»: «في حق من أشرك».

نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف:٢١].

قوله: «**في عبادة الله**». العبادة: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظَّاهرة(١).

قوله: «**والتَّغليظ في ذلك**»، وهَذَا موجودٌ في الكتاب والسُّنَّة، كقوله تعالىٰ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات:٥٠، ٥١]، ولولا التَّغليظ لما جرىٰ على النَّبيِّ ﷺ وأصحابه من قريش ما جرىٰ، من الأذىٰ العظيم، كما هو مذكورٌ في السير مفصلًا، فإنَّه بَادَأهم بسَبِّ دينهم، وعَيْب آلهتهم.

قوله رحمه الله تعالىٰ: «**والمُعَاداة فيه**»، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾ [التوبة:٥]، والآيات في هَذَا كثيرةٌ جدًّا، كقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال:٣٩]، والفتنة: الشِّرك.

ووَسَم تعالىٰ أهل الشِّرك بالكفر فيما لا يُحْصىٰ من الآيات؛ فلا بُدَّ من تكفيرهم أيضًا، وهَذَا هو مقتضىٰ: «لا إله إلَّا الله»، كلمة الإخلاص، فلا يتمُّ

---

(١) هذا التعريف ذكره شيخ الإسلام في رسالة «العبودية» له. طبعت ضمن «مجموعة التوحيد» (٢/ ٤٥٤). وطبعت مستقلةً بتعليقات العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، كما طبعت مستقلةً أيضـًا بشرح العلامة صالح الفوزان حفظه الله.

معناها إلَّا بتكفير مَنْ جعل لله شريكًا في عبادته، كما في الحديث الصَّحيح: «**مَنْ قال لا إله إلَّا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله**»(١) فقوله: «**وكَفَر بما يُعْبَد من دون الله**» تأكيدٌ للنَّفي، فلا يكون معصوم الدَّم والمال إلَّا بذلك، فلو شكَّ، أو تردَّد، لم يعصم دمُهُ ومالُهُ(٢).

فهَذِهِ الأُمُور: هي تمام التَّوحيد؛ لأنَّ «لا إله إلَّا الله»، قيدت في الأحاديث بقُيُودٍ ثقالٍ؛ بالعلم، والإخلاص، والصِّدق، واليقين، وعدم الشَّكِّ، فلا يكون المرءُ مُوحِّدًا إلَّا باجتماع هَذَا كلِّه، واعتقاده، وقبوله، ومحبَّته، والمعاداة فيه، والمُوَالاة(٣)، فبمجموع ما ذكره شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، يحصل ذلك.

ثمَّ قال رحمه الله تعالىٰ:

«**والمُخَالف في ذلك أنواعٌ، فأَشدهم مخالفةً مَنْ خالف في الجميع**».

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (ح/ ٢٣) من حديث طارق بن أشيم الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوَهَّاب في كتاب التوحيد، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، في ذكر مسائل الباب: «ومنها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعْبَد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله**»، وهذا يبين معنىٰ «لا إله إلا الله»، فإنه لم يجعل التلفُّظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم دمه وماله حتىٰ يضيف إلىٰ ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف، فإنه لا يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألةٍ ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع! «مجموعة التوحيد النجدية» (ص٣٩).

(٣) وهذه شروط «لا إله إلا الله»، وسيأتي ذكرها وشرحها مفصلًا للمؤلف -رحمه الله تعالىٰ- في الرسالة الخامسة والعشرين.

فقبل الشِّرْك واعتقده دينًا، وأنكر التَّوحيد، واعتقده باطلًا، كما هو حال الأكثر، وسببه: الجهل بما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، من معرفة التَّوحيد، وما يُنَافيه من الشِّرك والتَّنديد، واتِّباع الأهواء، وما عليه الآباء، كحال مَنْ قبلهم من أمثالهم، من أَعْدَاء الرُّسُل، فرموا أهل التَّوحيد بالكذبِ، والزُّور، والبُهْتان، والفُجُور؛ وحُجَّتهم ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء:٧٤].

وهَذَا النَّوع من النَّاس، والَّذي بعده، قد ناقضوا ما دلَّت عليه كلمة الإخلاص، وما وضعت له، وما تَضمَّنته من الدِّين الَّذي لا يقبل الله دينًا سواه، وهو دين الإسلام الَّذي بعث الله به جميع أنبيائه، ورسله، وَاتَّفقت دعوتهم عليه، كما لا يخفىٰ فيما قصَّ الله عنهم في كتابه.

ثمَّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومن النَّاس مَنْ عبدَ اللهَ وحده، ولم ينكر الشِّرك، ولم يعاد أهله»

قلتُ: ومن المَعْلوم أنَّ مَنْ لم ينكر الشِّرك لم يعرف التَّوحيد، ولم يأتِ به؛ وقد عرفت: أنَّ التَّوحيد لا يحصل إلَّا بنَفْي الشِّرك، والكفر بالطَّاغوت المذكور في الآية.

ثمَّ قال رحمه الله تعالى:

«ومنهم مَنْ عَادَاهم، ولم يُكفِّرهم»

فهَذَا النَّوع أيضًا: لم يأتِ بما دَلَّت عليه «لا إله إلَّا الله»، من نَفْي الشِّرك، وما تَقْتضيه من تكفير مَنْ فَعَله بعد البيان إجماعًا، وهو مضمون سورة الإخلاص

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١][(١)]، وقوله في آية الممتحنة: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة:٤]، ومَنْ لم يكفر مَنْ كَفَّر القرآن، فقَدْ خالف ما جاءت به الرُّسُل، من التَّوحيد، وما يوجبه.

ثمَّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومنهم مَنْ لم يحبَّ التَّوحيد، ولم يبغضه»

فالجواب: أَنَّ مَنْ لم يحبَّ التَّوحيد، لم يكن موحدًا؛ لأنَّه هو الدِّين الَّذي رضيه الله تعالىٰ لعبادِهِ، كما قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فلو رضي بما رضي به الله، وعمل به لأحبَّه، ولا بُدَّ من المحبَّة؛ لعَدَم حصول الإسلام بدونها، فلا إسلام إلَّا بمحبَّة التَّوحيد؛ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: الإخلاص: محبَّة الله، وإرادة وجهه؛ فمَنْ أحبَّ الله أحبَّ دينه، وما لا فلا، وبالمحبَّة يَترتَّب عليها ما تَقْتضيه كلمة الإخلاص من شُرُوط التَّوحيد[(٢)].

ثمَّ قال رحمه الله تعالى:

«ومنهم مَنْ لم يبغض الشِّرْك، ولم يحبَّه»

قلت: ومَنْ كان كذلك، فلَمْ ينفِ ما نفته «لا إله إلَّا الله»، من الشِّرك، والكفر بما يُعْبَد من دون الله، والبراءة منه، فهَذَا ليس من الإسلام في شيءٍ أصلًا، ولم يعصم دمه، ولا ماله، كما دلَّ عليه الحديث المتقدِّم.

(١) في المطبوع: «وهو مضمون سورة الإخلاص، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[الإخلاص:١]».
(٢) انظر رسالة «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، فقَدْ أطالَ النَّفَسَ في هذا المقام.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ومنهم مَنْ لم يعرف الشِّرك، ولم ينكره»

قلت: مَنْ لم يعرف الشِّرك، ولم ينكره، لم يَنْفه؛ ولا يكون موحدًا، إلَّا من نفىٰ الشِّرك، وتَبرَّأ منه، ومِمَّنْ فَعَله، وكفرهم، وبالجهل بالشِّرك، لا يحصل شيءٌ ممَّا دلَّت عليه «لا إله إلَّا الله»، ومَنْ لم يقم بمعنىٰ هَذِهِ الكلمة، ومضمونها، فليس من الإسلام في شيءٍ؛ لأنَّه لَمْ يأتِ بهَذِهِ الكلمة ومضمونها عن علمٍ ويقينٍ، وصدقٍ وإخلاصٍ، ومحبَّةٍ وقبولٍ وانقيادٍ؛ وهَذَا النَّوع ليس معه من ذلك شيءٌ، وإن قال: «لا إله إلَّا الله»، فهو لا يعرف ما دلَّت عليه، ولا ما تَضمَّنته.

ثمَّ قال رحمه الله تعالى:

«ومنهم مَنْ لم يعرف التَّوحيد، ولم ينكره»

فأقول: هَذَا كالَّذي قبله، لم يرفعوا رأسًا بما خُلِقُوا له من الدِّين الَّذي بعث الله به رُسُله، وهَذِهِ الحال حال مَنْ قال الله فيهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤].

ثمَّ قال رحمه الله تعالى:

«ومنهم -وهو أشدُّ الأنواع خطرًا - مَنْ عمل بالتَّوحيد، ولم يعرف قدره، فلم يبغض مَنْ تركه، ولم يُكفِّرهم»

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو أشدُّ الأنواع خطرًا؛ لأنَّه لَمْ يعرف قدر ما عمل به، فلَمْ يجئ بما يُصحِّح توحيده من القُيُود الثِّقال الَّتي لا بُدَّ منها، لما علمت أنَّ التَّوحيد

يقتضي نَفْيَ الشِّرك، والبراءة منه، ومعاداة أهله، وتكفيرهم، مع قيام الحُجَّة عليهم، فهَذَا قَدْ يغتر بحاله، وهو لم يجئ بما عليه من الأُمُور الَّتي دلَّت عليها كلمة الإخلاص؛ نفيًا وإثباتًا.

وكذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ومنهم مَنْ ترك الشِّرك، وكرهه، ولم يعرف قَدْره»

قلت: هذا[1] أقربُ من الَّذي قبله، لكن لم يعرف قَدْر الشِّرك؛ لأنَّه لو عَرَف قدره، لفعل ما دلَّت عليه الآيات المحكمات؛ كقول الخليل: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧]، وقوله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا﴾ [الممتحنة:٤].

فلا بُدَّ لمَنْ عَرَف الشِّرك، وتركه من أن يكون كذلك، من الوَلَاء والبَرَاء، من العابد والمعبود، وبُغْض الشِّرك وأهله، وعَدَاوتهم؛ وهذان النَّوعان هي[2] الغالب علىٰ أحوالِ كثيرٍ ممَّن يَدَّعي الإسلام، فيَقَع بهم[3] من الجهل بحقيقته ما يمنع الإتيان بكلمة الإخلاص، وما اقْتضَته علىٰ الكمال الواجب الَّذي يكون به مُوحِّدًا ، فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدِّين!

فإذا عرفت أنَّ الله كَفَّر أهل الشِّرك، ووَصَفهم به في الآيات المحكمات، كقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم

---

(١) في المطبوع: «فهذا أقرب...» بحذف: «قلت».

(٢) في المطبوع: «هما الغالبان».

(٣) في المطبوع: «فيقع منهم».

بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾ [التوبة:١٧]، وكَذَلك السُّنَّة(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ: فأَهْل التَّوحيد والسُّنَّة، يُصدِّقون الرُّسُل فيما أخبروا، يُطيعونهم فيما أَمَروا، ويَحْفظون ما قالوا، ويَفْهمونه، ويَعْملون به، ويَنْفون عنه تحريفَ الغالين، وانْتحالَ المُبْطلين، وتأويل الجاهلين، ويُجَاهدون مَنْ خَالَفهم، تقرُّبًا إِلَىٰ الله، وطلبًا للجزاء من الله، لا منهم؛ وأَهْل الجهل والغلو لا يُميِّزون بين ما أمروا به، ونُهُوا عنه، ولا بين ما صحَّ عنهم، وما كذب عليهم، ولا يَفْهمون حقيقة مُرَادهم، ولا يَتحرُّون طاعتهم؛ بل هم جُهَّالٌ لما أتوا به، مُعظِّمون لأغراضهم.

قلت: ما ذَكَره شيخ الإسلام يُشْبه حال هذين النَّوعين الأخيرين(٢). بقي مسألة حدثت(٣) تَكلَّم شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو: عدم تكفير المعيَّن ابتداءً

---

(١) كما قال ﷺ: «**مَنْ حلف بغير الله فقد كفر**»، أو: «**أشرك**»، رواه أبو داود (ح/٣٢٥١) والترمذي (ح/١٥٣٥) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (ح/٦٢٠٤).

(٢) أي: الأول: من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره. والثاني: من ترك الشرك وكرهه، ولم يعرف قدره.

(٣) طبعت هذه الرسالة ضمن عقيدة المُوحِّدين والرد علىٰ الضلال والمبتدعين، جمع عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي (ص٢٠٨-٢١٢)، وقد حصل فيه تحريفات مقصودة، حيث حذف منها ما نقله الشيخ عبد الرحمن بن حسن عن شيخي الإسلام (ابن تيمية، وابن عبد الوهاب) مما يتعلق بعدم تكفير المعين ابتداءً، وذلك من قوله: بقي مسألة حدثت... إلىٰ آخر الرسالة. ثم وضع بدلًا من ذلك كلامًا لابن القيم نقله من كتاب «طريق الهجرتين»، في بيان الطبقة السابعة عشرة، طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم.

وهذا التصرف في رسالة المؤلف، وهذا التحريف والتبديل والتلبيس، فهو فضلًا عن تحريمه، =

=

فإن إيراد كلام ابن القيم هنا غير مناسب للمسألة، ليقرر عدم العذر بالجهل، فكلام ابن القيم يتعلق بالكفار الأصليين، وهنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن يتكلم عن أهل الشهادتين الذين وقعوا في مكفرٍ، فهل يكفرون بأعيانهم ابتداءً؟ أم بعد إقامة الحُجَّة والإصرار؟!

ولا أدري، هل هذا التبديل والتحريف المقصود لرسالة الشيخ عبد الرحمن بن حسن من تدخلٍ خفيٍّ علىٰ جامعه، أم حصل من جامعه نفسه والذي عرف عنه أنه لا يرىٰ العذر بالجهل، وهذا أمر عرف عنه بين أهل العلم، مع ما عرف عنه أيضًا من حرصٍ علىٰ نشرٍ للتوحيد والدعوة إليه، حيث كان يجوب القرىٰ لدعوة التوحيد.

ومن التحريف والتلبيس الذي حصل في هذا المجموع أنه قدَّم هذا المجموع لابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، وأنَّ من ضمن رسائله: «الجواب المفيد في حكم تارك التوحيد»، والتي هي لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فوضع الشيخ ابن باز مقدمة شَكَر فيها جامعه، ولكن عند الطبع وضعت بدلًا من هذه الرسالة رسالة أخرىٰ بعنوان: «الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد» لرجل اسمه أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الحميد المصري، وقد جاء بتخبط كبير في مسألة العذر بالجهل، وتنزيلٍ لكلامي شيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب في غير محله في هذه المسألة.

حيث يقول في رسالته هذه: «وذلك بخلاف أمور الشرك الأكبر المخرج من الملة، والذي لا يعتبر الجهل فيه بأيِّ صورةٍ من الصور في أحكام الدنيا، بل تجري الأحكام فيه علىٰ الظاهر، علىٰ الأصل الذي قرَّرناه فيما سبق من فصول. إذًا، فالأصل المقرر هو أنَّ كل مَنْ كان كفره بنقص ركنٍ من أركان التوحيد، وسقوطه في شرك أكبر ينقل عن الملَّة، فإنه يكفر بذلك عينًا في إجراء الحكم عليه في الدنيا علىٰ أساس ظاهر أمره -إلىٰ أن قال- وكما أخطأ البعض، فظن أن اعتبار الجهل يقع متمثلًا علىٰ التوحيد، وعلىٰ غيره من أمور الشريعة، فيعذر بالجهل ابتداءً في كليهما، فقد أخطأ البعض الآخر، فاعتقد أن تكفير المعين من الناس والذي يقول قولًا مكفرًا بجنسه، لا يلزم؛ سواء أقيمت عليه الحجة أم لم تقم، وإنما لا يجوز تكفير المعين مطلقًا». انظر (ص٣٧٦، ٣٧٧) من مجموع كتاب «عقيدة الموحدين».

ويقول أيضًا مقيدًا كلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب في أن تكفير المعين لا يكون حتىٰ تقوم الحجة في المسائل غير الظاهرة دون المسائل الظاهرة، فقال: «وقد قام الإمام محمد بن عبد الوهاب بالرد علىٰ هذا الافتراء علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالةٍ مستقلةٍ له، تتبع فيها

=

=

أقوال ابن تيمية، وأوضح أن قوله بعدم تكفير المعين إنما هو حتىٰ إقامة الحجة عليه، وأن هذا في الأمور الخفية، والمسائل غير الظاهرة فقط»، انظر نفس «المجموع» (ص٣٧٨).

ومَنْ رَجَع إلىٰ كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وجد أنه خلاف ما كتبه عنه هنا الكاتب، فقد قال شيخ الإسلام في رسالة «كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» (ص٢٠٣) ناقلًا كلام ابن تيمية: «قال رَحِمَهُ اللَّهُ: أنا من أعظم الناس نهيًا عن أن ينسب معين إلىٰ تكفير، أو تبديع، أو تفسيق، أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي مَنْ خالفها كان كافرًا تارةً، وفاسقًا أخرىٰ، وعاصيًا أخرىٰ». انتهىٰ كلامه. قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب معلقًا: «وهذا صفة كلامه في المسألة في كل موضع وقفنا عليه من كلامه، لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال أن المراد بالتوقف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة، وإذا بلغته، حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفيرٍ أو تفسيقٍ أو معصيةٍ».

وقد سئل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ- عما يقاتل عليه؟ وعما يكفر الرجل؟ فأجاب: «أركان الإسلام الخمسة، أوَّلها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقرَّ بها، وتركها تهاونًا، فنحن وإنْ قاتلناه علىٰ فعلها، فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلًا من غير جحودٍ، ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان. وأيضًا نكفره بعد التعريف، إذا عرف وأنكر -إلىٰ أن قال- وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا علىٰ مَنْ قدر علىٰ إظهار دينه، وإنا نُكفِّر مَنْ لم يكفر، ومَنْ لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكلُّ هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله. وإذا كنا لا نكفر من عَبدَ الصنمَ الذي علىٰ عبد القادر، والصنم الذي علىٰ قبر أحمد البدوي، وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم مَنْ ينبههم، فكيف نكفر مَنْ لم يشرك بالله؟ إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر أو يقاتل؟ ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦]، «الدرر السنية» (١/ ١٠٢-١٠٤).

بل جاء في هذا المجموع للعبدلي الغامدي بأن الحُجَّة يكفي قيامها بالفطرة والعقل، ولا يلزم أن لا بد من بلوغ الرسالة الإلهية والبعثة النبوية، ناقلًا ذلك من تفسير محمد رشيد رضا قوله: «والمراد أن الله تعالىٰ لا يقبل منهم الاعتذار بتقليد آبائهم وأجدادهم، كما أنه لم يقبل الاعتذار بالجهل، بعد أن أقام عليهم من حُجَّة الفطرة والعقل. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٤]، أي: ومثل هذا التفصيل البليغ نفصل لبني آدم الآيات والدلائل

=

=

يستعملوا عقولهم، ولَعلَّهم يرجعون بها عن جهلهم وتقليدهم، والآيات تدل علىٰ أن مَنْ لم تبلغه بعثة رسول لا يعذر يوم القيامة بالشرك بالله تعالىٰ، ولا بفعل الفواحش والمنكرات التي تنفر منها الفطرة السليمة، وتدرك ضررها وفسادها العقول المستقلة، وإنما يعذرون بمخالفة هداية الرسل فيما شأنه ألَّا يعرف إلا منهم، وهو أكثر العبادات التفصيلية». (ص٣٨٩).

فانظر إلىٰ هذا الكلام الخطير، والذي جعل الرسالات النبوية بمعزلٍ عن إقامة الحُجَّة عن كل شيءٍ من أُمُور الدِّين، وأيُّ مصادمةٍ هذه لحكمة الله تعالىٰ في إرسال الرُّسُل، وإنزال الكتب، ورحمته بعباده، ورب العالمين يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال أيضًا: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، ويقول أيضًا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة:١١٥]، وهذا هو مقتضىٰ حكمة الله تعالىٰ البالغة، ورحمته بالعباد، ومحبته للقسط، وإقامة الحجة والعذر.

ولتجلية المسألة أكثر أنقلُ كلامًا لجمعٍ من أهل العلم:

١- الإمام العلَّامة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، حيث سئل عن حكم عبارة كتبت تحت كلمة الإخلاص، وهي: «لا إله إلا الله، شيخ عبد القادر شيئًا لله»، فأجاب: «وأما كتابته تحت كلمة الإخلاص: «شيخ عبد القادر شيئًا لله»، فهذا يحتاج إلىٰ فهم معنىٰ ما كتبه، فإن كان يسأل من الشيخ عبد القادر شيئًا، فهذا من دعاء غير الله، وطلب الحوائج من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر بلا شكٍّ، فإذا اتضح له، وبين له كلام العلماء، فأصر وعاند، فهو مشرك أكبر»، «فتاوىٰ الشيخ محمد بن إبراهيم» (١/ ١١٢).

٢- الإمام العلَّامة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، حيث سئل: ما موقف السلف -رحمهم الله- كالإمام ابن تيمية، والإمام بن عبد الوهاب من قضية العذر بالجهل؟ فأجاب قائلًا: «الجهل بالجملة قد يكون عذرًا، وقد لا يكون عذرًا، فإذا كان الشخص المكلف بعيدًا عن أهل الإسلام، وعن أهل العلم، كالذي ينشأ في بلادٍ بعيدةٍ عن بلاد المسلمين، ولَمْ تَبْلغه الرسالة، ولا القرآن، ولا السُّنَّة، هذا يكون معذورًا بالجهل، وله حكم أهل الفترات يوم القيامة يمتحنون، فإن أجاب دَخَل الجنة، وإنْ عصىٰ دخل النار، وقَدْ يكون معذورًا أيضًا في الأشياء الخفية في الفروع التي تَخْفَىٰ علىٰ مثله، كما عذر النَّبيُّ ﷺ صاحب الجُبَّة لما تَضمَّخ بالطيب، وقد أحرم بالعمرة، قال له عليه الصلاة والسلام: «**انزع عنك الجُبَّة، واغسل عنك الخلوق،**

=

=

واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك»، لم يأمره بفديةٍ عن لبسه الجبة، ولا عن تضمخه بالطيب للجهل. فالحاصل أن الجهل عذرٌ في الأمور التي قد يخفىٰ مثلها في المسائل الفرعية، أو في حق مَنْ كان بعيدًا عن المسلمين، وعن سماع القرآن والسُّنَّة، كأهل البلاد التي تبعد عن المسلمين في أطراف الدنيا، ومثل أهل الفترة الذين ما بلغتهم الرسالات، هؤلاء يعذرون بالجهل، والصحيح أنهم يمتحنون يوم القيامة، فمَنْ أجاب الأمر دخل الجنة، ومن عصىٰ دخل النار، أما من بين المسلمين يسمع السُّنَّة ويسمع القرآن، هذا غير معذورٍ، لا في العقيدة، ولا في غيرها، قال الله جل وعلا: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩]، فاللهُ جَعَل القرآن نذيرًا، ومحمدًا جعله نذيرًا، فالقرآنُ نذيرٌ، ومحمدٌ نذيرٌ، فالذي يبلغه القرآن والسُّنَّة ويعيش بين المسلمين، فهَذَا غير معذورٍ، عليه أن يسأل، وعليه أن يَتفقَّه في الدين، وعليه أن يتعلَّم، والله المستعان». فتاوىٰ «نور علىٰ الدرب» (١/ ٢٤٦-٢٤٨).

٣- بحث وجواب من الإمامين الشيخ ابن باز، والشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث أجابا عن سؤالٍ حول تفشي ظاهرة عبادة القبور، فقالا: «يختلف الحكم علىٰ الإنسان بأنه يعذر بالجهل في المسائل الدينية، أو لا يعذر باختلاف البلاغ وعدمه، وباختلاف المسألة نفسها وضوحًا وخفاءً، وتفاوت مدارك الناس قوةً وضعفًا، فمن استغاث بأصحاب القبور دفعًا للضر، وكشفًا للكرب، بُيِّنَ له أن ذلك شرك، وأقيمت عليه الحجة، أداءً لواجب البلاغ، فإن أصرَّ بعد البيان فهو مشركٌ يعامل في الدنيا معاملة الكافرين، واستحق العذاب الأليم في الآخرة إذا مات علىٰ ذلك؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء:١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

وَثبتَ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»، رواه مسلم، إلىٰ غير ذلك من الآيات والأحاديث الدَّالَّة علىٰ وجوب البيان، وإقامة الحُجَّة قبل المؤاخذة، ومَنْ عاش في بلادٍ يسمع فيها الدعوة إلىٰ الإسلام وغيره، ثمَّ لا يؤمن، ولا يطلب الحقَّ من أهله، فهو في حكم مَنْ بلغته الدعوة الإسلامية، وأصرَّ علىٰ الكفر، ويشهد لذلك عموم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم، كما يَشْهد له ما قَصَّه الله تعالىٰ من نبأ قوم موسىٰ إذ أَضلَّهم السامري، فعبدوا العجلَ، وقد استخلف فيهم أخاه هارون عند ذهابه لمُنَاجاة الله، فلما

=

=

أنكر عليهم عبادة العجل، قالوا: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه:٩١]، فاستجابوا لداعي الشرك، وأبوا أن يستجيبوا لداعي التوحيد، فلم يعذرهم الله في استجابتهم لدعوة الشرك والتلبيس عليهم فيها لوجود الدعوة للتوحيد إلىٰ جانبها مع قرب العهد بدعوة موسىٰ إلىٰ التوحيد.

ويَشْهد لذلك أيضًا ما قَصَّه الله من نبأ نقاش الشيطان لأهل النار وتخليه عنهم وبراءته عنهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٢]، فلم يعذروا بتصديقهم وعد الشيطان مع مزيد تلبيسه وتزيينه الشرك، واتباعهم لما سول لهم من الشرك؛ لوقوعه إلىٰ جانب وعد الله الحق بالثواب الجزيل لمن صدق وعده، فاستجاب لتشريعه، واتبع صراطه السوي.

ومَنْ نظر في البلاد التي انتشر فيها الإسلام، وجد من يعيش فيها يتجاذبه فريقان؛ فريق يدعو إلىٰ البدع علىٰ اختلاف أنواعها؛ شركية وغير شركية، ويلبس علىٰ الناس، ويزين لهم بدعته بما استطاع من أحاديث لا تصح، وقصص عجيبة غريبة يوردها بأسلوبٍ شيقٍ جذابٍ، وفريقٍ يدعو إلىٰ الحقِّ والهدىٰ، ويقيم علىٰ ذلك الأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة، ويُبيِّن بُطْلان ما دعا إليه الفريق الآخر، وما فيه من زيفٍ، فكان في بلاغ هذا الفريق وبيانه الكفاية في إقامة الحُجَّة وإنْ قلَّ عددهم، فإنَّ العبرةَ ببيان الحق بدليله لا بكثرة العدد، فمن كان عاقلًا، وعاش في مثل هذه البلاد، واستطاع أن يعرف الحق من أهله إذا جد في طلبه وسلم من الهوىٰ والعصبية، ولم يغتر بغنىٰ الأغنياء، ولا بسيادة الزعماء، ولا بوجاهة الوجهاء، ولا اختلَّ ميزان تفكيره، وألغىٰ عقله، وكان من الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٨].

أما من عاش في غير بلاد إسلامية، ولم يسمع عن النَّبيِّ ﷺ، ولا عن القرآن والإسلام، فهذا -علىٰ تقدير وجوده- حكمه حكم أهل الفترة، يجب علىٰ علماء المسلمين أن يبلغوه شريعة الإسلام أُصُولًا وفروعًا، إقامةً للحجة، وإعذارًا إليه، ويوم القيامة يعامل معاملة مَنْ لم يكلف في الدنيا؛

=

لسببٍ ذَكَره رحمه الله تعالىٰ، أَوْجب له التَّوقُّف في تكفيره قبل إقامة الحُجَّة =

لجنونه، أو بلهه، أو صغره وعدم تكليفه، وأمَّا ما يخفىٰ من أحكام الشريعة من جهة الدلالة، أو لتقابل الأدلة وتجاذبها، فلا يقال لمن خالف فيه: آمن أو كفر، ولكن يقال: أصاب وأخطأ، فيعذر فيه من أخطأ، ويُؤجَر فيه مَنْ أصاب الحق باجتهاده أجرين، وهذا النوع مما يتفاوت فيه الناس باختلاف مداركهم ومعرفتهم باللغة العربية، وترجمتها، وسعة اطلاعهم علىٰ نُصُوص الشريعة؛ كتابًا وسُنَّةً، ومعرفة صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، ونحو ذلك.

وبذا يعلم أنه لا يجوز لطائفة الموحدين الذين يعتقدون كفرَ عُبَّاد القبور أن يكفروا إخوانهم الموحدين الذين توقفوا في كفرهم حتىٰ تقام عليهم الحجة؛ لأن تَوقُّفهم عن تكفيرهم له شبهة، وهي اعتقادهم أنه لا بد من إقامة الحجة علىٰ أولئك القبوريين قبل تكفيرهم بخلاف مَنْ لا شبهة في كفره؛ كاليهود والنصارىٰ والشيوعيين، وأشباههم، فهؤلاء لا شبهة في كفرهم، ولا في كفر مَنْ لم يكفرهم، والله ولي التوفيق، ونسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يَمْنحهم الفقهَ في الدين، وأن يُعيذنا وإيَّاهم من شرور أنفسنا، ومن سَيِّئات أعمالنا، ومن القول علىٰ الله سبحانه وعلىٰ رسوله ﷺ بغير علمٍ، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٢/ ١٤٦-١٥١).

٤- جواب من اللجنة الدائمة عن سؤال: هل يعذر جاهل التوحيد؟ فكان الجواب: «يعذر بالجهل مَنْ لم تقم عليه الحجة، وهو مَنْ لم يبلغه شيءٌ عن النَّبيِّ ﷺ، ويكون حكمُهُ حكم أهل الفترة، يُمْتَحن يوم القيامة، فإن نَجحَ نجا، وإن لم ينجح هلك.

أما مَنْ بلغه بعثة الرسول ﷺ، أو سمع شيئًا من الكتاب والسُّنَّة، فإنه لا يعذر بالجهل».

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

«فتاوىٰ اللجنة الدائمة» المجموعة الثانية (١/ ٤٢٠).

٥- سئل الإمام العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله تعالىٰ: مَنْ فعل الشرك مثل أن يدعو غير الله الشفاءَ لمريضه، هل نقول: إنه مشرك، أو نقول: فعله شرك مع أنه يقول: «لا إله إلا الله»، ويصوم ويحج؟ الجواب: «إذا كان ليس له عذر، فهو مشرك، أما إذا كان جاهلًا، أو مقلدًا، أو عنده تأويلٌ ظَنَّه صحيحًا، فهذا يُبيَّن له، فإن أصرَّ، فإنه يحكم عليه بالشرك؛ لأنه زال عذره). «رسالة التكفير بين الإفراط والتفريط» (ص٤٢).

عليه، قال رحمه الله تعالىٰ: ونحن نعلم بالضَّرورة أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يشرع لأحدٍ أن يدعو أحدًا من الأموات، لا الأنبياء، ولا الصَّالحين، ولا غيرهم؛ ولا بلفظ الاستغاثة، ولا بغيرها، كما أنَّه لَمْ يَشْرع لأُمَّته: السُّجُود لميتٍ، ولا إلىٰ ميتٍ، ونحو ذلك؛ بل نعلم: أنَّه نَهَىٰ عن هَذِهِ الأُمُور كلِّها، وأنَّ ذلك من الشِّرك الَّذي حَرَّمه اللهُ ورسولُهُ ﷺ، ولكن لغَلَبة الجهل، وقلَّة العلم بآثار الرِّسالة في كثيرٍ من المُتأخِّرين، لَمْ يمكن تكفيرهم بذلك حتَّىٰ يُبين ما جاء به الرَّسول ممَّا يخالفه، انتهىٰ(١).

قلت: فذَكَر -رحمه الله تعالىٰ- ما أَوْجَب له عدمَ إطلاق الكفر عليهم علىٰ التَّعيين خاصَّة إلَّا بعد البيان والإصرار؛ فإنَّه قد صار أُمَّة وحده؛ لأنَّ من العلماء من كفره بنهيه لهم عن الشِّرك في العبادة، فلا يُمْكن أن يعاملهم بمثل ما قال كما جرىٰ لشيخنا مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب -رحمه الله تعالىٰ- في ابتداء دعوته، فإنَّه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب: قال: الله خيرٌ من زيدٍ، تمرينًا لهم علىٰ نفي الشِّرك بلين الكلام نظرًا إلىٰ المصلحة، وعَدَم النُّفرة، والله سبحانه أعلم؛ وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وَسلَّم.

(١) «الرد علىٰ البكري» (ص٣٧٧).

الرسالة الرابعة[1]
«الإسلام والإيمان والفرق بينهما»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين، وعليه أتوكَّل.

الكلام في الإسلام والإيمان في مقامات (الأوَّل) فيما دلَّ عليه حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سؤال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2]بقوله: أخبرني عن الإسلام، فقال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله**»، الحديث. قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أَنْ تؤمن بالله، وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ وباليوم الآخر، وبالقَدَر خيره وشرِّه**»[3].

أخبره[3] أنَّ الإسلام هو الأعمال الظَّاهرة، والإيمان يُفسَّر بالأعمال الباطنة، وبذلك يُفسَّر كلٌّ منهما عند الاقتران، فإذا أُفْرد الإيمان كما في كثيرٍ من آيات القرآن، دَخَل في مسماه أو مسمىٰ الأعمال الظاهرة والباطنة كما دل علىٰ ذلك

---

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (٢/ ٢-٩) وفي «الدرر السنية» (١/ ٣٣٠-٣٣٣).

(٢) في المطبوع: «للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

(٣) في المطبوع: «فأخبر».

أكثر الآيات والأحاديث(١)؛ كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾ الآية [النساء:١٣٦].

فتَناوَلت الآية جميعَ الأَعْمَال الباطنة والظَّاهرة لدُخُولها في مُسمَّىٰ الإيمان، وأمَّا الأركان الخمسة فهي جزء مُسمَّىٰ الإيمان، ولا يحصل الإسلام علىٰ الحقيقة إلَّا بالعَمَل بهَذِهِ الأركان، والإيمان بالأُصُول السِّتَّة المذكورة في الحديث.

وأصول الإيمان المذكورة تَتضمَّن الأعمال الباطنة والظَّاهرة، فإنَّ الإيمان بالله يقتضي محبَّته وخشيته وتعظيمه وطاعته بامتثال أمره، وترك نهيه، وكذلك الإيمان بالكتب يقتضي التزام(٢)العمل بما فيها من الأمر والنَّهي، فدخل هَذَا كلُّه في هذه الأصول السِّتَّة(٣).

وممَّا يدلُّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ [الأنفال:٢-٤].

---

(١) في المطبوع: «دخل فيه الأعمال الظَّاهرة والباطنة كما دلَّ علىٰ ذلك كثيرٌ من الآيات والأحاديث».

(٢) كذا في «الدرر»، وفي «الرسائل والمسائل»: «يقتضىٰ العمل بما فيها».

(٣) كذا في «الدرر»، وفي «الرسائل والمسائل»: «فدخل هذا كله في الأصول السِّتَّة».

فدلَّت هَذِهِ الآيات علىٰ أنَّ الأعمال الظَّاهرة والباطنة داخلةٌ في مسمَّىٰ الإيمان؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥]، فانتفاء الشَّكِّ والرَّيب من الأعمال الباطنة، والجهاد من الأعمال الظَّاهرة، فدلَّ علىٰ أنَّ الكلَّ إيمانٌ.

وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ الأعمال من الإيمان قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٢]، يعني: صلاتكم إِلَىٰ بيت المقدس قبل تَحْويل القبلة إِلَىٰ الكعبة(١)، ونَظَائر هَذِهِ الآية في الكتاب والسُّنَّة كثيرةٌ؛ كقولِهِ ﷺ في حديث وفد عبد قيس: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة: لا إله إِلَّا الله، وأنِّي رسول الله، وتقيموا الصَّلاة، وتؤتوا الزَّكاة وتُؤدُّوا خُمْسَ ما غنمتم**»(٢)، ففَسَّر الإيمان بالأَعْمَال الظَّاهرة؛ لأنَّها جزء مسمَّاه كما تقدَّم.

---

(١) قال البخاري: باب الصلاة من الإيمان، وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، يعني: صلاتكم عند البيت. ثم أورد حديث البراء أن النَّبيَّ ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل علىٰ أجداده -أو قال: أخواله- من الأنصار، وأنه صلىٰ قبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلتُهُ قِبَلَ البيت، وأنه صلَّىٰ -أول صلاةٍ صلاها- صلاة العصر، وصلىٰ معه قوم، فخرج رجلٌ مِمَّنْ صلَّىٰ معه، فمرَّ علىٰ أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليتُ مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت، وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قِبَلَ بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلمَّا ولىٰ وجهه قِبَلَ البيت أنكروا ذلك. قال زهير: حدَّثنا أبو إسحاق عن البراء في حديثه هذا أنه مات علىٰ القبلة -قبل أن تحول- رجال وقتلوا، فلم ندرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، (ح/ ٤٠).

(٢) رواه البخاري (ح/ ٥٣)، ومسلم (ح/ ١٧).

إذا عرفت أن من الأعمال التي لا يخرج نقصها من الإسلام فهو نقص في كمال الإيمان الواجب كما في حديث أبي هريرة(١): «**لا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمنٌ، ولا ينتهب النهبة يرفع النَّاس إليه فيها أَبْصَارهم حين ينتهبها وهو مؤمنٌ**»(٢)، وقوله ﷺ: «**لا إيمانَ لمَنْ لا أمانةَ له**»(٣)، ونَفىٰ الإيمان عَمَّنْ لا يأمن جاره بوائقه(٤)، فالمنفيُّ في هَذِهِ الأحاديث كمال الإيمان الواجب، فلا يُطْلَق الإيمان علىٰ مثل هَذِهِ الأعمال إلَّا مقيدًا بالمعصية والفسق، فيقال مؤمن بإيمانه،فاسق بكبيرته، فيكون معه أصل الإيمان بقدر ما تصح به أعماله الظاهرة(٥)، فيدخل في جملة أهل الإيمان علىٰ سبيل إطلاق أهل الإيمان كقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]. فهذا

---

(١) في المطبوع: «إذا عرفت أنَّ كلًّا من الأعمال الظَّاهرة والباطنة من مُسمَّىٰ الإيمان شرعًا، فكلُّ ما نقص من الأعمال الَّتي لا يخرج نَقْصها من الإسلام فهو نقصٌ في كمال الإيمان الواجب كَمَا في الحديث: «**لا يزني...إلخ**».

(٢) رواه البخاري (ح/ ٢٤٧٠ وح/ ٥٥٧٨)، ومسلم (ح/ ١٠٠).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٥٣). قال الهيثمي: رواه أحمد، وأبو يعلىٰ، والبزار، والطبراني في «الأوسط»، وفيه أبو هلال وَثَّقه ابن معين، وضعفه النسائي وغيره. «مجمع الزوائد» (١/ ١٠١)، وصَحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦/ ١٢٣).

(٤) إشارة إلىٰ حديث أبي شريح أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**»، قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»، رواه البخاري (ح/ ٦٠١٤)، وأحمد (٤/ ٣١).

(٥) كذا في المخطوط، وفي المطبوع: «إلا مقيدًا بالمعصية، أو بالفُسُوق، فيقال: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فيكون معه من الإيمان بقَدْر ما معه من الأعمال الباطنة والظَّاهرة». وفي «الرسائل والمسائل» نفسها من غير: «فيقال مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته».

هو الذي يسميه أهل السنة مطلق الإيمان(١)، وأمَّا المؤمن الإيمان المطلق الَّذي لا يَتقيَّد بمعصيةٍ ولا بفسوقٍ وبنحو ذلك، فهو الَّذي أتىٰ بما يَسْتطيعه من الواجبات مع تَرْكه لجميع المُحرَّمات، فهذا هو الذي يُطلق عليه اسم الإيمان من غير تقييد، فهذا هو الفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق، والثاني هو الذي لا يصير صاحبه علىٰ ذنب، ولا هو المصر علىٰ الذنوب(٢).

وهَذَا الَّذي ذكرته هنا هو الَّذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة في الفرق بَيْنَ الإسلام والإيمان، وهُوَ الفرقُ بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق، فمُطْلق الإيمان هو وَصْف المسلم الَّذي معه أصل الإيمان الَّذي لا يتمُّ إسلامه إلَّا به، بل لا يصحُّ إلَّا به، فهَذَا في أدنىٰ مراتب الدِّين إذا كان مصرًّا علىٰ ذنبٍ، وتاركًا لما وَجَب عليه مع القدرة عليه.

والمرتبة الثَّانية من مراتب الدِّين ومرتبة أهل الإيمان المطلق الَّذي كَمُلَ إسلامهم وإيمانهم(٣) بالإتيان بما أوجَب الله عليهم، وتركهم ما حَرَّم الله عليهم، وعَدَم إِصْرَارهم علىٰ الذُّنُوب، فهَذِهِ هي المرتبة الَّتي وَعَدها الله أهلها بدُخُول الجنَّة، والنَّجاة من النَّار؛ كقوله تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ

---

(١) **قوله**: «فهذا هو الذي يُسمِّيه أهل السُّنَّة مطلق الإيمان»، غير موجود في المطبوع.

(٢) **في المطبوع**: «فهَذَا هو الَّذي يطلق عليه اسم الإيمان من غير تقييدٍ، فهَذَا هو الفرق بَيْنَ مطلق الإيمان، والإيمان المطلق، والثَّاني هو الَّذي لا يصرُّ صاحبُهُ علىٰ ذنبٍ، والأوَّل هو المصرُّ علىٰ بعض الذُّنُوب».

(٣) **في المطبوع**: «والمرتبة الثانية من مراتب الدين: هي مرتبة أهل الإيمان المطلق الذين كمل إسلامهم وإيمانهم...إلخ»، مع بعض الاختلاف في بعض الألفاظ من المخطوط.

عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ الآية [الحديد:٢١]، فهؤلاء اجتمعت لهم الأعمالُ الظَّاهرة والباطنة، ففعلوا ما أَوْجبَ الله عليهم، وتركوا ما حرَّمه الله عليهم، وهم السُّعَداء أهل الجنَّة، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم، وصلَّىٰ الله علىٰ مُحمَّدٍ وصحبه أجمعين.

الرسالة الخامسة(١)
«في بيان معنى لا إله إلا الله والرد على من ضل في تفسيرها من الفلاسفة وأهل الاتحاد»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمُتَّقين، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّد المرسلين مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبِهِ أجمعين.

من عبد الرَّحمن بن حسن إلىٰ: الإمام المكرم: فيصل(٢)، كَرَّمه الله

---

(١) طبعت في «الدرر السَّنيَّة» (٢/ ٢٥٨-٢٦٣).

(٢) الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن، ولد عام ١٢٠٢، وكان قائدًا محنكًا، قاد العديد من الحملات في عهد والده لتأسيس الدولة السعودية الثانية، وعند اغتيال والده في ٢٩ من ذي الحجة ١٢٤٩هـ، كان علىٰ رأس حملة في شرقي البلاد لتوطيد الحكم السعودي بها، وعاد إلىٰ الرياض لتولي الإمامة بعد والده في ١٠ صفر ١٢٥٠هـ. وكان حكمه علىٰ فترتين؛ الأولىٰ: امتدت حتىٰ عام ١٢٥٤هـ. الثانية: من ١٢٥٩هـ إلىٰ ١٢٨٢هـ حيث امتد حكمه فيها ثلاثةً وعشرين عامًا. تمكَّن خلالها من إعادة بناء الدولة السعودية في وسط الجزيرة العربية وشرقيها، ومعظم المناطق الشمالية. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في ٢١ رجب ١٢٨٣هـ انظر عنوان المجد (٢/ ١٢٤-١٣٢) - الأعلام للزركلي (٥/ ٣٧١-٣٧٢) - نبذة تاريخية عن نجد ص٣٥-٤٩ - «الدرر السنية» (١٢/ ٥٤-٥٩). «الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية» (ص١٢٢-١٣٢).

بالتَّوحيد، وحَمَاه من شبه أهل الشِّرك والإلحاد، والتَّنديد، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبَعْد: فاعلم أنَّ «لا إله إلَّا الله» لها مَعْنىٰ عظيمٌ، يَسْتضيء به قُلُوب أَهْل الإسلام والإيمان، وهو الَّذي بَعَث الله به جميع الرُّسُل، من أَوَّلهم إِلَىٰ آخرهم، وخَلَقهم لأجلِهِ، والقرآن من أوَّله إِلَىٰ آخره يُبيِّن معنىٰ هَذِهِ الكلمة(١).

ونذكر بعض ما دلَّ عليه القرآن من معناها، وما ذكره العلماء، من أئمَّة الإسلام؛ فدُونَك كلام العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، في تفسير سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١]، ذكر أنَّ هَذِهِ السُّورة، سورة البراءة من العمل الَّذي يعمله المشركون، وهي آمرةٌ بالإخلاص، وأنَّ قريشًا دَعَوْا رسول الله ﷺ إِلَىٰ عبادة أَوْثَانهم سنةً، ويعبدون إلهه سنةً؛ فأَنْزلَ الله هَذِهِ السُّورة، وأمره فيها أَنْ يتبرَّأ من دينهم بالكليَّة، فقال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون:٢]، يعني من الأصنام، والأنداد، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون:٣]، وهو الله

(١) قال ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: «إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلىٰ عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يُعْبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامات الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يُكْرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبىٰ من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم». «مدارج السالكين» (٣/ ٣٣٢).

وحده؛ ولهَذَا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلَّا الله، مُحمَّد رسول الله؛ والمشركون يعبدون غير الله(١).

قلت: فدلَّت هَذِهِ السُّورة الكريمة علىٰ البراءة من عبادة أصنام المشركين، وأوثانهم؛ فأَمَر الله نَبيَّه ﷺ أن يَتبرَّأ من دين المشركين وأصنامهم الَّتي كانت موجودةً في الخارج: اللَّات، والعُزَّىٰ، ومناة، وغيرها؛ وقَدْ أخبر الله عن خليلِهِ إبراهيم، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنَّه قال لأبيه وقومِهِ: ﴿مَا﴾ ذا كنتم﴿تَعۡبُدُونَ﴾ الآيات [الشعراء:٧٠-٧٧]، فصرَّح بعداوة أصنامهم بأَعْيَانها، وهي موجودةٌ في الخارج؛ واستثنىٰ من مَعْبوداتهم: ربَّ العالمين؛ لأَنَّهم كانوا يعبدون الله، لكنَّهم يعبدون معه الأصنام.

فَاسْتَثنىٰ المعبود الحقَّ الَّذي لا تَصْلح العبادة إلَّا له، فأَخْبَر تعالىٰ أنَّه قال لقومه: ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات:٨٦]، وأخبر عنه أنَّه قال لقومه:

---

(١) «تفسير ابن كثير».

قلت: قارن هنا بين هذا المنهج الرباني الذي رسمه الله تعالىٰ لنبيه، وأمره به من البراءة من الشرك وأهله، وسار عليه النَّبيُّ ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم والتابعون وأتباعهم وما أثمر فيهم من تحقيق الولاء والبراء والحب والبغض علىٰ التوحيد، وبين الطرق المبتدعة والمناهج المحدثة، التي رسمت لأتباعها مبادئ وقواعد مخالفة لعقيدة الولاء والبراء، وذلك مثل تلكم القاعدة التي قضت علىٰ مبدأ الولاء والبراء: (نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضُنا بعضًا فيما اختلفنا)، فدخل تحت مظلة حزبهم في تحقيق الولاء والمحبة له كل مخالف للسُّنَّة والإسلام، من قبوريٍّ يعبد الأولياء، ومن رافضيٍّ مشركٍ بالله، ومن جهميٍّ أشعريٍّ معطلٍ للصفات، أو مؤولٍ لها، بل حتىٰ من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ حتىٰ قضوا علىٰ أصلٍ عظيمٍ من أُصُول الإسلام والسُّنَّة في قُلُوبِ كثيرٍ من المسلمين، وهو الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله، ولا حول ولا قوةَّ إلا بالله.

﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]، وهي: «لا إله إلَّا الله» بإجماع أهل الحقِّ،(١) فعبَّر عنها بالبراءة من مَعْبوداتهم الَّتي كانوا يَعْبدونها في الخارج، فقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦﴾ [الزخرف:٢٦]، هو معنىٰ النَّفي في قوله: «لا إله»، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف:٢٧] هو معنىٰ: إلَّا الله، وهكذا كافٍ في البيان لمثلك الَّذي قَدْ عرَّفه الله معنىٰ: «لا إله إلَّا الله».

وهَذَا المعنىٰ في هَذِهِ الكلمة يعرفه حتَّىٰ المشركون، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ الآية [الصافات:٣٥]، عرفوا أن «لا إله إلَّا الله» عَلَمٌ علىٰ ترك عبادة آلهتهم الَّتي كانوا يعبدونها من أوثانهم، وأصنامهم، وكلُّ الفرق يَعْرفون معناها، حتَّىٰ أعداء الرُّسُل، كما قالت عاد: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠]، عرفوا علىٰ شدَّة كفرهم أنَّه أراد منهم تَرْكَ عبادة ما كان يعبده آباؤهم، فتَبيَّن بهذا أنَّ «لا إله إلَّا الله» نَفَتْ كلَّ ما كان يُعْبَد من دون الله، من صنمٍ، ومن وثنٍ، من حين حُدُوث الشِّرك في قوم نوحٍ إِلَىٰ أن تقوم السَّاعة.

وهَذَا المعنىٰ: أكثر أَهْل العلم يسلمونه، يعرفونه، حتَّىٰ الخوارج(٢)،

(١) فسَّرها بذلك ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والضحاك. انظر «تفسير الطبري» (١٢/ ٧٧)، و«القرطبي» (١٦/ ٦٧)، و«الدر المنثور» (٧/ ٣٢٣).

(٢) **الخوارج**: هي أوَّل الفرق المبتدعة التي فارقت جماعة المسلمين، وأظهرت بدعة تكفير أهل القبلة بالذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك، كما أظهرت بدعة الخروج علىٰ وُلَاة الأمر.
والخوارج فرقٌ كثيرةٌ عدَّها البغدادي. يقول الآجري رَحِمَهُ اللهُ: والخوارج هم الشراة الأنجاس =

والرَّافضة(١)، والمعتزلة(٢)، والمُتكلِّمون(٣)، من كلِّ أشعريٍّ(١)، وكراميٍّ(١)،

=

الأرجاس، ومَنْ كان علىٰ مذهبهم من سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون علىٰ الأئمَّة والأمراء، ويَستحلُّون قتلَ المسلمين، فأوَّل قرنٍ طلع منهم علىٰ عهد رسول الله ﷺ، وهو رجلٌ طعن علىٰ رسول الله ﷺ وهو يقسم الغنائم، فقال: اعدل يا محمد، فما أراك تعدل. فقال: «**ويلك، فمن يكن يعدل إذا لم أكن أعدل؟**». «الشريعة» (ص٣٠). وانظر «الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص٧٢)، و«الملل والنِّحل» للشهرستاني (١/ ١١٤)، و«الأديان والفرق» لشيبة الحمد (ص١٠٤)، و«موسوعة الأديان» (١/ ١٤٨).

(١) **الرافضة**؛ سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سألوه عن رأيه عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأثنىٰ عليهما خيرًا، وقال: «ما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرًا، وقد كانا وزيري جدي»، فلما انصرفوا عنه لذلك، قال لهم: رفضتموني، فأطلق عليهم من ذلك الوقت اسم الرافضة. وأول ظهورهم في زمن علي بن أبي طالب، ثم افترقوا إلىٰ أربعة أصناف: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة، ولكلِّ واحدةٍ من هذه الفرق افترقت إلىٰ فرقٍ شتىٰ، كلُّ فرقةٍ منها تُكفِّر الأخرىٰ. والرافضة أو ما يُسمُّون به أنفسهم: الشيعة، لهم عقائد فاسدة شتىٰ، منها: اعتقاد أن القرآنَ محرفٌ، وتكفير الصحابة، وعصمة الأئمَّة، والقول بالبراء، وغير ذلك من العقائد الفاسدة. انظر «الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص٣٥)، «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٦)، «الأديان والفرق» لشيبة الحمد (ص١٧٦).

(٢) **المعتزلة**: أتباع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وهي فرقة مبتدعة تأثَّرت ببعض الفلسفات الضالَّة مما أدَّىٰ إلىٰ انحرافها عن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة، منها: المعتزلة، والقدرية، والعدلية، وأهل العدل والتوحيد، والمقتصدة، والوعيدية. نشأت في أواخر العصر الأموي، وقويت شوكتها في العصر العباسي. والمعتزلة فرق كثيرة، يجمعها ما يسمونه بأصولهم الخمسة، وهي: ١- التوحيد. ٢- العدل. ٣- الوعد والوعيد. ٤- المنزلة بين المنزلتين. ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر «مقالات الإسلاميين» للأشعري (١/ ٢٣٥)، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي الفصل الثالث (ص١٠٤)، و«الموسوعة الميسرة» (١/ ٦٤)، و«مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات» للتميمي (ص٨٥).

(٣) **المتكلمون**: وهم الَّذين يعتمدون في إثبات عقائدهم أو نفيها علىٰ الطرق الفلسفية، والنظريات التي يزعمون أنها عقلية. فعلم الكلام علم يتضمن الحِجَاجَ عن العقائد الإيمانية بالأدلة

=

=

العقلية، وأهل الكلام ليسوا صنفًا واحدًا، بل هم عدة أصناف، وأشهرهم:
١- الجهمية. ٢-المعتزلة. ٣ -الكلابية. ٤ - الأشاعرة. ٥ - الماتريدية.
انظر «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» لابن العثيمين (ص٨٣)، و«مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات» للتميمي (ص٨٥).

(١) **الأشاعرة أو الأشعرية وهو الأفصح**، ينتسبون لأبي الحسن الأشعري الذي خرج علىٰ المعتزلة، وانتقل إلىٰ طريقة الكلابية، ثم عرف في مرحلته الثالثة معتقد أهل السُّنَّة والحديث، وانتسب إلىٰ الإمام أحمد، وأخذ طريقته، وألَّف في ذلك كتاب «الإبانة» في آخر عمره. والأشعرية فرقة كلامية تخالف أهل السُّنَّة والجماعة في أبواب كثيرة من أبواب الدين، فهم كما قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: مرجئة في باب الأسماء والأحكام، جبرية في باب القدر، وأما في الصفات فليس جهمية محضة، بل فيهم نوع من التجهم «الفتاوىٰ» (٦/ ٥٥)، ولديهم انحراف في تعريف توحيد الألوهية، فهم يفسرون «لا إله إلا الله» بتوحيد الربوبية، وليس بتوحيد الألوهية، والإله عندهم القادر علىٰ الاختراع، وهم ينفون الصفات الاختيارية لله تعالىٰ، ويقتصرون علىٰ إثبات سبع صفات سَمَّوها الصفات العقلية، وهي: العلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والحياة. وأما الصفات الخبرية فأثبتها متقدموهم، وأوَّلها المتأخرون منهم، كما أنكروا العلو، وأن الله يُرَىٰ لا في جهة، وقالوا: إن الله خالق أفعال العباد، وأنه ليس لقدرة العبد تأثيرٌ في فعله، بل القدرة من الرب، وأما الإيمان فهم علىٰ طريقة الجهمية، فعندهم أنه مجرد تصديق القلب، وأنه لا يزيد ولا ينقص، وأن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان. وهذه المخالفات كلها تدل علىٰ التحقيق أن الأشاعرة فرقة مبتدعة ضالة، وأنهم ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة. وأما من استدلَّ علىٰ سُنيَّتهم بقول شيخ الإسلام أنهم أقرب المتكلمين إلىٰ مذهب أهل السُّنَّة والحديث، فقد أبعد النجعة، وأساء الفهم، فإن القرب قرب نسبي، فهو مثل قوله تعالىٰ في النصارىٰ: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ ﴾ [المائدة:٨٢]. ولشيخنا العلامة المحقق محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كلام نفيس، وتحقيق دقيق حول هذا، حيث بين خطأ من يقسم أهل السُّنَّة إلىٰ ثلاث فرق: سلفيين، وأشعريين، وماتريديين. وبَيَّن أن الذي يصدق عليهم وصف أهل السُّنَّة ولا يصدق علىٰ غيرهم أبدًا هم السلف. انظر «شرح الواسطية» (٨/ ٤٠) من
=

وماتريديٍّ(٢)؛ وإنَّما اختلفوا في العمل، بلا إله إلَّا الله؛ فبعضهم يظنُّ أنَّ هَذَا في =

«فتاويه».

ويقول أيضًا معلقًا علىٰ كلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السُّنَّة والجماعة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا التعريف من شيخ الإسلام ابن تيمية يقتضي أن الأشاعرة والماتريدية ونحوهم ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأن تمسكهم مشوب بما أدخلوا فيه من البدع، وهذا هو الصحيح؛ لأنه لا يعد الأشاعرة والماتريدية فيما ذهبوا إليه في أسماء الله وصفاته من أهل السُّنَّة والجماعة. (شرح ص٦٨٥، ٦٨٦). وانظر عن الأشاعرة وعن أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب «الإبانة عن أصول الدين» لأبي الحسن الأشعري بتقديم شيخنا حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله تعالىٰ، وكتاب «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر الدمشقي، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٩٤)، و«درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، و«الجيوش الإسلامية لغزو المعطلة والجهمية»، و«النونية» لابن القيم، وغيرها.

(١) الكرامية: فرقة ظهرت في النصف الأول من القرن الثالث، وهي تنسب إلىٰ محمد بن كرام بن عراق السجستاني. قال عنه الذهبي: المبتدع، شيخ الكرامية، كان زاهدًا، عابدًا، ربانيًّا، بعيد الصيت، كثير الأصحاب، ولكن يروي الواهيات. «السير» (١١/ ٥٢٣).

قلت: وهذا الكلام من الذهبي يدل علىٰ دقة ميزان أهل السُّنَّة للناس، فهم لا يغترون بزهد الرجل، وكثرة عبادته، وصلاحه، واجتهاده ما لم يكن علىٰ الطريقة السُّنيَّة، والآثار السَّلفية. ولهذا أمر الإمام ابن خزيمة بطرده من نيسابور، كما تقدم في ترجمة الإمام ابن خزيمة. ومن معتقد الكرامية إطلاق لفظ الجسم علىٰ الله، وفسروا معناه بأنه قائم بالذات، المستغني وجوده عن غيره، ومنها تحريف معاني الصفات، ومنها أنهم يرون أن الإيمان قول باللسان فقط، وأنه لا يزيد ولا ينقص، وأن مرتكب الكبيرة مؤمنٌ كامل الإيمان. انظر «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٢٣)، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي، الفصل السابع (ص١٨٩)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٠٨)، و«موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الكرامية في الإلهيات» لعبد القادر محمد عبد الله.

(٢) **الماتريدية:** فرقة كلامية تنسب إلىٰ أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت ٣٣٣)، وهي قامت علىٰ استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في مُحاجَّة خُصُومها من =

حقِّ أناسٍ كانوا فبانوا؛ فخفي عليهم حقيقة الشِّرك.

وأمَّا الفلاسفة، وأهل الاتِّحاد(١)، فإنَّهم لا يقولون بهَذَا المعنىٰ، ولا يسلمونه، بل يقولون: إنَّ المنفيَّ بلا إله إلَّا الله، كليٌّ، لا يوجد منه في الخارج إلَّا فردٌ، وهو الله، فهو المنفيُّ، وهو المثبت؛ بناءً علىٰ مذهبهم الَّذي صاروا به أشدَّ

=

المعتزلة والجهمية وغيرهم لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية، ولأجل اعتمادهم علىٰ ذلك كمصدرٍ للتَّلقِّي، فقد ضَلُّوا عن طريقة السلف في أبوابٍ كثيرةٍ من أبواب الدين، فمن ذلك أنهم يرون وجوب معرفة الله تعالىٰ بالعقل قبل الكتاب والسُّنَّة، واعتبروه أول واجبٍ علىٰ المكلف، كما أنهم يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين، ويقولون بالمجاز في اللغة والقرآن والحديث، واعتمدوا عليه في تأويل نصوص الصفات. ومفهوم التوحيد عندهم هو إثبات أن الله تعالىٰ واحد في ذاته، لا قسيم له، ولا جزء له، واحدٌ في صفاته لا شبيه له، واحدٌ في أفعاله لا شريك له. والإله عندهم القادر علىٰ الاختراع، ولم يثبتوا من الصفات إلا ثمانية، وإثباتهم لها عن طريق العقل لا النقل، وهي: الحياة، القدرة، العلم، السمع، البصر، الكلام، الإرادة، التكوين. وقالوا بنفي الصفات الخبرية، ويقولون: إن القرآن الكريم ليس بكلام الله علىٰ الحقيقة، وإنما هو كلام الله تعالىٰ النفسي، لا يسمع، وإنما يسمع ما هو عبارة عنه، ولذلك فإن الكتب المنزلة عندهم -بما فيها القرآن- مخلوقة، ويرون أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، وأنه لا يزيد ولا ينقص، فكل هذه المخالفات العقدية تدل علىٰ ابتداعهم وانحرافهم عن سبيل أهل السُّنَّة والجماعة (الفرقة الناجية)، ولهذا فإن السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أخطأ عندما قال في كتابه «لوامع الأنوار ولوائح الأنوار» أن أهل السُّنَّة والجماعة ثلاث فرق: الأثرية، والأشعرية، والماتريدية، مع أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في منظومة «الدُّرَّة المضيَّة»:

وليس هذا النص جزمًا يعتبر في فرقة إلا علىٰ أهل الأثر

وانظر عن الماتريدية: «الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات» لشمس الدين الأفغاني، «الماتريدية» لأحمد الحربي، «الموسوعة الميسرة» (ص٩٥)، «موقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات» للتميمي.

(١) تقدم التعريف بالفلاسفة وأهل الاتحاد.

النَّاس كفرًا، وهو قولهم: إنَّ الله هو الوُجُود المطلق؛ فلَمْ يخرجوا من ذلك صنمًا، ولا وثنًا، وشبيه قولهم هذا: قول أَهْل وحدة الوُجُود القائلين بأنَّ الله تعالىٰ هو الوُجُود بعينه؛ فيقولون: إنَّ المنفيَّ كليٌّ، والمثبت بقوله: «إلَّا الله» هو الوجود بعينه؛ ولا فرق عند الطَّائفتين بين الخالق والمخلوق، ولا بين العابد والمعبود؛ كلُّ شيءٍ عندهم هو الله، حتَّىٰ الأصنام، والأوثان، وهو حقيقة قول هَذَا الرَّجل سواء(١).

فخذ قولي، واقبله، وَفَّقك الله؛ فلقد عرفت -بحمد الله- ما أرادوه من قولهم: إنَّ المنفيَّ كليٌّ، لا يوجد منه في الخارج إلَّا فردٌ؛ ويَدَّعي هَذَا مثل ما ادَّعته هَذِهِ الطَّائفة، أنَّ تقدير خبر «لا»، وهَذِهِ الكلمة لَمْ تُوضَع لتقرير الوجود؛ وإنَّما وضعت لنَفْي الشِّرك والبراءة منه، وتجريد التَّوحيد كما دلَّت عليه الآيات المحكمات البيِّنات، ودعوة الرُّسُل من أوَّلهم إِلَىٰ آخرهم. وتقدير خبر «لا» موجود؛ لا يجري إلَّا علىٰ مذهب الطَّائفتين(٢)، لَعَنهم الله، علىٰ قولهم: إنَّ الله هو الموجود، فلا وجود إلَّا الله، فهَذَا معنىٰ قوله: إنَّه كليٌّ، لا يوجد منه في الخارج إلَّا فردٌ؛ فغَيْر المعنىٰ الَّذي دَلَّت عليه لا إله إلَّا الله من نَفْي جميع المعبودات الَّتي تعبد من دون الله؛ والمنفي إنَّما هو حقيقتها، كما قال المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦].

ولا ريب: أنَّ كل معبودٍ سوىٰ الله، فهو باطلٌ؛ والمنفيُّ بلا إله إلَّا الله، هو

(١) لم يتبين لي مَنْ هو هذا الرجل، ولكن يتبين من ذلك أن الشيخ كتب هذه الرسالة للإمام فيصل تحذيرًا من آراء هذا الرجل، وبيان عقيدته ليحذر منه.

(٢) أي: الفلاسفة، وأهل الاتحاد، ووحدة الوجود.

المعبودات الباطلة، والمستثنىٰ بإلَّا، هو سبحانه، ويدلُّ عَلَىٰ هَذَا قوله تعالىٰ في سورة الحجِّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ الآية [الحج:٦]، وقال في آخر السُّورة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، وقال في سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠].

فقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الحج:٦٢]، هو المستثنىٰ: إلَّا «الله»، وهو الحقُّ، وقوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، هو المنفيُّ بلا إله، وما بعد هَذَا إلَّا التَّلبيس عَلَىٰ الجُهَّال، وإدخال الشَّكِّ عليهم، في معنىٰ كلمة الإخلاص، فكابر المعقول والمنقول بدفعه ما جاء به كلُّ رسولٍ.

نسأل الله لنا ولكم علمًا نستضيء به من جهل الجاهلين، وضلال المُضلِّين، وزيغ الزَّائغين؛ وفي الحديث: «**ربِّ لا تزغ قلبي بعد إذ هديتني**»، وقَدْ كان أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقرأ في الرَّكعة الأخيرة من المغرب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨][1]، وهَذَا -بحمد الله- كافٍ في بيان الحقِّ، وبطلان الباطل؛ وصلَّىٰ الله عَلَىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ، وآله وصحبه أجمعين.

(١) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ٨٤)، وعبد الرزاق الصنعاني في «المصنف» (٢/ ١٠٩)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٢/ ٦٤)، وأحاله السيوطي إلىٰ مالك، والشافعي، وابن أبي شيبة، وأبي داود، والبيهقي في «سننه». «الدر المنثور» (٢/ ١٥٣).

الرسالة السادسة[١]
«أنواع التوحيد»

الحَمْد لله وكَفَىٰ، وسلامٌ عَلَىٰ عبادِهِ الَّذين اصطفىٰ.

أمَّا بعد: اعلم أرشدك الله تعالىٰ أنَّ الله خَلَق الخلقَ ليعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]، والعبادة هي التَّوحيد[٢]؛ لأنَّ الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

❑ **وأمَّا التَّوحيد فهو ثلاثةُ أنواعٍ:** توحيد الرُّبوبيَّة، وتَوْحيد الأُلوهيَّة، وتوحيد

---

(١) طبعت في «مجموعة التوحيد» (ص٢٠٦-٢١١)، و«الجامع الفريد» (ص٣٩١).

(٢) **قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه» في كتاب التفسير، سورة الذاريات (إلا ليعبدون):** ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليعبدون. وروىٰ الطبري في «تفسيره» بسنده إلىٰ ابن عباس قال: إلا ليقروا بالعبودية طوعًا وكرهًا. قال الطبري بعد أن ذكر الأقوال في تفسيرها: وأَوْلَىٰ القولين في ذلك بالصواب: القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، وهو: ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا. «تفسير الطبري» المجلد الثالث عشر، الجزء السابع والعشرون (ص١٧، ١٨).

الأسماء والصِّفات[١].

أمَّا توحيد الرُّبوبيَّة[٢]: فهو الَّذي أقرَّ به الكفار عَلَىٰ زمن رسول الله ﷺ،

(١) **هذا التقسيم للتوحيد تقسيم استقرائي**، فهو وإن كان غير منصوصٍ عليه، لكن المتدبر لكتاب الله تعالىٰ ولسُنَّة رسوله ﷺ يَتبيَّن له هذا التقسيم، فهو ليس ببدعٍ من القول كما يدَّعيه بعض أهل الأهواء من المتأخرين، فإنَّ أحكام الدين منه ما هو منطوقٌ، ومنه ما هو مفهومٌ، فأصحاب المذاهب -مثلًا- يقرُّون بأن الأحكام التكليفية تنقسم إلىٰ واجبٍ، ومندوبٍ، ومحرمٍ ومكروه ومباح، مع أنه لا يوجد دليل صريح عليها في القرآن والسُّنَّة، ولكن جاءت بالاستقراء لأدلة الشرع.

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد دل استقراء القرآن العظيم علىٰ أن توحيد الله ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته.

الثاني: توحيده -جلَّ وعلَا- في عبادته.

الثالث: توحيده -جلَّ وعلَا- في أسمائه وصفاته. «أضواء البيان» (٣/ ٤١٠-٤١٤) بتصرف واختصار.

ويقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض رده علىٰ الصابوني في تفسيره ومختصراته: «هذا التقسيم الاستقرائي لدىٰ متقدمي علماء السلف، أشار إليها ابن منده، وابن جرير الطبري، وغيرهما، وقرَّره شيخا الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وقرره الزبيدي في «تاج العروس»، وشيخنا الشنقيطي في «أضواء البيان» في آخرين، رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدىٰ أهل كل فنٍّ، كما في استقراء النُّحاة كلام العرب إلىٰ اسمٍ، وفعلٍ، وحرفٍ، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب علىٰ النحاة في ذلك عاتبٌ، وهكذا من أنواعٍ الاستقراء». «التحذير من مختصرات الصابوني» (ص٣٠). وقد كتب في هذا الموضوع فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد رسالة بعنوان: «القول السديد في الرد علىٰ مَنْ أنكر تقسيم التوحيد».

(٢) **قال شيخنا العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: ينقسم التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الألوهية.

٣- توحيد الأسماء والصفات.

=

ولم يدخلهم في الإسلام، وقَاتَلهم رسول الله ﷺ واستحلَّ دماءهم وأموالهم، وهو توحيده بفعلِهِ تعالىٰ، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١]، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المؤمنون:٨٤، ٨٥]، ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المؤمنون:٨٦، ٨٧]، ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٨٨، ٨٩]، والآيات عَلَىٰ هَذَا

=

وقد اجتمعت في قوله تعالىٰ: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم:٦٥]. ثم أخذ يشرح كل قسم فقال:

القسم الأول: توحيد الربوبية، وهو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالخلق، والملك، والتدبير.

القسم الثاني: توحيد الألوهية، ويقال له: توحيد العبادة باعتبارين، فباعتبار إضافته إلىٰ الله يسمىٰ: «توحيد الألوهية»، وباعتبار إضافته إلىٰ الخلق يسمىٰ: «توحيد العبادة»، وهو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة، فالمستحق للعبادة هو الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان:٣٠].

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بما له من الأسماء والصفات، **وهذا يتضمن شيئين:**

الأول: الإثبات، وذلك بأن نثبت لله عَزَّوَجَلَّ جميع أسمائه وصفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه، أو سنة نبيه ﷺ.

الثاني: نفي المماثلة، وذلك بألا نجعل لله مثيلًا في أسمائه وصفاته، كما قال تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ:١١]. «القول المفيد» (١/ ١-١٦) بتصرف.

كثيرةٌ جدًّا أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر.

وأمَّا الثَّاني: وهو توحيد الأُلُوهيَّة(١): فهو الَّذي وقع فيه النِّزاع في قديم الدَّهر وحديثه، وهو توحيد الله تعالىٰ بأفعال العباد، كالدُّعاء، والنَّذر، والنَّحر، والرَّجاء، والخوف، والتَّوكُّل، والرَّغبة، والرَّهبة، والإنابة، ودليلُ الدُّعاء قولُهُ تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠]، وكلُّ نوعٍ من هَذِهِ الأنواع عليه دليلٌ من القرآن، وأصلُ العبادة تَجْريدُ الإخلاص لله تعالىٰ وحده، وتجريد المُتَابعة للرَّسول ﷺ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ إِلَىٰ قوله: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد:١٤]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان:٣٠]، والآياتُ معلوماتٌ. وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [آل عمران:٣١].

(١) **قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنىٰ قول «لا إله إلا الله»، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلىٰ مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة، وأشقياء أهل النار». «تيسير العزيز الحميد» (١/ ١٤٥).

وأمَّا الثَّالث: فهو توحيد الذَّات والأسماء والصِّفات(١): وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

ثمَّ اعلم أنَّ ضدَّ التَّوحيد الشِّرك وهو ثلاثةُ أنواعٍ؛ شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي(٢)، والدليل عَلَىٰ الشِّرك الأكبر قوله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن

---

(١) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأصل الثاني، وهو أن يقال: القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات». «التدمرية» (ص٤٣).

(٢) **وهذا التقسيم للشرك استقرائي أيضًا من نصوص الكتاب والسُّنَّة**، فإن كل اعتقاد وعمل وقول مأمور به شرعًا؛ أداءً وقربةً إلىٰ الله، فصرفُهُ لغير الله شرك أكبر، وكل ما كان وسيلة للشرك الأكبر فصرفُهُ لغير الله شرك أصغر. وبالاستقراء أيضًا فالشرك الأصغر منه ما هو ظاهرٌ، ومنه ما هو خفي، والظاهر: منه ما هو ألفاظ، ومنه ما هو أفعال.

يقول العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالىٰ**: «فإن حدَّ الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: أن يصرف العبد نوعًا من أفراد العبادة لغير الله»، فكل اعتقادٍ، أو قولٍ، أو عملٍ ثبتَ أنه مأمور به من الشارع، فصرفُهُ لله وحده توحيدٌ وإيمانٌ وإخلاصٌ، وصرفُهُ لغيره شركٌ وكفرٌ، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذُّ عنه شيءٌ، كما أن حد الشرك الأصغر هو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلىٰ الشرك الأكبر من الإرادات، والأقوال، والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة. فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر، فإنه مما يُعينك علىٰ فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التي يكثر =

يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء:١١٦]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة:٧٢]، **هو أربعة أنواع:**

النَّوع الأوَّل: شرك الدَّعوة، والدَّليل قوله تَعالىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

النَّوع الثَّاني: شرك النيَّة والإرادة والقصد، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [هود:١٥].

النَّوع الثَّالث: شرك الطَّاعة، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، وتفسيرها الَّذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إيَّاهم كما فَسَّرها النَّبيُّ ﷺ لعدي بن حاتم(١) لمَّا سأله فقال: لسنا

=

اشتباهها والله المستعان». «القول السديد شرح كتاب التوحيد» (ص٦٨). وانظر كذلك كتاب «التوحيد» للشيخ صالح الفوزان (ص١٠-١٨).

والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعله هنا ثلاثة أقسام، حيث جعل الشرك الخفيّ قسيم الأكبر والأصغر، وهناك من أهل العلم مَنْ يدخله ضمن النوع الثاني (وهو الأصغر)، ولا مشاحة في الاصطلاح ما دام أنها كلها ذكرت.

(١) رواه الترمذي في «جامعه»، كتاب تفسير القرآن برقم (٣٠٩٥)، والبيهقي في «سننه» (١٠/ ١١٦)، وفي =

نعبدهم، فذكر له أنَّ عبادتهم طاعتهم في المعصية.

النَّوع الرَّابع: شرك المحبَّة، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

والنَّوع الثَّاني: شركٌ أصغر، وهو الرِّياء[(١)]، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

النَّوع الثَّالث: شركٌ خفيٌّ، والدَّليل عليه قوله ﷺ: «**الشِّرك في هَذِهِ الأُمَّة أخفىٰ من دبيب النَّملة السَّوداء عَلَىٰ صفاة سوداء في ظلمة اللَّيل**»[(٢)]. وكفارته قوله ﷺ: «**اللَّهمَّ إنِّي أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من**

=

«المدخل» برقم (٢٦١) (ص٢١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٩٢) برقم (٢١٨، ٢١٩)، والحديث حَسَّنه الألباني بمجموع طرقه «السلسلة» (٧/ ٨٦١) برقم (٣٢٩٣).

(١) **قال السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن الرياء فيه تفصيل: فإن كان الحامل للعبد علىٰ العمل قصد مراءاة الناس، واستمر علىٰ هذا القصد الفاسد، فعمله حابط، وهو شرك أصغر، ويخشىٰ أن يتذرَّع به إلىٰ الشرك الأكبر. وإن كان الحامل للعبد علىٰ العمل إرادة وجه الله مع إرادة مُرَاءاة الناس، ولم يُقْلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أيضًا بطلان هذا العمل، وإن كان الحامل للعبد علىٰ العمل وجه الله وحده، ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله، فإنْ دفعه وخلص إخلاصه لله، لم يضرَّه، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.
والرياءُ آفةٌ عظيمةٌ، ويحتاج إلىٰ علاجٍ شديدٍ، وتمرين النفس علىٰ الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله علىٰ دَفْعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده. «القول السديد» (ص١٢٨).

(٢) رواه أبو حاتم في «تفسيره» عن ابن عباس موقوفًا (١/ ٨١).

الذَّنب الَّذي لا أعلم»[١].

❑ **والكفر كفران[٢]: كفرٌ يخرج من الملَّة، وهو خمسة أنواعٍ[٣]:**

النَّوع الأوَّل: كفر التَّكْذيب، والدَّليل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٨].

النَّوع الثَّاني: كفر الإباء والاستكبار مع التَّصديق، والدَّليل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤].

النَّوع الثَّالث: كفر الشَّكِّ، وهو كفر الظَّنِّ، والدَّليل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الكهف:٣٥-٣٨].

---

(١) ٥٥٤/ ٧١٦ صحيح عن معقل بن يسار، قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقال: «**يا أبا بكر، لَلشرك فيكم أخفىٰ من دبيب النمل**»، فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا مَنْ جَعَل مع الله إلهًا آخر؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لَلشرك أخفىٰ من دبيب النمل، ألا أدلك علىٰ شيء إذا قلتَه ذهبَ عنك قليله وكثيره؟**»، قال: «**قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**».

(٢) في مجموعة التوحيد: (فالكفر كفران)، وفي الجامع الفريد: (والكفر كفران) وهو الصحيح.

(٣) انظر «تيسير العزيز الحميد» (٢/ ١١٦٣).

النَّوع الرَّابع: كفر الإعراض، والدَّليل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ [الأحقاف:٣].

النَّوع الخامس: كفر النِّفاق، والدَّليل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون:٣]. وكفر أصغر لا يخرج من الملَّة، وهو كفر النِّعمة، والدَّليل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصۡنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل:١١٢].

❑ **وأمَّا النِّفاق فنوعان: اعتقاديٌّ وعمليٌّ؛**

فأمَّا الاعتقاديُّ فهو ستَّة أنواعٍ: تكذيب الرَّسول ﷺ، أو تكذيب ما جاء به الرَّسول، أو بُغْض الرَّسول، أو بُغْض بعض ما جاء به الرَّسول، أو المسرَّة بانخفاض دين الرَّسول، أو الكراهية لانتصار دين الرَّسول، فهَذِهِ الأنواع السِّتَّة صاحبها من أهل الدَّرك الأسفل من النَّار.

وأمَّا العمليُّ فهو خمسة أنواع، والدَّليل قولُهُ ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر**»(١).

---

(١) هذا الحديثُ رَوَاه البخاري ومسلم، لكن لم يأتِ بأي رواية بجمع هذه الخصال الخمس، إنما ورد ثلاث بحديث، وأربع بحديث آخر، فالثلاث من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»، جاء في البخاري في مواضع عدة برقم (٣٣، ٢٦٨٢، ٢٧٤٩، ٦٠٩٥)، وعند مسلم برقم (٥٩).
=

نعوذ بالله من النِّفاق، والشِّقاق، وسوء الأدب، والله أعلم.

=

وأما الأربع فمن حديث عبد الله بن عمر أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**أربعٌ مَنْ كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»، رواه البخاري برقم (٣٤، ٢٤٥٩، ٣١٧٨)، ومسلم برقم (٥٨)، وروايات البخاري جاء في بعضها: «**وإذا وعد أخلف**»، بدل: «**وإذا ائتمن خان**»، إذًا، فالخصال الخمس التي ذكرها المؤلف هي ثابتة، لكنها ليست بحديثٍ واحدٍ.

الرسالة السابعة[١]

«مسألتان أجاب عنهما رَحِمَهُ اللَّهُ: حكم تقبيل اليد – وحكم الصلاة عَلَى النَّبِيِّ جهرًا والإمام يخطب»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سؤال: عن تقبيل يد السَّادة المنسوبين[٢] لأهل البيت هل يجوز أم لا؟

الجواب: لَمْ يكن الصَّحابة -رضي الله تعالىٰ عنهم- يعتادون ذلك مع رسول الله ﷺ، ولا مع أهل بيته رضي الله عنهم، ولا شكَّ أنَّهم أعظم النَّاس مَحبَّةً له، وتوقيرًا، وإنَّما كانوا يعتادون السَّلَام والمُصَافحة[٣] اتِّباعًا لِمَا سَنَّهُ رسول الله ﷺ بأمره وفعله، فقال: «**أفشوا السَّلام بينكم**»[٤]، وصحَّ عنه ﷺ أنَّه قيل له:

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (٢/ ١٢٠-١٢٤).

(٢) وهذا ما يفعله أيضًا أهل التصوف مع مشايخهم ومن شابههم من أصحاب الحركة الدعوية الحزبية مع منظريها، وهذا من دلائل تشابه أهل التصوف بأهل التشيع، وقد كتب في هذا الموضوع الشيخ الدكتور فلاح بن إسماعيل مندكار رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية بعنوان: «العلاقة بين التصوف والتشيع».

(٣) لما رواه البخاري في «صحيحه» (ح/ ٦٢٦٣) عن قتادة قال: قلت لأنس: أكان المصافحة في أصحاب النَّبيِّ ﷺ؟ قال: نعم.

(٤) طرف من حديث رواه مسلم (ح/ ٥٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلىٰ =

الرَّجل يلقىٰ أخاه أينحني له؟ قال: «**لا**». قيل: أيلتزمه و يقبله؟ قال: «**لا**». قيل: أيصافحه؟ قال: «**نعم**»(١). وأمَّا ما وَرَد أنَّه لمَّا قَدِمَ عليه أصحابه من غزوةٍ وقد قبَّلوا يده، قالوا: نحن الفرارون، قال: «**بل أنتم العكارون**»(٢). وما ورد في معنىٰ هَذَا(٣)، فإنَّما وقع نادرًا، وقد جوَّزه بعض الأئمَّة؛ كالإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إذا وقع كذلك لا عَلَىٰ وجه التَّعظيم للدُّنيا، واشترط بعض الأئمَّة في ذلك أن لا يمد يده إليه يقبلها(٤). ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ. وذَهَب بعضهم إِلَىٰ كراهة تقبيل اليد مطلقًا؛ كالإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ. وقال سليمان بن حرب: هي السَّجدة

=

عليه وسلم: «**لا تدخُلُون الجنَّة حتَّىٰ تُؤمنُوا، ولا تُؤمنُوا حتَّىٰ تحابُّوا، أَوَلا أدُلُّكُم علىٰ شيءٍ إذا فعلتُمُوهُ تحاببتُم، أفشُوا السَّلام بينكُم**».

(١) رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك قال: قال رجُلٌ: يا رسُول الله، الرَّجُلُ منَّا يلقىٰ أخاهُ أو صديقهُ، أينحني لهُ؟ قال: «**لا**»، قال: أفيلتزمُهُ ويُقبِّلُهُ؟ قال: «**لا**»، قال: أفيأخُذُ بيده ويُصافحُهُ؟ قال: «**نعم**» (ح/ ٢٧٢٨). ورواه ابن ماجه بلفظ: «**لا، ولكن تصافحوا**» (ح/ ٣٧٠٢)، ورواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ١٠٠)، والحديث صَحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٩٨)، وكذا في «صحيح الترمذي»، و«صحيح ابن ماجه».

(٢) الحديث رواه أبو داود (ح/ ٢٦٤٧)، والترمذي (ح/ ١٧١٦)، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن أبي زياد. ويزيد هذا هو الهاشمي مولاهم الكوفي، قال عنه ابن حجر: ضعيف، كَبُر فتغير، وصار يتلقن، وكان شيعيًّا. «التقريب» (ص٦٠١)، ولأجل هذا ضَعَّف الألباني هذا الحديث. «الإرواء» (٥/ ٢٧)، و«ضعيف أبي داود» (ص٢٥٨). قلت: ومعنىٰ (العكارون) قد بينه الإمام الترمذي في سننه بعد إيراده الحديث حيث قال: ومعنىٰ قوله (بل أنت العكارون) والعكّار الذي يفر إلىٰ إمامه لينصره ليس يريد الفرار من الزحف.

(٣) في المطبوع: «وأما ما ورد»، والصحيح ما أثبته من المخطوط، وبه يستقيم المعنىٰ.

(٤) في المطبوع: «ألَّا يمدَّ إليه يده».

الصُّغرىٰ[١]. هَذَا إذا لم يُفْض إِلَىٰ التَّعظيم، والخُضُوع، وتغيير السُّنَّة، أمَّا إذا اقترن بمثل هَذِهِ الأُمُور الَّتي تدخل في نوعٍ من الشِّرك والبدعة، فلا يجوز أن ينسب إِلَىٰ أحدٍ من الأئمَّة تجويزه. قال في «زاد المعاد»: وأشرف عبادة الصَّلاة، وقد تقاسمها الشيوخ (يعني من المُتصوِّفة)، والمُتشبِّهون بالعلماء والجبابرة، فأخذ الشُّيوخ أشرف ما فيها وهو السُّجود، وأخذ المُتشبِّهون بالعلماء منها بالرُّكوع، فإذا لقي بعضهم بعضًا، ركع كما يركع المصلِّي لربِّه سواء[٢]، وأخذ الجبابرة منها القيام، فيقوم الأحرار والعبيد عَلَىٰ رؤوسهم عبوديَّةً لهم وهم جلوسٌ، وقد نَهَىٰ رسول الله ﷺ عن هَذِهِ الأُمُور عَلَىٰ التَّفصيل، فتعاطيها مخالفةٌ صريحةٌ له، فنهىٰ عن السُّجود لغير الله تعالىٰ[٣]، فقال: «**لا ينبغي لأحدٍ أن يسجد لأحدٍ**»[٤]، وأنكر عَلَىٰ معاذٍ لمَّا سجد له، وقال: «**مه**»[١]، فتحريم هَذَا

(١) هذه الأقوال عن الإمام أحمد، ومالك، وسليمان بن حرب، ذكرها ابن مفلح في «الآراء الشرعية» (٢/ ٢٥٩)، وقد تكلم ابن مفلح عن هذه المسألة، ونقل كثيرًا من الآثار والأقوال عن الأئمة في كتابه المذكور. وسليمان بن حرب هو الإمام الثقة الحافظ، شيخ الإسلام أبو أيوب الواشمي الأزدي البصري، قاضي مكة. قال عنه أبو حاتم: إمام من الأئمة، كان لا يدلس، ويتكلم في الرجال. وقال النسائي: ثقة مأمون. مات سنة أربع وعشرين ومئتين. «السير» (١٠/ ٣٣٠).

(٢) كلمة «سواء» غير موجودة في المطبوع.

(٣) في المخطوط: «فنهىٰ عن السجود لغيرها»، ولعل الصحيح ما أثبت كما في «الرسائل والمسائل».

(٤) رواه الترمذي في «سننه» (ح/ ١١٩٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧٢)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٤٧٥) بعدة ألفاظ، منها لفظ عامر الشعبي، عن قيس قال: قدمتُ الحيرة، فرأيتُ أهلَها يَسْجُدُون لمرزُبانٍ لهُم، فقُلتُ: نحنُ كُنَّا أحقَّ أن نسجُد لرسُول الله ﷺ، فلمَّا قدمتُ عليه أخبرتُهُ بالَّذي رأيتُ، قُلتُ: نحنُ كُنَّا أحقَّ أن نسجُد لك فقال: «**لا تفعلُوا، أرأيت لو مررتَ**
=

معلومٌ من دينه بالضَّرورة، وتجويز مَنْ جوَّزه لغير الله مراغمةٌ لله ولرسوله، وهو من أبلغ أنواع العُبوديَّة، فإذا جوَّز هَذَا المشرك هَذَا النَّوع للبشر، فقد جوَّز عبوديَّة غير الله، وأيضًا فالانحناء عند التَّحيَّة سجودٌ، ومنه قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [البقرة:٥٨]، أي: منحنين، وإلَّا فلا يمكن الدُّخُول عَلَىٰ الجباه. انتهىٰ(٢).

سؤال: عمَّن يصلِّي عَلَى النَّبيِّ ﷺ ويَترضَّى عن الصَّحابة رضي الله عنهم جهراً والإمام يخطب يوم الجمعة؟

الجواب: الجهر بالصَّلاة عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، والتَّرضِّي حال الخطبة من غير الخطيب بدعةٌ مخالفةٌ للشَّريعة، منع منه طوائفُ من العلماء سلفًا وخلفًا، ولهم فيه مأخذان؛ الأول: أنَّه من محدثات الأُمُور الَّتي لم تُفْعل في عهد الرسولﷺ، ولا في عهد أصحابه، ولا التَّابِعِين، ولو كان خيرًا سبقوا إليه. الثاني: أنَّ

=

بقبري أكُنت ساجدًا؟». قُلتُ: لا. قال: «**فلا تفعلُوا، فإنِّي لو كُنتُ آمرًا أحدًا يُسْجدُ لأحدٍ لأمرتُ النِّساء أن يسجُدنَ لأزواجهنَّ لِمَا جعل اللهُ من حقِّهم عليهنَّ**».

(١) رواه ابن ماجه (ح/ ١٨٣) وأحمد (٥/ ٢٢٧)، وصَحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» من حديث ابن أبي أوفى، قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام، سجد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما هذا؟**»، قال: يا رسول الله، قدمت الشَّام، فوجدتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم، فأردتُ أَنْ أفعلَ ذلك بك. قال: «**فلا تفعل، فإنِّي لو أمرتُ شيئًا أن يسجدَ لشيءٍ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده، لا تؤدي المرأةُ حقَّ ربها حتىٰ تؤدي حق زوجها**». انظر «الترغيب والترهيب» للمنذري بتخريج الألباني (٣/ ٤١٦) وصحيح ابن ماجه (١/ ٣١٢) و«الإرواء» (٧/ ٥٥) و«السلسلة الصحيحة» (٣/ ٢٠٢).

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ١٦٠).

الأحاديث ثبتت بالأمر بالإنصات للخطبة، فقَدْ صحَّ من حديث أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إذا قلتَ لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة: أنصت، فقد لغوتَ**»(١).

قال في كتاب الباعث عَلَىٰ إنكار البدع والحوادث: إنَّ الصَّلاة عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ إنَّما هي دعاءٌ، وجميع الأدعية المأمور بها(٢) السُّنَّة فيها الإسرار دون الجهر غالبًا(٣). قلت: وهَذَا مأخذٌ ثالثٌ للمنع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصَّلاة عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، والتَّرضِّي عن الصَّحَابة -رضي الله تعالىٰ عنهم- دعاءٌ من الأدعية، والمشروع في الدُّعاء كلِّه المُخَافتة(٤) إلَّا أن يكون هناك سببٌ يُشْرع

(١) رواه البخاري (ح/ ٩٣٤) من حديث أبي هريرة بلفظ: «**إذا قُلت لصاحبك يوم الجُمُعة: أنصت، والإمامُ يخطُبُ، فقد لغوتَ**»، ومسلم (ح/ ٨٥١) بلفظ: «**إذا قُلتَ لصاحبك: أنصت يوم الجُمُعة والإمامُ يخطُبُ، فقد لغوتَ**».

(٢) في المطبوع: «إنَّ الصَّلاة علىٰ النبي ﷺ إنَّما هو دعاءٌ، وجميع الأدعية السُّنَّة فيها: الإسرار دون الجهر غالبًا».

(٣) (ص١٤٣)، وكتاب «الباعث» مؤلفه أبو شامة العلامة المجتهد شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، ثم الدمشقي، الشافعي، المقرئ، النحوي، المؤرخ، صاحب التصانيف، ولد سنة تسع وتسعين وخمس مئة، وكان متواضعًا خيرًا. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاسع عشر رمضان. «العبر» للذهبي (٣/ ٣١٣)، حوادث سنة خمس وستين وست مئة.

(٤) ومثل ذلك تلحين الدعاء بالقنوت، ورفع الصوت به، والمبالغة في الإطالة والبكاء حتىٰ أصبح خشوع الناس بالدعاء أكثر من سماع القرآن الكريم، وكلُّ ذلك من الاعتداء في الدعاء، وكل ذلك ينافي توجيهات القرآن والسُّنَّة، حيث أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالإخفات في الدعاء، وعدم الجهر، قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف:٥٥]. وروىٰ أبو داود (ح/ ٩٦)، وابن ماجه (ح/ ٣٨٦٤)، واللفظ له من حديث عبد الله بن مغفل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع ابْنَهُ يقُولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أسأَلُك القصر الأبيض عن يمين الجنَّة إذا دخلتُها. فقال: أي بُنَي، سل الله =

=

الجنَّة، وعُذ به من النَّار، فإنِّي سمعتُ رسُول الله ﷺ يقُولُ: «**سيكُونُ قومٌ يعتدُون في الدُّعاء**»، صححه الألباني في «الإرواء» (١/ ١٧١). وانظر ما نقله أعلاه المؤلف عن أبي شامة وابن تيمية من أن الدعاء الأصل فيه الإخفات.

ومثل ذلك أيضًا قراءة القرآن بالتلحين الذي يشبه الغناء، والتي سَرتْ من أهل التصوف ومقاماتهم، فإن العلماء قد تكلموا فيها، فقد سئل الشيخ عبد الله أبا بطين عن القراءة بالألحان؟ فأجاب: كرهها العلماء. وقال أحمد ومالك: هي بدعة. وقال أحمد: يُحسِّن صوته بالقراءة. وقال الشيخ تقي الدين: التلحين الذي يشبه الغناء مكروه. والألحان التي كره العلماء القراءة بها، هي التي تتضمن قَصْرَ الحرف الممدود، ومدَّ المقصور، وتحريك الساكن، وتسكين المتحرك، ونحو ذلك، يفعلون ذلك لموافقة نغمات الأغاني المطربة، ولها عند أهلها أسماء؛ كالبربطي، والرومي، والمكي، والإسكندراني. «الدرر السنية» (٤/ ٣٦٠).

قال الكمال بن همام: «ما تَعَارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط والمبالغة في الصياح الاشتغال بتحريرات النغم إظهارًا للصناعة النغمية لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة، بل هو من مقتضيات الرد، وهذا معلوم إن كان قصده إعجاب الناس به، فكأنه قال: اعجبوا من حُسْن صوتي وتحريري، ولا أرىٰ أن تحرير النغم في الدعاء كما يفعله القرَّاء في هذا الزمان يَصْدر ممن يفهم معنىٰ الدعاء والسؤال، وما ذاك إلا نوع لعبٍ، فإنَّه لو قدر في الشَّاهد سائل حاجة من ملكٍ أدَّىٰ سؤاله، وطلب بتحرير النغم فيه من الخفض، والرفع، والتطريب، والترجيع، كاتغني نُسب البتة إلىٰ قصد السخرية واللعب، إذ مقام طلب الحاجة التضرع لا التغني، فاستبان أن ذلك من مقتضيات الخيبة والحرمان. «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (١/ ٢٢٩).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أن إدخال الألحان في الصلوات هي طريقة النصارىٰ، حيث قال: «وكذلك إدخال الألحان في الصلوات لم يأمر بها المسيح، ولا الحواريون». «الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦١١).

وسئلت اللجنة الدائمة عن إمام يلحن الدعاء، ويدعو بصوت يشبه صوته عند قراءة القرآن، وكذلك معظم دعائه مسجوع، ويطيل في الدعاء إطالةً ملحوظةً حيث يصل وقت الدعاء إلىٰ نصف ساعة أو أكثر، أو أقل بقليلٍ، ولما خوطب في ذلك اعتذرَ بأنها ليال فضيلة، ليالي العشر الأواخر من رمضان، وبأن بعضٍ المرضىٰ ومَنْ أصابتهم مصائب يطلبون منه الدعاء رجاء القبول عند الله تعالىٰ؟

=

له الجهر، وأمَّا رفع الصَّوت بالصَّلاة، والتَّرضِّي الَّذي يفعله بعض المُؤذِّنين قُدَّام الخطباء في الجمع فمكروهٌ أو محرمٌ. انتهىٰ[1]، والله أعلم، وصلَّىٰ الله علىٰ سَيِّدنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وَسلم تسليمًا.

أملاه الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشَّيخ محمد بن عبد الوَهَّاب رحمهم الله أجمعين.

=

فأجابت اللجنة الموفقة:

«المشروع للداعي اجتناب السجع في الدعاء، وعدم التكلف فيه، وأن يكون حال دعائه خاشعًا متذللًا، مظهرًا الحاجة والافتقار إلىٰ الله سبحانه، فهذا أدعىٰ للإجابة وأقرب لسماع الدعاء، وعلىٰ الداعي ألَّا يشبه الدعاء بالقرآن، فيلتزم قواعد التجويد والتغني بالقرآن، فإن ذلك لا يعرف من هَدْي النَّبيِّ ﷺ، ولا من هدي أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعلىٰ الداعي أيضًا ألَّا يطيل علىٰ المأمومين إطالةً تشق، بل عليه أن يخفف، وأن يحرص علىٰ جوامع الدعاء، ويترك ما عدا ذلك كما دَلَّت عليه السُّنَّة».

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

فتاوىٰ اللجنة الدائمة المجموعة الثانية (ص٧٥، ٧٦).

(١) «الفتاوىٰ» (٢٤/ ٢١٨).

الرسالة الثامنة(١)

«الفرق بين الإسلام والإيمان وحكم زيارة قبر النَّبيِّ ﷺ»

بسم الله الرحمن الرحيم. قال الشيخ العالم العلامة عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمة الله عليهم أجمعين لما سأله بعض الإخوان: «ما الفرق بين الإسلام والإيمان، ومسألة في زيارة قبر النبي ﷺ»، فأجاب بقوله: الجواب وبالله التوفيق قد فسر النبي ﷺ الإسلام والإيمان في حديث جبرائيل، وفسر الإسلام في حديث عبد الله بن عمر وكلاهما(٢) في الصَّحيح، فقال: «**الإسلامُ أَنْ تشهد أن لا إلَه إلَّا الله، وأن محمدًا رسول، وتقيم الصَّلاة، وتؤتي الزَّكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»(٣)وقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكتِهِ، وكتبِهِ، ورسلِهِ، وباليوم الآخر، وتؤمن بالقَدَر خيره وشرِّه**»(٤)، وقال في حديث ابن عمر: «**بني الإسلامُ**

---

(١) طبعت في مجموعة «الرسائل والمسائل» (٢/ ٤٨-٥٢)، و«الدرر السَّنية» (١/ ٣٣٤-٣٣٨) دون الإجابة علىٰ سؤال: هل يَحرم شدُّ الرحل إلىٰ قبر النَّبيِّ ﷺ؟

(٢) في المطبوع: «وسئل أيضًا -رحمه الله تعالىٰ- عن الفرق بين الإسلام والإيمان، فأجاب: في حديث ابن عمر، وكلاهما في الصحيح».

(٣) رواه مسلم.

(٤) تقدم تخريجه.

عَلَىٰ خمسٍ: شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»(١)، وفي روايةٍ: «**والحج، وصوم رمضان**»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: جَعَل النَّبيُّ ﷺ الدِّين ثلاثَ درجاتٍ، أَعْلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليها الإسلام، فكلُّ محسنٍ مؤمنٌ، وكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، وليس كلُّ مؤمنٍ محسنًا، ولا كلُّ مسلمٍ مؤمنًا، كما دَلَّت عليه الأحاديث. انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فإنْ قيل: قَدْ فرَّق النَّبيُّ ﷺ في حديث جبرائيل، بين الإسلام والإيمان، والمشهور عن السَّلف وأئمَّة الحديث: أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ، وأنَّ الأعمال كلَّها داخلةٌ في مُسمَّىٰ الإيمان، وحكىٰ الشَّافعيُّ عَلَىٰ ذلك إجماعَ الصَّحابة والتَّابعين ومَنْ بَعْدهم ممَّن أدركهم؟

فالجواب: أنَّ الأمر كذلك، وقَدْ دلَّ عَلَىٰ دُخُول الأعمال في الإيمان الكتابُ والسُّنَّةُ، أمَّا من الكتاب فكقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال:٢]، وأمَّا من الحديث فكقولِهِ في حديث أبي هريرة المُتَّفق عليه: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون أو بضع وستون شعبةً، أَعْلَاها قول: لا إلَه إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطَّريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان**»(٣)، فمَنْ زعم أنَّ

(١) رواه البخاري (ح/ ٨)، ومسلم (ح/ ١١٤).
(٢) رواه مسلم (ح/ ١١٣).
(٣) رواه مسلم (ح/ ١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه. ورواه البخاري أيضًا (ح/ ٩) بلفظ: «**الإيمانُ بضعٌ وستُّون شُعبةً، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان**».

إطلاق الإيمان عَلَىٰ الأعمال الظَّاهرة مجازٌ فقَدْ خالف الصَّحابة والتَّابعين والأئمَّة.

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنَّه يجمع بين الأحاديث بأنَّ أعمال الإسلام داخلةٌ في مُسمَّىٰ الإيمان(١)، ففسرت بالإسلام وهي جزء مسمَّىٰ الإيمان، لكون الإيمان شاملًا لها(٢) ولغيرها من الأعمال الباطنة والظَّاهرة، فإذا أُفْرِدَ الإيمان في آيةٍ أو حديثٍ، دَخَل فيه الإسلام، وإذا قرن بينهما فُسِّر الإسلام بالأركان الخمسة كما في حديث جبرائيل، وفُسِّر الإيمان بأعمال القلب؛ لأنَّها أصل الإيمان ومعظمه، وقوَّته وضعفه ناشئٌ(٣) عن قوَّة ما في القلب من هَذِهِ الأعمال أو ضَعْفها.

وقَدْ يضعف ما في القلب من الإيمان بالأُصُول السِّتَّة حتَّىٰ يكون وزن ذَرَّة، كما في الحديث الصَّحيح: «**أخرجوا من النَّار مَنْ كان في قلبه مثقال ذَرَّةٍ من إيمانٍ**»(٤)، فبقدر ما في القلب من الإيمان، تكون الأعمال الظَّاهرة هي داخلةٌ في مُسمَّاه، وتُسمَّىٰ إسلامًا وإيمانًا، كما في حديث وفد عبد القيس حين قال لهم النَّبيُّ ﷺ: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**»، قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلم، قال: «**شهادة أن لا إلَه إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام**

(١) في المطبوع زيادة «شاملًا لها».

(٢) في المطبوع: «لكون الإيمان مثالًا لها».

(٣) في «الرسائل والمسائل»: «ناشئان». قلت: والواو في «قوته وضعفه» استئنافية، وليست عاطفة كما يفهم ذلك من طبعة «الدرر».

(٤) رواه البخاري (ح/ ٢٢) في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ومسلم (ح/ ٤٥٤) في كتاب الإيمان، كلاهما من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله تعالىٰ عنه.

الصَّلاة، وإيتاء الزَّكَاة، وأن تُؤدُّوا خُمُس ما غنمتم»[١]، فهَذِهِ الأعمالُ داخلةٌ فِي الإيمان، وهي الإسلام، لأنَّ الإيمانَ اسمٌ لجميع الأعمال الظَّاهرة والباطنة، فمَنْ ترك شيئًا من الواجبات، أو فَعَل شيئًا من المُحرَّمات، نقص إيمانُهُ بحسب ذلك، وهو دليلٌ عَلَىٰ نقصان أَصْل الإيمان، وهو إيمان القلب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ فِي الكلام عَلَىٰ الإسلام والإيمان والإحسان، وما بين الثَّلاثة من العُمُوم والخصوص، أَمَّا الإحسان: فهو أعمُّ من جهة نفسه، وأخصُّ من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان: أعمُّ من جهة نفسه، وأخصُّ من جهة أصحابه من الإسلام، فالإحسانُ يَدْخل فيه الإيمانُ، والإيمانُ يَدْخل فيه الإسلام، والمُحْسنون أخصُّ من المؤمنين، والمؤمنون أخصُّ من المسلمين، انتهىٰ[٢]، وهَذَا يُبيِّن ما قَرَّرنا .

وحينئذٍ يَتبيَّن أن الإيمان الكامل الَّذي صاحبُهُ يستحقُّ عليه دُخُول الجنَّة والنَّجاة من النَّار، هو فعل الواجبات، وتَرْك المُحرَّمات، وهو الَّذي يُطْلق عَلَىٰ مَنْ كان كذلك بلا قيدٍ، وهو الإيمان الَّذي يُسمِّيه العلماء: الإيمان المطلق، وأمَّا مَنْ لم يكن كذلك، بل فرَّط فِي بعض الواجبات، أو فَعَل بعض المُحرَّمات، فإنَّه لا يُطْلق عليه الإيمان إلَّا بقيدٍ، فيُقَال: مؤمنٌ بإيمانِهِ، فاسقٌ بكبيرتِهِ، أو يُقَال: مؤمنٌ ناقص الإيمان، لكونه ترك بعض واجبات الإيمان، كما فِي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لا يَزْني الزَّاني حين يَزْني وهو مؤمنٌ**»[٣]، أي: ليس مَوْصوفًا

---

(١) رواه مسلم (ح/ ١١٥، ١١٦) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما.

(٢) «الفتاوىٰ» (٧/ ١٠).

(٣) طرف من حديث رواه البخاري (ح/ ٢٤٧٥)، ومسلم (ح/ ٢٠٢) عن أبي هريرة، وتمامه: «**لا يزني**

بالإيمان الواجب الَّذي يستحقُّ صاحبُهُ الوعدَ بالجنَّة، والمغفرة، والنَّجاة من النَّار، بل هو تحت المشيئة: إِنْ شاء غفر له، وإِنْ شاء عَذَّبه عَلَىٰ تَرْك ما وَجَب عليه من الإيمان، بارتكابه الكبيرة.

وَقِيلَ: هَذَا يُوصَف بالإسلام دون الإيمان، ولا يُسمَّىٰ مؤمنًا إلَّا بقيدٍ، وهَذَا الَّذي يُسمِّيه العلماء: مطلق الإيمان، أي أنَّه وإن أطلق عليه مؤمن، فلا بد أن يقيد بقيدٍ، بخلاف الأول، وهذا لم يخرج عن الإسلام إذا[1] أتىٰ بالأركان الخمسة، وعمل بها باطنًا وظاهرًا.

وهَذَا الَّذي قلنا من معنىٰ الإسلام والإيمان، هو مَذْهب الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ، وطائفةٍ من السَّلف والمُحقِّقين، وذهب طائفةٌ من أهل السُّنَّة أيضًا إِلَىٰ أنَّ الإسلام والإيمان شيءٌ واحدٌ، وهو الدِّين، فيُسمَّىٰ إسلامًا وإيمانًا، فهما اسمان لمُسمًّىٰ واحدٍ، والأوَّل أصحُّ، وهو الَّذي نَصَره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالىٰ – في كُتُبه، فلا تلتفت إِلَىٰ ما خَالف هذين القولين، والله أعلم .

وأمَّا قول السَّائل: «هل يَحْرم شدُّ الرَّحْل إِلَىٰ قبر النَّبيِّ ﷺ؟». فالجواب: إنَّ بعض العلماء قَدْ قال: يجوز السَّفَر إِلَىٰ قبور الأنبياء والصَّالحين، وهَذَا القول[2]

=

الزَّاني حين يزني وهُو مُؤمنٌ، ولا يسرقُ السَّارقُ حين يسرقُ وهُو مُؤمنٌ، ولا يشربُ الخمرَ حين يَشْربُها وهُو مُؤمنٌ، ولا ينتهبُ نُهبةً ذات شرفٍ يرفعُ النَّاسُ إليه فيها أبصارهُم حين يَنْتهبُها وهُو مُؤمنٌ».

(١) هنا سقط، في المطبوع وهو قوله: «أي أنه وإن أطلق عليه مؤمن، فلا بد أن يقيد بقيدٍ، بخلاف الأول، وهذا لم يخرج عن الإسلام إذا أتىٰ...».

(٢) «المغني» (٥/ ٤٦٥).

لصاحب «المغني»[١]، وبعض المُتأخِّرين من الحنابلة والشَّافعيَّة، وهؤلاء يَحْتجُّون بقولِهِ: «**فزوروها**»[٢]، وأمَّا ما يحتجُّ به بعض مَنْ لا يعرف الحديث من قوله: «**ومَنْ زارني بعد مماتي فكأنَّما زارني في حياتي**»[٣]، فهَذَا الحديث لا تقوم به حُجَّةٌ عند مَنْ له معرفةٌ بعلل الحديث.

وأمَّا ما يقوله بعض النَّاس إنَّ حديث: «**مَنْ حج فلم يزرني فقد جَفَاني**»[٤]، فهَذَا لم يَرْوه أحدٌ من العلماء، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه،

---

(١) موفق الدين، أي: محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، ولد بجماعيل سنة ٥٤١هـ، تلقىٰ العلم علىٰ كثيرٍ من علماء عصره، وتلقىٰ عنه كثير من طلاب العلم. له مؤلفات كثيرة، منها: «ذم التأويل»، و«روضة الناظر في الأصول»، و«العمدة»، و«الكافي»، و«المغني في الفقه»، و«الاعتقاد»، و«العلو»، وغير ذلك كثير. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٦٢٠هـ. انظر ترجمته في «السير» للذهبي (٢٢/ ١٦٥-١٧٣)، و«الوافي بالوفيات» للسندي (١٧/ ٣٧-٣٩).

(٢) الحديث رواه مسلم (ح/ ٩٧٧)، وغيره من حديث بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**نهيتُكُم عن زيارة القُبُور فزُورُوها، ونهيتُكُم عن لُحُوم الأضاحي فوق ثلاثٍ فأمسكُوا ما بدا لكُم، ونهيتُكُم عن النَّبيذ إلا في سقاءٍ فاشربُوا في الأسقية كُلِّها، ولا تشربُوا مُسكرًا**».

(٣) رواه الدارقطني في «السنن» (٢/ ٢٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٢٤٦)، وقال: تفرد به حفص (أي: ابن سليمان القارئ)، وهو ضعيف. وقال ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص٦٣): ليس هذا الإسناد بشيءٍ يُعْتمد عليه، ولا هو مما يرجع إليه، بل هو إسنادٌ مظلمٌ ضعيفٌ جدًّا. وقال الألباني: موضوع. «السلسلة الضعيفة» (١/ ١٢٠).

(٤) رواه ابن حبان في «الضعفاء» (٣/ ٧٣)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢١٧)، كلهم من طريق النعمان بن شبل. قال ابن حبان: يأتي عن الثقات بالطامات. ولهذا أوردوا هذا الحديث مثالًا علىٰ ما جاء من طريقه من أحاديث موضوعة. وقال الشوكاني: قال الصنعاني: «هو موضوع». وكذا قال الزركشي، وابن الجوزي «الفوائد المجموعة» (ص١١٨)، وأَوْرَده الألباني في «السلسلة الضعيفة» وقال: «موضوع» (١/ ١١٩).

ومثله حديث: «**مَنْ زارني، ضمنتُ له عَلَىٰ الله الجنَّة**»(١). قال الشَّيخ: وهَذَا باطلٌ أيضًا باتِّفاق العلماء رحمهم الله تعالىٰ. قال: والصَّحيح ما ذهب إليه المُتقدِّمون؛ كأبي عبد الله بن بطة(٢)، وأبي الوفا بن عقيل(٣)، وطوائف من المُتقدِّمين من أنَّ

---

(١) **قال النووي عنه**: هذا باطلٌ، ليس مرويًّا عن النَّبيِّ ﷺ، ولا يعرف في كتابٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ، بل وضعه بعض الفَجَرة. «المجموع» (٨/ ٢٦١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عنه وعَمَّا قبله: فهذه الأحاديث وما أشبهها كلها كذبٌ موضوعٌ علىٰ النَّبيِّ ﷺ، لم يثبت عنه لفظٌ واحدٌ في زيارة قبره». تلخيص كتاب «الاستغاثة» (١/ ١٤٤). وقال أيضًا: وأمَّا قوله: «**مَنْ زار قبري فقَدْ وجبتْ له شفاعتي**»، وأمثال هذا الحديث روي في زيارة قبره ﷺ، فليس منها شيء صحيح، ولم يرو أحدٌ من أهل الكتب المعتمدة منها شيئًا، لا أصحاب الصحيح؛ كالبخاري، ومسلم، ولا أصحاب السنن كأبي داود والنسائي، ولا الأئمَّة من أهل المسانيد، كالإمام أحمد وأمثاله، ولا اعتمد علىٰ ذلك أحدٌ من أئمة الفقه؛ كمالكٍ، والشافعيِّ، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وأبي حنيفة، والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وأمثالهم، بل عامة هذه الأحاديث مما يعلم أنها كذبٌ موضوعةٌ؛ كقوله: «**مَنْ حج ولم يزرني فقد جفاني**»، فإنَّ هذه الأحاديث ونحوها كذبٌ. «الفتاوىٰ» (٢٧/ ٢٩).

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، أحد علماء الحنابلة، وله التصانيف الكثيرة الحافلة في فنون من العلم، سمع الحديث من البغوي وغيره. دافع عنه ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فيما طعن فيه الخطيب البغدادي بسبب شيخه عبدالواحد الأسدي المعروف بابن برهان اللغوي، والذي كان يرىٰ مذهب مرجئة المعتزلة. وقد رد أبو الوفاء ابن عقيل علىٰ ابن برهان هذا. وقال الذهبي عن ابن بطة: كان إمامًا في السُّنَّة، إمامًا في الفقه، صاحب أحوال وإجابة دعوة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. توفي سنة ٣٨٧. انظر «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢١) و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٤١٢).

(٣) هو علي بن عقيل بن محمد البغدادي، الحنبلي المتكلم، قرأ القرآن علىٰ ابن شيطا، وسمع الحديث الكثير، وتفقه بالقاضي أبي يعلىٰ بن الفراء، وأخذ العربية عن ابن برهان، وأخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال ابن الوليد وابن التبان، فانحرف عن السُّنَّة. كان يتوقد ذكاءً، وكان بحر المعارف، لكن انحرف بسبب مجالسته لأهل البدع. وقال الذهبي في «السير»: كانوا (أي: أصحابه الحنابلة) ينهونه عن مجالسة المعتزلة، ويأبىٰ، حتىٰ وقع في حبائلهم. وتجسر =

هَذَا السَّفر منهيٌّ عنه، لا تقصر فيه الصَّلاة، وهو قول مالكٍ والشَّافعيِّ وأحمد، وحُجَّتهم ما في «الصَّحيحين» عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لا تُشدُّ الرِّحال إلَّا إلَىٰ ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، والمسجد الأقصىٰ، ومسجدي هذا**»[1]، وهَذَا الحديث اتَّفق الأئمَّة عَلَىٰ صِحَّتِهِ، والعمل به في الجملة.

فلو نذر رجلٌ أن يُصلِّي في مسجدٍ، أو مشهدٍ، أو يعتكف فيه، أو يسافر إليه غير هَذِهِ الثَّلاثة، لم يجب عليه ذلك باتِّفاق العلماء. ولو نَذَر أن يأتي مسجد النَّبيِّ ﷺ، أو مسجد الأقصىٰ لصلاةٍ أو اعتكافٍ، وَجَب عليه الوفاءُ بهَذَا النَّذر[2]عند مالكٍ، والشَّافعيِّ، وأحمد رحمهم الله تعالىٰ، كما نصَّ عليه شيخ الإسلام.

إذا عرفت أقوال العلماء في هَذِهِ المسألة، فاعلم أنَّ الزَّائر إذا نَوَىٰ بالزِّيارة -

=

علىٰ تأويل النصوص، نسأل الله السلامة. وقال الذهبي أيضًا في «الميزان»: «أحد الأعلام، وفرد زمانه علمًا ونقلًا وذكاءً وتفننًا، إلا أنه خالف السلف، ووافق المعتزلة في عدة بدع، نسأل الله السلامة، فإن كثرة التبحر في علم الكلام ربما أضر بصاحبه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». توفي أبو الوفاء -غفر الله له- سنة ٥١٣. انظر «البداية والنهاية» (١٢/ ١٨٤) و«سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٤٣) و«ميزان الاعتدال» (٣/ ١٤٦).

(١) طرف من حديث اتفق عليه الشيخان من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (خ/ ١٨٦٣)، (م/ ٨٢٧).

(٢) لقوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ نذرَ أن يطيع الله فليطعه، ومَنْ نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»، رواه البخاري (ح/ ٦٧٠٠) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وروىٰ أبو داود (ح/ ٣٣١٣) من حديث ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد؟**». قالوا: لا. قال: «**وهل فيها عيدٌ من أعيادهم؟**». قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاءَ لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**».

الَّتي فيها شدُّ رحال للسفر(١)- زيارةَ مسجد رسول الله ﷺ، صار ذلك قربة وسفرَ طاعةٍ(٢) بإجماع العلماء رحمهم الله، ويحصل له زيارة قبررسول الله ﷺ تبعًا إذا وصل المسجد، وفعل ما هو المشروع من البَدَاءة بتحيَّة المسجد، ثمَّ السلام عَلَىٰ رسول الله ﷺ، والزِّيارة والسَّلام عَلَىٰ صاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وذلك لا محذورَ فيه بوجهٍ، بَلْ هو مصلحةٌ محضةٌ، فأيُّ محذورٍ في تحصيل المصلحة المطلوبة عَلَىٰ وجهٍ صحيحٍ بالإجماع؟ واللهُ أَعْلَم، وصلَّىٰ الله عَلَىٰ سيدنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبِهِ وسلَّم.

(١) في المطبوع: «التي فيها شَدُّ الرَّحل لسفر».

(٢) في المطبوع: «صار ذلك سفر طاعة».

الرسالة التاسعة(١)
«التوحيد وخروء الشّرك عَلَى المسلمين وجهاد العلماء له»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله عَلَىٰ مُحمَّدٍ سيِّد المرسلين، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

اعلم أنَّ أعظم شَهَادةٍ وأَفْرَضها عَلَىٰ الخلق قولًا وعملًا واعتقادًا ما شَهِدَ الله به لنفسِهِ من اختصاصه بالإلهيَّة دون جميع خَلْقه أزلًا وأبدًا، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران:١٨]، فقرَّر الشَّهَادة به في هَذِهِ الآية، وأَخْبَرَ أنَّ ملائكته وأولي العلم شهدوا له بذلك جلَّ وعَلَا، وأَخْبَر عباده بِهَذِهِ الشَّهَادة، ودَعَاهم إِلَىٰ أن يَشْهدوا بها، ويدينوا بها، قالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء:٨٧]، وقَالَ: ﴿ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٤]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ

(١) طبعت في «الجامع الفريد» (ص٣٠٥-٤٠٣).

لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ [القصص:٧٠]، وأخبر أنَّه بعث رُسُله بهَذِهِ الشَّهادة جميعهم، فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]، فبيَّن في هَذِهِ الآية وأمثالها أنَّ الإلهيَّة هي العبادة، فإنَّ الإله هو المألوه الَّذي تَأْلَهه القلوب محبَّةً، وتعظيمًا، وتذلُّلًا، وخضوعًا، وتوكُّلًا، ورغبةً إليه، ورهبةً، وخوفًا، ورجاءً، وغير ذلك من أنواع العبادة.

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢]. فبَيَّن تعالىٰ ما تَضمَّنته هَذِهِ الشَّهادة من النَّفي والإثبات بقولِهِ عن خليله إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]، والكلمة: «لا إله إلَّا هو»، فعبَّر عنها الخليل بمعناها، فنَفَىٰ ما نفته هَذِهِ الكلمة من الشِّرك في العبادة بالبراءة من كلِّ ما يعبد من دون الله، واستثنىٰ الَّذي فَطَره، وهو اللهُ سبحانه الَّذي لا يصلح من العبادة شيءٌ لغيره، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود:١، ٢]، فقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾، فيه معنىٰ «لا إله»، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنىٰ في هَذِهِ الكلمة العظيمة، ففي هَذِهِ الآيات نفيُ الإلهيَّة عمَّا سوىٰ الله نفيًا عامًّا بِـ «لا» النَّافية للجنس، وأثبت الإلهيَّة له وحده دون كلِّ ما سواه.

والآياتُ في معنىٰ هَذِهِ الكلمة كثيرةٌ في القرآن، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، فقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ نفي استحقاق العبادة لغيره، وأثبتها لنفسه بقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾

[يوسف:٤٠]، وأمر نَبيَّه ﷺ أن يَدْعو أهل الكتاب إِلَىٰ معنىٰ هَذِهِ الكلمة، وما تَضمَّنته من النَّفي والإثبات، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٦٤]، فتَضمَّنت هَذِهِ الآية معنىٰ «لا إله إلَّا الله» من نفي الإلهيَّة عمَّا سوىٰ الله، وتَفرُّده بالعبادة دون كلِّ ما سواه، ومعنىٰ: ﴿تَعَالَوْا۟﴾، أي: هَلمُّوا وأَقْبلوا إِلَىٰ أن نكون نحن وأنتم في توحيد الله سواء مجتمعين(١) عَلَىٰ ذلك، ثمَّ قرَّر تعالىٰ معناها بقوله: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ [آل عمران:٦٤]، وهَذِهِ الكلمة هي الَّتي دعا رسول الله ﷺ قريشًا والعرب أَنْ يقولوها، ويَعْملوا بها، وقال لهم: «**قولوا: لا إله إلَّا الله تفلحوا، كلمة تملكون بها العرب، وتَدين لكم بها العجم، وتكونون بها ملوكًا في الجنَّة**»(٢) فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [ص:٥، ٧]، وذلك أنَّهم نشؤوا في الفترة بعد عبادة الأصنام حين

(١) وهذا يدل علىٰ أن الاجتماع الصحيح هو اجتماع القلوب علىٰ تحقيق التوحيد، والإيمان الصادق، والاعتقاد الصحيح، وتحكيم السُّنَّة واتباعها. والنصوص الشرعية الدالة علىٰ ذلك كثيرة، منها هذه الآية المذكورة، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]، ومنها قول النَّبيِّ ﷺ: «**إنَّ الله يرضىٰ لكُمْ ثلاثًا، ويكرهُ لكُم ثلاثًا، فيرضىٰ لَكُم أن تعبُدُوهُ ولا تُشركُوا به شيئًا، وأن تعتصمُوا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقُوا**»، رواه مسلم (ح/ ١٧١٥)، ومنها قوله ﷺ: «**أوثقُ عُرىٰ الإيمان: الحُبُّ في الله، والبُغضُ في الله**»، رواه ابن أبي شيبة في الإيمان (ح/ ١٣٤)، وحَسَّنه الألباني، وغير ذلك كثير. وفي هذا أعظم الرد علىٰ القاعدة الحزبية الإخوانية الفاسدة: «نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، مما أنتج في أفرادهم التميع في الولاء والبراء، وجعل الترابط بينهم علىٰ الحزب، يَعْقدون علىٰ ذلك الولاء والبراء، والحب والبغض، ويَتبَايعون علىٰ ذلك. حتىٰ دخل فيهم كلُّ فرقةٍ هالكةٍ، وملةٍ كافرةٍ، من قبورية، وأشعرية، وجهمية، ورافضية، بل ومن النصارىٰ، نعوذ بالله من الزيغ.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٣).

استخرجها عمرو بن لحيٍّ الخزاعي(١) وفرَّقها في القبائل، وهي الأصنامُ الَّتي عَبدَها قومُ نوحٍ، فعَبَدوها، وكثرت عبادةُ الأوثان والأصنام، فصار عند الكعبة ثلاث مئة وستون صنمًا عَلَىٰ صُوَر مَنْ كانوا يعبدونه، وعبدوا اللَّات، والعُزَّىٰ، ومَنَاة، وذا الخَلَصة(٢) وغيرها ممَّا لا يُحْصَىٰ كثرةً، ولذلك أَنْكَروا معنىٰ «لا إله إلَّا الله» لمَّا دعاهم النَّبيُّ ﷺ إِلَىٰ تَرْك عبادة ما كانوا يَعْبدونَه من دون الله، فأَبَوْا أن ينفوا ما نَفَته من عبادة الأوثان والأصنام، وأَنْ يُخْلصوا العبادة لله وحده.

ولمعرفتهم معنىٰ هَذِهِ الكلمة نهوا أبا طالب عن أن يقولها عند موته لمَّا قال له رسول الله ﷺ: «**يا عم، قل: لا إله إلَّا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله**»، قال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أُميَّة: أترغب عن مِلَّةِ عبد المُطَّلب(٣)؟ عَلِمُوا أنَّه لو قالها لترك عبادة غير الله، وأنكرها؛ لمَعْرفتهم ما دَلَّت عليه من النَّفي والإثبات، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦﴾ [الصافات:٣٥، ٣٦].

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٧٥)، والبخاري (ح/ ٣٥٢١، ٤٦٢٣)، ومسلم (ح/ ٢٨٥٦)، كُلُّهم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**رأيتُ عمرو بن عامر بن لُحي الخُزاعي يجرُّ قُصْبهُ في النَّار، وكان أوَّل مَنْ سيَّب السَّوائب**»، ورواه أحمد بلفظ آخر (٢/ ٣٦٦): «**رأيتُ عمرو بن عامرٍ يجُرُّ قُصْبهُ في النَّار، وكان أوَّل مَنْ سيَّب السَّائبة، وبحر البحيرة**».

(٢) كما قال ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّىٰ تضطربَ ألياتُ نساء دوسٍ علىٰ ذي الخَلَصة**»، وذُو الخَلَصة طاغيةُ دوسٍ الَّتي كانُوا يعبُدُون في الجاهليَّة. رواه أحمد (٢/ ٢٧١)، والبخاري (ح/ ٧١١٦)، ومسلم (ح/ ٢٩٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) طرف من حديث رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب «إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله» (ح/ ١٣٦٠)، ورواه في كتاب التفسير، باب «قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦] (ح/ ٤٧٧٢).

وأمَّا هَذِهِ الأُمَّة، فلمَّا كثر الشِّرك فيهم كما كثر في أولئك، وبُنِيَتِ المَسَاجد عَلَىٰ القبور وعُبِدَتْ، وبنيت المَشَاهد عَلَىٰ اسم مَنْ بُنِيَتْ باسمه من الصَّالحين وعبدت، صاروا يقولون: لا إله إلَّا الله، والشِّرك قَدْ قام في قلوبهم، واتَّخذوها دينًا، فأثبتوا ما نَفَته هَذِهِ الكلمة من عبادة غير الله، وأنكروا ما دَلَّتْ عليه من الإخلاص، فعَكَسوا مَدْلولَ هَذِهِ الكلمة العظيمة بكَوْنهم أَثْبَتوا ما نَفَته من الشِّرك، ونَفَوا ما أَثْبَتته من الإخلاص الَّذي هو حقُّ الله عَلَىٰ عباده، فيقول قائلهم: لا إله إلَّا الله، وقد اعتقد عكس ما دَلَّتْ عليه، وهَذَا غايةُ الجهل والضَّلال، يقول كلمةً تَتضمَّن النَّفي والإثبات، فلا يعرف ما نفت، ولا ما أثبتت، هَذَا وهم فيما يَقْرَؤونه ويُقْرئونه في مَذَاهبهم وما كانوا يَتعَاطونه من العُلُوم لا يجهلون مثل هذا، وكثيرٌ منهم له في علم المعقول اليد الطُّولَىٰ(١)، فسبحان الله!

(١) **كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر رسالة «الحموية» عن أهل الكلام:** «ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في قول مختلف، يؤفك عنه من أفك، يعلم الذكي منهم والعاقل أنه ليس هو فيما يقوله علىٰ بصيرةٍ، وإنَّ حُجَّته ليست ببينةٍ، وإنما هي كما قيل فيها:

حججٌ تهافت كالزُّجَاج تَخَالها ... حقًّا وكل كاسرٍ مكسورُ

ويعلم العليم البصير بهم أنَّهم من وجهٍ مُستحقُّون ما قاله الشافعيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: «حُكْمي في أهل الكلام أن يُضْربوا بالجريد والنعال، ويُطَاف بهم في القبائل والعشائر، ويُقَال: هذا جزاء مَنْ أعرض عن الكتاب والسُّنَّة، وأقبل علىٰ الكلام».

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر، والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم، رَحِمْتَهم، وترفقتَ بهم، أوتوا ذكاءً وما أوتوا زكاءً، وأُعْطوا فُهُومًا وما أعطوا علومًا، وأُعْطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً فما أغنىٰ عنهم سمعهم، ولا أبصارهم، ولا أفئدتهم من شيء، إذ كانوا يجحدون بآيات الله، وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون.

ومَنْ كان عليمًا بهذه الأمور، تَبيَّن له بذلك حذقَ السلف، وعلمهم، وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام، ونهوا عنه، وذموا أهله، وعَابُوهم، وعلم أنَّ مَنِ ابتغىٰ الهدىٰ في غير الكتاب والسُّنَّة، لم يزدد من الله إلا بُعْدًا». «الحموية» (ص٢٤٨، ٢٤٩).

كيف جهلوا من ذلك ما دَعَت إليه الرُّسُل من توحيد الله، ونَفْي الشِّرك الَّذي نهوا أُمَمهم عنه كما هو صريحٌ في القرآن، لا يَخْفىٰ عَلَىٰ مَنْ له أدنىٰ فهم إِنْ وُفِّق لفَهْمه، فوَضَعوا الشِّرْكَ موضعَ التَّوحيد بالقبول، ووَضَعوا التَّوحيد موضعَ الشِّرك بالإنكار عَلَىٰ مَنْ دعا إليه وعَدَاوته، فبهَذَا تَبيَّن لك معنىٰ ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ من قوله: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**»(١)، فلا غُرْبةَ للإسلام أعظم من هَذِهِ الغُرْبة الَّتي عليها الأكثرون في هَذِهِ القُرُون المُتأخِّرة.

وقَدْ ذكر العلماء رحمهم الله تعالىٰ من أهل السُّنَّة والجَمَاعة في معنىٰ «لا إله إلَّا الله»، وبيان ما نَفَته وما أثبتته ما يفيد العلم واليقين بمَعْنَاها الَّذي أَوْجَبَ الله تَعَالىٰ معرفته، وما تَضمَّنته من النَّفي والإثبات، قال الوزير أبو المظفر(٢) في «الإفصاح»: قوله: «شهادة أن لا إله إلَّا الله»، يقتضي أن يكون الشَّاهد عالمًا بأَنْ لا إله إلَّا الله، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، واسمُ الله

(١) رواه مسلم من طريقين؛ الأول: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلامُ غريبًا، وسيعُودُ كما بدأ غريبًا، فطُوبىٰ للغُرباء**»، (ح/ ١٤٥)، والثاني من حديث ابن عمر أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الإسلام بدأ غريبًا، وسيعُودُ غريبًا كما بدأ، وهُو يأرزُ بين المسجدين كما تأرزُ الحيَّةُ في جُحرها**» (ح/ ١٤٦).

(٢) هو يحيىٰ بن محمد بن هُبَيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم الشيباني الدوري العراقي الحنبلي، صاحب التصانيف. ولد سنة تسع وتسعين وأربع مئة. قال عنه الذهبي: سلفيًّا أثريًّا، صار وزيرًا للخليفة العباسي المقتفي لأمر الله سنة ٥٤٤هـ. كان دَيِّنًا، خَيِّرًا، متعبدًا، عاقلًا، وقورًا، متواضعًا، جزل الرأي، بارًّا بالعلماء، مكبًّا مع أعباء الوزارة علىٰ العلم وتدوينه، كبير الشأن، حَسَنة الزمان. وكتابه: «الإفصاح عن معاني الصحاح» شرح فيه صحيحي البخاري ومسلم في عشر مجلدات. وله كتابٌ في العبادات، وله «مختصر إصلاح المنطق»، وأرجوزة في علم الخط. توفي مسمومًا ليلة ثالث عشر جمادىٰ الأولىٰ سنة ستين وخمس مئة، رحمه الله تعالىٰ. «السير» (٢٠/ ٤٢٦-٤٣٢).

مرتفعٌ بعد (إلَّا) من حيث إنَّه الواجب له الإلهيَّة، فلا يَسْتحقُّها غيره سبحانه، قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أَنَّ هَذِهِ الكلمة مشتملةٌ عَلَىٰ الكفرِ بالطَّاغوت والإيمانِ بالله، فإنَّك لمَّا نفيت الإلهيَّة وأَثْبَتَ الإيجاب لله تَعَالىٰ كنت مِمَّنْ كفر بالطَّاغوت، وآمن بالله.

قال ابن القيم في «البدائع»: فدلالتها (أي: لا إله إلَّا الله) عَلَىٰ إثبات إِلَهيَّتِهِ أعظم من دلالة قولنا: «الله إله»، ولا يَسْتريب أحدٌ في هَذَا البتَّة. انتهىٰ بمعناه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإله هو الَّذي تَأْلهه القلوب محبةً، وإجلالًا، وإنابةً، وإكرامًا، وتعظيمًا، وذلًّا، وخضوعًا، وخوفًا، ورجاءً، وتَوكُّلًا عليه، وسؤالًا منه، ودعاءً له، لا يصلح ذلك كلُّه إلَّا لله، فمَنْ أشرك مخلوقًا في شيءٍ من هَذِهِ الأُمُور الَّتي هي من خَصَائص الإلهيَّة كان ذلك قَدْ نافىٰ إخلاصه في قوله: «لا إله إلَّا الله»، وكان فيه من عبوديَّة المخلوق بحسب ما فيه من ذلك(١).

وقال أبو عبد الله القرطبيُّ في تفسير «لا إله إلَّا الله»: أي لا معبود إلَّا هو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: الإلهُ هو المَعْبود المطاع، فإنَّ الإله هو المألوه الَّذي يستحقُّ أن يُعْبد، وكونه يستحقُّ هو بما اتَّصف به من الصِّفات الَّتي تَسْتلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحبِّ، المخضوع له غايةَ الخضوع. وقال رحمه الله تعالىٰ: فإنَّ الإلهَ هو المحبوب المعبود الَّذي تَأْلَهه القلوب بحُبِّها، وتَخْضع له، وتذلُّ له، وتخافه، وترجوه، وتنيب إليه في شَدَائدها،

(١) من قوله: «وتوكلًا عليه» إلىٰ قوله: «بحسب ما فيه من ذلك»، هو من كلام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما نقل ذلك المؤلف في كتابه فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. انظر «فتح المجيد» (ص٤٣).

وتدعوه في مَهمَّاتها، وتَتوكَّل عليه في مَصَالحها، وتلجأ إليه، وتطمئنُّ بذِكْره، وتسكن إِلَىٰ حُبِّهِ، وليس ذلك إلَّا لله وحده، ولهَذَا كانت: «لا إله إلَّا الله» أَصْدَق الكلام، وكان أَهْلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه، وأهل غضبته ونقمته، فإذا صَحَّتْ صحَّ بها كلُّ مسألةٍ وحالٍ وذوقٍ، وإذا لم يُصحِّحها العبد فالفسادُ لازمٌ له في علومِهِ وأعمالِهِ.

وقال البقاعي(١): «لا إله إلَّا الله»، أي: انتفاءً عظيمًا أن يكون معبودًا بحقٍّ غير الملك الأعظم، فإنَّ هَذَا العلم هو أعظم الذِّكْرىٰ المنجية من أهوال السَّاعة، وإنَّما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنَّما يكون نافعًا إذا كان من الإذعان والعمل بما تَقْتضيه، وإلَّا فهو جهلٌ صرفٌ، وهَذَا الَّذي ذَكَرناه عن شيخ الإسلام والبقاعي هو الموجود في كلام أهل السُّنَّة جميعهم(٢).

إذا عرفت ذلك فمِمَّا يدلُّ عَلَىٰ غربة الإسلام ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ من وُقُوع الشِّرك في هَذِهِ الأُمَّة كما في الصَّحيح من حديث ثوبان: «**حتَّىٰ تعبد فئامٌ من أُمَّتي**

(١) هو أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط -بضم الراء وتخفيف الباء- بن علي ابن أبي بكر البقاعي، ولد سنة (٨٠٩هـ) في سهل البقاع في لبنان، سكن دمشق، ورحل إلىٰ بيت المقدس والقاهرة، ثم عاد إلىٰ دمشق، وتوفي بها عام (٨٨٥هـ). وهو مفسر، ومؤرخ، وأديب، له مصنفات كثيرة متعددة، منها: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، وكتاب: «مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور»، وكتاب: «الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل»، وله ديوان شعر سماه: «أشعار الواعي بأشعار البقاعي». «معجم المؤلفين» (١/ ٧١).

(٢) هذه النقولات المذكورة من كلام الوزير أبي المظفر إلىٰ كلام البقاعي، نَقلَها المؤلف الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» في ذكر كلام العلماء في معنىٰ «لا إله إلا الله» (ص٤٢-٤٤).

الأوثان»[١]. وأخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعودٍ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**تدور رَحَىٰ الإسلام لخمسٍ وثلاثين، أو ستٍّ وثلاثين، أو سبعٍ وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل مَنْ هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم تسعين عامًا**»، قال: قلت: أممَّا بقي، أو ممَّا مضىٰ؟ قال: «**ممَّا مَضَىٰ**»[٢].

وممَّا يُبيِّن غربة الإسلام وشدَّته ما جرىٰ من المُلُوك والقُضَاة والرُّؤساء عَلَىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- من العداوة، والحبس، وشدَّة الإنكار عليه لمَّا دعاهم إِلَىٰ ما تَضمَّنته «لا إله إلَّا الله»، ومعناها الَّذي تقدَّم عنه وعن أمثالِهِ من العلماء، وقَدْ ردُّوا عليه بشُبُهاتٍ واهيةٍ، وضلالاتٍ في الضَّلال متناهيةٍ، ورد عليهم -رحمه الله تعالىٰ- في «منهاج السُّنَّة»، و«اقتضاء الصِّراط المستقيم»، و«كتاب الاستغاثة» في الرَّدِّ عَلَىٰ ابن البكري[٣]، ورد عَلَىٰ أهل البدع جميعهم

---

(١) أصل الحديث رواه مسلم (ح/ ٢٨٨٩)، وهذه اللفظة هي زيادة من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي رواها أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤)، وأبو داود في «سننه» (ح/ ٤٢٥٢)، وابن ماجه (ح/ ٣٩٥٢). وانظر تخريجه في «فتح المجيد» للمؤلف، ومحقق «تيسير العزيز الحميد» في كتاب التوحيد، باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

(٢) رواه أبو داود (ح/ ٤٢٥٤)، وأحمد (١/ ٣٩٢)، والحاكم (٤/ ٥٢١)، وقال: صحيح الإسناد. وأطال الألباني في تخريجه، وتحقيقه، وذكر طرقه. «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٦٦٧).

(٣) وهو أبو الحسن نور الدين علي بن يعقوب بن جبريل البكري الشافعي المصري، ولد سنة ٦٧٣، وهو صوفي قبوري، يدافع عن أقوال الصوفية ويعظمها، ويدعو إلىٰ تعظيم القبور، وكان من أشد الصوفية علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، وله قصص مع شيخ الإسلام حيث آذاه وضربه. توفي سنة ٧٢٤. قال ابن كثير: «وكانت جنازته مشهورة غير مشهودة». انظر ترجمته «البداية والنهاية» (١٤/ ٦) و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٠/ ٣٧٠) و«البدر الطالع» للشوكاني (١/ ٥٠٢). وانظر كذلك مقدمة مُحقق «الاستغاثة» عبد الله السهلي.

من الفلاسفة والمُتكلِّمين؛ كالجهميَّة والمعتزلة والأشاعرة(١)، وذكر -رحمه الله تعالىٰ- أنَّ هؤلاء كلَّهم -وإنْ كثرت أبحاثهم ومُصنَّفاتهم- فما منهم مَنْ يعرف ما دَلَّت عليه كلمة الإخلاص «لا إله إلَّا الله»، فلم يَعْرفوا التَّوحيد الَّذي أثبتته، ولا الشِّرك الَّذي نَفَته... هَذَا معنىٰ كلامِهِ.

ولتلميذه العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- في بَيَان أَنْواع التَّوحيد، والرَّد عَلَىٰ أَهْل البدع- المُصنَّفات الكثيرة المفيدة، فمن أحسنها: «إغاثة اللَّهفان»، وكتاب: «الصَّواعق المرسلة في الرَّدِّ عَلَىٰ الجهميَّة والمُعطِّلة». وللحافظ ابن عبد الهادي: «الصَّارم المنكي» في الرَّدِّ عَلَىٰ السُّبكي، ولهم أصحابٌ كثيرٌ أخذوا عنهم.

فلمَّا طال الأمد بعدهم، صارت كُتُبهم في أيدي أناسٍ جهلةٍ، وفي خزائن الكتب الموقوفة، فلَمْ يلتفتوا إليها، فرجعوا إِلَىٰ ما كان عليه من قبلهم مِمَّنْ مضىٰ من المبتدعة، وكثر الشِّرك في القرىٰ والأمصار، وصاروا لا يعرفون من التَّوحيد إلَّا ما تَدَّعيه الأشاعرة من تأويل صفات الرَّبِّ والإلحاد فيها، فصاروا كذلك، حتَّىٰ نُسِيَ العلم، وعمَّ الشِّرك والبدع إِلَىٰ منتصف القرن الثَّاني عشر، فإنَّه لا يعرف إذ ذاك عالم أنكر شركًا أو بدعةً ممَّا صار في آخر هَذِهِ الأُمَّة(٢).

(١) تقدم التعريف بهذه الفِرَقِ في الرسالة الأولىٰ.

(٢) وهذا يبين خطورة دروس العلم وخفائه، وخطورة ذهاب العلماء، ولهذا فإن أهل البدع والأهواء في كل عصرٍ ومصرٍ يبذلون غاية جهدهم في إبعاد الناس عن العلماء وعلمهم، ومُؤلَّفاتهم، والعمل علىٰ إخفائها، وعدم قراءة الناس لها بأيِّ وسيلةٍ يَقْدرون عليها من تشويهٍ وتنفيرٍ وتحذيرٍ، وغيرها. وقد حذَّر النَّبيُّ ﷺ من ذلكم أشد التحذير. قال الإمام البخاري في

فشرح الله صدر شيخنا[١] فضلًا من الله تعالىٰ، ونعمةً عظيمةً مَنَّ الله بها تعالىٰ في آخر هَذَا الزمان، فعرف من الحقِّ ما عرف شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه بتَدبُّره الآيات المحكمات، و«صحيح البخاريِّ»، و«صحيح مسلم»، و«السُّنن»، و«المسانيد»، والآثار، ومعرفته ما كان عليه رسول الله ﷺ، والتَّابعون، وأتباعهم، وما عليه سلف الأُمَّة وأَئمَّتها، والأَئمَّة من أَهْل الحديث والتَّفسير، والفقهاء؛ كالأئمَّة الأربعة، ومَنْ أَخَذ عنهم[٢]، فتَبيَّن له التَّوحيد وما يُنَافيه، والسُّنَّة وما يُنَاقضها، فدعا النَّاس من أهل قريته وما قرب منها أن يتركوا عبادةَ أَرْبَاب القُبُور والطَّواغيت، وعبادة الأشجار والأحجار، والذَّبح للجنِّ، ونحو ذلك. وكلُّ هَذَا قد وقع في قرىٰ نجد وغيرها حتَّىٰ البوادي، فلمَّا أنكر ذلك

=

كتاب العلم من «صحيحه»: «باب كيف يُقبضُ العلمُ»، وكتب عُمرُ بنُ عبد العزيز إلىٰ أبي بكر بن حزمٍ: انظُر ما كان من حديث رسُول الله ﷺ فاكتُبهُ، فإنِّي خفتُ دُرُوس العلم، وذهاب العُلماء، ولا تقبل إلا حديث النَّبيِّ ﷺ، ولتُفشُوا العلم، ولتجلسُوا حتَّىٰ يُعلم مَنْ لا يعلمُ، فإنَّ العلم لا يهلكُ حتَّىٰ يكُون سرًّا. ثم قال: حدَّثنا العلاءُ بنُ عبد الجبَّار قال: حدَّثنا عبدُ العزيز بنُ مُسلمٍ، عن عبد الله بن دينارٍ بذلك، يعني حديث عُمر بن عبد العزيز إلىٰ قوله: ذهاب العُلماء. ثم قال حدثنا إسماعيلُ بنُ أبي أُويسٍ، قال: حدثني مالكٌ عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعتُ رسُولَ الله ﷺ يقُولُ: «**إنَّ الله لا يقبضُ العلم انتزاعًا، ينتزعُهُ من العباد، ولكن يقبضُ العلم بقبض العُلماء، حتىٰ إذا لم يُبق عالمًا، اتَّخذ النَّاسُ رُؤوسًا جُهالًا، فسُئلُوا، فأفتوا بغير علم، فَضلُّوا وأَضلُّوا**».

(١) يعني شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، الإمام مجدد الدين والتوحيد والسُّنَّة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، والذي ظهرت دعوته السُّنيَّة السَّلفيَّة في القرن الثاني عشر.

(٢) وفي هذا ردٌّ علىٰ مَنْ قال من أهل البدع تشويهًا وتنفيرًا أنه قد أتىٰ بمذهبٍ جديدٍ، أو مذهبٍ خامسٍ، فشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إنما هو متبعٌ لكتاب الله، وسُنَّة نبيه ﷺ، وما كان عليه سلفُ الأُمَّة وأَئمَّتها.

كرهوا ذلك منه وطرده أهل قريته عنها، وهي حُرَيملاء، وصار في العيينة يدعو إِلَىٰ دين الإسلام، وينهىٰ عن الشِّرك وعبادة الأوثان، وقبل ذلك طائفةٌ منهم، ومن أهل الدِّرعيَّة، ثمَّ بعد ذلك ضاقَ نطاق أمير العيينة لمَّا رآه قَدْ أنكر قوله الخلق الكثير، والجم الغفير، وقَدْ نصب له العداوة أهل القرىٰ والأمصار، والبادي والحاضر، فأمره أن ينتقل من بلده عنه، وصار في الدِّرعيَّة عند مُحمَّد بن سعود وأولاده وإخوانه، وبعض الأعيان من جماعتِهِ، فصار لهم قبولٌ لهَذِهِ الدَّعوة، فصَبَروا عَلَىٰ عداوة النَّاس؛ قريبهم وبعيدهم، وكلٌّ قصدهم بالحرب، فثَبَّتهم الله تعالىٰ عَلَىٰ قِلَّتهم وكثرة مَنْ خالفهم، وقتل مَنْ قتل من أعيانهم، فَصَبروا، وصارت الحرب بينهم سجالًا(١)، والله تعالىٰ يَحْميهم ويُقوِّي قلوبهم، وما جرىٰ بينهم وبين عَدوِّهم مذكورٌ في التَّاريخ. فأظهر اللهُ هَذَا الدِّين في نجد والبادية حتَّىٰ لم يكن فيهم مَنْ ينازع ويجادل؛ لأنَّ الله تعالىٰ أبطل كلَّ شبهةٍ بما أَبْدَاه هَذَا الشَّيخ ببيانه ومُصنَّفاته الَّتي صارت في أيدي المسلمين، وانتشرت دعوتُهُ في الأمصار، وقَبِلَهَا القليلُ منهم مِمَّنْ له التفاتٌ إِلَىٰ ما ينفعه، بخلاف مَنْ لم يرفع رأسًا، ولم يقبل هدىٰ الله، وهم الأكثرون، فلله الحمدُ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعمة العظيمة، فيا سعادة مَنْ هُدِيَ إِلَىٰ معرفة حقيقة دين الإسلام، واتَّبعَه.

وقد وجدت للعَلَّامة ابن القيِّم -رحمه الله تعالىٰ- كلامًا في «الصَّواعق المرسلة عَلَىٰ الجهميَّة والمعطلة» يَتعيَّن نقلُهُ هنا لعظيم فائدته، وشدَّة الحاجة

---

(١) وفي هذا ردٌّ علىٰ مَنْ يقول: إن الخُصُومة بين شيخ الإسلام والإمام محمد بن سعود رحمهما الله وبين أعدائهم كانت سياسيةً، وليست دينيةً، وسيأتي زيادة رد علىٰ هذه الشبهة في بعض الرسائل القادمة.

إليه، قال رحمه الله تعالىٰ: فصلٌ عظيمُ النَّفع، جليلُ القَدْر، يَنْتفع به مَنْ عرف نوعي التَّوحيد: القوليَّ العلميَّ الخبريَّ، والتَّوحيدَ القصديَّ الإراديَّ العمليَّ، كما دلَّ عَلَىٰ الأوَّل سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، وعلىٰ الثَّاني سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١]، وكذلك دلَّ عَلَىٰ الأوَّل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة:١٣٦]، وعلىٰ الثَّاني: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآية [آل عمران:٦٤]، ولهَذَا كان النَّبيُّ ﷺ يقرأ بهاتين السُّورتين في سُنَّة الفجر، وسُنَّة المغرب، ويقرأ بِهِما في رَكْعتي الطَّواف، ويقرأ بالآيتين في سُنَّة الفجر لتَضمُّنهما التَّوحيد العلميَّ والعمليَّ.

والتَّوحيدُ العلميُّ أساسُهُ إثبات الكمال للرَّبِّ، ومُبَاينته لخلقِهِ، وتنزيهه عن العُيُوب والنَّقائص والتَّمثيل. والتَّوحيدُ العمليُّ تجريد القصد بالحبِّ[1]، والخوف، والرَّجاء، والتَّوكُّل، والإنابة، والاستعانة، والاستغاثة، والعُبُوديَّة بالقلب، واللِّسان، والجوارح لله وحده، ومدارُ ما بعث الله به رُسُله، وأنزل به كُتُبه عَلَىٰ هَذَين التَّوحيدين، وأَقْرب الخلق إِلَىٰ الله تعالىٰ أَقْوَمهم بهما علمًا وعملًا.

ولهَذَا كانت الرُّسُل -صلوات الله وسلامه عليهم- أقرب الخَلْق إِلَىٰ الله تعالىٰ، وأَقْرَبهم إليه وسيلةً أُولُو العزم، وأَقْرَبهم الخليلان، وخَاتمهم سَيِّد ولد

(١) في «الصواعق»: والتوحيد العلمي أساسُهُ تجريد القصد والحب.

آدم أكرمهم عَلَىٰ الله لكمال عُبُوديَّته وتوحيده[١].

فهَذَان الأصلان هما قطب رَحَىٰ الدِّين[٢]، وعليهما مدارُهُ، وبيانهما من أَهمِّ الأُمُور، والله سبحانه بَيَّنهما غايةَ البيان بالطُّرُق العقليَّة، والنَّقليَّة، والفطريَّة، والنَّظريَّة، والأمثال المضروبة[٣]، ونوَّع سبحانه الطُّرق بإثباتهما أكمل التَّنويع، بحيث صارت معرفة القُلُوب الصَّحيحة، والفطر السَّليمة لهما بمَنْزلة رؤية العين المُبْصرة الَّتي لا آفة بها للشَّمس، والقمر، والنُّجُوم، والأرض، والسَّماء، فذلك للبصيرة بمنزلة هَذِهِ للبَصَر، فإِنَّ تَسلُّط التَّأويل عَلَىٰ التَّوحيد الخبريِّ العلميِّ كان تسليطُهُ عَلَىٰ التَّوحيدِ العمليِّ القصديِّ أسهل، وأعمت رسوم التَّوحيد، وأقامت معالم التَّعطيل والشِّرك[٤]، ولهَذَا كان الشِّركُ والتَّعطيل متلازمين، لا ينفكُّ أحدهما عن صاحبه، وإمام المُعطِّلين المشركين فرعون، فهو إمام كلِّ مُعَطلٍ ومُشْركٍ إِلَىٰ يوم القيامة، كما أنَّ إمام المُوحِّدين إبراهيم ومحمد عليهما السَّلام[٥].

---

(١) في «الصواعق»: «لكمال توحيده وعبوديته».

(٢) في «الصواعق»: «قطب رحىٰ القرآن».

(٣) في «الصواعق»: «بالطرق الفطرية، والعقلية، والنظرية، والأمثال المضروبة».

(٤) في «الصواعق»: «وانمحت رسوم التوحيد، وقامت معالم التعطيل والشرك».

(٥) «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٠١-٤٠٣) تحت عنوان: فصل في بيان أنه إن سلط علىٰ آيات التوحيد القولي العملي وأخباره، لزم تسليطُهُ علىٰ آيات التوحيد العملي وأخباره، وفسد التوحيد معرفةً وقصدًا. قلت: ولهذا أكثر من يقع منهم الشرك في توحيد العبادة هم من انحرفوا في باب الأسماء والصفات، كأهل الكلام من أشاعرة ومعتزلة وجهمية وعموم العقلانيين، وممن انحرف أيضـًا في مفهوم كلمة التوحيد وجعلوا معناها: لا خالق إلا الله. فالشرك عندهم هو الشرك في الربوبية.

وقال أيضًا لمَّا ذكر سبب عبادة الأصنام الَّتي صَوَّرها[١]قوم نوح عَلَىٰ صور الصَّالحين: وما زال الشَّيطان يوحي إِلَىٰ عُبَّاد القُبُور ويُلْقي إليهم أنَّ البناء والعكوف من محبَّة أهل القبور من الأنبياء والصَّالحين، وأنَّ الدُّعاء عندها مستجابٌ، ثمَّ ينقلهم من هَذِهِ المرتبة إِلَىٰ الدُّعاء به، والإقسام بِهِ عَلَىٰ الله تَعَالىٰ، فإِنَّ شأن الله أَعْظَم من أن يُقْسَم عليه، أو يسأل بأحدٍ من خلقه[٢]، فإذا تَقرَّر ذلك عندهم نَقَلهم منه إِلَىٰ دعائه وعبادته، وسؤاله الشَّفَاعة، واتِّخاذ قبره وثنًا تعلَّق عليه القناديل والسُّتُور، ويُطَاف به ويُسْتلم، ويُقبَّل ويحجُّ إليه، ويُذْبح عنده، فإذا تَقرَّر ذلك عندهم، نَقَلهم منه إِلَىٰ دعاء النَّاس إِلَىٰ عبادته، واتِّخاذه عيدًا ومنسكًا، ورأوا أنَّ ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم، وكلُّ هَذَا قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنَّه مضادٌّ لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التَّوحيد، وألَّا يعبد إلَّا الله، فإذا تقرَّر ذلك عندهم، نقلهم منه إِلَىٰ أنَّ مَنْ نهىٰ عن ذلك فقد تَنقَّص أهل الرُّتب العالية، وحَطَّهم عن منزلتهم، وزعم أنَّه لا حُرْمة لهم، ولا قدر، وغضب المشركون، واشمأزت قُلُوبهم كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ

---

(١) روىٰ البخاري (ح/ ٤٢٧)، ومسلم (ح/ ٥٢٧) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ، فقال: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**». قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل. انظر كتاب التوحيد باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده.

(٢) انظر في كتاب التوحيد لشيخ الإسلام، باب ما جاء في الإقسام علىٰ الله، وباب: لا يستشفع بالله علىٰ خلقه، وشرحهما من «فتح المجيد» للشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمهم الله.

ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر:٤٥]، وسَرَىٰ ذلك في نُفُوس كثيرٍ من الجهال والطُّغاة، وكثيرٍ ممَّن ينتسب إِلَىٰ العلم والدِّين، حتَّىٰ عَادَوْا أهل التَّوحيد، ورَمَوهم بالعظائم، ونَفَّروا النَّاس عنهم، ووالوا أَهْل الشِّرك وعَظَّموهم، وزَعَموا أنَّهم أولياء الله وأنصار دينِهِ ورسولِهِ، ويَأْبىٰ الله ذلك: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤].اهـ. كلامه.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾(١)[الحج:٧٣، ٧٤].

---

(١) يقول ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآيات: «يقول تعالىٰ مُنبِّهًا علىٰ حقارة الأصنام، وسخافة عقول عابديها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ﴾ أي: لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به، ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ أي: أنصتوا وتفهموا، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾، أي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد علىٰ أن يقدروا علىٰ خلق ذباب واحد ما قدروا علىٰ ذلك.. كما قال الإمام أحمد.

حدثنا أسود بن عامر، حدثنا شَرِيك، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زُرْعة، عن أبي هريرة -رفع الحديث- قال: «**ومَنْ أظلم ممَّنْ خلق كخلقي؟ فليخلقوا مثل خلقي ذَرَّة، أو ذبابة، أو حَبَّة**».

وأخرجه صاحبا الصحيح، من طريق عُمَارة، عن أبي زُرْعةَ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرَّة، فليخلقوا شعيرة**».

ثم قال تعالىٰ أيضًا: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ أي: هم عاجزون عن خَلْق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه، لو سلبها شيئًا من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت علىٰ ذلك. هذا والذباب من أضعف =

فتَأَمَّل هَذَا المثل الَّذي أمر النَّاس كلَّهم باستماعه، فمَنْ لَمْ يسمعه فقَدْ عصىٰ أمره، كيف تضمن إبطال الشِّرك وأسبابه بأَصحِّ برهانٍ في أوجز عبارةٍ، وأحسنها، وأحلاها، وسَجَّل عَلَىٰ جميع آلهة المشركين أنَّهم لو اجتمعوا كلُّهم في صعيدٍ واحدٍ وساعد بعضهم بعضًا، وعاونه بأبلغ المعاونة، لعجزوا عن خَلْق ذبابٍ واحدٍ، ثمَّ بَيَّنَ ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذُّباب إيَّاه، فأيُّ إلهٍ أضعف من هَذَا الإله المطلوب ومن عابدِهِ الطَّالب؟ فهل قدر القوي العزيز حقَّ قدره من أشرك معه آلهة هَذَا شأنها؟ فأَقامَ سُبْحَانه حُجَّة التَّوحيد، وبَيَّنَ إفكَ أهل الشِّرك والإلحاد بأَعْذَب الألفاظ وأحسنها، لَمْ يعترها غموضٌ، ولم يَشُبها تطويلٌ، ولم يَعِبْها تعقيدٌ، ولم يزدرها زيادةٌ ولا تنقيصٌ، بل بلغت في الحُسْن والفَصَاحة والإيجاز ما لا يتوهَّم متوهمٌ، ولا يظن ظانٌّ أن يكون أبلغ في معناها منها، وتحتها من المعنىٰ الجليل العظيم الشَّريف البالغ في النَّفع ما هو أجلُّ الألفاظ. انتهىٰ(١).

=

مخلوقات الله وأحقرها، ولهذا [قال: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج:٧٣]].
قال ابن عباس: الطالب: الصنم. والمطلوب: الذباب. واختاره ابن جرير، وهو ظاهر السياق. وقال السدي وغيره: الطالب: العابد. والمطلوب: الصنم». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٢٤).
(١) «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٦٦، ٤٦٧).

الرسالة العاشرة[(١)]
«رسالة في أصول فرق المبتدعة من الجهمية والرافضة والمعتزلة»

وسئل الشَّيخ: عبد الرَّحمن بن حسن عن الجهميَّة، والرَّافضة، والمعتزلة[(٢)].

فأجاب: لا ريب أنَّ هَذِهِ الفِرَق الثَّلاث، هي أصلُ ضلال مَنْ ضلَّ من هَذِهِ الأُمَّة، فأصل الرَّافضة خرجوا في خلافة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ، فلمَّا اطَّلع عَلَىٰ سوء مُعْتقدهم، خدَّ الأخاديدَ، وجعل فيها الحطبَ، وأَضْرمها بالنَّار، فقذفهم فيها[(٣)].

---

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (١/ ٣٤٤-٣٤٧)، و«الدرر السنية» (٣/ ٢٠٨-٢١٢).

(٢) تقدم التعريف بهذه الفرق في الرسالة الأولىٰ والخامسة.

(٣) روىٰ البخاري في «صحيحه» في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة، واستتابتهم، بسنده عن عكرمة قال: أُتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنتُ أنا؛ لم أحرقهم؛ لنهي النبي ﷺ: «**لا تعذبوا بعذاب الله**»، ولقتلتهم؛ لقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ بدل دينه فاقتلوه**»، (ح/ ٦٩٢٢). قال ابن حجر رحمه الله: وزعم أبو مظفر الإسفراييني في «الملل والنحل» أن الذين أحرقهم عليٌّ طائفة من الروافض ادَّعوا فيه الإلهية، وهم السبائية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهوديًّا، ثم أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصلُهُ ما رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه، قال: قيل لعليٍّ: إن هنا قومًا علىٰ باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم، فقال لهم: ويلكم! ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا. فقال: ويلكم! =

وهم الَّذين أَحْدَثوا الشِّرك في صدر هَذِهِ الأُمَّة، بنوا عَلَىٰ القبور، وعَمَّت بهم البلوىٰ، ولهم قواعد سوء يطول ذِكْرها، وأمَّا المعتزلة فأَوَّلهم: نُفَاة القدر[1]، جحدوا أصلًا من أُصُول الإيمان الَّذي في سؤال جبريل للنَّبيِّ، قال: فأخبرني عن

=

إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعتُ الله أثابني إن شاء، وإن عصيتُهُ خشيتُ أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا، فلما كان الغد، غَدَوا عليه، فجاء قنبر، فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم! فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنَّكم بأخبث قتلةٍ، فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر، ائتني بفَعَلةٍ معهم مرورهم، فخَدَّ لهم أُخْدودًا، وقال: إنِّي طارحكم فيها، أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها حتىٰ إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيــــت أمــــرًا منكــــرًا ... أوقــدت نــاري ودعــوتُ قُنْبــرَا

وهذا سند حسن. «فتح الباري» (١٢/ ٢٧٠).

وهذا الأثر الذي ذكره ابن حجر أورده أبو طاهر المخلص في الجزء الثالث من «الفوائد المنتقاة» (١/ ٣٣٥). وأَثْبَتَ تحريقَ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهؤلاء الزنادقة الروافض الإمامُ الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: فإن قال قائل: فقد رويت عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «فاقتلوهم فإنهم مشركون»، فهل قتلهم عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو أحدٌ من بعده؟ قيل: نعم، قد حَرَّقهم عليٌّ بالنار، وخَدَّ لهم أُخْدودًا في الأرض، ونفىٰ قومًا، وحَذَّر قومًا، وأنذرَ وخَوَّف، وما قَصَّر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرئَ مِمَّنْ تبرَّأ من أبي بكرٍ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم ذكر بسنده تلك القصة. «الشريعة» للآجري (ص٨١٣، ٨١٤).

(١) حيث كان ظُهُورهم في آخر عهد الصحابة في البصرة، كما جاء في «صحيح مسلم» من حديث يحيىٰ بن يعمر، قال: كان أول مَنْ قال في القدر بالبصرة معبد الجهني -إلىٰ أن قال- فوفق لنا عبد الله بن عمر، وفيه أنهم قالوا: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أَنْ لا قدرَ، وأن الأمر أنف... الحديث (ح/ ١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن تاريخ ظهور القدرية: «ثم في أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية في آخر عصر ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأمثالهم من الصحابة». «الفتاوىٰ» (٢٠/ ٣٠١، ٣٠٢).

الإِيمان؟، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه**»(١)، وأَنْكَر الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ما أَحْدَثوا من هَذِهِ البدعة(٢)، ولهم عقائد سوء، يقولون بتخليد أَهْل المعاصي في النَّار، ونَفَوْا صفات الرَّبِّ تعالىٰ، ووَافَقوا الجهميَّة(٣).

فخرج أَوَّلهم في عصر التَّابعين؛ وأوَّلهم: الجعد بن درهم(٤)، أنكر الصِّفات،

(١) تقدم تخريجه في الرسالة الأولىٰ.
(٢) كعمران بن حصين، وأُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين. وقد ذكر ذلك الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في «الشريعة» في باب الرد علىٰ القدرية. ثم قال: وقد ذكرنا عن جماعةٍ من الصحابة ما حضرنا ذكره بمكة من الرد علىٰ القدرية علىٰ ما يوافق الكتاب والسُّنَّة. «الشريعة» (ص١٩٧).
(٣) فالاعتزال في حقيقته يحمل خليطًا من الآراء الباطلة التي كانت موجودةً في ذلك العصر، فقَدْ جمع المعتزلة بين أفكار الجهمية، والقدرية، والخوارج، والرافضة. انظر تفصيل ذلك في كتاب «مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات» للتميمي (ص٨٦-٨٨).
(٤) الجعد بن درهم، عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أنَّ الله لم يتَّخذ إبراهيم خليلًا، ولم يُكلِّم موسىٰ، فقتل علىٰ ذلك بالعراق يوم النحر، وذلك سنة ١٢٤هـ بالكوفة. قال الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلم يزل رسول الله ﷺ يدعو الناس إلىٰ الله، وإلىٰ كتابه وكلامه سرًّا وجهرًا، محتملًا لما نَالَه من أذاهم، صابرًا عليه، حتىٰ أظهره الله وأعزَّه، وأنزل عليه نصره، فضرب وجوه العرب والعجم بالسُّيوف، حتىٰ ذلوا ودانوا، ودخلوا الإسلام طوعًا وكرهًا، واستقاموا حياته وبعد وفاته، لا يجترئ كافر ولا منافق متعوذ بالإسلام أن يُظْهر ما في نفسه من الكفر وإنكار النبوة، فَرَقًا من السيف، وتَخوُّفًا من الافتضاح، بل كانوا يَتقلَّبون مع المسلمين بغمٍّ، ويعيشون فيهم علىٰ رغمٍ، دهرًا من الدهر، وزمانًا من الزمان. وكان أول من أظهر شيئًا منه بعد كفار قريش: الجعد بن درهم بالبصرة، وجهم بخراسان، اقتداءً بكفار قريش، فقتلَ اللهُ جهمًا شرَّ قتلةٍ. وأما الجعد فأخذه خالد بن عبد الله القسري، فذَبَحه ذبحًا بواسط في يوم الأضحىٰ، علىٰ رؤوس من شهد العيد معه مِنَ المسلمين، لا يعيبُهُ به عائبٌ، ولا يطعن عليه طاعنٌ، بل استحسنوا ذلك من فعله، =

=

وصَوَّبوه من رأيه، والقصة مشهورة».

ثمَّ ذكر بسنده إلىٰ حبيب بن أبي حبيب قال: «خطبنا خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم الأضحىٰ، فقال: أيها الناس، ارجعوا فضحوا، تَقبَّل الله منا ومنكم، فإنِّي مضحٍّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يُكلِّم موسىٰ تكليمًا، وتعالىٰ الله عما يقول الجعد بن درهم علوًّا كبيرًا»، ثم نزل فذبحه. «الرد علىٰ الجهمية» (ص١٦، ١٧).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: «وكان أول مَنْ أحدث هذا في الإسلام الجعد بن درهم في أوائل المئة الثانية، فضحىٰ به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط). «التحفة العراقية» (ص٦٨).

وهذه القصة رَوَاها أيضًا البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص١٢)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (ص١٦)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٧٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٥)، وهي قصة مشهورة كما قال الذهبي، ولهذا أَوْرَدها كثيرٌ من أهل العلم قديمًا وحديثًا في مصنفاتهم، يقول ابن القيم في «نونيته»:

ولأَجْـل ذَا ضــحَّىٰ بجَعْـد خالـد الـ ـقســري يــوم ذبـائح القــربانِ

إذ قــال إبـراهيـم ليــس كــلًّا ولا موســىٰ الكلــيم الــدانِي

شـكر الـضَّحية كـلُّ صـاحب سُـنَّة لله دَرُّك مــن أخــي قــربانِ

ورواه أيضا الذهبي في «العلو» من طريقين؛ أحدهما: طريق الأئمة المتقدمين، والآخر من كتاب «الرد علىٰ الجهمية» لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ولأجل هذا قال الألباني بعد أن تكلَّم علىٰ الطريق الأول، قال: لكنه يَتقوَّىٰ بالذي بعده، فإنَّ إسناده خيرٌ منه، ولعلَّه لذلك جزمَ العلماء بهذه القصة. «مختصر العلو» للألباني (ص١٣٣، ١٣٤) وانظر كتابه أيضـًا ميزان الاعتدال (١/ ٣٩٩).

فائدة: كتاب الرد علىٰ الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي من الكتب المعتمدة عند السلف في توضيح معتقد أهل السُّنَّة، والرد علىٰ الجهميَّة. يقول الإمام ابن القيم: «وكتاباه (أي: الرد علىٰ الجهميَّة، والنقض علىٰ بشر المريسي) من أجلِّ الكُتُب المصنَّفة في السُّنَّة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سُنَّة مراده الوُقُوف علىٰ ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يوصي بهذين الكتابين أشدَّ الوصية، ويعظمهما جدًّا، وفيهما =

وزَعَم أنَّ الله لم يَتَّخذ إبراهيم خليلًا، ولم يُكلِّم موسىٰ تكليمًا، فضَحَّىٰ به خالد بن عبد الله القسري، أمير واسط، يوم الأضحىٰ، وظَهَر بعده جهم بن صفوان(١) الَّذي تنسب إليه الجهميَّة، وهَذَا المذهب الخبيث، وانتشرت مقالتُهُ في خلافة بني العَبَّاس في خلافة المأمون بن الرَّشيد(٢)، فعَطَّلوا الصِّفات، ونَفَوا الحكمة، وقالوا بالجبر(٣).

=

من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما». «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٩٠).

(١) تقدم التعريف به في الرسالة الأولىٰ.

(٢) الخليفة العباسي، أبو العباس المأمون عبد الله بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠هـ، تولىٰ الخلافة بعد أخيه الأمين، حيث جرت بينهما أمورٌ وخطوبٌ وبلاءٌ وحروبٌ تشيب النواصي إلىٰ أن قتل الأمين، وبايع الناس المأمون سنة ١٩٨هـ. كان محبًّا للعلم إلا أنه تَسبَّب في إفساد عقائد المسلمين لما أمر بترجمة كُتُب اليونان.

يقول حاجي الخليفة: وقد شنَّع العلماء علىٰ من عربها وأدخلها في علوم الإسلام (أي: الكُتُب الرُّومية واليونانية)، ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه كان يقول: ما أظنُّ الله تعالىٰ يَغْفل عن المأمون العباسي، ولا بدَّ أن يعاقبه بما أدخل علىٰ هذه الأمة. امتحن الناس والعلماء في عام ٢١٨هـ ببدعة القول بخلق القرآن، ودعا إلىٰ ذلك، وشدد عليهم، وحبس مَنْ حبس، وعاقب مَنْ عاقب ممَّن لم يقبل برأيه حتىٰ أهلكه الله في العام نفسه. انظر «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٧٢-٢٩٠)، «لوامع الأنوار» للسفاريني (١/ ٩).

(٣) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأول مَنْ ظهر عنه إنكار ذلك هو الجهم بن صفوان، فحكي عنهم أنهم قالوا: إن العبد مجبور، وأنه لا فعل له أصلًا، وليس بقادر أصلًا» إلىٰ أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان هو وأتباعه ينكرون أن يكون لله حكمة في خلقه وأمره». «الفتاوىٰ» (٨/ ٤٦٠).

ويقول الشيخ صالح الفوزان في شرح «الواسطية» عند قول ابن تيمية عن الجبرية: «ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها». قال: جمع حكمة ومصلحة، أي أن الجبرية في مذهبهم هذا حينما نفوا أفعال العباد، وسلبوهم القدرة والاختيار، نفوا حكمة الله في أمره ونهيه، =

فهَذِهِ الطَّوائف الثَّلاث هم أصل الشَّرِّ في هَذِهِ الأُمَّة، وصارت فتنة الجهميَّة أكثر انتشارًا ودَخَل فيها من يَدَّعي أنَّه عَلَىٰ السُّنَّة، وليس كذلك، فخالف الكتاب والسُّنَّة، وسَلَف الأُمَّة وأَئمَّتها، وعمَّ ضَرَرهم، فجحدوا الصِّفات، وتوحيد الإِلَهيَّة، الَّذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه.

فهُمْ خُصُوم أهل التَّوحيد والسُّنَّة إِلَىٰ اليوم، فإيَّاكم أن تغترُّوا بمَنْ هَذِهِ حاله(١)، ولو كان له صورةٌ ودعوىٰ في العلم، ممَّن امتلأ قلبه من فَرَث التَّعطيل، وحَالَ بينه وبين فَهْم الأدلَّة الصَّحيحة الصَّريحة شبهاتُ التَّأويل .

قال الإِمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أكثر ما يُخْطئ النَّاس من جهة التَّأويل والقياس(٢)،

=

وثوابه وعقابه، فقالوا: إنه يثيب أو يعاقب العباد علىٰ ما ليس من فعلهم، ويأمرهم بما لا يقدرون عليه، فاتهموا الله بالظلم والعبث، تعالىٰ الله عَمَّا يقولون علوًّا كبيرًا». «شرح الواسطية» (ص٢٣٢).

(١) وهذا التوجيه والتقعيد من الإمام عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو ما كان عليه السلف، فإن السلف ما كانوا يغترُّون بزهد الرجل وجهاده، وتقفره للعلم والمسائل ما لم يكن علىٰ الطريقة النبوية، وسبيل الفرقة الناجية السلفية، ومن ذلك ما رواه مسلم من حديث يحيىٰ بن يعمر، وفي أنه قال لابن عمر: أبا عبدالرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، ويزعمون أَنْ لا قدر، وأن الأمر أنفٌ. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم برآءٌ مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر، لو أنَّ لأحدهم مثل أُحُد ذهبًا فأنفقه، ما قبل اللهُ منه حتىٰ يؤمن بالقدر...». الحديث (ح/١).

(٢) التأويل المراد به تحريف النصوص من المعاني الصحيحة الظاهرة إلىٰ معانٍ باطلةٍ، والقياس المراد به القياس الفاسد، وهو أَخْذ الأحكام الشرعية عن طريق القياس العقلي، وترك الاستدلال من النقل، وكذلك القياس في مسائل الاعتقاد والغيب، وهذا الذي حَذَّر منه السلف. **يقول الإمام البربهاري**: «ما كانت قط زندقة، ولا بدعة، ولا هوىٰ، ولا ضلالة إلا من الكلام، =

فصَنَّف المُتأخِّرون من هؤلاء عَلَىٰ مَذْهبهم الفاسد مُصنَّفاتٍ، كالأرجوزة الَّتي يُسمُّونها: جوهرة التَّوحيد[1] وهي إلحادٌ وتعطيلٌ، لا يجوز النَّظر إليها، ولهم

=

والجدال، والمراء، والقياس، وهي أبواب البدع والشكوك والزندقة». «شرح السُّنَّة» للبربهاري (ص١٢٧).

وأثر الإمام أحمد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «والقياس الفاسد لا ينضبط كما قال الإمام أحمد: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس، فالتأويل في الأدلة السمعية، والقياس في الأدلة العقلية». «الفتاوىٰ» (٣/ ٦٣).

وقال أيضًا: «ومَنْ كان له معرفة بكلام الناس في العقليات، رأىٰ عامة ضلال من ضلَّ من الفلاسفة والمتكلمين بمثل هذه الأقيسة التي يُسوَّىٰ فيها بين الشيئين لاشتراكهما في بعض الأُمُور، مع أنَّ بينهما من الفرق ما يوجب أعظم المخالفة، واعتبر هذا بكلامهم في وجود الرَّبِّ، ووجود المخلوقات، فإنَّ فيه من الاضطراب ما قَدْ بسطناه في غير هذا الموضع». «الفتاوىٰ» (٢/ ٥٤٢).

وقال ابن القيم: «وكل بدعة ومقالة فاسدة في أديان الرسل، فأصلها من القياس الفاسد، فما أنكرت الجهمية صفاتِ الرَّبِّ، وأفعالَه، وعُلُوَّه علىٰ خلقِهِ، واستواءه علىٰ عرشه، وكلامه، وتكليمه لعباده، ورؤيته في الدار الآخرة إلا من القياس الفاسد، وما أنكرت القدرية عموم قدرته ومشيئته، وجعلت في ملكه ما لا يشاء، وأنه يشاء ما لا يكون إلا بالقياس الفاسد، وما ضلت الرافضة، وعَادَوْا خيار الخلق، وكفروا أصحاب محمد ﷺ وَسبُّوهم إلا بالقياس الفاسد، وما أنكرت الزنادقة والدهرية معاد الأجسام، وانشقاق السماوات، وطي الدنيا، وقالت بقِدَم العالم إلا بالقياس الفاسد، وهو الذي جرَّ علىٰ آدم وذُريَّته من صاحب هذا القياس، وهذه حكمةٌ لا يَدْريها إلا مَنْ له اطلاعٌ علىٰ الواجب والواقع، وله فقه في الشرع والقدر». «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٧).

(١) هي منظومة في عقيدة الأشاعرة صنفها إبراهيم بن حسن اللقاني (ت/ ١٠٤١). ولها عدة شروح، منها: «تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد» لإبراهيم بن محمد البيجوري. وممن نظمها عثمان بن سند الوائلي البصري. وهذا من دلائل انحرافه عن عقيدة أهل السُّنَّة، ومَيْله لعقيدة الأشاعرة، وستأتي ترجمتُهُ في الرسالة الثالثة عشرة، وبيان الشيخ عبد الرحمن بن حسن لحاله وعقيدته.

مصنفاتٌ أُخَر نَفَوا فيها عُلوَّ الرَّبِّ تعالىٰ، وأكثر صفات كماله نَفَوها، ونفوا حكمة الرَّبِّ تعالىٰ.

والكتاب والسُّنَّة: يردُّ بدعتهم، ويبطل مقالتهم، فإنَّ الله تعالىٰ أثبتَ استواءه عَلَىٰ عرشه في سَبْعة مواضع من كتابِهِ(١)، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩]، وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] إِلَىٰ غير ذلك من أدلَّة الصِّفات الصَّريحة في الكتاب والسُّنَّة، ولا تَتَّسع هَذِهِ الرِّسالة لذكرها. وهَذِهِ الطَّائفة(٢) الَّتي تنتسب إِلَىٰ أبي الحسن الأشعريِّ(٣)، وَصَفوا ربَّ العالمين بصفات المعدوم والجماد، فلقد أعظموا الفِرْيَة عَلَىٰ الله، وخالفوا أهل الحقِّ من السَّلف والأئمَّة وأتباعهم، وخَالَفوا مَنْ ينتسبون إليه، فإنَّ أبا الحسن الأشعريَّ صرَّح في كتابه «الإبانة»، والمقالات(٤)، بإثبات الصِّفات. فهَذِهِ الطَّائفة المنحرفة عن الحقِّ قد تَجرَّدت شياطينهم لصدِّ

(١) وذلك في الآيات التالية: الأعراف (٥٤)، يونس (٣)، الرعد (٢)، طه (٥)، الفرقان (٥٩)، السجدة (٤)، الحديد (٤).

(٢) أي: الأشاعرة، وقد تقدم التعريف بها في الرسالة الخامسة.

(٣) تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة.

(٤) وفي هذين الكتابين يَتَّضح رجوع أبي الحسن الأشعري إلىٰ مذهب أهل السُّنَّة، وقال بذلك كثيرٌ من العلماء؛ كابن خلكان الشافعي، وابن كثير، والذهبي، والسبكي، وابن القَيِّم، وغيرهم. ومِنَ المُعَاصرين الشيخ ابن باز، والشيخ حماد الأنصاري. انظر رسالة الشيخ حماد الأنصاري في إثبات رجوع أبي الحسن الأشعري، والمطبوعة في مقدمة «الإبانة عن أصول الديانة» (ص٧-٣٧).

النَّاس عن سبيل الله، فجحدوا توحيد الله في الإلهيَّة، وأجازوا الشِّرك[١] الَّذي لا يغفرُهُ الله، فجَوَّزوا أن يعبد غيره من دونه، وجَحَدوا توحيدَ صفاتِهِ بالتَّعطيل[٢].

فالأئمَّة من أَهْل السُّنَّة وأتباعهم لهم المُصنَّفات المعروفة[٣] في الرَّدِّ عَلَىٰ هَذِهِ الطَّائفة الكافرة المعاندة[٤]، كشفوا فيها كلَّ شبهةٍ لهم، وبَيَّنوا فيها الحقَّ الَّذي دلَّ عليه كتاب الله وسُنَّة رسوله، وما عليه سلف الأُمَّة وأئمَّتها من كلِّ إمامٍ روايةً ودرايةً.

ومَنْ له نهمة في طلب الأدلَّة عَلَىٰ الحقِّ، ففي كتاب الله وسُنَّة رسوله ما يكفي ويشفي، وهما سلاح كلِّ مُوحِّدٍ ومثبتٍ، لكن كتب أَهْل السُّنَّة تزيد الرَّاغب وتُعينُهُ عَلَىٰ الفهم، وعندكم من مُصنَّفات شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ ما يكفي مع التَّأمُّل، فيجب عليكم هجر أهل البدع، والإنكار عليهم.

وأمَّا الأفغانيَّة الَّذين جاؤونا ووَصَلوا إِلَىٰ جهتكم، فهم أَهْل تشديدٍ وغلوٍّ،

(١) وذلك لأن الشرك في مفهوم المتكلمين هو الشرك في الربوبية، أن تعتقد فاعلًا مع الله، ومفهوم الإله والألوهية القادر علىٰ الاختراع، فمفهوم «لا إله إلا الله» عندهم: لا خالق إلا الله، وهذا الانحراف والتَّخبُّط في مفهوم الشرك ومفهوم الألوهية أَوْقَعهم في هذا التخبط حتىٰ أوصلهم إلىٰ الشرك.

(٢) سيأتي كلامٌ آخر للمؤلف عن الأشاعرة وما عندهم من مخالفات، وحكم تعيين إمام مسجد من الأشاعرة، وذلك في الرسالة الحادية والأربعين.

(٣) تقدم ذكر شيءٍ من هذه المصنفات في الرسالة الأولىٰ.

(٤) أي: طائفة الجهمية، ومَنْ سلك طريقهم من الأشاعرة المتأخرين، والذين غَلَوا في إنكار الصفات وتعطيلها، وغَلَوا في الشرك والتصوف، والاعتقاد بالأولياء. وأما الأشاعرة الذين هم علىٰ طريق الأشعري في مرحلته الثانية، فهم مبتدعة لا كفار، وهذا الذي عليه علماء أهل السُّنَّة، منهم المؤلف كما في الرسالة الحادية والأربعين.

مع جهلٍ كثيفٍ، أشبهوا الخوارجَ الَّذين كَفَّروا أصحابَ رسول الله ﷺ، وقَدْ أخبر النَّبيُّ ﷺ بمُرُوقهم، وأَمَر أصحابه بقتلهم، ولهم عبادةٌ وزهدٌ[١] لكنهم أخطؤوا في فَهْم الكتاب والسُّنَّة، وَاسْتَغنوا بجهلهم عن أن يأخذوا العلمَ من أصحاب رسول الله ﷺ، كما قال العَلَّامة ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهم نصوص قصروا في فهمها ... فأتوا من التَّقصير في العرفان[٢]

وقَدْ ناظر ابن عباس[٣] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أهل النَّهروان، فرجع بعضهم إِلَىٰ الحقِّ، واستمرَّ بعضهم عَلَىٰ الباطل[٤]، حتَّىٰ قتلهم عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالنَّهروان، وفيهما المُخدَّج الَّذي أخبر به النَّبيُّ ﷺ[٥]، فإذا كانت هَذِهِ الطَّائفة قد خرجت في عهد

(١) كما روىٰ مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ من ضئضئ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»، وجاء في روايةٍ أخرىٰ له: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم**» (ح/ ١٠٦٤).

(٢) ذكره ابن القيم في «نونيته» (ص١٣٨).

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عمِّ رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له الرسول بالفهم في القرآن، فكان يُسمَّىٰ: البحر؛ لسعة علمه، وهو أحد المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. توفي سنة ٦٨هـ بالطائف. انظر «التقريب».

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٥٠)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه. ورواه أحمد في «مسنده» (١/ ٨٦)، والصنعاني في «المصنف» (١٠/ ١٥٧)، والأصبهاني في «حلية الأولياء» (١/ ٣١٨)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وقال: رواه الطبراني وأحمد ببعضه، ورجالهما رجال الصحيح (٦/ ٢٤٤).

(٥) رواه مسلم في «صحيحه» (ح/ ١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديث التحريض علىٰ قتال الخوارج.

الخُلَفاء الرَّاشدين، فلا بدَّ أن يكون لهم أشباهٌ في هَذِهِ الأُمَّة(١) فاحذروهم. وتَأمَّل قَوْله تَعَالىٰ(٢) في حقِّ سادات الأُمَّة أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾ [الحجرات:٧، ٨]، فليس العجب مِمَّنْ هَلَك كيف هلك، إنَّما العجب مِمَّنْ نجا كيف نجا، والله أعلم.

---

(١) قد أخبر النبي ﷺ عن استمرارية ظهور الخوارج حتىٰ يخرج آخرهم مع الدجال، يقاتلون المسلمين معه، كما رواه ابن ماجه في «سننه» عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع**». قال ابن عمر: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كلما خرج قرن قطع** -أكثر من عشر مرات- **حتىٰ يخرج في عراضهم الدجال**» (ح/ ١٧٤). حَسَّنه الألباني في «صحيح ابن ماجه»، وأورده في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٥٨٢) برقم (٢٤٥٥).

(٢) يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها: «أي: ليكن لديكم معلومًا أنَّ رسول الله ﷺ بين أظهركم، وهو الرسول الكريم البار الراشد الذي يريد بكم الخير، وينصح لكم، وتريدون لأنفسكم من الشرِّ والمضرَّة ما لا يوافقكم الرسول عليه، ولو يطيعكم في كثيرٍ من الأمر لشقَّ عليكم وأعنتكم، ولكن الرَّسول يرشدكم، والله تعالىٰ يُحبِّب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم بما أودع الله في قلوبكم من محبَّة الحق وإيثاره، وبما ينصب علىٰ الحق من الشواهد والأدلَّة الدالَّة علىٰ صحته، وقبول القُلُوب والفِطَرِ له، وبما يفعلُهُ تعالىٰ بكم، من توفيقِهِ للإنابة إليه، ويُكرِّه إليكم الكفرَ والفسوقَ، أي: الذنوب الكبار. والعصيان: هي ما دون ذلك من الذنوب بما أودع في قلوبكم من كراهة الشَّرِّ، وعدم إرادة فعله، وبما نصبه من الأدلة والشواهد علىٰ فساده، وعدم قبول الفطر له، وبما يَجْعَله الله من الكراهة في القلوب له». «تفسير السعدي» (ص٨٠٠).

الرسالة الحادية عشرة[1]

«تعليق علَى قَوْله تعَالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾»

سئل الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن -رحمه الله تعالىٰ- عن معنىٰ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨، ١١٩]، قال أبو البقاء[2]: الاستثناء من ضمير الفاعل في: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ [هود:١١٨]، وهو الواو، وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٩]، أي: للرَّحمة، فاسمُ الإشارة راجعٌ إِلَىٰ الرَّحمة؛ لأنَّه أقربُ مذكورٍ، قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ أي: للرَّحمة ﴿خَلَقَهُمْ﴾.

قلت: وهَذَا الَّذي عليه أكثر المُفسِّرين؛ قال ابن جرير ما معناه: اسم الإشارة راجعٌ للاختلاف، أي: مُخْتَلفين[3]، وهو ضعيفٌ عند المُحقِّقين من المُفسِّرين،

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٣/ ٢٢٩-٢٣٣).

(٢) الشيخ الإمام العلامة النحوي البارع محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ثم البغدادي، الأزجي، الضرير، النحوي، الحنبلي، الفرضي، صاحب التصانيف. ولد سنة ٥٣٨هـ. كان ثقةً، متدينًا، حسن الأخلاق، متواضعًا، له تصانيف عدة، منها: «تفسيرالقرآن»، وكتاب «إعراب القرآن»، وله «شرح الحماسة»، و«شرح المقامات»، وغيرها. توفي سنة ٦١٦هـ. «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٩١-٩٣).

(٣) «تفسير ابن جرير» (١٢/ ١٧٧).

كشيخ الإسلام ابن تيمية، وأبي البقاء وغيرهما.

وروي عن طاوس[١]: «أنَّ رجلين اختصما إليه، فأكثروا، فقال طاوس: اختلفتما وأكثرتما، فقال أحد الرَّجلين: لذلك خلقنا، فقال طاوس: كذبت، أليس يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨، ١١٩]، قال: لَمْ يخلقهم ليختلفوا، ولكن خَلَقهم للجماعة والرَّحمة»، وقال ابن عبَّاس: «للرَّحمة خلقهم، ولم يخلقهم للعذاب»، وكذا قال مجاهد، والضَّحَّاك، وقتادة[٢].

وعلىٰ هَذَا الإشكال، فيكون كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]، قال العماد ابن كثير[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويدلُّ عَلَىٰ ذلك قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ [النساء:٢٧].

وأمَّا قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]،

(١) هو طاووس بن كيسان، الفقيه، القدوة، عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي اليمني الجندي الحافظ. ولد في دولة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أو قبل ذلك، سمع من زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، وزيد بن أرقم، وابن عباس، ولازم ابن عباس مدةً، وهو معدودٌ في كبراء أصحابه. روىٰ عنه عطاء، ومجاهد، وابنه عبد الله، وابن شهاب، وغيرهم. قال عنه ابن معين وأبو زرعة: طاووس ثقة. وقال ابن حبان: كان من عُبَّاد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، مستجاب الدعوة، حج أربعين عامًا. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٠٦هـ. «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٨-٤٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٢٧، ٦٢٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (ص١٧٦٨).

فاللَّام للتَّعليل بلا ريبٍ، وهو قول أهل السُّنَّة والجماعة قديمًا وحديثًا(١)، فدلَّت الآية عَلَىٰ أنَّ حكمة الرَّبِّ في خلقه الثَّقلين ليعبدوه وحده.

فإنَّه ربُّهم وخالقهم ومليكهم، وهم تحت قهره وقدرته، وهو المنعم عليهم

(١) **قال الطبري بعد أن نقل تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا للآية بقوله:** «إلا ليقروا بالعبودية طوعًا وكرهًا، قال: وأَوْلىٰ القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، وهو: ما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا». (١٣) الجزء (٢٧/ ١٧، ١٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اللام لبيان الجملة الشرعية، المتعلقة بالإرادة الشرعية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء:٢٦] الآية». «الفتاوىٰ» (٤/ ٢٣٦).

وقال ابن كثير في تفسير الآية: «أي: إنما خلقتهم لأمرهم بعبادتِي، لا لاحتياجي إليهم». «التفسير» (ص١٧٦٨).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد» (ص٢٦): «ومعنىٰ الآية: أن الله تعالىٰ أخبر أنه ما خلق الجنَّ والإنس إلا لعبادته، فهذا هو الحكمة في خلقهم. قلت: وهو الحكمة الشرعية الدينية» إلىٰ أن قال: «ويدل علىٰ هذا قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة:٣٦].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يؤمر ولا ينهىٰ. وقال في القرآن في غير موضع: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١]، فقد أمرهم بما خلقوا له، وأرسل الرسل بذلك، وهذا المعنىٰ هو الذي قصد بالآية قطعًا، وهو الذي يفهمه جماهير المسلمين، ويحتجون بالآية عليه».

وقال الشَّيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «واللام في قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ للتعليل، وهذا التعليل بيان الحكمة من الخَلْق، وليس التعليل الملازم للمعلول، إذ لو كان كذلك للزم أن يكون الخلق كلهم عبادًا لله يَتعبَّدون له، وليس الأمر كذلك، فهذه العلة غائيَّة، وليست موجبةً، فالعلة الغائية لبيان الغاية والمقصود من هذا الفعل، لكنها قد تقع، وقَدْ لا تقع. مثال: بريت القلم لأكتبَ به، فقد تكتب، وقد لا تكتب. والعلة الموجبة معناها: أن المعلول مبني عليها، فلا بد أن تقع، وتكون سابقة للمعلول، وملازمة له. مثال: انكسر الزجاج لشدة الحر». «القول المفيد» (١/ ٢٥).

وحده، فوَجَب لذلك وغيره من صفات الله وعظمته أن يكون هو مَعْبودهم وحده دون كلِّ ما سواه، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل:١٧]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ إِلَىٰ آخر الآيات [البقرة:٢١-٢٤].

والمراد بالحكمة في هَذِهِ الآية: الدِّينيَّة الشَّرعيَّة؛ لكن من النَّاس مَنْ وَافَق هَذِهِ الحكمة بإرادتِهِ وعلمِهِ وعملِهِ، ومنهم مَنْ خرج عنها لعدم قبوله لما أراده الله به، وذلك بقضاء الرَّبِّ وقدره، لعلمه السَّابق في خلقه؛ لأنَّه تعالىٰ يعلم ما هم عاملون قبل خلقه لهم، وهو الَّذي يهدي مَنْ يشاء بفضلِهِ وإحسانِهِ، ويضلُّ مَنْ يشاء بعدله وقدرته ومشيئته؛ فالأوَّل: فضله. والثَّاني: عدله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف:٧٦].

وقَدْ مكَّن عباده بأسبابٍ يقتدر بها العبد عَلَىٰ طاعة ربِّه، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، وأَرْسَل الرُّسُل مُبشِّرين ومُنْذرين ليخرج النَّاس من الظُّلمات إِلَىٰ النُّور﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ [النحل:٣٦]، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

ونظير هَذِهِ الآية، قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]، فمنهم مَنْ أطاع، ومنهم مَنْ عصىٰ؛ فالفضل فضلُهُ تعالىٰ، والحُجَّة له بالبيان والفطرة والعُقُول، والعلم الَّذي أنزل في كتبه وعلىٰ ألسن رُسُله، وبالله التَّوفيق.

وعلىٰ العبد أن يَتسبَّب بالإقبال عَلَىٰ ذلك، وطلب ما يحبُّه منه ويرضاه،

ويترك ما يسخطه ويأباه، وأَنْ يكون ذلك هو أهمُّ الأشياء لديه ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

وأمَّا قوله ﷺ: «**اللَّهمَّ إنِّي أسألك الثَّبات في الأمر، والعزيمة عَلَىٰ الرُّشد**»(١)، فالمراد بالأمر الأمر الدِّيني الشَّرعي، فيسأل الله تعالىٰ الثَّبات عليه بتحصيل أَسْبَابِها، فمنها معرفة الهدف بدليلِهِ، وذلك عن يقينٍ، وحسنِ قبولٍ، وانقيادٍ ومحبَّةٍ، وصبر وخشية الله، وخوفٍ منه، ونحو ذلك؛ فإنَّ الطِّباع البشريَّة تصرف القلبَ عن الثَّبات في الأمر الشَّرعيِّ الدِّينيِّ، فيخالفه هواه.

واتِّباع الهوىٰ(٢) له أسبابٌ كثيرةٌ، لا يَدْفعها عن العبد إلَّا قوَّة داعي الإيمان

---

(١) طرف من حديث رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٣٣٥) من حديث شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتمام الحديث: عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا شداد بن أوس، إذا رأيت النَّاس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فأكثر هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة علىٰ الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكرَ نعمتك، وحسنَ عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علَّام الغيوب**»، والحديث صَحَّحه الألباني بمجموع طرقه. «السلسلة الصحيحة» (٧/ ٦٩٥)، القسم الثاني.

(٢) لقد حذر الله عَزَّ وَجَلَّ من الهوىٰ، وبَيَّنَ أنها من أكبر أسباب الضلال والانحراف، حيث قال عَزَّ وَجَلَّ محذرًا نبيه من اتباع أهواء الضالين: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨﴾ [الجاثية:١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [المائدة:٤٩]، وجاء أيضًا هذا التحذير للأنبياء السابقين، حيث قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص:٢٦].

وحذَّر النبي ﷺ من الأهواء، وبَيَّنَ أنها من أسباب الاختلاف والتنازع والتفرق. يقول الإمام الحافظ أبو بكر ابن أبي عاصم في كتاب السُّنَّة: «ذكر الأهواء المذمومة، نستعصم الله تعالىٰ منها، ونعوذ به من كل ما يوجب سخطه»، ثم ذكر بسنده إلىٰ أبي عامر الهوزني أنه حج مع معاوية، فسمعه يقول: قام فينا رسول الله صلىٰ عليه وسلم يومًا فذكر: «**أن أهل الكتاب قبلكم**

بالله ورسله، وتَدبُّر كتابه، وعدم الإعراض عنه إِلَىٰ غيره، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف:٥٧]، ونحو ذلك في عدَّة مواضع من القرآن، يُحذِّر تعالىٰ عباده عن الإعراض؛ لأنَّه يمنع العبد من الخير كلِّه، ويُوقعه في الشَّرِّ كلِّه، ويجمع عَلَىٰ العبد شُرُور نفسه، وسَيِّئات أعماله، نسأل الله العفو والعافية في الدُّنيا والآخرة، فمن أعظم أسباب الثَّبات: مَحبَّة الهدىٰ، والرَّغبة فيه، وطلبه بجهده لما تَقدَّم، والضِّدُّ بالضِّدِّ.

وأمَّا قوله: «**والعزيمة عَلَىٰ الرُّشد**»، فالعبدُ محتاجٌ إِلَىٰ ذلك أيضًا بمعرفة ما يُصْلحه في معاشِهِ ومعادِهِ، والعزيمة عليه؛ ولكن النَّاس اختلفوا في هَذَا كما اختلفوا فيما قبله، فقَدْ يعرف رشده، وقَدْ لا يعرفه، والَّذي يعرفه قَدْ يعزم عليه وقد لا يعزم، فحصل التَّفاوت؛ فالخيرُ لا يحصل إلَّا بطلبٍ وعملٍ، واستعانةٍ بالله عَلَىٰ ذلك، وافتقارٍ إليه، وإنابةٍ إليه، وتَوكُّلٍ عليه؛ ومَنْ ضيَّع أسباب الثَّبات ضاع، ولا حَوْلَ ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

=
تَفرَّقوا علىٰ اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء، ألا وإن هذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، ألا وإنه يخرج في أمتي قوم يهوون هوىٰ يتجارىٰ بهم ذلك الهوىٰ كما يتجارىٰ الكَلَب بصاحبه، لا يدع منه عرقًا، ولا مفصلًا إلا دخله».اهـ. والحديث صححه الألباني في «ظلال الجنة» في تخريج «السُّنَّة» (ص٨).

والهوىٰ لا ضابط له، وهو كل ما عارض الحقَّ. فكل مَنْ أعرض عن القرآن والسُّنَّة فهو متبعٌ لهواه، عارضٌ لمولاه، مستحق للنقد والعقوبة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥٠﴾ [القصص:٥٠].

الرسالة الثانية عشرة(١)
«فضل العلم وأهميته والموقف ممن أعرض عن الحق»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْد لله الَّذي رفع بالعلم أقوامًا، ووَضَع به آخرين، وذمَّ مَنْ لم يرفع رأسًا بما بعث به رُسُله، وصرف علمه إِلَىٰ الأفكار الرَّديئة، وزُبَالة الأذهان، ووَسَاوس الشَّياطين، فقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ [الأعراف:١٧٥]، ومَدَح مَنْ عمل بما علم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨] العاملين.

أَمَّا بعد: فإنَّ العلمَ النَّافع أعظم ما صُرِفَتْ إليه الهمم، ونشر بِسَاطُهُ في محافل أولي النَّجَابة والكرم، إِذْ من عدمه فقَدْ عدمت حياته، وجانبه الرُّشد أو فَاتَه، كما قال صلاح الدِّين الأخفش، واسمه عمرو بن مسعدة(٢):

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١١/ ٥٥١، ٥٥٢).

(٢) عمرو بن مسعدة بن سعد الصولي، كنيته أبو الفضل، من جِلَّة كتاب المأمون وأهل الفضل، والبراعة، والشعر منهم، وكان بليغًا كاتبًا، مات سنة أربع عشرة ومئتين. «معجم الأدباء» للحموي (٦/ ٩٢).

ويَخْفق سعيُ الطّالبين لغيره ... وسَعْي امرئٍ في كسبهِ ليس يخفقُ
ولا سِيَّما علم الشَّريعة إنَّه ... من العلم مقصودٌ إذا هو يطلقُ
فإنَّ فنون العلم أجمع وصلةٍ ... بهنَّ إِلَى تحصيله يتسلَّقُ
هو المقصدُ المطلوبُ بالذَّات دونها ... ومن أجلها قد دَوَّنوها ودَقَّقُوا
ولكنه صعبٌ عَلَى مَنْ لنفسه ... مريحٌ وللذات ليس يطلقُ
فمن خَطَب الحسناءَ وفَّى صَداقَها ... وما هي إلَّا بالمشيئةِ تصدقُ

وقَدْ مرَّ في بعض الأَوْقَات في مجلسٍ من مجالس الإخوان -وَفَّقهم الله للصَّالحات- ذكر علماء الوقت الَّذين أعرضوا عن الحقِّ، فباؤوا بالغضبِ والمقتِ، وما عَارَضوا به شيخنا محيي الدِّين أبو الحسن مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، نَضَّر الله وجهه في جنَّته يوم المآب حتَّىٰ أظهره الله تعالىٰ، ونَفعَ بدَعْوته جميعَ من بلغته، فعمل بها.

فانجرَّ الكلامُ إِلَىٰ ذكر عثمان بن سند[1]، الكائن بالبصرة، فذَكَره بعض

(١) عثمان بن سند البصري الوائلي، أديب، كاتب، شاعر، مؤرخ، مشارك في أنواع من العلوم، أصله من نجد، وولد في فيلكة. قلت: وهي جزيرة من جزر شمال الخليج العربي، وهي تابعة لدولة الكويت، وكنت قد زُرْتها عام ١٤٠٩هـ، وكانت آهلةً بالسكان، وفيها مساجد ومدارس. وأما بعد الغزو العراقي الغاشم علىٰ دولة الكويت في عام ١٤١١هـ، فقد أخليت من السكان، وانتقل أهلها إلىٰ ضواحي الكويت، وأصبحت الجزيرة إلىٰ اليوم ثكنةً عسكريةً. وعثمان هذا قد سكن البصرة، والتحق بخاصة داود باشا والي بغداد، وتوفي ببغداد عام ١٢٤٢هـ. من مؤلفاته: «مطالع السعود في أخبار الوزير داود»، نظم «مغني اللبيب» لابن هشام في النحو، «أوضح المسالك علىٰ مذهب الإمام مالك»، نظم «الورقات» للإمام الحرمين وشرحه. «معجم المؤلفين» لعمر رضا كمالة (٦/ ٢٥٥). وذكره الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان (ت/ ١٣٩٧) ضمن مؤلفه: «تراجم متأخري الحنابلة» (ص١٢٨).

الإخوان، ومَدَحه بما له به شهرةٌ. فقلت له: إنَّه اشتهر بالأشعار الخبيثة، ومدح الطَّريقة النَّقشبنديَّة[1]، ووضعها، ومدح الظَّلمة والفُجَّار.

ومقامه مع أهل القباب واللِّواط، وشرب الخمور، والأشرار، حاكمٌ بمعرفة حالِهِ، إذ بالولاءِ والبراءِ يكون الاعتبار[2].

ومُصنَّفه في مدح خالد[3] الخبيث الَّذي أحدث الطَّريقة، يُطْلعك عَلَىٰ حاله بالحقيقة.

(١) النقشبندية طريقة من طرق الصوفية تنسب إلىٰ الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند بلاد فارس، وبلاد الهند، وآسيا الغربية. «الموسوعة الميسرة» (١/ ٢٦٧).

(٢) كما قال صلىٰ الله عليه سلم: «**الأرواحُ جُنُودٌ مُجندةٌ، فما تَعَارف منها ائتلف، وما تَناكَر منها اختلف**»، رواه البخاري من حديث عائشة (ح/ ٣٣٣٦)، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه (ح/ ٢٦٣٨)، وكما قال ﷺ: «**المرءُ علىٰ دين خليله، فلينظُر أحدُكُم مَنْ يُخاللُ**»، رَوَاه أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٣٠٢-٣٣٤)، والترمذي (ح/ ٢٣٧٨) بلفظ: «الرجل» بدل: «المرء»، وحسن الألباني هذا ؟؟؟ في «صحيح الترمذي» (٢/ ٢٨٠). يقول الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأرواح جنودٌ مجندةٌ، فما تَعَارف منها ائتلف، وما تَناكَر منها اختلف، ولا يمكن أن يكون صاحب سُنَّة يمالئ صاحب بدعة إلا من النفاق». «شرح السُّنَّة» للالكائي (٢/ ١٣٨). ويقول الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من استتر عنا ببدعته، لَمْ تَخْفَ ألفته». المصدر السابق (٢/ ١٣٧).

(٣) خالد بن أحمد حسين الشهرزوري الكردي، المولود عام ١١٩٣هـ، شيخ الطريقة النقشبندية، ولد بقرية طاغ من بلاد شهرزور، وهاجر إلىٰ بغداد، ورحل إلىٰ دمشق، وتوفي بها في ٢٨ شوال عام ١٢٤٢هـ. من آثاره: «العقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري»، و«الرسالة الخالدية في آداب الطريقة النقشبندية»، شرح مقامات الحريري. والمصنف الذي صنفه عثمان بن سعيد في مدحه اسمه: «أصفىٰ الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد». «معجم المؤلفين» (٤/ ٩٥).

فأقول: اعلم أنَّ زكىٰ الإنسان وطهارته في أَصْلين؛ الأصل الأوَّل: ألَّا يعبد إلَّا الله تعالىٰ. الثَّاني: ألَّا يعبده إلَّا بما شرع عَلَىٰ لسان مُحمَّدٍ ﷺ، ذلك هو تحقيق قول «لا إله إلَّا الله»، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(١) الآية [البينة:٥].

❑ **ولها أَرْبَع مراتبَ.**

أوَّلها: العلم والمعرفة، واعتقاد صِحَّة المشهود به، وثبوته.

الثَّاني: نُطْقه بذلك.

الثَّالث: أن يعلم غيره بما شهد به، ويُبيِّنه له بالقول تارةً، وبالفعل أخرىٰ.

رابعها: أَنْ يلتزمَ بمضمون هَذِهِ الشَّهَادة، ويأمر غيره أن يعمل بذلك. ولا تتمُّ الشَّهادة إلَّا بهَذِهِ المَرَاتب الأربع، قاله ابن القَيِّم(٢) قَدَّس الله روحه.

---

(١) وهذا هو مقتضىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله. ومعناها: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وألَّا يعبد الله إلا بما شرع؛ لا بالأهواء والبدع.

يقول الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ في منظومته «سلم الوصول»:

شرط قبول السعي أن يجتمعا ... فيـه إصابـة وإخلاص مَعا

للـه رب العــرش لا ســواه ... موافق الشرع الذي ارتضاه

وقد شرح هذين البيتين في «معارج القبول»، وسرد آيات كثيرة، وأحاديث كثيرة. انظر (٣/ ١٤٠٣- ١٤١٦).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٣٣) مع بعض شيءٍ من التصرف والاختصار. وابن القيم ذكر هذا الكلام تعليقًا علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨]، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فتَضمَّنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد علىٰ جميع هذه الطوائف، والشهادة ببطلان أقوالهم ومذاهبهم، وهنا إنما يتبين بعد =

وهَذَا الرَّجل المذكور، عن هَذِهِ المراتب في بونٍ بعيدٍ، كما هو غير خفيٍّ عَلَىٰ مَنْ عرف الولاء والبراء، واعْتَنىٰ بالتَّوحيد. وهَذَا هو الَّذي بَيْننا وبَيْنَ النَّاس كلِّهم، وهو الحنيفيَّة ملَّة إبراهيم، وهَذَا يكفي في معرفتِهِ واعتقادِهِ مع الألفاظ الشِّركيَّة ومباحثه واعتقاده، وأنَّه من التَّقوىٰ عارٍ من اللِّباس، هادمًا لأصل التَّوحيد والأساس(١).

=

فَهْم الآية ببيان ما تَضمَّنته من المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية.

(١) وموقف الشيخ عبد الرحمن بن حسن هذا وتحذيره من هذا الرجل المعادي لدعوة التوحيد، وما قام به شيخ الإسلام محمد بن عبد الوَهَّاب، هو الموقف الشرعي الصحيح للعالم الرباني المتبع لقواعد السلف الذي يربي تلاميذه علىٰ اتباع السُّنَّة، وترك البدعة، وعدم الاغترار بزهد الرجل واجتهاده، وتَقفُّره للعلم، وكثرة أشعاره وتآليفه ما لَمْ يكن علىٰ الطريقة السُّنيَّة السلفية، وأنَّ الواجب علىٰ العالم وطالب العلم السُّني التحذير من صاحب الهوىٰ والفساد، وتعيينه باسمه حمايةً للشريعة الغرَّاء، وتحذيرًا للناس من شبهاته، وآرائه، وبدعه، ولا يُعدُّ ذلك من الغيبة المُحرَّمة، بل هو من النُّصح لله، ولرسوله، وللمسلمين، ومن أفضل أنواع الجهاد والقربات.

وموقفه هذا إنما هو متبعٌ فيه للنبي ﷺ، والصحابة، والسلف، فرسول الله ﷺ حذَّر من الخوارج، وذكر كثرة عبادتهم وتهجدهم، وقراءتهم للقرآن علىٰ سبيل عدم الاغترار؛ لأنهم مَرَقوا من الدين كما يَمْرق السهم من الرمية. وهذا عبد الله بن عمر لما جاءه يحيىٰ بن يعمر، وحميد بن عبد الرحمن من البصرة حَاجَّين أو معتمرين، وأخبراه بأنه قد ظهر قِبَلهم أناسٌ يقرؤون القرآن، ويَتقفَّرون العلم، وذكرا من شأنهم وصلاحهم وزهدهم، وذكرا أنهم يزعمون أَنْ لا قدر، وأن الأمر أنف، فما كان من عبد الله بن عمر إلا أنه حذر منهم، وتبرأ منهم، ولم يغترَّ بما ذكر عنهم من علمٍ واجتهادٍ، وذلك لانحرافهم عن السُّنَّة وهدي الإسلام، كما تقدم معنا مما جاء في «صحيح مسلم». والنصوص والآثار في هذا الباب عن الصحابة والتابعين والسلف كثيرة مبثوثة في بطون كتب السُّنَّة.

=

=

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يؤخر تبيين حال عثمان بن سند للناس وتحذيره إياهم؛ لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، ومثله قد يغتر به صغار الطلاب والعوام لما عرف عنه من تقفرٍ للعلم، وتأليفٍ ونظمٍ للقصائد، ومثل الشيخ عبد الرحمن يسمع له، ويؤخذ منه، فكان الواجبُ اتباعًا للشرع، وحمايةً للدين، ودفعًا للشُّبه عن الناس، ونصحًا للمسلمين أن يبين حاله، ويُحذِّر منه، وهذا ما قام به هذا الإمام السلفي والعالم الرباني، فرحمه الله رحمة واسعة، ورفع درجته في عليين.

الرسالة الثالثة عشرة(١)
«وجوب الاهتمام بمسائل التوحيد»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن إِلَىٰ الأخ الشَّيخ محمد بن مقرن(٢)، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وجواب الأشياخ الثَّلاثة وصل، لكنَّه لا يطابق السُّؤال، واعلم أنِّي لم أرد بذلك السُّؤال إلَّا الإرشاد إِلَىٰ النَّظر في الأهمِّ من أُصُول الدِّين، لينشروه تقريرًا وتحريرًا، فأخرجتُهُ مخرج السُّؤال ليكون أدعىٰ إِلَىٰ الالتفات إليه(٣)، فلم يحصل جوابٌ يُطَابق السُّؤال. والسُّؤال إنَّما هو عن توحيد الاعتقاد والعمل

(١) طبعت في «الدرر السَّنية» (١/ ٣٢٧-٣٢٩).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) وهذا الأسلوب التعليمي كان يستعمله النبيُّ ﷺ مع أصحابه، فمن ذلكم قوله مختبرًا أصحابه تعليمًا وتوجيهًا: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟...**». الحديث. رواه البخاري (ح/ ٦٢) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة علىٰ أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم. قال ابن حجر: وفي هذا الحديث غير ما تقدم امتحان العالم أذهان الطلبة بما يَخْفىٰ مع بيانه لهم إن لم يفهموه. «الفتح» (١/ ١٤٦).

الَّذي اتَّفقَتْ عليه دعوة المرسلين عليهم السلام، وما دَعَوا إِلَىٰ شيءٍ قبله، وهو توحيد المراد والإرادة.

فالمطلوب: أن يعرفوا بتعريفٍ جامعٍ، ويذكروا دليله، فإنَّه أَبْيَن شيءٍ وأَوْضَحه لمَنْ تَدبَّر الآيات المحكمات، وما قاله السَّلَف الأوَّل والأَئمَّة وأتباعهم من أَهْل السُّنَّة الَّذين عَلَتْ هممهم عن النَّظر في أَوْضَاع المُتكلِّمين والمُتصوِّفة، لما فيها من التَّخليط والاضطراب والخطأ كما لا يَخْفىٰ عَلَىٰ من اهْتَدىٰ.

وكلُّ أهل مَذْهبٍ من الأربعة، ففيهم من أتباع السَّلَف، وأَهْل التَّحقيق كثيرٌ، وقبلهم أئمَّة الحديث، فمَنْ علت همَّته إِلَىٰ طلب الهدىٰ، وبالسَّلَف وأتباعهم اقتدىٰ، نال المُنَىٰ إن شاء الله، وأصاب الهدىٰ.

والأشياخُ الثَّلاثة، كما ذكرت -أيَّدهم الله بنور البصيرة- معهم من الذَّكَاء والفطنة ما يجب أن يَصْرفوه إِلَىٰ أهمِّ الأُمُور، فلو صَرَفوا الهمَّة إِلَىٰ ما أشرتُ إليه، نالوا به خيرَ الدُّنيا والآخرة بتوفيق الله تعالىٰ، وما تركت مُكَاتبتهم في هَذَا الشَّأن إلَّا لكون الغرض أعمَّ، فإنَّ عندهم مَنْ هو أسنُّ منهم، وقد سمعوا اليسير من شُيُوخنا، إذا عرفت ما قلته، فإِنْ حَصَل تعريفٌ جامعٌ لذلك التَّوحيد، الَّذي هو ثالث أنواعه(١)، فلا بُدَّ من تعريف الإله المنفيِّ بكلمة الإخلاص، والأُلوهيَّة المثبتة للمستثنىٰ فيها(٢)، وبيان مضمون هَذِهِ الكلمة، وما دَلَّتْ عليه مطابقةً

---

(١) والمراد به توحيد الأُلُوهية، وتعريفه هو توحيد الله بأفعال العباد، أو إفراد الله بالعبادة والتوحيد.
(٢) والمراد بذلك كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.

وتضمنًا(١)، ولا بُدَّ أيضًا من تعريف العبادة كما عرفها المُحققون، ثمَّ تعريف الشِّرك المنافي لذلك التَّوحيد، ويكون التَّعريف جامعًا.

وأنَّ الشِّرك الخفيَّ فهو الشِّرك الأصغر، كالحلف بغير الله في الجملة، والرِّياء، وقول: ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك، فإنَّه أكبر من الكَبَائر، ولا يخرج من الملَّة، ونعوذ بالله من قولٍ وعملٍ لا يبتغىٰ به وجه الله(٢).

وممَّا يرشد إِلَىٰ الاهتمام بهَذِهِ الأُمُور: أنَّ من العلماء مَنْ غلط في مُسمَّىٰ التَّوحيد الَّذي هو أصلُ الدِّين، وأساسُ الملَّة، كما قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية(٣)، وقد غلط في مُسمَّىٰ التَّوحيد طوائف من أهل النَّظر ومن أهل العبادة حتَّىٰ طلبوا حقيقته، وطائفةٌ ظَنَّت أنَّ التَّوحيدَ نفيُ الصِّفات، وطائفةٌ ظَنَّتْ أنَّه الإقرار بتوحيد الرُّبوبيَّة(٤).

---

(١) أما المطابقة فإن لفظ الشهادة نفي وإثبات، نفي الألوهية الحقَّة عما سوىٰ الله، وإثباتها لله وحده، وأما التضمن فإنها تتضمن الأمر بتوحيده وعبادته وحده، والنهي عن عبادة ما سواه. انظر «الفتاوىٰ» (١٤/ ١٧٠)، وانظر «منهج ابن تيمية في تقرير التوحيد».

(٢) وأنواعهما (أي: الشرك الأكبر والشرك الأصغر) في جلِّ هذه الرسائل، وكذلك في كتابه «فتح المجيد»، وخاصة الباب الأول عند قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، وباب الخوف من الشرك، وباب قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وباب قول: ما شاء الله وشئت، وغيرها.

(٣) قد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا عن هذه المسألة في رسائله وفتاويه، ومما كتب عن ذلك الدكتور إبراهيم بن محمد البريكان في «طروحته الجامعية» لرسالة الدكتوراه بعنوان: «منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد»، حيث تطرق إلىٰ ذلك في مبحث بعنوان: «ما طرأ علىٰ مسمىٰ التوحيد»، انظر ذلك في كتابه المذكور (١/ ٧٣-١٠١).

(٤) قد بَيَّنَ شيخ الإسلام ابن القيم أقوال الطوائف في مسمىٰ التوحيد، أنقله هنا باختصار لأهميته، =

ومنهم مَنْ أطال في تقرير هَذَا، وظنَّ أنَّه بذلك قَرَّر الوحدانيَّة، وأنَّ الأُلوهيَّة: نفي القدرة عَلَىٰ الاختراع[1]، ونحو ذلك، ولَمْ يعلم أنَّ مشركي العرب مُقرُّون بذلك، وساقَ الأدلَّة، كقولِهِ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٣١].

=

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تقسمت الطوائف التوحيدَ، وسمىٰ كل طائفة باطلهم توحيدًا، وهي:

١- فأتباع أرسطو، وابن سينا، والنصير الطوسي، عندهم التوحيد: إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة، بل هو وجود مطلق، لا يعرض لشيءٍ من الماهيات، ولا يقوم به وصف، ولا يتخصص بنعت، بل صفاته كلها سلوب وإضافات، فتوحيد هؤلاء: هو غاية الإلحاد، والجحد، والكفر.

٢- وأما الاتحادية، فالتوحيد عندهم: أن الحق المنزَّه هو عين الخلق المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود، وحقيقته وماهيته، وأنه آية كل شيء، وله فيه آية تدل علىٰ أنه عينه.

٣- وأما الجهمية، فالتوحيد عندهم: إنكار علو الله علىٰ خلقه بذاته، واستوائه علىٰ عرشه، وإنكار سمعه وبصره، وقوته وحياته، وكلامه، وصفاته، وأفعاله، ومحبته، ومحبة العباد له، فالتوحيد عندهم: هو المبالغة في إنكار التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه.

٤- وأما القدرية، فالتوحيد عندهم: هو إنكار قَدْر الله، وعُمُوم مشيئته للكائنات، وقدرته عليها، ومتأخروهم ضموا إلىٰ ذلك: توحيد الجهمية، فصار حقيقة التوحيد عندهم: إنكار القدر، وإنكار حقائق الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، وربما سموا إنكار القدر، والكفر بقضاء الرب وقدره: عدلًا، وقالوا: نحن أهل العدل والتوحيد.

٥- وأما الجبرية، فالتوحيد عندهم: هو تفرد الرب تعالىٰ بالخلق والفعل، وأن العباد غير فاعلين علىٰ الحقيقة، ولا محدثين لأفعالهم، ولا قادرين عليها، وأن الرب تعالىٰ لم يفعل لحكمة، ولا غاية تطلب بالفعل، وليس في المخلوقات قوىٰ وطبائع وغرائز وأسباب. بل ما ثم إلا مشيئته محضة ترجح مثلًا علىٰ مثل بغير مرجح، ولا حكمة، ولا سبب ألبتة». انتهىٰ بتصرف. «مدارج السالكين» (٣/ ٣٣٠، ٣٣١).

(١) انظر كتاب: «منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل وأثر الفهمين في العقيدة» لجابر إدريس، حيث أورد في مبحث مستقل أقوال المتكلمين في تعريف الإله والرد عليهم (٢/ ٥٧٤).

الرسالة الرابعة عشرة(١)
«وجوب تعظيم التَّوحيد والتحذير من الغفلة عنه»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن إِلَىٰ الأخوان(٢) الأمير مُحمَّد بن أحمد(٣) والشَّيخ عبد اللَّطيف بن مبارك(٤) وأعيان أهل الأحساء وعَامَّتهم، ورزقنا الله وإيَّاهم الاعتصامَ بالكتابِ والسُّنَّةِ، وجَنَّبنا وإيَّاهم سُبُل أهل البدع والأهواء، ووَفَّقنا وإيَّاهم لمعرفة ما بعث الله به رسوله من الهدىٰ والنُّور، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (٤/ ٤٢٩-٤٣١).

(٢) كذا في المطبوع، والصحيح: «الأخوين».

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) عبد اللطيف بن مبارك بن علي بن حمد، وَلِيَ قضاء الأحساء، والشؤون الدينية فيها لا سيما القضاء، وأئمة المساجد، والدُّعاة في الأحساء، حيث كان يرشح الأصلح للإمام فيصل لتعيينه، وتولىٰ التدريس في مدارس والده العلمية بالأحساء، وكان مرجعًا علميًّا، ومقصدًا لطَلَبة العلم في الخليج. توفي سنة ١٢٥٨هـ. انظر في ترجمته: «أعلام من الأحساء» لعبد الرزاق عبد الله البابطين (ص٤٨)، انظر كذلك مقال عن العلماء الأعلام في الدولة السعودية الثانية في موقع جامعة أم القرىٰ الإلكتروني الرسمي.

فإنَّ الباعثَ عَلَىٰ هَذَا الكتاب هو النَّصيحة لله، ولكتابِهِ، ورسولِهِ، ولأئمَّة المسلمين وعَامَّتهم(١)، وأوصيكم بما دَلَّتْ عليه شهادة أَنْ لا إله إلَّا الله، وما تَضمَّنته من نَفْي الإلهيَّة عمَّا سوىٰ الله، وإخلاص العبادة لله وَحْده لا شريك له، والبراءة من كلِّ دينٍ يُخَالف ما بعث الله به رُسُله من التَّوحيد، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [فصلت:١٣، ١٤]، وهَذِهِ الآيات وما في معناها تَتضمَّن النَّهي عن الشِّرك في العبادة، والبراءة منه ومن المشركين، من الرَّافضة وغيرهم(٢). والقرآن من أوَّله إِلَىٰ آخره يُقرِّر هَذَا الأصلَ العظيمَ(٣) فلا غنىٰ لأحدٍ عن معرفتِهِ والعمل به باطنًا وظاهرًا.

قال بعضُ السَّلَف(٤): كلمتان يسأل عنهما الأوَّلون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١، ١٢]، وهَذَا هو مضمون

(١) روىٰ مسلم في «صحيحه» عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين وعامتهم» (ح/ ٥٥).

(٢) تقدم التعريف بهم في الرسالة الخامسة.

(٣) **قال ابن القيم**: «إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه -إلىٰ أن قال:- فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك، وأهله، وجزائهم. «مدارج السالكين» (٣/ ٣٣٢).

(٤) هذا الأثر ذكره عن قتادة الدوسي ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/ ٨٤).

شهادة أن لا إله إلَّا الله كما تَقدَّم الإشارة إليه(١).

ومضمون شهادة أنَّ محمدًا رسول الله وُجُوب اتِّباعه، والرِّضاء به نبيًّا ورسولًا، ونفي البدع والأهواء المُخَالفة لما جاء به ﷺ، فلا غناء لأحدٍ عن معرفة ذلك، وقبوله، ومَحبَّته، والانقياد له قولًا وعملًا، باطنًا وظاهرًا.

وممَّا أوجب ذكر ذلك ما بلغنا وتَحقَّقناه من غَفْلتكم عن هَذَا الأصل العظيم الَّذي لا نجاةَ للعبد إلَّا بمعرفته، والعمل به، فالعامَّة منكم ما يُبَالون بحُقُوق الإسلام ولو ضيعت، وصار اشتغال أَهْل العلم بالعُلُوم الَّتي هي فرعٌ عن هَذَا الأصل العظيم، ولا تنفع بدونه، ولا صلاحَ للعباد في مَعَاشهم ومعادهم إلَّا بالعلم بالله، وما يجب له عَلَىٰ عبادِهِ من دينه الَّذي رَضِيَهُ لهم، فبالقيام به صلاح الدُّنيا والآخرة، وفي الغَفْلة عنه زَوَالُ النِّعم، وحُلُول النِّقم، وقَدْ وقع فيكم بسبب الغَفْلة عن هَذَا ما قد علمتم، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف:١٦٨].

إذا عرفتم ذلك، فيلزم الأمير أن يأمر جميع المُدرِّسين وأَئمَّة المَسَاجد بالحُضُور عند قاضي البلد الشَّيخ عبد اللَّطيف بن مبارك، ويَلْزمهم القراءة فيما جَمَعه شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التَّوحيد من أَدلَّة الكتاب والسُّنَّة الَّتي فيها الفرقان بين الحقِّ والباطل، فقَدْ جمع عَلَىٰ اختصاره خيرًا كثيرًا، وضمنه من أَدلَّة التَّوحيد ما يكفي مَنْ وَفَّقه الله، وبين فيه الأدلَّة في بيان الشِّرك الَّذي لا يغفره الله، ويلزمهم سؤال العامَّة عن أُصُول الدِّين الثَّلاثة بأَدلَّتها وأربع القواعد، فما أعظمَ نفعَها

(١) روىٰ الطبري في «تفسيره» عن ابن جريج في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص:٦٥]، قال: بلا إله إلا الله، التوحيد. «الطبري» (١١/ ١٢٣).

عَلَىٰ اختصارها لطالب الهدىٰ.

وكذلك يلزمهم تَفقُّد النَّاس في المساجد حتَّىٰ يعرف من يَتخلَّف عن الصَّلاة، ويتهاون بها ويجعل للنَّاس نُوَّابًا في القيام عَلَىٰ النَّاس بالاجتماع للصَّلاة في جميع البلدان والقرىٰ، فإنَّ هَذَا ممَّا شَرَعه الله ورسوله، وأَوْجَبه، كما دلَّ عَلَىٰ ذلك الكتاب والسُّنَّة، وقَدْ ورد الزَّجر والوعيد للمُتخلِّفين عن الصَّلوات الخمس في المساجد حيث يُنَادىٰ لها، والأحاديثُ في هَذَا المَعْنىٰ كثيرةٌ[1].

ومن المعلوم أنَّ الصَّلاة لا تُقَام إلَّا بالاجتماع لها، والتَّهاون بذلك من أَسْباب إضاعتها[2] وذلك يُوجب عُقُوبة الدُّنيا والآخرة كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم:٥٩]، نسأل الله لنا ولكم العونَ عَلَىٰ مرضاتِهِ، وأنتم سالمين، والسَّلَام.

---

(١) فمن القرآن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤، ٥]، ومن الأحاديث ما رَوَاه البخاري في «صحيحه» في باب وُجُوب صلاة الجماعة من حديث أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لقد هممتُ أن آمر بحطبٍ ليحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلًا فيؤم الناس، ثمَّ أخالف إلىٰ رجالٍ فأحرق عليهم بُيُوتهم، والذي نفسي بيده، لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينًا، أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء**» (خ/ ٦٤٤).

(٢) ولهذا شرع الله تعالىٰ إقامة الصلاة جماعةً، ليكون ذلك عونًا للعبد في المحافظة عليها، وليكون ذلك أيضًا عونًا له علىٰ أدائها بخشوعٍ وطمأنينةٍ، فضلًا عما يترتب علىٰ ذلك من استماعٍ للقرآن، وتذكرٍ به، وهذا كله داخلٌ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

الرسالة الخامسة عشرة(١)
«رسالة في بيان أصول الاعتقاد والصلاة»(٢)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إذا قيل لك: مَنْ ربُّك؟

فقل: الله ربِّي(٣) وخَالِقِي ومَالِكِي ومَعْبودي، والدَّليلُ قَوْلُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ

(١) طبعت في «الدرر السَّنية» (١/ ٣٤٢-٣٤٥).

(٢) هذه الرسالة عظيمة النفع، فهي قليلة المباني، عظيمة المعاني، حيث تَحدَّث فيها المؤلف بصيغة السؤال والجواب عن الرَّبِّ، والدين، والنبي، والبعث بعد اليوم، وهي من أصول الاعتقاد، وما ينفع العبد في قبره وآخرته، وغيرها من أُصُول الاعتقاد. وتكلَّم باختصار عن الصلاة، وفضلها، وبيان شروطها، وأركانها، وواجباتها. وهي تعد اختصارًا وتهذيبًا لرسالة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب «الثلاثة الأصول»، والتي قام كثير من العلماء بشرحها، مثل الشيخ العلامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٩٢)، والشيخ العلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢٠)، والشيخ العلامة محمد أمان بن علي الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:)، والشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢١)، والشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله، والشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ حفظه الله تعالىٰ. وسأنقل بعض تعليقات ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هذه الرسالة المختصرة لشمولها وأقدمها، وسأميز تعليقاته بتذييلها برمز (ق).

(٣) أي: فقل ربي هو الله، خالقي ومالكي ومعبودي الذي أوجدني من العدم، ورباني بالنعمة الظاهرة والباطنة. (ق).

رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤].

فإذَا قيل لك: ما الَّذي خَلَقك الله لأجلِه؟

فقل: خلقني لأَعْبدَه وحده لا شريك له، والدَّليل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾(١) [الذاريات:٥٦]، والعبادة: أَنْ تعملَ بطَاعَة الله تعالىٰ، بما أمرك به، ونهاك عنه، مخلصًا له العبادة والعمل.

وإذا قيل لك: ما دينك؟

فقل: ديني(٢) الإسلام، وهو الخُضُوع لله، والذُّلُّ له بالإخلاص، والانقياد له بالعَمَل بما شَرَعه في كتابِهِ عَلَىٰ لسان رَسُولِهِ ﷺ، والدَّليلُ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]، وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ﴾ [لقمان:٢٢]، لا إله إلَّا الله، وإسلام الوجه هو: الإخلاص، والإحسان: هو المُتَابَعة(٣).

---

(١) أي: ما أوجد ﷻ الثقلين إلا لحكمةٍ عظيمةٍ، وهذه الحكمة العظيمة هي عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، وأفادت أن الخلق لم يخلقوا عبثًا، ولم يتركوا سدًىٰ. (ق).

(٢) الذي تعبدنا به، وهو فعل ما أوجب علينا أن نفعله، وترك ما أوجب علينا أن نتركه، وهذا أصل عظيم، فيجب علينا معرفته. (ق).

(٣) وهذا هو حقيقة الإسلام: الإسلام والمتابعة.

ومعنىٰ «لا إلَه إلَّا الله»: لا معبودَ بحقٍّ إلَّا الله(١)(٢)، والدَّليل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

فقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيه معنىٰ «لا إله»(٣)، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيه

(١) قد تكلم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في توضيح كلمة التوحيد، ومعناها، ومقتضاها، وما ينافيها من الشرك في كثير من رسائله وكتبه، منها: «فتح المجيد»، ومنها الرسالة الخامسة، والتاسعة، والرابعة عشرة، والسابعة عشرة، والخامسة والعشرون، وغيرها.

(٢) أي: ومعنىٰ هذه الكلمة العظيمة شهادة أن لا إله إلا الله. لا معبود أي: لا مألوه بحق إلا الله وحده دون كل من سواه، بل كل مألوه سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فإلهيته أبطل الباطل، وأضل الضلال، ففيها نفي الإلهية عن غير الله، وإثباتها لله وحده، وسيقت لتوحيد الإلهية مطابقة، لا كما يقوله بعض الجهلة أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، فإنها وإن دَلَّتْ عليه بطريق التضمن فهي موضوعة لتوحيد الإلهية الذي هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة، الذي أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب في تقريره وإيضاحه. وأما توحيد الربوبية فقد أقرَّ به المشركون؛ كأبي جهل وأضرابه، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١] أي أنه الذي يفعل ذلك، ولم ينازعوا فيه، ولا امتنعوا من الإقرار به، بل احتج تعالىٰ عليهم بإقرارهم بتوحيد الربوبية علىٰ توحيد الإلهية، فقال: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١] أي: الشرك به في عبادته، فإنهم يعرفون معناها، وأنها دلَّت علىٰ إفراد الله بالعبادة، ولهذا أنكروا أن يكون الله هو المعبود وحده، وقالوا: شتم آلهتنا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، بل يريدون أن يجعلوا بينهم وبين الله وسائط وشركاء في العبادة، فإن نفوسهم وإحساسهم امتزجت بالشرك، ونشأت عليه، وألفته، فصاروا كالمريض الذي فسد مزاجه، فإذا أتي بالطعام الحلو، قال: هذا مر، وهو ليس بمر، ولكن الآفة من مزاجه الفاسد، بالنسبة إلىٰ عقولهم الفاسدة، فكذلك الحق والنور المبين الذي جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو عندهم وأمثالهم مرٌّ بالنسبة إلىٰ مزاجاتهم. والمقصود أنهم عرفوا أن مدلولها أن يكون المعبود هو الله وحده، وبهذا تعرف أن مدلول «لا إله إلا الله» مطابقة هو إفراد الله بالعبادة. (ق).

(٣) الإله فعال بمعنىٰ مفعول؛ ككتاب بمعنىٰ مكتوب، مشتق من «أله يأله إلهة»، أي: عبد يعبد =

معنىٰ «إِلَّا الله»(١)، وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٦٤]، فقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ فيه معنىٰ «لا إله»، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنىٰ لفظًا ومعنىٰ، والآياتُ في معنىٰ هَذِهِ الكلمة العظيمة كثيرةٌ في القرآن.

=

عبادة لفظًا ومعنًىٰ. والإله هو المعبود المطاع، فالنفي في كلمة الإخلاص: «لا إله»، أي: لا مألوه يستحق أن يعبد إلا الله، فإذا قلت: «لا إله» كنت نافيًا جميع ما يُعْبد من دون الله سوىٰ الله. يعني والآلهة غير الله كثيرة طبق الأرض، ولكن بالباطل والضلال، وإنما الإله المستحق للعبادة هو الله وحده، وآلهةُ المشركين التي يعبدونها من دون الله إنما هي مجرد ظن منهم، واتباع لهواهم، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٣].(ق).

(١) أي: والإثبات في كلمة الإخلاص قولك: «إلا الله» هو المستثنىٰ في هذه الكلمة العظيمة. ودلالتها علىٰ إثبات الإلهية لله وحده أعظم من دلالة قولنا: الله، فـ «لا» نافية للجنس، وخبرها المرفوع محذوف تقديره: «حق»، و«إلا الله» استثناء من الخبر المرفوع. فالله هو الحق، وعبادته وحده هي الحق، وعبادة غيره منفية بـ «لا» في هذه الكلمة، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، والقرآن كله يدل علىٰ إثبات العبادة لله وحده، فـ «لا إله إلا الله» اشتملت علىٰ أمرين هما ركناها النفي والإثبات، فـ «لا إله» نافيًا وجود معبود بحق سوىٰ الله، و«إلا الله» مثبتًا العبادة لله وحده دون كل من سواه، والنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات المحض، فلا بُدَّ من الجمع بين النفي والإثبات، وشروطها ثمانية، أحدها العلم المنافي للجهل. الثاني: اليقين المنافي للشك. الثالث: القبول المنافي للرد. الرابع: الانقياد المنافي للترك. الخامس: الإخلاص المنافي للشرك. السادس: الصدق المنافي للنفاق. السابع: المحبة المنافية لضدها. الثامن: الكفر بما سوىٰ الله تعالىٰ. (ق).

وإذا قيل لك: مَنْ نَبيُّك[(١)]؟

فقل: نبيي مُحمَّد بن عبد الله بن عبد المُطَّلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من ذُرِيَّة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السَّلام، بَعثَه الله إِلَىٰ جميع الثَّقلَين الجنِّ والإنس[(٢)]، يَدْعوهم إِلَىٰ ما خُلِقُوا له من معنىٰ «لا إله إلَّا الله»، وختم به رُسُله صلوات الله وسلامه عليه، وأنزل عليه القرآن الَّذي هو أَفْضَل الكُتُب المنزلة عَلَىٰ مَنْ قبله من المُرْسَلين، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨]،

(١) فإنه الواسطة بيننا وبين الله عَزَّوَجَلَّ، ولا طريق لنا إلىٰ ما تَعبَّدنا به إلا بما جاء به ﷺ. وهو وإن كان بشرًا فأهميَّة معرفته من أهمية معرفة مرسله وما أرسل به، فمعرفة نبينا محمد ﷺ هي أحد الأُصُول الثلاثة، فكما أن الأصل الأول (وهو معرفة الله) عظيم وواجب معرفته، وكذلك الأصل الثاني (وهو معرفة دين الإسلام الذي خلقنا الله له، وتعبدنا بالقيام به) أصل عظيم، وواجب معرفته، فكذلك هذا الأصل الثالث (وهو معرفة نبينا محمد ﷺ) أصل عظيم يجب معرفته، فإنه الواسطة بيننا وبين الله تعالىٰ، ولا وُصُول لنا، ولا اطلاع لنا، ولا طريق لنا، ولا نعرف ما ينجينا من غضب الله وعقابه، ويقربنا من رضا الله وثوابه إلا بما جاء به نبينا محمد ﷺ. وإذا كان كذلك، عرفنا وجه كون معرفته إحدىٰ الأصول الثلاثة التي يجب معرفتها، فإنَّا لا نعرف الأصل الأول الذي هو معرفة الرب عَزَّوَجَلَّ، ولا الأصل الثاني الذي هو دين الإسلام إلا بالواسطة بيننا وبين الله، فتَحتَّمتْ معرفته ﷺ، وصارت أصلًا ثالثًا، إذْ لا يمكن معرفة المرسل إلا بمعرفة رسوله، فصار من الضروريات معرفة الرسول ﷺ، وبذلك ظهر أنَّ معرفته ﷺ أحد الأصول الثلاثة، ومعرفته تنتظم أشياء عديدة، منها: معرفة اسمه ونَسَبه وعُمُره، وبقائه في الدنيا ووفاته، ومعرفة ما نبيء به، وما أرسل به، وبلده ومهاجره، ومنها وهو أعظمها: معرفة ما بعث به، وغير ذلك مما ذكر المصنف وغيره. (ق).

(٢) كما أنزل الله في كتابه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [الذاريات:٥٦]، والعبادة لا تقبل من الجن والإنس إلا علىٰ هدي النبي ﷺ، والإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ.

وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وإذا قيل لك: هَلْ يبعث الله الخلقَ بعد الموت؟ ويُحَاسبهم عَلَىٰ أَعْمَالهم خيرها وشرِّها؟ ويدخل مَنْ أَطاعَه الجنَّة؟ ومَنْ كفر به وأشرك به غيره فهو في النَّار؟

فقل: نعم، والدَّليل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(١) [التغابن:٧].

---

(١) ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ ﴾: كفرهم الله تعالىٰ بإنكارهم للبعث في زعمهم أن لن يبعثوا، فدل علىٰ أن إنكار البعث كفر، بل هو من أعظم كفر أهل الجاهلية ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾: أي: قل يا محمد: ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي ﴾، جواب تحقيق وقسم بالله العظيم ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾ يوم القيامة، وهذه الآية الثالثة التي أمر الله نبيه أن يقسم بربه عَزَّوَجَلَّ علىٰ وقوع المعاد ووجوده. وفي يونس: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣ ﴾ [يونس:٥٣]، وفي سبأ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ الآية [سبأ:٣].

﴿ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ ﴾: أي لتخبرن بجميع أعمالكم؛ جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، قال تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

﴿ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾: سهل هين عليه كما قال تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧]، فإذا كان هذا النوع الإنساني في العدم لم يوجد قبل، ثم أوجده الله تعالىٰ من طين، وذراريه من ماء مهين، ثم جعل هذا التناسل منه، فإنه لا يعجزه أن يعيدهم، وهو الذي أبدعهم. وفي الحديث: «**كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، ويشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من آخره**». أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢٦٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الالباني في « صحيح الجامع »(٤٣٢٧): «حسن صحيح».

وقوله: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[1] [طه:٥٥]، وفي القرآن من الأدلَّة عَلَىٰ هَذَا ما لا يُحْصىٰ.

وإذا قيل لك: ما أَفْضَل الأَعْمَال بعد الشَّهَادتين؟

فقل: أَفْضَلها الصَّلوات الخمس[2]، ولها شروطٌ وأركانٌ وواجباتٌ، فأَعْظَم شُرُوطها: الإسلامُ، والعقلُ، والتَّمييزُ، ورفعُ الحدث، وإزالةُ النَّجَاسة، وسترُ العورة، واستقبالُ القبلة، ودخولُ الوقت، والنِّيَّة.

وأَرْكَانها أربعة عشر: القيامُ مع القدرة، وتكبيرةُ الإحرام، وقراءةُ الفاتحة، والرُّكُوعُ، والرَّفعُ منه، والسُّجودُ عَلَىٰ سبعة الأعضاء، والاعتدالُ منه، والجلسةُ بَيْن السَّجدتين، والطُّمأنينةُ في هَذِهِ الأركان، والتَّرتيبُ، والتَّشهُّدُ الأخير، والجلوسُ له، والصَّلاةُ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، والتَّسليم.

---

(١) أي: من الأرض مبدؤكم، فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، وفي الأرض نعيدكم، أي: إذا متم تصيرون إليها، فتدفنون بها، ومن الأرض نُخْرجكم يوم البعث والحساب، تارةً أي: مرَّةً أخرىٰ؛ كقوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف:٢٥]، وفي الحديث أنه ﷺ أخذ قبضةً من تراب الأرض، فألقاها في القبر، فقال: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه:٥٥]».

(٢) **قلت:** ودلائل أفضليتها علىٰ سائر الأعمال بعد التوحيد كثيرة، منها: أنها الفرض الوحيد الذي فَرَضَه الله في السماء، حيث كلَّم الله تعالىٰ بها نبيه ﷺ. ومنها: أنها الفرض الوحيد الذي فرضه الله بعد التوحيد قبل الهجرة. ومنها: أن الرسول ﷺ جعلها هي العاصمة للدم والمال بعد التوحيد. ومنها: أنه ليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة، والقرآن والسُّنَّة مليئان ببيان ذلك. ولذلك من فقه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ربط الكلام عليها مع هذه الرسالة التي تكلمت عن أصول الاعتقاد والتوحيد.

وَوَاجباتُها ثمانيةٌ: جميعُ التَّكبيرات غير تكبيرة الإحرام، سبحان ربِّي العظيم في الرُّكُوع، سمع الله لمَنْ حمده للإمام والمنفرد، ربَّنا ولك الحمد للكلِّ، سبحان ربِّي الأعلىٰ في السُّجُود، ربِّ اغفر لي بَيْنَ السَّجدتين، والتَّشهُّد الأوَّل، والجُلُوس له، وما عدا هَذَا فسنن أقوالٍ وأفعالٍ(١)، وصلَّىٰ الله عَلَىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ، وَسلَّم تسليمًا كثيرًا.

(١) هذه مباحثها في كتب الفقه، كالمغني والشرح الكبير والمجموع والمحلىٰ وغيرها من المطولات ومن المختصرات. انظر: «منهج السالكين» للسعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورسالة الدروس المهمة لعامة الأمة لابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب «الشرح المختصر علىٰ زاد المستقنع» للفوزان حفظه الله تعالىٰ (١/ ٤٢١).

الرسالة السادسة عشرة(١)
«فضل العلم في تحقيق التوحيد والمتابعة»

وقال أيضًا الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن رحمه الله تعالىٰ:

فائدةٌ: عظيمةُ النَّفع لمَنْ تدبَّرها، وفهمها في حقيقة التَّوحيد والمُتَابعة؛ قال العَلَّامة ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «المفتاح»(٢): الوَجْه الرَّابع والثَّلاثون بعد المئة: أنَّ اللهَ سُبْحَانه خلق خلقَه لعبادتِهِ الجامعة لمحبَّته ومَرْضاته، المُسْتلزمة لمعرفتِهِ، ونصب للعباد علمًا -لا كمالَ لهم إلَّا به- وهو: أن تكونَ حَرَكاتُهم كلُّها واقعةً عَلَىٰ وَفْق مرضاتِهِ ومَحبَّته، ولذلك أرسل رُسُله، وأنزل كُتُبه، وشَرَع شَرَائعه، فكمالُ العبد الَّذي لا كمالَ له إلَّا به، أن تكونَ حركاتُهُ موافقةً لما يحبُّه الله ويَرْضاه؛ ولهَذَا جعل اتِّباع رُسُله دليلًا عَلَىٰ مَحبَّته، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١].

قَالَ بَعْض العُلَماء: المحبُّ الصَّادقُ إِنْ نطقَ نطقَ بالله، وإن سكتَ سكتَ لله، وإن تَحرَّكَ فبأمر الله، وإن سَكَن فسكونُهُ استعانةٌ عَلَىٰ مرضاة الله، فهو لله وبالله ومع الله، ومعلومٌ أنَّ صاحبَ هَذَا المقام أحوج خَلْق الله إِلَىٰ العلم، فإنَّه لا تَتميَّز

(١) طبعت في «الدرر السَّنية» (٢/ ٢٧٧-٢٨٠).
(٢) والمراد منه كتاب «مفتاح دار السعادة».

له الحركة المحبوبة لله من غيرها، ولا السُّكُون المحبوب له من غيره إلَّا بالعلم، فليست حاجتُهُ إِلَىٰ العلم كحاجة مَنْ طلب العلمَ لذاتِهِ؛ لأنَّه[١] في نفسِهِ صفةُ كمالٍ، بل حاجتُهُ إِلَىٰ العلم كحاجته إِلَىٰ الطَّعام والشَّراب[٢].

ولهَذَا اشتدَّت وصاة شُيُوخ العارفين[٣] لمُريديهم بالعلم وطَلَبه، وأَنَّ مَنْ لم يطلب العلمَ لم يفلح، حتَّىٰ كانوا يعدُّون مَنْ لا علمَ له من السِّفلة.

قال ذو النُّون -وقد سئل عن السِّفلة- فقال: مَنْ لا يعرف الطَّريق إِلَىٰ الله تعالىٰ، ولا يتعرَّفه.

وقال أبو يزيد: لو نظرتم إِلَىٰ الرَّجل، وقَدْ أعطي من الكرامات حتَّىٰ يترفَّع[٤] في الهواء، فلا تَغترُّوا به حتَّىٰ تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنَّهي، وحفظ الحُدُود، ومعرفة الشَّريعة.

وقال أبو حمزة[٥]: مَنْ علم طريق الحقِّ، سهل عليه سلوكُهُ؛ ولا دليلَ إِلَىٰ الله، إلَّا بمُتَابعة رسول الله ﷺ في أقوالِهِ، وأفعالِهِ، وأحوالِهِ[٦].

وقال مُحمَّد بن فضل الصُّوفي الزَّاهد: ذَهَاب الإسلام عَلَىٰ يد أَرْبَعة أصنافٍ[٧].

---

(١) في المطبوع من «مفتاح دار السعادة»: «ولأنه».
(٢) في المطبوع منه: «بل حاجته إليه كحاجته إلىٰ ما به قوام نفسه وذاته».
(٣) والمراد بهم أولياء الله، وإن كان هذا من مصطلحات أهل التصوف.
(٤) في المطبوع منه: «حتىٰ يتربع».
(٥) في المطبوع منه: «أبو حمزة البزار».
(٦) في المطبوع منه: «ولا دليل علىٰ الطريق إلا متابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله».
(٧) في المطبوع منه: «علىٰ يدي أربعة أصناف من الناس».

صنفٌ لا يعملون بما يعلمون، وصنفٌ يَعْملون بما لا يَعْلمون، وصنفٌ لا يَعْلَمون، ولا يَعْمَلون(١)، وصنفٌ يَمْنعون النَّاس من التَّعلُّم.

قلت: **الصِّنف الأوَّل**: مَنْ له علمٌ بلا عملٍ، فهو أضرُّ شيءٍ عَلَىٰ العامَّة؛ فإنَّه حُجَّةٌ لهم في كلِّ نقيصةٍ ومحسنة.

والصِّنف الثَّاني: **العابد الجاهل**، فإنَّ النَّاسَ يُحْسنون الظَّنَّ به لعبادتِهِ وصلاحِهِ، فيقتدون به عَلَىٰ جهله، وهَذَان الصِّنفان هما اللَّذان ذكرهما بعض السَّلف في قولِهِ: احذروا **فتنةَ العالم الفاجر، والعابد الجاهل**، فإنَّ فتنتهما فتنةٌ لكلِّ مفتونٍ، فإنَّ النَّاسَ إنَّما يَقْتدون بعلمائهم وعُبَّادهم، فإذا كان العلماءُ فجرةً، والعُبَّادُ جهلةً، عَمَّت المصيبة بهما، وعظمت الفتنةُ عَلَىٰ الخاصَّة والعامَّة.

الصِّنف الثَّالث: **الَّذين لا علمَ لهم**، ولا عملَ، وإنَّما هم كالأنعام السَّائمة.

الصِّنف الرَّابع: **نُوَّاب إِبْليس في الأرض**، وهُمُ الَّذين يُثبِّطون النَّاسَ عن طَلَب العلم، والتَّفقُّه في الدِّين، فهؤلاء أضرُّ عليهم من شَيَاطين الجنِّ، فإنَّهم يَحُولُون بين القلوب وبين هدىٰ الله وطريقه.

فهؤلاء الأربعة الأصناف(٢) هم الَّذين ذَكَرهم هَذَا العارف رحمه الله تعالىٰ، وهؤلاء كلُّهم عَلَىٰ شفا جرفٍ هارٍ، وعلىٰ سبيل هلكةٍ(٣)، وما يَلْقىٰ العالم الدَّاعي إِلَىٰ الله ورسولِهِ ما يَلْقاه من الأذىٰ والمُحَاربة إلَّا عَلَىٰ أيديهم، واللهُ

(١) في المطبوع منه: «وصنف لا يعملون، ولا يعلمون».
(٢) في المطبوع منه: «أصناف».
(٣) في المطبوع منه: «الهلكة».

يَسْتَعمل مَنْ يشاء في سخطِهِ، كما يستعمل مَنْ يحبُّ في مرضاتِهِ ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورىٰ:٢٧]، وَلَا ينكشفُ سرُّ هَذِهِ الطَّوائف وطريقتهم إلَّا بالعلم؛ فعادَ الخيرُ بحَذَافيره إِلَىٰ العلم وموجبه، والشَّرُّ بحَذَافيره إِلَىٰ الجهل وموجبه؛ انتهىٰ(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن إِلَىٰ الابن عبد اللَّطيف، سَلَّمه الله تعالىٰ.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

هَذَا الوَجْه من أنفع ما رأيتُ في تحقيق التَّوحيد والمُتَابعة، فأنتَ اقرأه عَلَىٰ الإمام، فيا سعادةَ مَنْ عَقله، وصارَ عَلَىٰ بالِهِ، والله أعلم(٢).

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٤٩-٢٥١)، وهذا الوجه ضمن ثالث وخمسين ومئة وجه ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تحت الأصل الأول في العلم، وفضله، وشرفه، وبيان عموم الحاجة إليه، وتوقف كمال العبد ونجاته في معاشه ومعاده عليه. واختار هذا الوجه لبيان أهمية العلم في تحقيق التوحيد والاتباع، ولأهمية هذا الوجه كتبه الشيخ عبد الرحمن بن حسن لابنه، يعظمه في نفسه، ويجعله علىٰ باله ويتعقله، ويأمره أن يقرأه علىٰ ولي الأمر، وهذا من تمام نصحه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، وأجزل له المثوبة.

(٢) «الدرر السَّنيَّة» (٢/ ٢٨٠).

الرسالة السابعة عشرة[1]
«فضل لا إله إلاَّ اللّه ومتى يحرم دم ومال قائلها»

سؤال: ما قَوْل العلماء الأعلام، أئمَّة الإسلام فيمَنْ يقول: لا إله إلاَّ الله، ويدعو غير الله، هل يحرم ماله ودمه بمجرَّد قولها أم لا؟

الجواب: وبالله التَّوفيق: «لا إله إلَّا الله» كلمة الإخلاص، وكلمة التَّقوىٰ، والعروة الوثقىٰ[2]، وهي الحنيفيَّة ملَّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، جَعَلها كلمةً باقيةً في عقبه، وقد تَضمَّنت ثبوت الإلهيَّة لله تعالىٰ، ونفيها عمَّا سواه، والإله هو الَّذي تألهه القلوب محبَّةً، وإنابةً، وتوكُّلًا، واستعانةً، ودعاءً، وخوفًا، ورجاءً[3]. ومعنىٰ «لا إله إلَّا الله» أي: لا معبود حقٌّ إلَّا الله[4]، قَالَ الله تَعَالىٰ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان:٣٠]، قال جلَّ ذِكْره: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى

---

(١) طبعت في «الدُّرر السَّنيَّة» (٩/ ٢٤٩-٢٥٢).

(٢) في المطبوع: «وهي العروة الوثقىٰ».

(٣) في المطبوع زيادة: «ونحو ذلك».
ذكر ذلك كثير من المحققين؛ كابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، وغيرهم، وقد نقل ذلك المؤلف في «فتح المجيد»، وبَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك أيضًا في كثيرٍ من رسائله التي بين أيدينا.

(٤) قوله: «لا معبود حق إلا الله» غير موجود في المخطوط. وأثبته من «الرسائل والمسائل».

ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد:١٤]، فدلَّت هَذِهِ الكلمة العظيمة مطابقة(١) عَلَىٰ إخلاص العبادة بجميع أَفْرادها لله تعالىٰ، ونفي كلِّ معبودٍ سواه، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨] أي: لا إله إلَّا الله، فأرجع ضمير هذه الكلمة إلىٰ ما سبق من مدلولها(٢)، وهو قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧]، وهَذَا هو الَّذي خلق اللهُ الخلق لأجله، وافترضه عَلَىٰ عباده، وأرسل الرُّسُل، وأنزل الكتب لبيانه وتقريره، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ الآية [الإسراء:٢٣]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا

(١) **قال الإمام عبد الرحمن بن حسن في رسالته الأخرىٰ «الدر المنثور في الرد علىٰ عثمان بن منصور»**: «و(لا إله إلا الله) خير الكلام وأفضله، وتناولت الدين كله، ودَلَّت عليه مطابقةً وتضمنًا والتزامًا، وتَضمَّنت أمرين، هما أساس الدين؛ الأول: نفي الإلهية عن كل ما سوىٰ الله تعالىٰ نفيًا عامًّا، وهي العبادة كما نطق به القرآن في مواضعَ كثيرةٍ، فـ «لا» هي أداة النفي، دخلت علىٰ المنفي بها فانتفىٰ إذا قاله الموحد. الأمر الثاني: المستثنىٰ بـ «إلا»، وهو الله وحده دون كل ما سواه من قبرٍ، أو وثنٍ، أو شجرٍ، أو حجرٍ، أو غير ذلك، فلا يقصد بشيءٍ من أنواع العبادة شيئًا سوىٰ الله تعالىٰ وحده، فدلَّتْ علىٰ هذين الأمرين مطابقة، وهو معنىٰ قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران:٦٢]، وبعدها قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤]، فقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ هو معنىٰ «لا إله»، وقوله: «إلا الله» هو المستثنىٰ في كلمة الإخلاص». (ص٣٩).

(٢) في المطبوع: «فأرجع الضَّمير في هَذِهِ الكلمة إِلَىٰ ما سبق منه مدلولها».

نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾﴾ [هود:١، ٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[1][البقرة:٢٥٦].

والطَّاغوت كلُّ ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبودٍ، ومتبوعٍ، أو مطاعٍ[2]، فمَنْ تحقَّق بمدلول هَذِهِ الكلمة العظيمة[3]من إخلاص العبادة لله تعالىٰ، والبراءة من عبادة ما سواه بالجنان والأركان، وعمل بما اقتضته من فرائض الإسلام والإيمان، كان معصوم الدَّم والمال، ومن لا فلا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾ [التوبة:٥]، فدلَّت هَذِهِ الآية الكريمة عَلَىٰ أنَّ عصمة الدَّم والمال لا تحصل بدون هَذِهِ الثَّلاث لترتيبها عليها ترَتُّب الجزاء

---

(١) في المطبوع ذكرت الآية كاملة.

(٢) «إعلام الموقعين» لابن القيم (١/ ٥٠).

قلت: والمراد: تجاوز الحد المشروع في المخلوق المعبود، فالمعبود إذا اعتقد فيه الضر والنفع، وأنه يعلم الغيب، وبالتالي يتقرب إليه بذبحٍ، أو نذرٍ، أو دعاءٍ، أو استغاثةٍ، أو غيرها، فهو طاغوت إذا رضي به، وليس كل معبود يكون طاغوتًا، فعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يعبد من دون الله، والملائكة يُعْبَدون من دون الله، وبعض الصالحين من الصحابة وغيرهم يعبدون من دون الله، ولكن لا يكون أحدهم طاغوتًا؛ لأنَّهم غير راضين بذلك.

والمتبوع إذا قدمت طريقته علىٰ طريقة الرسول ﷺ، واتُّبع علىٰ كل شيءٍ ولو خالف الشرع، فهو طاغوت إذا كان عالمًا بذلك، راضيًا به.

والمطاع إذا اتبع في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله، وأطيع علىٰ ذلك وهو راضٍ به، فهو طاغوت، بعكس من اجتهد فأخطأ وهو غير راضٍ بطاعته علىٰ ذلك.

(٣) في المطبوع: «فمن تحقق مبدأ قول هذه الكلمة العظيمة».

عَلَىٰ الشَّرط. وفي الصَّحيح عن أبي مالكٍ الأشجعيِّ، عن أبيه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ قال لا إله إلَّا الله، وكفر بما يُعبَد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه عَلَىٰ الله تعالىٰ**»(١)، فلا بدَّ لتصحيحها من الإخلاص لله تعالىٰ، ونفي الشِّرك، كما قال الله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٢-٣]، ثمَّ شهد عليهم بالكذب والكفر، وأخبر أنَّه لا يهديهم، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

وفي المتَّفق عليه من حديث معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**فإنَّ حقَّ الله عَلَىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»(٢)، فمَنْ تألَّه قلبه غير الله، ودَعاه من دون الله، فقد أشرك

---

(١) تقدم تخريجه في الرسالة الثالثة.

قلت: ولهذا فإن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قاتلَ مَنْ منع الزكاة، فتارك الصلاة وغير المقر بالتوحيد من باب الأَوْلىٰ. فقد روىٰ البخاري (ح/ ٧٢٨٤، ٧٢٨٥) ومسلم (ح/ ٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -واللفظ لمسلم- لمَّا تُوفِّي رَسُولُ الله ﷺ، وَاسْتُخْلف أَبُو بكرٍ بعدهُ، وكَفَر مَنْ كَفَر من العرب، قال عُمرُ بنُ الخطَّاب لأبي بكرٍ: كيف تُقاتلُ النَّاس وقد قال رسُولُ الله ﷺ: «**أُمرتُ أن أُقاتل النَّاس حتَّىٰ يقُولُوا لا إله إلا اللهُ، فمَنْ قال لا إله إلا اللهُ فقد عصم منِّي مالهُ ونفسهُ إلا بحقِّه، وحسابُهُ علىٰ الله**»، فقال أبُو بكرٍ: والله، لأُقاتلنَّ مَنْ فرَّق بين الصَّلاة والزَّكاة، فإنَّ الزَّكاة حقُّ المال، واللهِ لو مَنعُوني عقالًا كانُوا يُؤدُّونهُ إلىٰ رسُول الله ﷺ لقاتلتُهُم علىٰ منعه، فقال عُمرُ بنُ الخطَّاب: فوالله ما هُو إلا أن رأيتُ الله عَزَّ وَجَلَّ قد شرح صدر أبي بكرٍ للقتال، فعرفتُ أنَّهُ الحقُّ.

(٢) طرف من حديث رواه البخاري (ح/ ٢٨٥٦)، ومسلم (ح/ ٣٠) من حديث معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

بالله، والله لا يغفر أن يُشْرك به، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية [الأحقاف:٥]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣، ١٤]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت:٦٥، ٦٦].

وفي المتَّفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قيل: يا رسول الله، أيُّ الذَّنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»[(١)]، وفي روايةٍ لمسلمٍ: «**أن تدعو لله ندًّا**»[(٢)] الحديث، والله المستعان.

---

(١) طرف من حديث رواه البخاري في «صحيحه» (ح/ ٤٤٧٧)، ومسلم (ح/ ١٤١) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (ح/ ١٤٢).

الرسالة الثامنة عشرة[١]
«استقامة أهل الإيمان والسُّنَّة وحيرة أهل الكلام والبدعة»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وسئل الشَّيخ: عبد الرَّحمن بن حسن -رحمه الله تعالىٰ- عن قول الخطيب[٢]: الحمد لله الَّذي تَحيَّرت العُقُول في مبدأ أنواره، وتَاهَتِ الألبابُ في صَمديَّته، وكُنْه ذاتِهِ؟

فأجاب: هَذِهِ الألفاظُ ابتدعها مَنْ تَمسَّك بقول أهل الكلام الحادث المذموم؛ فإنَّهم الَّذين تاهوا، وتَحيَّروا في الإيمان الَّذي دعت إليه الرُّسُل، ونَزلَت به الكُتُب، وإلَّا فطريقة القرآن: حمد الله لنفسه بأسمائِهِ وصفاتِهِ، وما يعرف به، ويوجب الإيمانَ به، ومَعْرفته، وإثبات رُبُوبيَّته؛ وصفات كمالِهِ، فهَذَا هو توحيدُ المَعْرفة والإثبات الَّذي هو تَوْحيد المُرْسَلين؛ ودعوا[٣] به الأُمَم إِلَىٰ

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (٤/ ٣٦٦، ٣٦٧)، و«الدرر السَّنيَّة» (٣/ ٢٢٨، ٢٢٩).
(٢) أي: لمن يبدأ خطبته، وليس المراد أحدًا يلقب بالخطيب، والله أعلم.
(٣) أي أن توحيد الربوبية والأسماء والصفات الذي هو توحيد المعرفة والإثبات الذي الناس مقرُّون به، استدل به الأنبياء والمرسلون، واحتجوا به علىٰ أقوالهم علىٰ توحيد الألوهية الذي هو توحيد القصد والطلب؛ لأن الأول مستلزم للثاني.

تَوْحيد الإرادة والقَصْد الَّذي هو توحيدُ الإلَهيَّة؛ فإنَّ الرَّبَّ الَّذي أبدع لخلقه ما يُشَاهدونه، من عظيم مَخْلوقاتِهِ، وتعرَّف إليهم بذلك، وبما دَلَّهم عليه من كمالِ صفاتِهِ، وتصرفه في مخلوقاتِه، هو الرَّبُّ الَّذي لا يستحقُّ العبادة غيره(١).

فالرُّسُل وأتباع الرُّسُل كَمَّل اللهُ إيمانهم بذلك العلم والعمل؛ فقَدْ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١]، فحَمِدَ نَفْسَه بما يوجب الإيمان به، ومَعْرفته، من عظيم مخلوقاتِهِ، واستدلَّ بأدلَّة رُبُوبيته عَلَىٰ ما يَسْتلزمه من إلَهيَّته، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام:١]، فأَنْكَر الشِّرك في حقِّ من هَذَا وَصْفه، وإنكار الشِّرك يَقْتضي توحيد العبادة بألَّا يُرَاد غيره، ولا يُقْصَد سواه، فانتظم ذلك نَوْعي التَّوحيد.

وَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف:١]، فحمد نفسه عَلَىٰ إنزال الكتاب الَّذي هو أَعْظَم نعمةٍ أَنْعَمها عَلَىٰ أَهْل الأرض؛ وهو يَقْتضي الإيمان بالكُتُب والرُّسُل، وهو صراطُ الله المستقيم الَّذي لا تزيغُ به الأَهْوَاء.

فهَذَا وأمثالُهُ هو طريقةُ القرآن؛ يَحْمد نفسه عَلَىٰ ما يَتعرَّف به إِلَىٰ خَلْقه؛ ليعرفوه بذلك الَّذي أَبْدَعه، وأَوْجَده، وأَنْعَم به، كقولِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١]، وأمثال هَذَا في القرآن.

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة:٢١]. قال ابن كثير في «تفسيره»: «ومضمونه أنه الخالق، الرازق، مالك الدار وساكنيها، ورازقهم»، فبهذا يستحق أن يعبد وحده لا يشرك به غيره» (١/ ٩٩).

وبتَدبُّره، والعلم به[١]، يَحْصل به كمالُ الإيمان، وتنتفي الحَيْرة، ويَحْصل

(١) قلت: وبسبب استمداد أهل السُّنَّة دينهم من الكتاب والسُّنَّة، وما كان عليه السلف، فقد أثمر فيهم ثمارًا عظيمةً جليلةً، منها اليقين والثبات والرسوخ والصدق. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: كل من استقرأ أحوال العالم، وجد المسلمين أحدَّ وأسدَّ عقلًا، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قُرُون وأجيال، وكذلك أهل السُّنَّة والحديث تجدهم كذلك متمتعين، وذلك لأنَّ اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويُصحِّحه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦ – ٦٨].

وهذا يعلم تارةً بموارد النزاع بينهم وبين غيرهم، فلا تجد مسألة خولفوا فيها إلا وقد تبين أن الحق معهم، وتارةً بإقرار مخالفيهم ورجوعهم إليهم دون رُجُوعهم إلىٰ غيرهم، أو بشهادتهم علىٰ مخالفيهم بالضلال والجهل، وتارةً بشهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض، وتارةً بأنَّ كل طائفة تعتصم بهم فيما خالفت فيه الأخرىٰ، وتشهد بالضلال علىٰ كل مَنْ خالفها أعظم مما تشهد به عليهم.

فأما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض: فهذا أمرٌ ظاهرٌ معلومٌ بالحس والتواتر لكل مَنْ سمع كلام المسلمين، لا تجد في الأمة عظم أحد تعظيمًا أعظم مما عظموا به، ولا تجد غيرهم يعظم إلا بقدر ما وافقهم فيه، كما لا ينقص إلا بقدر ما خالفهم.

حتىٰ إنك تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة يقرُّ بذلك، كما قال الإمام أحمد: «آية ما بيننا وبينهم يوم الجنائز»، فإنَّ الحياة بسبب اشتراك الناس في المعاش يعظم الرجل طائفته، فأما وقت الموت فلا بُدَّ من الاعتراف بالحق من عموم الخلق، ولهذا لم يعرف في الإسلام مثل جنازته (أي: الإمام أحمد): مسح المتوكل موضع الصلاة عليه، فوجد ألف ألف وست مئة، سوىٰ مَنْ صلىٰ في الخانات والبيوت، وأسلم يومئذٍ من اليهود والنصارىٰ عشرون ألفًا، وهو إنما نبل عند الأمة باتباع الحديث والسُّنَّة، وكذلك الشافعي، وإسحاق، وغيرهما، إنما نبلوا في عموم الأمة وقبل قولهم لما وافقوا الحديث والسُّنَّة. «الفتاوىٰ» (٤/ ١١).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: إن أعقل الخلق علىٰ الإطلاق: الرسل، وأتباعهم بعدهم أعقل الأمم، وأهل الكتاب والشرائع الكبار أعقلهم، وأعقل هؤلاء المسلمون، وأعقل المسلمين أصحاب =

كمالُ الهداية، ويَعْصم القُلُوب أن تتيهَ في رَبِّها، وصفاتِهِ؛ فكلُّ ما وصف به نَفْسه، فلا حيرةَ فيه عند أَهْل الإيمان الَّذين عرفوه بما تَعرَّف به إليهم في كتابِهِ، واَطْمأَنَّتْ قُلُوبهم بالإيمان به، وجَعَلوه قصدهم ومُرَادهم.

وأمَّا أَهْل الجدل من أهل الكَلَام، فهم الَّذين تَحيَّروا، وتاهوا، كما أَخْبَر بذلك نفرٌ من مُتقدِّميهم(١)، كما هو معروفٌ لَدَيكم بحَمْد الله.

=

رسول الله ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، وأهل السُّنَّة والحديث أعقل الأمة بعدهم علىٰ الإطلاق، والبرهان القاطع علىٰ هذا أنه قد ظَهَر علىٰ أيدي الرسل من العلم النافع، والعمل الصالح، ومصالح الدنيا والآخرة ما لَمْ يظهر مثله، ولا قريب منه، ولا ماله البتَّة نسبة بوجهٍ من الوجوه علىٰ أيدي غيرهم من العقلاء، ومن تدبَّر سيرتهم في أنفسهم، وفي خاصَّتهم، وفي العامَّة، وصبرهم وزهدهم في الدنيا، ورغبتهم في الله وما عنده، واشتمالهم من الأخلاق علىٰ أزكاها، ومن الشِّيم علىٰ أرضاها، وأنهم أصدق الخلق، وأبرهم قلوبًا، وأزكاهم نفوسًا، وأعظمهم أمانةً، وأكرمهم عشرةً، وأعفهم ضمائر، وأطهرهم سريرةً، لم يشكَّ أنهم أعقل خَلْق الله علىٰ الإطلاق، ولا ريب أن كل مَنْ كان إليهم أقرب، كان حظُّهُ من العقل أوفر، والعلوم والأعمال والسِّيرة والدلائل علىٰ ذلك. «الصواعق» (٤/ ١٥١٤).

(١) كالشهرستاني، والرازي، وأبي المعالي الجويني، والغزالي. وقد نقل شيخ الإسلام أقوالهم في «الفتوىٰ الحموية» «الفتاوىٰ» (٥/ ١٠، ١١)، وإنما حصل لهؤلاء المبتدعة وأمثالهم الحيرة والاضطراب بسبب تركهم للكتاب والسُّنَّة، وما كان عليه سلف الأمة وتقديمهم المعقول علىٰ المنقول. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة «الفتوىٰ الحموية» مبينًا اضطراب وحيرة أهل الكلام، والسبب الذي آل بهم إلىٰ هذا السبيل الوخيم: «ومَنْ علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم، هم في الغالب في (قول مختلف، يؤفك عنه من أفك) يعلم الذكي منهم العاقل أنه ليس هو فيما يقوله علىٰ بصيرة، وأن محجته ليست ببينةٍ، وإنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقًّا وكل كاسر مكسورُ

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه يستحقون ما قاله الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث قال: حكمي في أهل الكلام أن يُضْربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء مَنْ ترك

=

=
الكتاب والسُّنَّة، وأقبل علىٰ الكلام. ومن وجه آخر: إذا نظرت إليهم بعين القدر، والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم، رحمتهم ورفقت عليهم، أوتوا ذكاءً، وما أوتوا زكاء، وأعطوا علومًا، وما أعطوا فهومًا، وأعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف:٢٦]، ومَنْ كان عالمًا بهذه الأمور، تَبيَّن له بذلك حذق السلف، وعلمهم، وخبرتهم، حيث حذروا عن الكلام، ونهوا عنه، وذموا أهله وعابوهم، وعلم أنَّ من ابتغىٰ الهدىٰ في غير الكتاب والسُّنَّة لم يزدد إلا بعدًا».اهـ. «الفتاوىٰ» (٥/ ١١٩، ١٢٠)، وأثر الشافعي قال عنه محقق «الحموية» أحمد القفيلي: هذا أثر صحيح رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٢٣)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص١٤٣) برقم (١٥٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ برقم ١٧٩٤).

الرسالة التاسعة عشرة[(١)]
«التوجيه الإعرابي الصحيح لكلمة: «لا إله إلاَّ الله»

وَقَال أيضًا الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن رحمه الله تعالىٰ: زَعَم مَنْ لا علمَ لديه أنَّ المستثنىٰ بـ «إلَّا» في «لا إله إلَّا الله»، دَخَل في عُمُوم المنفيِّ في اسم «لا»، وهَذَا خطأٌ بَيِّنٌ من وُجُوهٍ:

الأوَّل: أنَّ النَّفي يُنَاقض الإثباتَ، فاجتماعُ النَّفي والإثبات في جملةٍ جمع بَيْنَ النَّقيضين، وهما لايجتمعان، فيمتنع الجمع بينهما.

الثَّاني: أنَّ «لا» النَّافية للجنس، لها اسمٌ وخبرٌ ولا بُدَّ، فلا تتمُّ فائدة اسمها إلَّا بخبرها، والخبرُ الجزءُ المتمُّ للفائدة، فـ«لا» حرف نفيٍ، و«إله» اسمها مبنيٌّ معها عَلَىٰ الفتح، والخبر المقدَّر وهو «حق» عَلَىٰ الصَّحيح، كَمَا في قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج:٦٢]، والخبرُ وصفٌ في المعنىٰ قيد في الاسم، وقَدْ خصَّ من الإلهيَّة ما ليس بحقٍّ، وفائدتُهُ إخراج الإله الحقِّ من المنفيِّ، لتخصيص المنفيِّ بانتفاء حقيقتِهِ، وهَذَا ظاهرٌ لمَنْ له أَدْنَىٰ فهمٍ، فالاستثناءُ من الخبر المُقيَّد في حقيقة المستثنىٰ، وهو الله تَعَالىٰ دون ما يُعبَد من

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (١/ ٣٤٤-٣٤٧)، و«الدرر السَّنية» (٢/ ٢٥٦-٢٥٨).

دونه، وكلُّ ما يُعْبَد من دونه هو المنفيُّ بحرف النَّفي، فيكون النَّفي منصبًّا عَلَىٰ كلِّ مألوهٍ ليس بحقٍّ، وأمَّا الحقُّ فثابتٌ لم ينتفِ، بدليل الوصف المثبت له.

الثَّالث: أنَّ الآيةَ وهي قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]، فأتىٰ بمَعْناها نفيًا وإثباتًا، فيَجْري في مَدْلولها ما جَرَىٰ في الدَّالِّ، وهو: لا إله إلَّا الله، فلا يَجُوز في قلبِ مسلمٍ أن يعتقدَ أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ تبـرَّأ من معبودِهِ الَّذي فَطَره بقولِهِ: ﴿بَرَآءٌ مِّمَّا﴾، ثمَّ أثبته بقوله: ﴿إِلَّا﴾ هَذَا لا يقع اعتقادُهُ من مسلمٍ عرف هَذِهِ الكلمة ومعناها.

والحقُّ الَّذي يجب اعتقادُهُ ويُدَان الله به أنَّ الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ تبـرَّأ من كلِّ ما كانوا يعبدونه سوىٰ الله سبحانه، المستحقِّ للعبادة وحده، سبحانه وبحمده، فَاسْتَثناه تعالىٰ من معبوداتهم؛ لأنَّهم كانوا يَعْبدُونَ الله، ويَعْبدُونَ غيره، والقرآنُ يدلُّ عَلَىٰ هَذَا كما هو ظاهرٌ في آيات التَّوحيد، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ عن الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قالَ لقومِهِ: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات:٨٦، ٨٧].

وقَالَ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ [مريم:٤٨]، وَقَالَ عن أصحاب الكهف: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾(١)

---

(١) إنَّ مراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من هذا التحقيق لهذه المسألة هو الرد علىٰ مَنْ أخطأ من النحويين مُتَّبعين في ذلك الفلاسفة وأهل الكلام، وذلك في إعراب «لا إله إلا الله»، وتقديرها، فمنهم مَنْ جعل الخبر لفظ الجلالة، وتقديره: «لا معبود إلا الله»، ومنهم من جعل الخبر مقدر محذوف، وتقديره: «لا إله في الوجود إلا الله»، وهذه التوجيهات يترتب عليه أمور خطيرة، منها: نفي

=
الآلهة الباطلة الموجودة التي أثبتَ الله وجودها مبينًا بطلانها. ومنها: أن ذلك يوهم أن كل معبود عُبِدَ في الوجود هو الله، وهذه عقيدة الحلولية، والقول بوحدة الوجود.
وأنقل بعضًا من كلام بعض العلماء المحققين في هذه المسألة:
يقول ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» بعد أن بيَّن بطلان تقديرها بـ: لا إله في الوجود إلا الله، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وليس المراد هنا ذكر الإعراب، بل المراد رفع الإشكال الوارد على النحاة في ذلك، وبيان أنه من جهة المعتزلة، وهو فاسد. (ص١١٢).
وقال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى- في تعليقه على «الطحاوية»:
ما قاله صاحب «المنتخب» ليس بجيد، وهكذا ما قاله النحاة وأيده الشيخ أبو عبد الله المرسي من تقدير الخبر بكلمة: «في الوجود» ليس بصحيح؛ لأن الآلهة المعبودة من دون الله كثيرة وموجودة، وتقدير الخبر بلفظ: «في الوجود» لا يحصل به المقصود من بيان أحقية ألوهية الله سبحانه، وبطلان ما سواها؛ لأن لقائلٍ أن يقول: كيف تقولون: «لا إله في الوجود إلا الله»؟ فقد أخبر الله سبحانه عن وجود آلهة كثيرةً للمشركين، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ [هود:١٠١]، وقوله سبحانه: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۖ ﴾ الآية [الأحقاف: ٢٨].
فلا سبيل إلى التخلص من هذا الاعتراض، وبيان عظمة هذه الكلمة، وأنها كلمة التوحيد المبطلة لآلهة المشركين وعبادتهم من دون الله إلا بتقدير الخبر بغير ما ذكره النحاة، وهو كلمة: «حق»؛ لأنها هي التي توضح بطلان جميع الآلهة، وتبين أن الإله الحق والمعبود بالحق هو الله وحده، كما نبه على ذلك جمعٌ من أهل العلم، منهم أبو العباس ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم وآخرون رحمهم الله.
ومن أدلة ذلك قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج:٦٢]، فأوضح سبحانه في هذه الآية أنه هو الحق، وأن ما دعاه الناس من دونه هو الباطل، فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله من البشر، والملائكة، والجن، وسائر المخلوقات، واتَّضح بذلك أنه المعبود بالحق وحده، ولهذا أنكر المشركون هذه الكلمة، وامتنعوا من الإقرار بها؛ لعلمهم بأنها تبطل آلهتهم؛ لأنهم فهموا أن المراد بها نفي الأُلُوهيَّة بحقٍّ عن غير الله سبحانه، ولهذا قالوا جوابًا لنبينا محمد ﷺ، لما قال لهم: «**قولوا: لا إله إلا الله**»﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص:٥]، وقالوا أيضًا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا
=

[الكهف:١٦]، لكنَّ الجاهل أَعْمَىٰ، ولهَذَا تجد أَكْثَرهم يَتعصَّب لجهلِهِ ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]، وصَلَّىٰ الله عَلَىٰ مُحمَّدٍ.

= لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ [الصافات:٣٦]، وما في معنىٰ ذلك من الآيات، وبهذا التقدير يزول جميع الإشكال، ويتضح الحق المطلوب، والله ولي التوفيق. من كتاب «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز، انظر (ص٥٩٨).

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعض الناس قدره، فقال: «لا إله موجود إلا الله»، وهذا خطأ عظيم؛ لأنك إذا قلت: «لا إله موجود إلا الله» نفيت الآلهة الموجودة، وهي آلهة غير الله، بل إنه ربما يوهم هذا القول بوحدة الوجود، إذا قلت: «لا إله موجود إلا الله» جعلت الموجود في الوجود هو الله، وهذا خطر عظيم، ولهذا كان المتعين أن نقول: إن تقدير الخبر «حق»، والله بدل من حق؛ لأن الكلام تام منفي، فالله بدل من «حق». «شرح الآجرومية» (ص٤٦٥).

والمؤلف الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد تعرض لمثل ذلك من التوجيه والتعليل في الرسالة الخامسة، والرسالة الرابعة والعشرين.

الرسالة العشرون[١]
«أسئلة عن بعض أُمُور ابتدعها النَّاس»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُئِلَ شَيْخنا العالم العلاَّمة عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ عمَّا يخصُّ به يوم المولد من النَّحر، ويُسمُّونه نافلةً[٢]، وما يفعل في ليلة النِّصف من شعبان من النَّحر، وصيام اليوم، وما يخصُّ به يوم عاشوراء من النَّحر أيضًا، هل هو مبتدع[٣]؟ وهل الأكل من ذلك مُحرَّمٌ، أو مكروهٌ، أو مباحٌ؟ وهل يجب عَلَىٰ الأُمَراء والعلماء إنكار ذلك، ويأثمون بالسُّكُوت أم لا؟

فأجاب أَلْهَمه الله الصَّوابَ: هَذِهِ الأُمُور المذكورة كلها[٤] من البدع لما[٥]ثَبتَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ أحدثَ في أَمْرنا هَذَا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[٦]، وقوله في الحديث الآخر: «**وإيَّاكم ومُحْدثات الأُمُور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ**

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (١/ ٣٥٧، ٣٥٨).

(٢) في المطبوع زيادة: «وما يفعل في السَّابع والعشرين من رجبٍ من تَخْصيصه بالصَّوم والنَّحر».

(٣) في المطبوع: «هل هو محرم».

(٤) كلمة «كلها» غير موجودة في المطبوع.

(٥) في المطبوع: «كما ثبت».

(٦) رواه البخاري (ح/ ٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ضلالةٌ»(١)، والعباداتُ مَبْناها عَلَىٰ الأمر والاتِّباع(٢)، وهَذِهِ الأُمُور لَمْ يأمر بها رَسُولُ الله ﷺ، ولا فعلها الخلفاء الرَّاشدون، والصَّحابة والتَّابعون، وقَدْ قال ﷺ في بعض أَلْفَاظ الحديث الصَّحيح: «**مَنْ عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»(٣)، وهَذِهِ الأُمُور ليس عليها أمرُهُ ﷺ، فتكون به مردودةً، يجب إنكارها لدُخُولها فيما أنكر الله ورسولُهُ. قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورىٰ:٢١]، وهَذِهِ الأُمُور ممَّا أحدث الجُهَّال بغير هدىً من الله، والله ﷻ أعلم.

وأمَّا حديث التَّوسعة عَلَىٰ العيال يوم عاشوراء، فضَعَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية(٤)، لكن تَحْصل التَّوسعة بدون اتِّخاذه عيدًا، والله أعلم، وصلَّىٰ الله عَلَىٰ مُحمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وَسلَّم.

---

(١) رواه أبو داود (ح/ ٤٦٠٧)، والترمذي (ح/ ٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وصَحَّحه الألباني.

(٢) في المطبوع: «علىٰ الأمر والنهي والاتباع».

(٣) رواه مسلم (ح/ ١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ**: «وَرَووا في حديثٍ موضوعٍ مكذوبٍ علىٰ النبي ﷺ «**أنَّه مَنْ وسع علىٰ أهله يوم عاشوراء، وسع الله عليه سائر الناس**»، ورواية هذا كله عن النبي ﷺ كذب، ولكنه معروف من رواية سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر من أهل الكوفة. وأهل الكوفة كان فيهم طائفتان -إلىٰ أن قال بعد كلام طويل مبينًا سبب ظهور هذا الحديث وأمثاله- فصارت طائفة جاهلة ظالمة، إما ملحدة منافقة، وإما ضالة غاوية، تظهر موالاته (أي: الحسين رضي الله تعالىٰ عنه)، وموالاة أهل بيته تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتمٍ وحزنٍ ونياحةٍ، وتظهر فيه شعار الجاهليَّة من لطم الخدود، وشق الجيوب، والتعزِّي بعزاء الجاهلية -إلىٰ أن قال- فعارض هؤلاء قوم؛ إما من النواصب المتعصبين علىٰ الحسين وأهل بيته، وإما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد، والكذب بالكذب، والشر بالشر، والبدعة بالبدعة، فوَضَعوا الآثار في شَعَائر الفرح والسرور يوم عاشوراء؛ كالاكتحال، والاختضاب، وتوسيع النفقات علىٰ العيال، وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة، ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد والأفراح، وأولئك يتخذونه مأتمًا يقيمون فيه الأحزان والأتراح، وكلا الطائفتين مخطئة خارجة عن السُّنَّة». «الفتاوىٰ» (٢٥/ ٣٠٠-٣١٠).

الرسالة الحادية والعشرون[(١)]
حكم قول: «وهو القادر عَلَى ما يشاء»

من عبد الرَّحمن بن حسن إِلَىٰ الأخ عثمان بن بشر[(٢)] سَلَّمه الله تعالىٰ، آمين، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وَصَل الخط وصلك الله ما[(٣)] يرضيه، وسرنا طيبك وصحة حالك، عافانا الله وإيَّاكم من كلِّ سوءٍ، وأعاذنا وإيَّاكم من وُلَاة السُّوء، والإمام وآل الشَّيخ وخواص الإخوان تسرُّك حالهم، كذلك طَلَبة العلم نُبشِّرك أنَّهم كثيرون، ويا

(١) طبعت في «الدرر السَّنيَّة» مختصرًا (٣/ ٢٣٠)، ومجموعة «الرسائل والمسائل» (١/ ٤٠٤، ٤٠٥)، وأوردها ابن بشر في تاريخه في ترجمة الشيخ عبدالرحمن.

(٢) عثمان بن عبد الله بن عثمان بن أحمد بن بشر، النجدي المؤرخ، من قبيلة بني زيد. ولد في جلاجل سنة ١٢١٠هـ، ونشأ بها، وقرأ القرآن ثم انتقل إلىٰ الدرعية، ثم أخذ في قراءة العلوم علىٰ عدد من علماء نجد، منهم الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد عبد الوهاب، والشيخ علي بن يحيىٰ بن ساعد، والشيخ عثمان بن عبد العزيز بن منصور وغيرهم. له عدة من المصنفات، منها عنوان: «المجد في تاريخ نجد»، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جلاجل عام ١٢٩٠هـ. «معجم مصنفات الحنابلة» (٦/ ١٥٢).

(٣) في المطبوع: «إلىٰ ما يرضيه».

أخي، المؤمنُ مرآةُ أخيه[١]، جعلنا الله وإيَّاكم من المؤمنين.

وخطك[٢] سرني من وجهٍ، وساءنِي من وجهٍ، وهو السَّجع والمُجَازفة في المدح، فيا أخي، لسنا مُسْتحقِّين لشيءٍ من ذلك، فلا تعاملنا بشيءٍ من ذلك[٣] دعوة صالحة خيرٌ.

كلمة اشتهرت عَلَىٰ الألسن[٤] من غير قصدٍ، وهو قول الكثير في المُكَاتبات، إذا سأل الله شيئًا، قال: وهو القادرُ عَلَىٰ ما يَشَاء، وهَذِهِ الكلمة يقصد بها أهلُ البدع[٥] شرًّا، وكلُّ ما في القرآن: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١]، وليس في القرآن والسُّنَّة ما يخالف ذلك أصلًا؛ لأنَّ القدرةَ شاملةٌ كاملةٌ، وهي والعلم صفتان، شاملتان، يَتعلَّقان بالموجودات والمعدومات. وإنَّما قصد أهلُ البدع

(١) إشارة إلىٰ حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه**»، رواه أبو داود في كتاب الآداب، باب النصحية، والبخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٢٣٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ١١٣)، وحَسَّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٥٩٦).

(٢) أي: خطابك ورسالتك.

(٣) في المطبوع: «بمثل ذلك»، وهذا من تواضعه رَحِمَهُ اللَّهُ وكراهته للثناء بالوجه والمديح، ومن اتباعه للنبي ﷺ، فقد روىٰ أحمد في «مسنده» (٣/ ١٥٣) من حديث أنس أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، ويا سيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّ وَجَلَّ**»، رَوَاه النسائي بسندٍ جيدٍ.

(٤) في المطبوع: «الألسنة».

(٥) والمراد بهم المعتزلة. انظر: «المعتزلة في أصولهم الخمسة» لعواد عبد الله المعتق (ص١٠٣-١١٩).

بقولهم: «وهو القادر عَلَىٰ ما يشاء»، أي: القدرة لا تتعلَّق إلَّا بما تَعلَّقت المشيئة به(١).

(١) وذلك مثل أفعال العباد، فهي عندهم غير مقدورٍ عليها؛ لأن مشيئة الله لا تَعلُّق لها بأفعال العباد.
يقول ابن أبي العز في «شرح الطحاوية»: «وقد حرفت المعتزلة المعنىٰ المفهوم من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة:٢٨٤]، فقالوا: إنه قادر علىٰ كل ما هو مقدور له، وأما نفس أفعال العباد فلا يقدر عليها عندهم».
وقال ابن مانع: «قوله: (ذلك بأنه علىٰ كل شيء قدير) يجيء في كلام بعض الناس: «وهو علىٰ ما يشاء قدير»، وليس ذلك بصواب، بل الصواب ما جاء بالكتاب والسُّنَّة: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة:١٢٠]، خلافًا لأهل الاعتزال الذين يقولون: إن الله سبحانه لم يرد من العبد وقوع المعاصي، بل وقعت من العبد بإرادته لا بإرادة الله. انظر «شرح الطحاوية» لمجموعة من العلماء (١/ ٢٣٥-٢٥٦)، فهذه العبارة باطلة، ومن ورائها مقاصد سيئة كما بين المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ. والله عَزَّ وَجَلَّ قد ذكر في كتابه أنه علىٰ كل شيء قدير، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان عقيدة الطائفة المنصورة في القدر:
وأما الدرجة الثانية فهي مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركةٍ، ولا سكونٍ إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه علىٰ كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات.
«الواسطية» بشرح الفوزان (ص٢٢٤).

الرسالة الثانية والعشرون[(١)]
«وجوب تعلم: «لا إله إلاَّ اللّه» والعمل بشروطها

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالىٰ[(٢)]:

جهل أكثر النَّاس بمعنىٰ «لا إله إلَّا الله»، وإِنْ تكلَّموا بها لفظًا، فقد أَنْكَروا معناها[(٣)]، فَانْتَبَه لأُمُورٍ ستَّة أو سبعةٍ[(١)] لا يَسْلم العبد من الكفر أو النِّفاق إلَّا

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (٢/ ٨١)، وهذه الرسالة يتبين لنا منها اهتمام الإمام عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمسائل التوحيد، وتنبيه الناس علىٰ ما يقع فيه من خللٍ ونقصٍ، ومراسلة الناس علىٰ ذلك، وكل ذلك يدلُّ علىٰ عظم التوحيد، وتعظيم العلماء له، وتعظيم جانب النصيحة، ومن أعظمها جانب التوحيد ومسائله، وهذا هو سبيل النبي ﷺ، فإنَّ حياته ﷺ كلها وهو يدعو إلىٰ التوحيد، وينبه إلىٰ ما يقع فيه من نقصٍ في أصله، أو كماله حتىٰ لقي ربه عَزَّوَجَلَّ. ومن درس سيرته ﷺ عرف ذلك، وعظم في نفسه التوحيد والدعوة إليه، وهذا تحقيق لأمر الله تعالىٰ له، حيث قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

(٢) في المطبوع: «ومن مسائل التوحيد ما أجاب به بعض مَنْ طلب الفائدة، قال الإمام عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسرنا ما ذكرت من معرفتك جهل أكثر الناس...».

(٣) في المطبوع: «فقد أنكروها معنىٰ».

باجتماعها، وباجتماعها والعمل بمُقْتضاها يكون العبدُ مسلمًا، إذ لا بُدَّ من مُطَابقة اللسان علمًا، واعتقادًا[٢]، وقبولًا، ومَحبَّةً، وانقيادًا، فلا بُدَّ من العلم بها المُنَافي للجهل، ولا بُدَّ من الإخلاص المُنَافي للشِّرْك، ولا بُدَّ من الصِّدق المنافي للكذب بخلاف المشركين والمنافقين، ولا بُدَّ من اليقين المُنَافي للشَّكِّ والرَّيب، فقَدْ يقولها وهو شاكٌّ في مدلولها ومقتضاها، ولا بُدَّ من المحبَّة المنافية للكراهة، ولا بُدَّ من القبول المنافي للرَّدِّ، فقَدْ يعرف معناها ولا يقبله كحال مُشْركي العرب، ولا بُدَّ أيضًا من الانقياد المنافي للشرك، لتَرْك مُقْتَضاها[٣] ولَوَازمها وحُقُوقها المُصحِّحة للإسلام والإيمان.

فمَنْ تَحقَّق ما ذكرته ووقع منه موقعًا صرف الهمَّة إِلَىٰ تعلُّم معنىٰ «لا إله إلَّا

=

(١) والمراد بها شروط «لا إله إلا الله» السبعة، والتي لا يكمل توحيد العبد إلا باجتماعها، وقد فصل فيها وشرحها، وذكر أدلتها المؤلف في الرسالة السابعة والعشرين.

(٢) في المطبوع: «مطابقة القلب للسان علمًا، وعملًا، واعتقادًا».

(٣) في «الرسائل والمسائل»: «المنافي للترك، لترك مقتضياتها ولوازمها...إلخ»، وفي «الدرر»: «المنافي للشرك، لترك مقتضياتها...إلخ».

قلت: ومعنىٰ الانقياد المنافي للشرك، مقتضاها ولوازمها وحقوقها: أي الانقياد لها في كل ما تقتضيه من عبادة الله وتوحيده، والانقياد للوازمها وحقوقها من الأوامر وترك النواهي لله عَزَّوَجَلَّ. يقول الشيخ عبدالرحمن في شرحه لهذه الشروط في الرسالة الخامسة والعشرون: (الانقياد لما دلت عليه: ولا بد أيضًا من الانقياد لحقوق لا إله إلا الله بالعمل بما فرضه الله، وترك ما حرمه الله، والتزام ذلك، وهو منافي للشرك، فإن كثيراً ممن يدعي الدين يستخف بالأمر والنهي، ولا يبالي بذلك، والإسلام حقيقته: أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله تعالىٰ، وينقاد له، والتوحيد والطاعة).

الله»، وصار عَلَىٰ بصيرةٍ من دينِهِ[١]، وفرقان، ونور، وهدىٰ، واستقامة، وبالله التَّوفيق، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم، وصلَّىٰ الله عَلَىٰ مُحمَّدٍ، وآلِهِ وسلَّم.

---

(١) وقد أمر الله تعالىٰ بتعلم هذه الكلمة، حيث قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩]، ، وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فمن تَدبَّر هذه الآيات، وتدبر هذه الشروط التي جمعها أهل العلم استقراءً من النصوص، علم عظم هذه الكلمة، وعظم شأن العلم بها، وخطر الجهل بها وبشروطها.

الرسالة الثالثة والعشرون(١)

التوجيه الإعرابي لقوله ﷺ: «ولا إله غيرك»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن إِلَىٰ الأخ المحبِّ الشَّيخ عبد الله بن عبد الرَّحمن(٢) غَمَره الله بأنعمه، وزاده من فواضل جُودِهِ وكرمه، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، **وبعد:**

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (٤/ ٣٧٥، ٣٧٦).

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن سلطان بن خميس، الملقب بـ (أبا بطين) العائذي نسبًا، الحنبلي مذهبًا، السلفي معتقدًا، فقيه الديار النجدية، ولد في روضة سدير عام ١١٩٤هـ ونشأ بها. قرأ علىٰ بعض مشائخها. تولَّىٰ القضاء في الطائف في ولاية الإمام سعود بن عبد العزيز عام ١٢٢٠هـ، وفي ولاية عبد الله بن سعود قاضيًا علىٰ عمان، ثم وَلَّاه الإمام تركي قضاء الوشم، ثم ضم إليه قضاء سدير. وقَدْ وهبه الله الذكاء، وسرعة الفهم، وقوة الذاكرة، وفي سنة ١٢٤٨هـ أرسله الإمام تركي إلىٰ عنيزة قاضيًا. ثم اعتزل القضاء عام ١٢٨٠هـ. له عدة رسائل ومختصرات وحواشٍ، منها: «تأسيس التقديس في الرد علىٰ ابن جرجيس»، و«الانتصار في الرد علىٰ ابن جرجيس»، و«مختصر إغاثة اللهفان»، و«حاشية علىٰ الروض المربع»، وحاشية علىٰ شرح المنتهىٰ، وله رسالة في تجويد القرآن، وله فتاوىٰ تبلغ مجلداً، وغيرها. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في شقراء سنة ١٢٨٢. انظر ترجمته الدرر السنية (١٦/ ٤٢٧)، ومشاهير علماء نجد ص١٧٦، ومعجم مصنفات الحنابلة (٦/ ١٣٥) للطريقي.

فالخط وَصَل، وبه الأنس والسُّرُور حصل، حيث أنبأ عن حال الأخ جعلها الله حالًا مرضيةً، وبالتَّوفيق مرعيَّة، وحيث سألت عني، فأَحْمَد الله إليك وأنا بخيرٍ وعافيةٍ، جعلنا الله وإيَّاكم من الشَّاكرين، والأحوال من فضل الله جميلة، نسأل الله أن يصلح قُلُوبنا، ويغفر ذُنُوبنا، ويستر عُيُوبنا، وأن يمنَّ عَلَىٰ الجميع بالهدىٰ والسَّدَاد، والفوز بالرضوان يوم المعاد، إنَّه هو الكريم الجواد، اللَّطيف بالعباد.

ويا أخي، مرَّ علينا في شرح «الزَّاد»[١] في معنىٰ قولِهِ في الاستفتاح: «ولا إله غيرك»، أي: لا يستحقُّ أن يعبد غيرك، وهو يُؤيِّد ما قد قلتُهُ لك من أنَّ المقدر في كلمة الإخلاص إذا قال المُوحِّد: «لا إله إلَّا الله»، أي: لا إله حق إلَّا الله، والعامل في هَذَا المقدر «لا» عَلَىٰ أنَّه خَبَرها في قول الأخفش[٢]، وعلىٰ قول سيبويه[٣] لَمْ تعمل فيه «لا»، وإنَّما عمل فيه المبتدأ، وهو «لا» مع اسمها، فإنَّ

(١) متن «زاد المستقنع»، كتاب الصلاة، باب صفة الصلاة (ص١٦).

(٢) هو أبو الحسن المعروف بالأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي، ثم البصري مولىٰ بني مجاشع. قال عنه أبو حاتم السجستاني: كان الأخفش قدريًّا رجل سوء. وقال أبو عثمان المازني: كان الأخفش أعلم الناس بالكلام، وأحذقهم بالجدل، أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتىٰ برع، وكان من أسنان سيبويه، بل أكبر، له مصنفات عدة في النحو، واللغة، والعروض، والقوافي، ومعاني الشعر. توفي سنة خمس عشرة ومئتين. وقيل: سنة إحدىٰ وعشرين ومئتين. انظر ترجمته «معجم الأدباء» للحموي (٤/ ٣٠٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٠٦).

(٣) إمام النحو، حجة العرب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البصري. طلب الفقه والحديث مدةً، ثم أقبل علىٰ العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه. أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد، وأبي الخطاب الأخفش، وغيرهما. له أخبار ومناظرات ذكرها الحموي في «معجم الأدباء». مات سيبويه سنة ثمان ومئة. وقيل: =

«لا» في محل رفع عَلَىٰ الابتداء(١)، والمقصود أنَّ المقدَّر «حق» ليطابق ما في الآيتين في سورة الحجِّ ولقمان(٢).

وأبلغ محمَّد بن مانع ومن بحَضْرتك من الطَّلبة والإخوان والجماعة السَّلام، ومن لَدَينا عيالٌ وخواص إخوانكم بخير، وينهون السَّلام، وأنت سالمٌ، والسَّلام.

=

سنة ثمان وثمانين ومئة. انظر ترجمته «معجم الأدباء» (٦/ ٨٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٥١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه: «الرد علىٰ الكشميري عبد الحميد»: وهذا إعراب كلمة الإخلاص الذي يعرفه أهل العربية وغيرهم من العلماء في إعرابها، فيقولون: «لا» نافية للجنس، واسمها «إله»، مبني معها علىٰ الفتح، منفي بـ «لا»، و«الإله» جنس يتناول كل معبود من بشر، أو حجر، أو شجر، أو مدر، أو غير ذلك، فهذا الجنس علىٰ تعدد أفراده منفي بـ «لا»، وخبر «لا» محذوف علىٰ الصحيح كما في الآيات، وتقدم ذكره، والاستثناء من الخبر، و«إلا» أداة الاستثناء، و«الله» هو المستثنىٰ بـ «إلا»، وهو الإله الحق، وعبادته حق، وقوله الحق. «مجموعة الرسائل والمسائل» (٤/ ٣٣٧). وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: معناها: لا معبود حق إلا الله. فـ «إله» بمعنىٰ مألوه، وهو اسم «لا» النافية للجنس، وخبرها محذوف تقديره: حق. «إلا الله»: «إلا» أداة استثناء، و«الله» بدل من الخبر المحذوف. هذا أصح ما قيل في معناها وفي إعرابها. «الشرح الممتع» (٣/ ٤٦).

(٢) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحج:٦]، وإلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٠﴾ [لقمان:٣٠].

الرسالة الرابعة والعشرون(١)
«مذهب أهل السُنَة والجماعة في كلام اللّه»

وقال أيضًا: الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعلم أنَّ مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الله -تبارك وتعالىٰ- يتكلَّم إذا شاء(٢)، وقول السَّائل: «وأنَّها كلامُهُ القديم»، هَذَا قول الكرامية(٣)، وأهل السُّنَّة

(١) طبعت في «الدرر السَّنيَّة» (١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٢) **يقول ابن أبي العز الحنفي مبينًا عقيدة أهل السُّنَّة في كلام الله تعالىٰ:** «أنه تعالىٰ لم يزل متكلمًا إذا شاء، ومتىٰ شاء، وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وإن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسُّنَّة». «الطحاوية» (ص١٨٠)، وقد حصر أقوال الناس في هذه المسألة إلىٰ تسعة أقوال، فراجعها.

(٣) تقدم التعريف بهذه الفرقة في الرسالة الخامسة، وبطلان قولهم في أنهم يقولون كلامه القديم، ويَقْصدون أن كلام الله حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلمًا، وهذا باطل، فالله عَزَّوَجَلَّ لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتىٰ شاء، وأن الله أوحىٰ إلىٰ جبريل، وتكلم بكلام يسمعه كما ذكر المؤلف. وأهل السُّنَّة يقولون: إن كلام الله قديم النوع، حادث الآحاد، ويعنون به أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يزل متكلمًا، يتكلم متىٰ شاء، وكلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من صفاته، وكلامه لم ينقطع، بل أفراده وآحاده لا تزال متجددة.

يقول الشيخ حافظ حكمي بعد أن سرد النصوص الواردة في إثبات كلام الله تعالىٰ، وأن الله يقول ويتكلم وينادي، قال: «وهذه الآيات والأحاديث مما ذكرنا، ومما لم نذكر، كلها شاهدة بأن الله تعالىٰ لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته، يتكلم بما شاء، كيف شاء، متىٰ شاء بكلام حقيقةً يسمعه =

لا يقولون هَذَا، بل يقولون: إنَّها وحيُهُ، أوحاه إِلَىٰ جبريل، وسمع كلام الرَّبِّ تعالىٰ، وبَلَّغه رسله، وكتب تعالىٰ التَّوراة بيده(١)، كما صحَّ ذلك عَلَىٰ ما يليق بجلاله، وهَذَا قول السَّلف والأَئمَّة(٢). وجميع ما وَصَف الله به نفسه، ووَصَفه

=

مَنْ يشاء من خلقِهِ، وأن كلامه قول حقيقةً كما أخبر، وعلىٰ ما يليق بعظمته كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ﴾ [الأحزاب:٤]، وقال: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٨]، وقال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الطارق: ١٣، ١٤]. والقرآن كلامه تعالىٰ، تكلم به حقيقةً كما شاء، وهو من فاتحته إلىٰ خاتمته شاهد بذلك -إلىٰ أن قال- وكلامه تعالىٰ صفة من صفاته من لوازم ذاته، والصفة تابعة لموصوفها، فصفات الباري -تبارك وتعالىٰ- قائمة به، أزليَّة بأزليته، باقية ببقائه، لم يزل متصفًا بها، ولا يزال كذلك لم تجدد له صفة لم يكن متصفًا بها، ولا تنفد صفة كان متصفًا بها، بل هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وهو بكل شيء عليم». «معارج القبول» (١/ ٣٢١).

والفرق بين أهل السُّنَّة والكرامية، أن الكرامية يرون أنه تكلم بعد أن لم يكن متكلمًا، وأهل السُّنَّة يرون أن الله لا يزال متكلمًا، وأنه يتكلم إذا شاء، متىٰ شاء.

يقول ابن القيم مبينًا المخالفين لأهل السُّنَّة في القرآن وأنهم سبع طوائف، قال: «المذهب السادس: مذهب الكرامية، وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة، قائم بذات الرب تعالىٰ، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلمًا». «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٢٨٦-٢٩٣). وانظر «الطحاوية» لابن أبي العز (ص١٠٨)، وانظر «مجموع شروح الطحاوية» (٢/ ٢٥٩-٢٦٦).

(١) إشارة إلىٰ حديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالىٰ عنه- عن النبي ﷺ قال: «**احتج آدمُ ومُوسىٰ، فقال لهُ مُوسىٰ: يا آدمُ، أنت أبُونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال لهُ آدمُ: يا مُوسىٰ، اصطفاك اللهُ بكلامه، وخط لك بيده، أتلُومُني علىٰ أمرٍ قدر اللهُ علىٰ قبل أن يخلُقنىٰ بأربعين سنةً، فحج آدمُ مُوسىٰ، فحج آدمُ مُوسىٰ**» ثلاثًا. (ح/ ٦٦١٤)، وقال: وفي حديث ابن أبي عمر، وابن عبدة قال أحدهما: «**خط**»، وقال الآخر: «**كتب لك التوراة بيده**»، وكذا جاء عند ابن خزيمة «التوحيد» (١١٢٨).

(٢) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل
=

به رسوله ﷺ، يُثْبتون ذلك إثباتًا بلا تأويلٍ، وتنزيهًا بلا تعطيلٍ، فلا يَنْفون ما أَثْبتَه، ولا يثبتون ما نفاه.

=

غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقةً لا كلام غيره. «العقيدة الواسطية» (ص١٨١) شرح فوزان.

الرسالة الخامسة والعشرون[(١)]
«شرح شروط لا إله إلاَّ اللّه»

اعلم رحمك الله: أنَّ كلمة الإخلاص: «لا إله إلاَّ الله»، لا تنفع قائلها، إلاَّ بـ:

[الشَّرط الأوَّل: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا، والمنافي للجهل][(٢)]:

معرفة مَعْناها، وهو نفي الإلهيَّة عمَّا سوىٰ الله، والبراءة من الشِّرك في العبادة، وإفراد الله تَعَالىٰ، بجميع أنواع العبادة، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤]، ومعنىٰ: ﴿سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٤]، أي: نستوي نحن وأنتم في قَصْر العبادة عَلَىٰ الله، وترك الشِّرك كلِّه.

وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]، فهَذَا هو حقيقة معنىٰ «لا إله إلَّا الله»، وهو البراءة من كلِّ ما يُعْبد من دون الله، وإخلاص العبادة

(١) طبعت في «الدرر السنية» (٢/ ٢٥٢-٢٥٥).

(٢) ما بين المعكوفين إضافة من عندي بيانًا للشروط وعناوينها.

لله وَحْدَه، وهَذَا هو معناها الَّذي دَلَّتْ عليه هَذِهِ الآيات وما في معناها، فمَنْ تَحقَّق ذلك وعلمه، فقد حصل له العلم بها المنافي لما عليه أكثر النَّاس، حتَّىٰ مَنْ ينتسب إِلَىٰ العلم من الجهل بمَعْناها.

[الشَّرط الثَّاني: القبول المنافي للرَّدِّ]:

فإذا عرف ذلك، فلا بُدَّ له من القَبُول لما دلَّت عليه، وذلك ينافي الرَّدَّ؛ لأنَّ كثيرًا ممَّن يقولها ويعرف معناها لا يقبلها، كحال مشركي قريش والعرب وأمثالهم، فإنَّهم عرفوا ما دَلَّت عليه، لكن لم يقبلوا، فصارت دماؤهم وأموالهم حلالًا لأَهْل التَّوحيد، فإنَّهم كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات:٣٥، ٣٦]، عرفوا أَنْ «لا إله إلَّا الله»، توجب تَرْك ما كانوا يعبدونه من دون الله.

[الشَّرط الثَّالث: الإخلاص المنافي للشِّرك]:

ولا بُدَّ أيضًا من الإخلاص المنافي للشِّرك، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ إِلَىٰ قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:١١-١٥]، وفي حديث عتبان: «**مَنْ قال: لا إله إلَّا الله، يبتغي بذلك وجه الله...**»(١).

(١) طرف من حديث رواه البخاري في «صحيحه» (ح/ ٤٢٥، ح/ ٦٩٣٨)، ومسلم (ح/ ٣٣، ح/ ٢٦٣)، وفيه: «**فإنه لا يوافي عبد يوم القيامة به إلا حرم الله عليه النار**»، وعند البخاري أيضًا من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**أَسْعَد الناس بشفاعتي مَنْ قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»، أو: «**نفسه**». (ح/ ٩٩، ٦٥٧٠).

[الشَّرط الرَّابع: المحبَّة بهَذِهِ الكلمة وما اقْتَضته ودَلَّت عليه ومَحبَّة أهلها العاملين بها]:

ولا بُدَّ أيضًا من المحبَّة المُنَافية لضدِّها، فلا يحصل لقائلها معرفةٌ وقبولٌ إلَّا بمحبَّة ما دَلَّت عليه من الإخلاص، ونَفْي الشِّرك، فمَنْ أحبَّ الله أحبَّ دينه، ومَنْ لا فلا، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، فَصَارت مَحبَّتهمْ لله ولدينه خاصَّة، فأَحبُّوا لله ولدينه، ووالوا لله ولدينه، فأَحبُّوا مَنْ أحبَّه الله، وأَبْغَضوا مَنْ أبغضه الله. وفي الحديث: «**وهل الدِّين إلَّا الحبُّ والبغض**»[(١)]. ولهَذَا وَجَب أن يكون الرَّسول ﷺ أحبَّ إلَىٰ العبد من نفسه، ووالده، والنَّاس أجمعين[(٢)]، فإنَّ شهادة أن لا إله إلَّا الله تستلزم شهادة أنَّ مُحمَّدًا رسول الله، وتَقْتضي متابعته، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [آل عمران:٣١].

---

(١) طرف من حديث رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٩١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٨)، وعزاه ابن كثير في «تفسيره» لابن أبي حاتم (١/ ٤٩٥)، وقال: قال أبو زرعة: عبد الأعلىٰ هذا منكر الحديث. وقال الألباني: ضعيف جدًّا. «السلسلة الضعيفة» (٨/ ٢٢٩)، والأصلح استدلالًا من هذا الحديث ما جاء من حديث رواه البخاري (ح/ ٢١)، ومسلم (ح/ ٤٣) عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله...**»، الحديث. وما جاء في الإيمان لابن أبي شيبة من حديث ابن مسعود، أن النبي ﷺ قال: «**أَوْثَقُ عُرىٰ الإيمان الحُبُّ في الله، والبُغضُ في الله**». (الرقم ١٣٤)، وحَسَّنه الألباني.

(٢) إشارة إلىٰ حديث أنس عند البخاري (ح/ ١٥).

[الشَّرط الخامس: الانقياد لما دَلَّت عليه]:

ولا بُدَّ أيضًا من الانقياد لحُقُوق لا إله إلَّا الله بالعمل بما فَرَضَه الله، وترك ما حَرَّمه الله، والتزام ذلك، وهو يُنَافي الشِّرك، فإنَّ كثيرًا ممَّن يَدَّعي الدِّين، يستخفُّ بالأمر والنَّهي، ولا يبالي بذلك. والإسلامُ حقيقتُهُ: أن يسلم العبدُ بقلبه وجوارحه لله تعالىٰ، وينقاد له بالتَّوحيد والطَّاعة، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [البقرة:١١٢]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢]، وإحسان العمل لا بُدَّ فيه من الإخلاص، ومُتَابعة ما شرعه الله ورسوله.

[الشَّرط السَّادس: اليقين المُنَافي للشَّكِّ]:

ولا بُدَّ أيضًا لقائل هَذِهِ الكلمة من اليقين بمَعْناها المنافي للشَّكِّ والرَّيب، كما في الحديث الصَّحيح: «**مستيقنًا بها قلبُهُ، غير شاكٍّ فيه**»[1].

ومَنْ لم يكنْ كذلك، فإنَّها لا تنفعُهُ، كما دلَّ عليه حديث سؤال الميِّت في قبره[2].

---

(١) هذا اللفظ جاء من حديثين مستقلين عند مسلم، الأول من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «**أشهد بأن لا إله إلا الله، وأنِّي رسول الله، لا يَلْقىٰ الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة**»، وفي رواية: «**فيحجب عن الجنة**» (ح/ ٢٧)، والثاني من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «**من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه، بشره بالجنة**» (ح/ ٣١).

(٢) إشارة إلىٰ حديث أسماء في فتنة القبر، وفيه: «**وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»، رواه البخاري (ح/ ٨٦)، ومسلم (ح/ ٩٠٥).

[الشَّرط السَّابع: الصِّدق المنافي للكذب]:

ولا بُدَّ أيضًا من الصِّدق المنافي للكذب، كما قَالَ تَعَالىٰ عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١]، فالصَّادق يعرف معنىٰ هَذِهِ الكلمة، ويقبله، ويعمل بما تَقْتضيه، وما يلزم قائلها من واجبات الدِّين، فيصدق قلبه لسانه، فلا تصحُّ هَذِهِ الكلمة إلَّا إذا اجتمعت هَذِهِ الشُّروط(١)، وبالله التَّوفيق.

---

(١) وهذه الشروط جاءت مجموعة من كلام العلماء، وجمعها استقرائي من أدلة الكتاب والسُّنَّة، والتي عندما تدبرها العلماء تَحصَّلوا من ذلك أن كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» لا تنفع قائلها إلا إذا اجتمعت فيه هذه الشروط، والتزم إيَّاها بدون مناقضةٍ منه لشيءٍ منها، وليس المراد من ذلك عدُّ ألفاظها وحفظها، فكَمْ من عاميٍّ اجتمعت فيه والتزمها، ولو قيل له: اعددها، لم يحسن ذلك، وكم من حافظٍ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها. وقد نظم الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الشروط في «سلم الوصول»، فقال:

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقًّا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه

وقد شرحها في معارج القبول بإسهابٍ واستدلالٍ (٢/ ٥١٨-٥٢٥).

الرسالة السادسة والعشرون[١]
حكم قول: «أتوسل إليك بصفاتك الكاملة الَّتي لا يعلمها إلاَّ أنت»

كَتَبَ بعض تلامذة[٢] الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن إليه يُهنِّيه بقُدُوم ابنه الشَّيخ عبد اللَّطيف من مصر، وتَوسَّل إِلَىٰ الله في دعائه بصفاته الكاملة الَّتي لا يعلمها إلَّا هو.

فكتب إليه قال: وذكرت في وسيلة دعوتك جزاك الله أحسن الجزاء عن تلك الدَّعَوات، قلت: وأَتوسَّل إليك بصفاتك الكاملة الَّتي لا يعلمها إلَّا أنت؛ فاعلم[٣]: أنَّ الَّذي لا يَعْلمها إلَّا هو كيفيَّة الصِّفة؛ وأمَّا الصِّفة فيعلمها أهل العلم بالله، كما قال الإمام مالك[٤]: الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، ففرَّق هَذَا

(١) طبعت في «الدرر السنية» (٣/ ٢٣٠)، وذكرها ابن بشر في تاريخه (٢/ ٤٧)

(٢) والمراد به الشيخ عثمان بن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث أورده هذه الرسالة في «تاريخه» عند ترجمته للشيخ عبدالرحمن بن حسن، فقال: وكتبتُ إليه أيضًا مرة أهنيه بقدوم ابنه الشيخ عبداللطيف من مصر، وتوسلت إلىٰ الله في دعائي بصفاته الكاملة التي لا يعلمها إلا هو، فكتب إليَّ، وقال: وذكرت وفقك الله في وسيلة دعوتك، جزاك الله عني أحسن الجزاء عن تلك الدعوات، قلت: وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التي لا يعلمها إلا أنت ...إلخ. انظر «عنوان المجد» (٢/ ٤٧).

(٣) في «تاريخ ابن بشر»: «فاعلم أيها الأريب الأديب».

(٤) وهذا الأثر ثابت عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، فقد رواه جمع من المصنفين بطرق متعددة، مثل

الإمام بين ما يعلم منه معنىٰ الصِّفة عَلَىٰ ما يليق بالله، فيُقَال: استواء لا يشبه استواء المخلوق، ومعناه ثابتٌ لله، كما وصف به نفسه، وأمَّا الكيف، فلا يعلمه إلَّا الله؛ فتَنبَّه لمثل هَذَا، فالإمام مالكٌ تكلَّم بلسان السَّلف(١).

=

أبي نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥)، والصابوني في «عقيدة أصحاب الحديث» (ص٣٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥١)، وغيرهم، وقد نوه أهل العلم من جميع العصور من أهل السُّنَّة بهذا الأثر، وتأكيدهم علىٰ أهميته، وجعله قاعدة في جميع أسماء الله وصفاته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة، وأشده استيعابًا؛ لأنَّ فيه نبذ التكييف، وإثبات الاستواء المعقول، وقد ائتمَّ أهل العلم بقوله، واستجادوه واستحسنوه. «الفتاوىٰ» (٥/ ٥٢٠). وقال أيضًا: وقد تلقىٰ الناس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السُّنَّة من ينكره. «الفتاوىٰ» (١٣/ ٣٠٩)، وقد كتب أخونا الشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر رسالة تفصيلية عن هذا الأثر بعنوان: «الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء دراسة تحليلية».

(١) والسلف -رضوان الله عليهم- من الصحابة، والتابعين، وأتباعهم، آمنوا بكتاب الله، وبما أخبر به من أمور الغيب، كما قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:١-٣].

ومن الإيمان بالغيب: الإيمان بالله وبصفاته، فنؤمن بها علىٰ ظاهرها، ونعلم معانيها كما أخبر بكتابه الذي أنزله بلسان عربي مبين، وفهم السلف من ذلك إمرارها كما جاءت، فقالوا: أَمرُّوها كما جاءت. وأما إدراك الكيفية فقد قطع الله الطمع فيها من ثلاث جهات:

فأما الأولىٰ: فلأن الله تعالىٰ نفىٰ أن يُرَىٰ في الدنيا، ومن أسباب إدراك الشيء رؤيته، حيث قال تعالىٰ لنبيه موسىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠].

والثاني: نفي أن يكون له مثيل، والذي هو من أسباب إدراك كيفية الشيء، قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ:١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٤].

وأما الثالث: فإن الله عَزَّوَجَلَّ عندما أخبرنا بصفاته لم يخبرنا بكيفيتها، فعلمنا أن الله أراد منا الإيمان بها علىٰ ظاهرها دون إدراك كيفيتها.

الرسالة السابعة والعشرون(١)
حكم البلدة الّتي بها وثن يدعى من دون الله

سئل الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن: إذا كان في البلدة وثنٌ يُدْعى من دون الله، ولم ينكر، هل يُقَال: هَذِهِ بلدة كفر؟ أو بلدة إسلام؟

فأجاب: لا ينبغي الجزمُ بأَحَد الأمرين، لاحتمال أن يكون في البلد جماعةٌ عَلَىٰ الإسلام مُظْهرين ذلك، فإنَّ هَذِهِ الدَّعوة الَّتي ظهرت بنجد، ومَكَّنها الله بالجزيرة، قَدْ قبلها أناسٌ، كما بلغنا عن الأفغان، والصُّومال، أنَّ في كلٍّ منهما طائفةً تدين بالتَّوحيد، وتظهره، وقَدْ يكون غيرهم كذلك؛ لأنَّ هَذِهِ الدَّعوة قد شاعت في كلِّ بلاد(٢)، وقرؤوا مُصنَّفات شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، رحمه الله تعالىٰ، فيما أجاب مَنْ عارضه، وقد بلغنا من ذلك عن بعض أَهْل الأقاليم ما يوجب التَّوقُّف(٣).

---

(١) طبعت في «الدرر السنية» (٩/ ٢٥٤، ٢٥٥).

(٢) كذا في الأصل، ولعلها في: «كل بلد»، أو: «في كل البلاد».

(٣) **يقول الشيخ العلّامة أحمد بن حجر آل أبو طامي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ**: «انتشرت دعوة الشيخ في خارج نجد من أجل استيلاء الدولة السعودية علىٰ مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ، وأصبح حجاج البلاد الإسلامية يفدون إلىٰ مكة المكرمة، ويشاهدون علماء هذه الدعوة الحقة، ويستمعون خطبهم، ومواعظهم، وإرشاداتهم السديدة، وتوجيهاتهم القيمة، كما شاهدوا سيرة الدولة السعودية إذ =

وأجاب الشَّيخ عبد الله بن عبد الرَّحمن أبا بطين[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البلدة الَّتي فيها شيءٌ من مَشَاهد الشِّرك، والشِّركُ فيها ظاهرٌ، مع كونهم يشهدون أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، مع عدم القيام بحقيقتها، ويُؤذِّنون، ويُصلُّون الجُمُعةَ والجماعةَ، مع التَّقصير في ذلك، هل تُسمَّىٰ دارَ كفرٍ، أو دارَ إسلامٍ؟

فهَٰذِهِ المسألة يُؤخَذ جوابها ممَّا ذكره الفقهاء، في بلدةٍ كلُّ أهلها يهود، أو نصارىٰ، أنَّهم إذا بذلوا الجزيةَ، صارت بِلَادُهُمْ بلادَ إسلامٍ؛ وتُسمَّىٰ دارَ إسلامٍ، فإذا كان أهلُ بلدة نصارىٰ، يقولون في المسيح أنَّه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثةٍ، أنَّهم إذا بذلوا الجزية سُمِّيت بلادهم بلاد إسلام، فبالأَوْلَىٰ فيما أرىٰ أنَّ البلاد الَّتي سألتم عنها، وذكرتم حال أَهْلها أَوْلىٰ بهَذَا الاسم، ومع هَذَا يقاتلون لإزالة مَشَاهد الشِّرك، والإقرار بالتَّوحيد، والعمل به.

بل لو أنَّ طائفةً امْتَنعتْ من شريعةٍ من شرائع الإسلام، قوتلوا وإِنْ لَمْ يكونوا كفارًا ولا مشركين، ودارهم دار إسلام؛ قال الشَّيخ تقيُّ الدِّين: أجمعَ العلماءُ

=

ذاك، وما هي عليه من الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، ونشر الأمن والعدل والإنصاف.

فتأثر بعضُ الحجاج بدعوة الشيخ، فأخذ ينشر في بلاده التوحيدَ، ويحارب الخرافاتِ الشائعات في بلاده، كما قام بضد القبوريين، والداعين إلىٰ تقديس القبور، وبناء القباب عليها، فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية إلىٰ السودان في إفريقيا وسومطرة، في آسيا والهند.

كما انتشرت في العراق، والشام، ومصر، والجزائر، وجاوة، وعمان، وفارس. وكان هدف دعاتها في كل مكان تحل به، هو محاربة الفساد، والقضاء علىٰ البدع والخرافات، وتصحيح العقيدة الدينية». انظر كتابه: «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية، ودعوته الإصلاحية، وثناء العلماء عليه» (ص٧٧).

(١) تقدمت ترجمته في الرسالة الثالثة والعشرون.

عَلَىٰ أنَّ كلَّ طائفةٍ امْتَنعَتْ من شريعةٍ من شرائع الإسلام الظَّاهرة، تُقَاتل حتَّىٰ يكون الدِّينُ كلُّه لله، كالمحاربين، وأَوْلَىٰ؛ انتهىٰ[١].

وما ذكرناه عن العلماء من أنَّهم يُسمُّون البلدة الَّتي أَهْلها يهود، أو نصارىٰ، دارَ إسلامٍ، يذكرون ذلك في باب اللقيط[٢] وغيره.

---

(١) انظر فتاوىٰ ورسائل الشيخ عبد الله أبا بطين. «الرسائل والمسائل» (١/ ٦٥٥).

(٢) **قال ابن قدامة** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «المغني»**: ولا يخلو اللقيط من أن يوجد في دار الإسلام، أو في دار الكفر، فأما دار الإسلام فضربان، أحدهما: دار اختطها المسلمون كبغداد، والبصرة، والكوفة، فلقيط هذه محكوم بإسلامه، وإن كان فيها أهل الذمة تغليبًا للإسلام، ولظاهرالدار، ولأنَّ الإسلام يعلو ولا يُعْلىٰ عليه. الثاني: دار فتحها المسلمون، كمدائن الشام، فهذه إن كان فيها مسلم واحد حكم بإسلام لقيطها؛ لأنه يحتمل أن يكون لذلك المسلم تغليبًا للإسلام، وإنْ لم يكن فيها مسلم، بل كل أهلها ذمة، حُكِمَ بكفره، لأنَّ تغليب حكم الإسلام إنَّما يكون مع الاحتمال... إلخ، ثم ذكر تفريعات أخرىٰ وتفاصيل في المسألة. «المغني» (٨/ ٢٥١).

الرسالة الثامنة والعشرون(١)
الخوارج(٢) ومذهبهم في التكفير بالمعاصي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وسئل الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن - رحمه الله تعالى- عن مَذْهب الخَوَارج... إِلَى آخر السُّؤال.

فأجاب: أَمَّا مَذْهَبُ الخَوَارج، فإنَّهم يُكفِّرون أهلَ الإيمان بارتكاب الذُّنُوب، ما كان منها دون الكفر والشِّرك، وإنَّهم قد خَرَجوا في خلافة عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكفروا الصَّحَابة بما جرىٰ بينهم من القتال، واستدلُّوا عَلَىٰ ذلك بآياتٍ، وأحاديثَ، لكنَّهم أَخْطؤوا في الاستدلال(٣).

(١) طبعت في «الدرر السَّنيَّة» (١٠/ ٥٠٢-٥١١).

(٢) **قال الآجري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومَنْ كان علىٰ مذهبهم من سائر الخَوَارج، يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون علىٰ الأئمة والأمراء، ويَستحلُّون قتل المسلمين. «الشريعة» (١/ ٣٢٥).

وقال الشهرستاني: الخوارج: كلُّ مَنْ خرج علىٰ الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يُسمَّىٰ خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة علىٰ الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم علىٰ التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان. «الملل والنحل» (١/ ١١٤).

(٣) **يبين ذلك الآجري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **حيث يقول:** ثم إنَّهم خرجوا بعد ذلك من بلدان شتىٰ، واجتمعوا =

فما دون الكفر والشِّرك من المعاصي، فلا يكفر فاعلُهُ، لكنَّه يُنْهَىٰ عنه إذا أصرَّ عَلَىٰ كبيرةٍ ولَمْ يتب منها، فيجب نهيُهُ والقيامُ عليه؛ وكلُّ منكرٍ يجب إنكاره، مِنْ تَرْك واجبٍ، أو ارتكابِ محرمٍ، لكن لا يكفر إلَّا مَنْ فَعَل مكفِّرًا، دلَّ الكتاب والسُّنَّة عَلَىٰ أنَّه كفرٌ، وكذلك ما اتَّفق العلماء عَلَىٰ أنَّ فِعْلَه أو اعتقاده كفرٌ، كما إذا جحد وُجُوبَ ما هو معروفٌ من الدِّين بالضَّرورة، أو استحلَّ ما هو

=

وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتىٰ قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان رضي الله تعالىٰ عنه، وقد اجتهد أصحاب رسول الله ﷺ ممن كان بالمدينة في ألَّا يقتل عثمان، فما أطاقوا علىٰ ذلك رضي الله عنهم، ثم خرجوا بعد ذلك علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم يرضوا بحكمه، وأظهروا قولهم، وقالوا: «لا حكم إلا لله»، فقال عليٌّ رضي الله عنه: «كلمة حق أرادوا بها الباطل»، فقاتلهم علي رضي الله عنه، فأكرمه الله تعالىٰ بقتلهم، وأخبر عن النبي ﷺ بفضل مَنْ قتلهم أو قتلوه، وقاتل مَعَه الصحابة، فصار سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الخوارج سيف حق إلىٰ أن تقوم الساعة. «الشريعة» (١/ ٣٢٧).

وقال الشاطبي رحمه الله في معرض حديثه عن الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص علىٰ معانيها بالظن من غير تثبت، وأن ذلك من أسباب الخلاف، قال: «ومما يوضح ذلك ما خرجه ابن وهب عن بكير أنه سأل نافعًا: كيف رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: يراهم شرارَ خَلْق الله، إنهم انطلقوا إلىٰ آيات أنزلت في الكفار، فجعلوها علىٰ المؤمنين، فسر سعيد بن جبير من ذلك، فقال: مما يتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، ويقرنون معها ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق، قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه، ومن عدل بربه فقد أشرك. فهؤلاء مشركون خرجوا علىٰ الأمة يقتلون ما يرونه مخالفًا لهم؛ لأنهم يتأولون هذه الآية، -إلىٰ أن قال- وهو الناشئ عن الجهل بالمعنىٰ الذي نزل فيه القرآن». «الاعتصام» (٢/ ٤٠٢).

قلت: وهذه الطرائق التي يسلكها الخوارج من التكفير وقتل المخالف لا زالت عند وراثهم إلىٰ اليوم، إلا أن وراثهم زادوا عليهم بخصال، منها الكذب، والفجور، وسلوك أبشع السبل في القتل والتدمير، وهلاك الحرث والنسل، وإزهاق الأنفس البرية.

معروفٌ بالضَّرورة أنَّه محرمٌ، فهَذَا ممَّا أجمع العلماء عَلَىٰ أنَّه كفرٌ إذا جحد الوُجُوب، لا إذا ترك الصَّلاة تهاونًا وكسلًا، فالمشهورُ في مذهب أحمد أنَّه يُسْتَتاب، فإِنْ تاب وإلَّا قتل كافرًا، وأمَّا الثَّلاثة فلا يُكفِّرونه بالتَّرك، بل يَعدُّونه من الكبائر(١)؛ وكذلك إذا فعل كبيرةً كما تقدَّم، فلا يكفر عند أهل السُّنَّة والجماعة إلَّا إذا استحلَّها(٢).

---

(١) هذه المسألة مما حصل فيها الخلاف بين أهل العلم بِنَاءً علىٰ الخلاف في توجيه الأدلة الواردة فيها. انظر تفصيل المسألة: كتاب «الصلاة» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيرها.

(٢) **يقول الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة:** ولا نُكفِّر أحدًا من أهل القِبْلَةِ بذنبٍ، ما لم يستحلَّه. «الطحاوية» (ص٣٥٥).

الرسالة التاسعة والعشرون[١]
رسالة في معنى الطاغوت وأنواع العبادة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَذِهِ كلماتٌ في بيان الطَّاغوت، ووُجُوب اجتنابه للشَّيخ عبد الرَّحمن بن

(١) طبعت في «الدرر السَّنيَّة» (١٠/ ٥٠٢-٥١١)، إلا أن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ نسبها للشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا وهمٌ، حيث تبين لي ذلك من خلال الوقوف علىٰ مخطوطة الرسالة والموجودة في دارة الملك عبد العزيز برقم (٤٦). وبِنَاءً علىٰ هذا الوهم فقَدْ غفل بعض الذين ترجموا للشيخ عبد الرحمن بن حسن عن هذه الملاحظة، فلم يَذْكروا هذه الرسالة من مؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ، كالأستاذ خالد عبد الرحمن الغنيم. انظر كتابه المجدد الثاني - تحت عنوان الرسائل التي جاءت في «الدرر السنية» (ص١٦٩-١٧٧)، وذكرها الدكتور أحمد حافظ الحكمي ضمن رسائل لم يطلع عليها عند ترجمته، ولم يذكرها في قسم الرسائل المطبوعة في «الدرر السنية». انظر «مستخلصات بحوث مجلة الدارة»، المجلد الأول (ص١٣)، و(ص١٧٣)، لكن الرسالة هي للشيخ عبدالرحمن، وهي المذكور موضوعها في بيان الطاغوت، كما في المخطوط.

وهذه الرسالة رسالة عظيمة وَضَّحتْ أهمية التحاكم إلىٰ شريعة الله، وأن هذا من واجبات الإيمان، وخُطُورة ترك التحاكم إلىٰ شرع الله مما يفسد علىٰ الخلق معاشهم ودنياهم وآخرتهم، كما وضحت حكم التحاكم إلىٰ غير شرع الله، ومتىٰ يكون كفرًا عقديًّا مخرجًا من الملَّة، ومتىٰ يكون كفرًا عمليًّا، هو كفر دون كفر.

حسن بن الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب قَدَّس الله أرواحهم، قال:(١) قال الله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٥٦]، فبَيَّنَ تعالىٰ أنَّ المتمسك(٢) بالعُرْوة الوثقىٰ هو الَّذي يكفر بالطَّاغوت. وقَدَّمَ الله(٣) الكفرَ به عَلَىٰ الإيمان بالله؛ لأنَّه قد يَدَّعي المُدَّعي أنَّه يؤمن بالله، وهو لا يجتنب الطَّاغوت، وتكون دَعْواه كاذبةً.

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، فأَخْبَر تعالىٰ أنَّ جميع المرسلين قد بعثوا باجتناب الطَّاغوت، فمَنْ لم يجتنبه فهو مخالفٌ لجميع المرسلين، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ [الزمر:١٧]، ففي هَذِهِ الآيات من الحُجَج عَلَىٰ وُجُوب اجتنابه وجوهٌ كثيرةٌ؛ والمراد من اجتنابه هو بُغْضه، وعداوته(٤)، وسبُّهُ وتقبيحه باللِّسان، وإزالته باليد عند القدرة، ومفارقته، فمَنِ ادَّعَىٰ اجتناب الطَّاغوت ولم يفعل ذلك، فما صدق.

وأمَّا حقيقتُهُ والمراد به، فقَدْ تَعدَّدت عبارات السَّلف عنه، وأحسن ما قيل فيه، كلام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- حيث قال: الطَّاغوت ما تجاوز به العبد حَدَّه

---

(١) عبارة «للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله أرواحهم، قال:» ما بين القوسين غير موجودة في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «المستمسك».

(٣) في المطبوع: «قدم» بدون لفظ الجلالة.

(٤) في المطبوع زيادة: «بالقلب».

من معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاعٍ. فطاغوت كلِّ قومٍ مَنْ يتحاكمون إليه، غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يَتَّبعونه في غير بصيرةٍ من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنَّه طاعةٌ لله؛ فهَذِهِ طواغيت العالم، إذا تَأَمَّلت[١] وتَأَمَّلت أحوال النَّاس معها، رأيت أكثرهم مِمَّنْ أعرض عن عبادة الله إِلَىٰ عبادة الطَّاغوت، وعن طاعتِهِ ومتابعة رسوله إِلَىٰ طاعة الطَّاغوت ومتابعته.[٢] انتهىٰ.

وحاصله: أنَّ الطَّاغوت ثلاثة أنواع: طاغوتُ حكمٍ، وطاغوتُ عبادةٍ، وطاغوتُ طاعةٍ ومتابعةٍ؛ والمقصود في هَذِهِ الورقة طاغوت الحكم، فإنَّ كثيرًا من الطَّوائف المنتسبين إِلَىٰ الإسلام، قَدْ صاروا يتحاكمون إِلَىٰ عادات آبائهم، ويُسمُّون ذلك الحقَّ شرع الرفاقة[٣]، كقولهم: شرع عجمان، وشرع قحطان، وغير ذلك، وهَذَا هو الطَّاغوت بعينه الَّذي أمر اللهُ باجتنابه.

وذَكَر شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة»، وابن كثير في «تفسيره»: أنَّ مَنْ فعل ذلك فهو كافرٌ بالله، زاد ابن كثير: يجب قتاله حتَّىٰ يرجع إِلَىٰ حكم الله ورسوله[٤]. قال شيخ الإسلام: ولا ريب أنَّ مَنْ لم يعتقد وُجُوب الحكم بما

---

(١) في المطبوع: «تأملتها».
(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ٥٠).
(٣) أو ما يُسمَّىٰ بالسُّلُوم، بتسكين السين وضم اللام، جمعها سَلْم، بفتح السين وتسكين اللام، فكل قبيلة لها سلم، أي: نظام في الدماء وغيرها وضعه لها رجالها وزعماؤها، يتحاكمون إليه، ويُسمَّىٰ الذي يتحاكم إليه: الحق، كما قال الشيخ عبد الرحمن، أو يُسمَّىٰ: العارفة، وهم الذين عرفوا وأتقنوا مواد القانون الوضعي القبلي، الذي يسمىٰ بـ (السلم)، أو (العُرْف).
(٤) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٦).

أنزل الله عَلَىٰ رسولِهِ، فهو كافرٌ، ومن استحلَّ أن يحكم بين النَّاس بما يراه[١] عدلًا من غير اتِّباعٍ لما أنزل الله، فهو كافرٌ، فإنَّه ما من أُمَّةٍ إلَّا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها، ما رآه أكَابرهم، بل كثيرٌ من المنتسبين إِلَىٰ الإسلام يحكمون بعاداتهم الَّتي لم ينْزل الله بها من سلطانٍ[٢]، كسَوَالف البوادي، وكأَوَامر المُطَاعين في عشائرهم، ويرون أنَّ هَذَا هو الَّذي ينبغي الحكم به، دون الكتاب والسُّنَّة، وهَذَا هو الكفر.

فإنَّ كثيرًا من النَّاس أَسْلَموا، ولكن مع هَذَا لا يحكمون إلَّا بعاداتٍ جاريةٍ[٣]، الَّتي يأمر بها المطاعون في عَشَائرهم؛ فهؤلاء إذا عرفوا أنَّه لا يجوز لهم الحكم إلَّا بما أنزل الله، فلم يلتزموا بذلك[٤]، بل استحلُّوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله، فهم كُفَّارٌ[٥]. انتهىٰ.

وفيه بيانُ كُفْر الحاكم نفسه، والمتحاكمين عَلَىٰ الوجه الَّذي ذكره[٦]، وكذا مَنْ لم يعتقد وُجُوب الحكم بما أنزل الله[٧]، وإِنْ لم يكن حاكمًا ولا متحاكمًا، فَتأمَّله، ذكره عند قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) في «المنهاج» زيادة: «هو».
(٢) في «المنهاج»: «التي لم ينزلها الله، كسوالف».
(٣) في «المنهاج»: «بالعادات الجارية».
(٤) في المنهاج: «ذلك».
(٥) «منهاج السُّنَّة» (٥/ ١٣٠).
(٦) أي: علىٰ وجه الاستحلال، وذلك من قول ابن تيمية: «ومن استحل أن يحكم بين... إلخ».
(٧) في المطبوع: «وجوب ما أنزل الله».

ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤](١).

---

(١) هذه المسألة مما حدث فيها الكلام الكثير قديمًا وحديثًا، وقد فصل فيها علماء أهل السُّنَّة، وبَيَّنوا الفرق بَيْنَ مَنْ حكم بغير ما أنزل الله معتقدًا وجوب التحاكم إلىٰ ما أنزل الله، وعَدُّوا ذلك من الكفر العملي الذي هو كفرٌ دون كفر كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبَيْنَ من يعتقد عدم وُجُوب ذلك، أو جَوَاز التحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله واستحلاله، أو مُسَاواة حكم غير ما أنزل الله بحكم ما أنزل الله، أو أفضليَّة حكم غير حكم الله علىٰ حكم الله، فإنهم عَدُّوا ذلك من الكفر الاعتقادي الذي هو مخرج من الملة، يقول شيخ الإسلام: «وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥]، فمَنْ لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم، فقَدْ أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما مَنْ كان ملتزمًا لحكم الله ورسوله باطنًا وظاهرًا، لكن عصىٰ واتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة، وهذه الآية مما يحتج به الخوارج علىٰ تكفير وُلَاة الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله، ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله». «المنهاج» (٥/ ١٣١).

وانظر إلىٰ كلامه الذي نقله الشيخ عبد الرحمن في هذه الرسالة حيث ذكر قيدين للكفر، وهما: الاعتقاد والاستحلال، ويريد به الكفر الاعتقادي. وانظر بعده كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن حيث قال: «وفيه بيان كفر الحاكم نفسه، والمتحاكمين علىٰ الوجه الذي ذكره (أي: علىٰ وجه الاستحلال)، وكذا مَنْ لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله»، وفي هذا ردٌّ علىٰ الذين يكفرون علىٰ الإطلاق دون تفصيلٍ لمن لم يحكم بما أنزل الله.

وفيه ردٌّ أيضًا علىٰ من يتَّهم أئمَّة نجد بسُلُوكهم مسلك الخوارج في التكفير، فأئمة نجد هم سلفيون ومن أبعد الناس عن التكفير، ولا يكفرون أحدًا بعينه حتىٰ تُقَام عليه الحُجَّة، ممن عندهم شيء من موانع التكفير، ولا يُكفِّرون إلا مَنْ كفره الله ورسوله، ويتبعون مسلكَ السلف في هذا الباب وغيره. ولكن لمَّا خالف أئمَّة نجد ما عليه الناس من الأهواء والبدع وعبادة ما سوىٰ الله، ألصق أهل الباطل عليهم تُهْمة التكفير، وأنهم خوارج.

وأنقل هنا كلامًا مهمًّا للشيخ الإمام عبد الرحمن بن حسن في رده هذه الشبهة، وهذا الزعم الباطل في معرض رده علىٰ عثمان بن منصور بسبب ما كتبه من أمور تتضمن الطعن علىٰ أئمة نجد، والدعوة السلفية، وتضليل إمامهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ- فيما دعا إليه من التوحيد، وإظهار ما يعتقده في أهل هذه الدعوة من أنهم خوارج، وتنزيل =

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قوله:** ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠]. **يُنْكِر تعالىٰ**

=

الأحاديث التي وَرَدتْ في الخوارج عليهم، فمما قال -رحمه الله تعالىٰ- في معرض رده عليه: «وأمَّا أهل هذه الدعوة الإسلامية التي أظهرها الله بنجد، وانتشرت، واعترف بصِحَّتها كثيرٌ من العلماء والعقلاء، وأدحض الله حُجَّة مَنْ نازعهم بالشهادة، فهم -بحمد الله- أبعد الناس عن مُشَابهة الخوارج وغيرهم من أهل البدع، ودينهم هو الحق، يدعون إلىٰ ما بعث الله به رُسُله، من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وينهون عن دعوة الأموات، والغائبين، وطلب الشفاعة منهم.

وأنكروا ما يعتقدُهُ المشركون من أن الأموات والغائبين يَمْلكون الضرَّ والنفعَ، والتصرف والتدبير، فإن جماع الدين: ألا يعبد إلا الله، وألا يعبد إلا بما شرع، فخالفوا مَنْ خرج عن هذا الدين، وجاهدوا مَنْ قدروا علىٰ جهاده، حتىٰ أظهر الله هذا الدين، وأبطل كيد الكائدين، وشبه المشبهين.

ولم يكفروا أحدًا من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، بل أحبوهم ووالوهم، وأعرضوا عما شَجَر بينهم، وعلموا أن لهم حسنات عظيمة، يمحو الله بها السيئات، وتضاعف بها الحسنات. وهذه الطائفة -بحمد الله- علىٰ منهج الصحابة في أصول الدين وفروعه، والحجة عندهم فيما قاله الله ورسوله، وما كان عليه الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام، وفَارَقوا أهل الشرك وعبادة الأوثان، وأظهروا عداوتهم في الجملة.

وخالفوا أهل كل بدعة في بدعتهم، كالجهميَّة، والمعتزلة، والمرجئة، وغيرهم من أهل البدع، كالباطنيَّة والفلاسفة، وغيرهم، فما ناظرهم صاحب بدعةٍ إلا وألجؤوه المضائق، وأدحضوا حُجَّته بالكتاب والسُّنَّة، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ولكن السبب في تنزيله لهم منزلة الخوارج: أنهم ينهون عن دعوة غير الله، وعبادته من الأموات والغائبين، ويقولون: العبادة حق الله، لا يصلح منها شيء لملكٍ مقربٍ، ولا نبي مرسل، وينكرون ما وَقعَ في كثيرٍ من البلاد من دعوة أرباب القبور، والتذلُّل لهم، والرغبة إليهم، وإنزال الحوائج بهم، والتقرُّب إليهم بالنحر والذبح لهم، وغير ذلك مما يطول عدُّه.

فمَنْ أنكر هذا الشرك سَمَّاه خارجيًّا؛ لاعتقاده أن هذا الشرك لا يضر، ولا يناقض الإسلام، والإسلام عنده: بناء المساجد والمدارس، والنداء إلىٰ الصلاة وفعلها، والصدقة، وغير ذلك، فهذا عنده هو الدين الذي لا يضرُّ معه اعتقاد، ولا عمل». انظر «الدرر السَّنية» (١١/ ٥٣٥-٥٣٧).

علىٰ مَنْ خرج عن حكم الله تعالىٰ، المشتمل علىٰ كلِّ خيرٍ وعدلٍ، النَّاهي عن كلِّ شرٍّ، إلىٰ ما سواه من الآراء والأهواء، والاصطلاحات الَّتي وضعها الرِّجال بلا مستندٍ من شريعة الله، كما كان أهل الجاهليَّة يحكمون به من الجَهَالات، وكما يحكم به التَّتار من السِّياسات، المأخوذة من جنكسخان الَّذي وضع لهم كتابًا مجموعًا من أحكامٍ، اقتبسها من شرائع شتَّىٰ، من الملَّة الإسلاميَّة، وفيه كثيرٌ من الأحكام أخذها عن مجرَّد نظرٍ، فصار في بنيه يُقدِّمونه علىٰ الحكم بالكتابِ والسُّنَّةِ؛ ومَنْ فعل ذلك فهو كافرٌ، يجب قتالُهُ حتَّىٰ يَرْجع إلىٰ حكم الله ورسولِهِ، فلا يحكم سواه في كثيرٍ ولا قليلٍ، انتهىٰ(١).

وما ذَكَرناه من عادات البوادي الَّتي تُسمَّىٰ: «شرع الرفاقة» هو من هَذَا الجنس، مَنْ فعله فهو كافرٌ، يجب قتالُهُ(٢) حتَّىٰ يرجع إلىٰ حُكْم الله ورسولِهِ، فلا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٦)، وقد نقله الشيخ عبد الرحمن باختصار، وأنقله هنا نصًّا بتمامه لأهميته، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينكر تعالىٰ علىٰ مَنْ خرج عن حكم الله المحكم المشتمل علىٰ كل خير، الناهي عن كل شرٍّ، وعَدَلَ إلىٰ ما سواه من الآراء، والأهواء، والاصطلاحات الَّتي وضعها الرجال بلا مستندٍ من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان، الذي وضع لهم: (الياسق)، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتىٰ، من اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية، وغيرها، وفيها كثيرٌ من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، وصارت في بنيه شرعًا متبعًا، يُقدِّمونه علىٰ الحكم بكتاب الله وسُنَّة رسولِهِ ﷺ، فمَنْ فَعَل ذلك منهم فهو كافرٌ يجب قتاله، حتىٰ يرجع إلىٰ حكم الله ورسوله ﷺ، فلا يُحكِّم سواه في قليلٍ ولا كثيرٍ».

(٢) ما ذكره الإمام ابن كثير، والإمام عبد الرحمن بن حسن -رحمهما الله تعالىٰ- من وُجُوب مقاتلة مَنْ يَتحَاكم إلىٰ غير الكتاب والسُّنَّة هو الحق الذي تدل عليه عُمُوم النُّصُوص الشرعية، وعمل الخلفاء الراشدين؛ مثل قتال أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمانعي الزكاة، إلا أن هناك من يفهم =

=
كلام الإمامين علىٰ غير الوجه الصحيح في ثلاثة أمور خطيرة، وهي:
الأول: توجيه كلامهما علىٰ التَّكْفير المطلق لمن لم يحكم بما أنزل الله دون تفصيل.
الثاني: توجيه كلامهما علىٰ أن قتال من لم يحكم بما أنزل الله إنما هو قتال رِدَّةٍ، لا قِتال حدٍّ.
الثالث: استدلال الخوارج بكلامهما علىٰ الخروج علىٰ الحاكم الذي لم يحكم بما أنزل الله.
فأما الأول، فإنَّ الأمر يكون علىٰ التفصيل الذي سبق ذِكْرُهُ، لا علىٰ فهمهم من التكفير المطلق.
وأما الثاني فإن القتال الذي ذكره الإمامان إنما يكون علىٰ حسب التفصيل المذكور، فلا يكون قتاله قتال ردَّة مطلقًا، فقد يكون قتاله قتال ردَّة، وقد يكون قتاله قتال حدٍّ.
وأما الثالث فإن القتال المذكور لا يكون لجماعاتٍ تقوم بهذا، أو لآحاد الناس، وإنما هو لوليِّ الأمر، يأمر بالتحاكم لشرع الله، ويقاتل مَنْ لم يلتزم بذلك من أهل القرىٰ أو البوادي، أو مَنْ قاتل دون ذلك، لا أن يقاتل الناسُ الحاكمَ إذا لم يحكم بشرع الله، فإنَّ الحاكمَ لا يجوز الخُرُوج عليه وقتالُهُ حتىٰ ولو كان لا يحكم بشرع الله، اعتقادًا، أو استحلالًا، أو تفضيلًا غيره عليه إلا بشروط:
الأول: أن يظهر منه كفر بواح عندنا من الله فيه برهان.
الثاني: أن يكون عند المسلمين قدرة لإزالته.
الثالث: ألَّا يترتب علىٰ الخروج عليه سفك دماء، أو هتك أعراض، أو مفاسد أعظم، كما وضح ذلك علماء أهل السُّنَّة، منهم الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال بعد أن ذكر الأدلة الدالة علىٰ وجوب طاعة ولاة الأمور وعدم الخروج عليهم:
«فهذا يدل علىٰ أنه لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور، ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان، وما ذاك إلا لأنَّ الخُرُوج علىٰ وُلَاة الأمور يسبب فسادًا كبيرًا، وشرًّا عظيمًا، فيختل به الأمن، وتضيع الحُقُوق، ولا يَتيسَّر رَدْع الظالم، ولا نصر المظلوم، وتختل السُّبُل ولا تأمن، فيترتَّب علىٰ الخروج علىٰ وُلَاة الأمور فسادٌ عظيمٌ، وشرٌّ كثيرٌ، إلا إذا رأىٰ المسلمون كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا علىٰ هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أمَّا إذا لم يكن عندهم قدرة، فلا يخرجون، أو كان الخروج يسبب شرًّا أكثر، فليس لهم الخروج، رعايةً لمصالح العامة». انظر «جريدة الشرق الأوسط» في العدد (٥٢٨٩) بتاريخ (١/ ١٢/ ١٤١٣هـ) الموافق ٢٢/ ٥/ ١٩٩٣م، تحت عنوان: «سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في حوار خاص مع الشرق الأوسط»، وطبعت ملحقة لرسالة «الفقه في الدين»
=

يحكم سواه في قليلٍ ولا كثيرٍ، وقَدْ قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ الآيات [النساء:٦٠] إلىٰ قوله: ﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ [النساء:٦١].

قال الشَّعبيُّ: «كان بين رجلٍ من اليهود ورجلٍ من المُنَافقين خصومةٌ، فقال اليهوديُّ: نَتحَاكم إلىٰ مُحمَّدٍ ﷺ، عرف أنَّه لاً يأخذ الرِّشوة، ولا يميل في الحُكْم. وقال المنافقُ: نَتحَاكم إلىٰ اليهود، لعلمِهِ أنَّهم يأخذون الرِّشوة، ويميلون في الحُكْم، ثمَّ اتَّفقا علىٰ أنَّهما يأتيان كاهنًا في جهينة، فيَتحَاكمان إليه، فنَزلت: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ﴾ [النساء:٦٠] الآية»(١).

وقيل: نَزلَتْ في «رجلين اخْتَصما، فقال أَحدُهُما: نَترافَع إلىٰ مُحمَّدٍ ﷺ، وقَالَ الآخر: إلىٰ كعب بن الأشرف، ثمَّ بعد ذلك تَرافَعا إلىٰ عمر بن الخطَّاب، فذَكَر أَحَدهما القصَّة، فقال للَّذي لَمْ يرضَ برسول الله ﷺ: أَكَذلك؟ قال: نعم، فضَرَبه بالسَّيف، فقتله، فنزلَت الآية»(٢).

=

(ص٤٥) لمعالي الشَّيخ الدكتور صالح الفوزان -حفظه الله- التي كانت أصلها محاضرة ألقاها فضيلته، وعلَّق عليها سماحة الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٩٦)، وذكر ابن حجر أنه رواه إسحاق بن راهويه في «تفسيره» «الفتح» (٥/ ٣٧)، ورواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم تقدير الصلاة» (٢/ ٦٥٨)، والنيسابوري في «أسباب النزول» (ص٨٦)، وذكره السيوطي في «لباب النقول» (ص٦٨)، وأحاله في «الدر المنثور» لابن جرير، وابن المنذر (٢/ ٥٤٣).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٧) والبغوي في «تفسيره» (١/ ٤٤٦)، وهذا الأثر أطال في =

وهَكَذا يَنْبغي أن يُفْعل بالمُتَحَاكمين إلىٰ الطَّواغيت؛ فإذا كَانَ هَذَا الخليفة الرَّاشد قَدْ قتل هَذَا الرَّجل، بِمُجرَّد طلبِهِ التَّحاكم إِلَىٰ الطَّاغوت، فمَنْ هَذَا عادتُهُ الَّتي هو عليها، ولا يَرْضىٰ لنفسه وأمثاله سِوَاها أحقُّ وأَوْلىٰ أن يقتل؛ لردَّته عن الإسلام(١)، وعموم فَسَاده في الأرض، فإنَّه لا صلاحَ للخليقة إلَّا بأَنْ يكونَ اللهُ مَعْبُودَها، والإسلامُ دِينَها، ومُحمَّدٌ نَبيَّها الَّذي تتبعه، وتَتحاكَمُ إِلَىٰ شريعتِهِ، ومتىٰ عدم ذَلِكَ عظم فَسَادها، وظَهرَ خَرَابُها(٢)؛ لقولِهِ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الآية [النساء:٦٠]، ففي الآية بيانٌ أَنَّ مَنْ زَعَم الإيمانَ بالله وبرسولِهِ، ويحكم بغير شريعة الإسلام(٣)، فهو كاذبٌ منافقٌ، ضالٌّ عن الصِّراط المستقيم،

=

تخريجه صاحب «تيسير العزيز الحميد» الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمَّ قال بعد ذلك: وبالجملة فهذه القصة مشهورة متداولة بين السلف والخلف تداولًا يُغْني عن الإسناد، ولها طرقٌ كثيرةٌ، ولا يضرُّها ضعف إسنادها. (٢/ ١١٢٨، ١١٢٩).

(١) وذلك بسبب أنه لا يرضىٰ سوىٰ التحاكم إلىٰ الطاغوت، ولا يريد إلا ذلك، ويعرض عن حكم الله ورسوله، ولا يخفىٰ أن تلك هي أعمال قلبيَّة، من اعتقادٍ واستحلالٍ.

(٢) **وهذا كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن وهب بن كيسان:** «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، وما صلحت الأمة في بداية عهودها إلا بالإسلام إيمانًا، وتصديقًا، وتحكيمًا، وهو الذي ارتضاه الله للعباد في دينهم ودنياهم، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قلت: فالأثر المذكور عن مالك عن وهب بن كيسان رواه ابن عبدالبر في التمهيد بسنده إلىٰ أشهب عن مالك قال: كان وهب بن كيسان يقعد إلينا ولا يقوم أبداً حتىٰ يقول لنا: (اعلموا أنه لا يصلح آخر هذا الأمرإلا ما أصلح أوَّله)، قلت: يريد ماذا؟ قال: يريد في بادئ الإسلام، أو قال: يريد التقوىٰ. (التمهيد ٨/ ٣٣٢).

(٣) في المطبوع: «وهو يُحَكِّم غير شريعة الإسلام».

كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥]، فأَقْسَمَ بنفسِهِ: أنَّ الخلقَ لا يُؤمنُونَ حتَّىٰ يُحكِّموا الرَّسولَ ﷺ في جميع مَوَارد النِّزاع، فإذا حُكِّم، انتفىٰ الحرجُ باطنًا، وحَصَل التَّسليمُ الكاملُ ظاهرًا، فمَنْ لم يَحْصل منه ذلك، فالإيمانُ مُنْتفٍ عنه.

وقَدْ تَظاهَرتِ الأدلَّة الشَّرعيَّة بالدِّلالة علىٰ ذَلِكَ، وذمَّ الله في كتابِهِ مَنْ أَعْرضَ عن حُكْم رسوله، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور:٤٨-٥١].

وَاعْلَمْ: أنَّه ما دَعَا داعٍ إِلَىٰ حقٍّ إلَّا كان للشَّيطان شبهةٌ عنده، يصدُّ بها النَّاس عنه، ومن ذلك أنَّه إذا قِيل لأَهْل الطَّاغوت: ارجعوا إِلَىٰ حُكْم الله ورسولِهِ، وَاتْرُكُوا أحكامَ الطَّواغيت، قالوا: إنَّا لا نَفْعل ذلك إلَّا خوفًا من أن يقتل بَعْضنا بعضًا، فإنِّي إذا لم أُوَافق صاحبي علىٰ التَّحَاكم إِلَىٰ شرع الرفاقة، قتلني أو قتلته(١).

(١) ومثل هذه الشُّبْهة ما زال بعض الناس يستعملها ويقول بمثلها، فإذا قيل لهم: «التزموا شرع الله»، فإنَّ بعضهم يقول: إن التزامنا بشرع الله يؤدي إلىٰ الفرقة بيننا، فلهذا نتحاكم إلىٰ عاداتنا وأعرافنا. أو يقول البعض: إنَّ حكم الشرع لا يصلح لهذا الزمان، وإنما الذي يصلح إنما هو الحكم المدني؛ لاختلاف وتَنوُّع الأطياف الدينية، أو أن الناس لم تتعود حكم الشريعة =

❑ **فالجوابُ أَنْ نقولَ: يَظْهر فسادُ هَذِهِ الشُّبهة الشَّيطانيَّة بتقرير ثَلَاثة مقاماتٍ:**

المَقَام الأوَّل: أنَّ الفسادَ الواقعَ في الأَرْض مِنْ قَتْل النُّفُوس، ونَهْب الأَمْوَال، إنَّما هو بسبب إِضَاعَة أوامر الله(١)، وارتكاب نَوَاهيه، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ظَهَرَ

=

الإسلامية منذ عهودٍ، فيصعب تَقبُّلها لها، فلهذا نحكم بينهم بالديمقراطية، أو بما يسمونه بالحكم المدني، وهي أنظمة وضعيَّة مستقاة من قوانين بريطانية وفرنسية وغربية، وهذا لا يفعله ولا يدعوا له المتحررون المتأثرون بالغرب فقط، بل حتىٰ دعاة بعض الحركات الدينية السياسية، وهذا ما يفعله الإخوان المسلمون لمَّا تولَّوا الحكم في بعض البلاد العربية، مع أنهم كانوا يكفرون الحكام مطلقًا؛ لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله، ويخرجون عليهم، ويسفكون الدماء، ويستحلون دماء العسكر والشُّرَط، ويُفجِّرون القناطرَ والمرافقَ العامة، كما ذكر ذلك سيد قطب في كتابه: «معالم في الطريق»، والذي يعدُّ دستورًا في بيان الطريق والمنهج الذي خطَّه للإخوان المسلمين، ومَشَوْا عليه عمليًّا في تنفيذه. والإخوان المسلمون بجميع فروعهم والتي انبثقت عن هذه الجماعة الأم كجماعة التكفير والهجرة، وتنظيم القاعدة هي إلىٰ اليوم تسير علىٰ هذا الطريق الذي رسمه لهم سيد قطب، والذي يعتبر مجدد فكر الخوارج في هذا العصر.

ومَنْ نَظرَ إلىٰ مؤلفاته، وخاصة: «معالم الطريق»، يتحقق له ما ذكرناه عنه، حيث يَتبيَّن له أن عنده الأمور التي هي تعدُّ من أُسُسِ الخوارج، مثل:

١- تفسير كلمة التوحيد بالحاكمية.

٢- تكفير المجتمعات، ووضعها بمجتمعاتٍ جاهليةٍ.

٣- تكفير مَنْ لم يحكم بما أنزل الله مطلقًا دون تفصيلٍ.

٤- الدعوة إلىٰ القتل، والتفجير، والخروج.

ولكن لمَّا حكموا تغيرت آراؤهم، فما كان بالأمس كفرًا، صار اليوم اجتهادًا، وما كان بالأمس جهادًا في قتالهم للحكام، صار اليوم خروجًا علىٰ الحاكم ومحرمًا، والجواب علىٰ شبهة هؤلاء الإبليسية هي نفس جواب الشيخ عبد الرحمن بن حسن في المقامات الثلاثة التي ذكرها.

(١) وهذا ما حصل عند الدول التي لا تُحكِّمُ شرعَ الله في شُعُوبها، وعند القبائل التي لا تُحكِّمُ شرعٍ

ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]، المُفسِّرون من السَّلف (البر): أَهْل العمود من البوادي. (والبحر): أهل القرىٰ.

أَخْبَر تَعَالىٰ: أنَّ من ظُهُور الفساد في البادية والحاضرة، سببُهُ أَعْمالُهُمْ؛ فلو أنَّهم عبدوا ربَّهم، وحكموا نَبيَّهمْ، لَصَلحت أحوالُهُمْ، ونَمَتْ أَمْوالُهمْ وأنفسهم، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦].

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥١ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٥٢﴾ [العنكبوت:٥١، ٥٢]، فأخبر أنَّ الرَّحمة في هَذَا القرآن، فمَنِ اكْتفَىٰ به عن أحكام الباطل، فهو المَرْحومُ، ومَنْ أعرض عنه إِلَىٰ غيره، فهو الخاسر؛ فإذا أَعْرَضَ النَّاسُ عن كتاب رَبِّهمْ، وحكموا غير نَبِيِّهمْ، عَاقَبهم الله بأَنْ يعادي بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة:١٤].

=

الله، خاصَّةً في الدماء والديات، مثال ذلك: إلزام بعض القبائل أفرادها بدفع دية العمد والخطأ سواء، وهذا خلاف شرع الله الذي أَوْجبَ علىٰ العاقلة دفعَ دية الخطأ دون العمد، مما جعل أبناء تلك القبائل يَتسَاهلون في دماء الناس، والسطو والسلب، وهذا علىٰ سبيل المثال، وإلا فإنَّ من ذلك الكثير مما ينتج عن ترك حكم الله ورسوله.

ولكن لمَّا عادَ الإسلامُ غريبًا كما بدأ، صارَ الجَاهِلُونَ به يعتقدون ما هو سبب الرَّحمة، سبب العَذَاب، وما هو سببُ الأُلْفة والجَمَاعة، سبب الفُرْقة والاختلاف[١]، وما يحقن الدِّماء سببٌ لسَفْكها، كالَّذين قالَ اللهُ فيهم: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٣١﴾ [الأعراف:١٣١].

وكذَلِكَ الَّذين قالوا لأَتْبَاع الرُّسُل: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ أَئِن ذُكِّرْتُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩﴾ [يس:١٨، ١٩]، فمَنِ اعْتقدَ أَنَّ تَحْكيمَ شريعة الإسلام يُفْضي إِلَىٰ القتال والمخالفة، وأنَّه لا يَحْصل الاجتماعُ والألفةُ إلَّا علىٰ حُكْم الطَّاغوت، فهو كافرٌ، عدوٌّ لله ولجميع الرُّسُل؛ فإنَّ هَذَا حقيقة ما عليه كُفَّار قريش الَّذين يعتقدون أنَّ الصَّواب ما عليه آباؤهم، دون ما بعث الله به رسولَهُ ﷺ[٢].

---

(١) وهذا ما تراه الجماعات المعاصرة، كالإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ، والتي تُسمِّي نفسها في بعض الجهات: (جماعة الأحباب)، فإنَّهم يرونَ أن الدعوة إلىٰ التوحيد، وتصحيح الاعتقادات، والتحذير من الشركيات والبدع مما يفرق بين المسلمين. ويقولون بأنَّ المسلمين في هذا الزمان محتاجون إلىٰ توحيد الكلمة! فلهذا، هم ينبذون ذلك كله، زاعمين أنَّ تركه كله هو سبيل قوة، ووحدة المسلمين.

(٢) كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝١٧٠﴾ [البقرة:١٧٠]، وهذا لا شك أنه كفر مخرج من الملة؛ لأنَّ عدم الرضا بشرع الله واعتقاد أنه لا يصلح أحوال العباد، بل يرون أنه يفسد أحوالهم؛ كقولهم: إنَّ تحكيم الشرع يُسبِّب الفرقة بين الناس، والتقاتل فيما بينهم، أو كقول: إنه لا يصلح لهذا الزمان، وأن الذي يصلح لهذا الزمان هو الأنظمة الوضعية، فلا شكَّ ولا ريبَ =

المقام الثَّاني: أَنْ نقول: إذا عرفتَ أنَّ التَّحاكمَ إِلَىٰ الطَّاغوت كفرٌ، فقَدْ ذكر الله في كتابِهِ أنَّ الكفرَ أكبر من القتل، قالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:٢١٧]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:١٩١]، والفتنةُ: هي الكُفْرُ؛ فلو اقْتتَلَتِ الباديةُ والحاضرةُ حتَّىٰ يذهبوا، لكان أهونَ من أن ينصبوا في الأرض طاغوتًا، يَحْكُمُ بخلاف شريعة الإسلام الَّتي بَعَث اللهُ بها رسولَه ﷺ.

المقام الثَّالث: أن نقول: هَذَا التَّحاكم كفرٌ، والنِّزاع إنَّما يكون لأجل الدُّنيا، فكيف يَجُوز لك أن تكفر لأَجْل ذلك؟ فإنَّه لا يؤمن الإنسان حتَّىٰ يكون اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه ممَّا سواهما(١)، وحتَّىٰ يكون الرَّسولُ أحبَّ إليه من ولدِهِ، ووالدِهِ، والنَّاس أجمعين(٢).

فلَوْ ذَهَبتْ دنياك كلُّها، لَمَا جازَ لك المحاكمة إِلَىٰ الطَّاغوت لأَجْلها، ولو اضطركَ مضطرٌّ وخَيَّرك بين أن تحاكم إِلَىٰ الطَّاغوت، أو تبذل دنياك، لوَجَب عليك البذل(٣)، ولَمْ يجز لك المحاكمة إِلَىٰ الطَّاغوت؛ انتهىٰ، والله أعلم.

=
أن هذا كفرٌ عقديٌّ مخرجٌ من الملَّة.

(١) طرف من حديث رواه البخاري (ح/ ١٦) عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمانِ: أَنْ يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه ممَّا سواهما...**» الحديث.

(٢) إشارة إلىٰ حديث رواه البخاري (ح/ ١٤) عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أَحَدكُمْ حتىٰ أكون أحبَّ إليه من والده، وولده، والناس أجمعين**».

(٣) وهذا ما أمر الله به، ولم يجعل للعبد الخيار بين حكم الله ورسوله، أو حكم غيره، ولو كان ذلك علىٰ وجه الاضطرار، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦]، فكيف لو كان العبد ترك حكم الله ورسوله اختيارًا، كأَنْ يكون تركه لطمعٍ دنيويٍّ، أو تركه لخوفِ ضررٍ، =

=

أو خوف أخذ حكم منه، فلا شكَّ أنه أمرٌ محرمٌ، وصاحبه علىٰ خطرٍ عظيمٍ، ومعرض نفسه لغضب الله، وسخطه، وعقوباته الدنيوية والأخروية، ومورد للشعوب إلىٰ فسادٍ عريضٍ. وهو بين أمرين خطيرين، فهو إمَّا أن يكون كافرًا كفرًا مخرجًا من الملَّة، فعاقبته التخليد في النار إن لم يتب، وإما أن يكون كافرًا كفرًا عمليًّا، فهو مستحقٌّ لعذابٍ شديدٍ إن لم يغفر الله له، وذلك بحسب ما سبق تفصيله.

فالواجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ وعلىٰ كل مَنْ ولَّاه الله أمر المسلمين أن يتَّقي الله تعالىٰ، وأن يُحكِّم شرع الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يُؤْثر الدنيا علىٰ الآخرة، ولا يُقدِّم خوف المخلوق علىٰ الخالق، فإن ذلك من الشيطان، يُرْهب قلوب المسلمين من أعدائهم، فيجعلهم يتركون حكم الشريعة الإسلامية، وهذا ممَّا ينافي التوحيدَ، وصدقَ الإيمان، كما قَالَ تَعَالىٰ ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٥]، وليكن المسلم الموحد كمؤمني بني إسرائيل الذين أكرههم فرعون علىٰ السِّحر، فإنَّهم لمَّا رأوا الآيات والبراهين علىٰ صدق موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، آمنوا وآثروا ما عند الله علىٰ ما عند فرعون، ولم يرهبهم بطش فرعون، كما أخبر الله تعالىٰ عنهم حيث قال: ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ [طه:٧٠-٧٦]، فنسأل الله تعالىٰ أن يَجْعلَنا ممن يحكِّم كتابَه وسُنَّة رسوله ﷺ في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، وأن يهدي ضالَّ المسلمين، وأن يُبصِّرَ حُكَّام المسلمين بدينهم، ويجعلهم محكمين له، راغبين راهبين من الله وحده، ورحم الله الشيخ عبد الرحمن علىٰ هذا التفصيل والبيان لهذا الأمر الجليل، والذي اتَّبعَ فيه منهج أهل السُّنَّة والجماعة.

الرسالة الثلاثون
« تعليق على ملخص أبيات من النُّونِيَّة »

هَذَا تعليقٌ علىٰ مُلخَّص أبياتٍ مِن النُّونِيَّة، ألَّفه شيخنا، شيخ زمَانِه، وفَائق أقرَانِه، العَالِم العلَّامة، بحر العُلوم عبد الرَّحمن بن حسَن، ابن الشَّيخ ابن عبد الوهَّاب، أجْزَل الله لهم الثَّوَاب، آمين، ثُمَّ آمين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يـا مَـن لَـه عقـلٌ ونـورٌ(١) قـدْ غَـدا   يَمْـشي بـهِ في النَّـاس كـلَّ زمـانِ(٢)

يُنادِي رَحِمَهُ اللهُ أهْلَ العقُول الصَّحِيحة، وهُم أهل البصَائِر مِمَّن عرَفَ الحقَّ؛ فاتَّبعَه، و«نور» وهو العِلْم(٣)، و«**العلم**»: معرفة الهدَىٰ بدَلِيله(١).

---

(١) في «النُّونِيَّة» المطبوعة: «نور وعقل».

(٢) هَذِه الأبيات في «النُّونِيَّة» (ص٢٢٥، ٢٢٦)، وشرحها للسعدي، والهراس وابن عثيمين (٤/ ١٦٤-١٧٥)، والأبيات الثلاثة الأخيرة (ص٢٣٩)، وشرحها للمذكورين (٤/ ٢٤٨-٢٥٢)، والأبيات: (٢١،٢٢،٢٣) جاءت بعد خمس أبيات مما سبق، وهي في «النُّونِيَّة» في (ص٢٢٦)، وفي الشرح (٤/ ١٧٣-١٧٥). وأوردها ابن القيم تحت فصل: في بهت أهل الشِّرْك والتعطيل في رميهم أهل التَّوحِيد والإثبات بتنقيص الرسول.

(٣) كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

قوله: «قد غدَا يمشِي به فِي النَّاس كل زَمان» ببيانه، والدَّعوَة إليْه(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَكِنَّنــا قُلنــا مقالــةَ صــارخ في كــلِّ وقــتٍ بَيْــنكم بــأذانِ

قوله: «صارخ»، و«**الصَّارخ**»: هو الَّذِي يُنادِي غَيْره بأعْلَىٰ صَوتِه(٣).

قوله: «بينكم»، يا أهْلَ العُقول والعِلْم.

قوله: «بأذَان» أي: بما تضَمَّنه أذان المؤذِّن للصَّلاة، وهو التَّكْبير والشَّهَادتَان، فيكَبِّر الله -تعالىٰ- تعْظِيمًا له وإخْلاصًا، ويَشْهد بأن لَا إلَه إلَّا الله، ويَشْهد بأنَّ محمَّدًا عَبْده ورَسُوله، ويَدْعو النَّاس إلىٰ ذَلِك، كمَا يدْعُو المؤذِّن للصَّلاة، فيَقُول: «حيَّ علَىٰ الفلَاح».

=

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلم هو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلَّة. وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: العلم هو إدراك الشيء علىٰ ما هو عليه إدراكًا جازمًا. انظر: «الأصول الثلاثة وشروحها» (ص٣٠).

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة هي العلم. وقول ابن القيم: «قد غدا»، أي: أصبح وصار له ذَلِكَ عادةً وسبيلًا يسير عليه في حياته وزمانه.

(٣) جاء في «الصحاح في اللغة» في مادة (صرخ): الصراخ: الصوت، تقول: صرخ صرخةً واصطرخ بمعنىٰ، والتصرخ: تكلف الصراخ، يقال: التصرخ به حمق، أي: بالعطاس. والمصرخ: المغيث. والمستصرخ: المستغيث. تقول منه: استصرخني فأصرخته. والصريخ: صوت المستصرخ. والصريخ أيضًا الصارخ: وهو المغيث، والمستغيث أيضًا، وهو من الأضداد. «الصحاح» للجوهري.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

الـــربُّ ربٌّ والرَّسُـــولُ فعبْـــدُه حَقًّـــا ولـــيس لنـــا إلَـــهٌ ثَـــانِ

فبَيَّن -رحمه الله تعالىٰ- في هَذَا البيت حقِيقَة ما يدْعُو إليه مِن توحِيد العِبَادة، بقوله: «الرَّبُّ ربٌّ»، أي: هو الكَامِل -تعالىٰ- في ربُوبِيَّتِه، وإلهيَّتِه، وأسمائِه وصِفَاته، له الخلق كُلُّه، وله الأمر كُلُّه، وله التَّدْبير كُلُّه، وله العِبَادة كلُّها، لاإله غَيْره، ولا رَبَّ سِوَاه.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣]، فذَكَر -تعالىٰ- في هَذِه الآية ما يَدُلُّ أنَّه هو المعبود وحْدَه دون كل ما سِوَاه، وتضمَّنَت هَذِه الآية أنوَاع التَّوحِيد الثَّلاثة: تَوْحِيد الرُّبوبيَّة، توحِيد الأُلُوهِيَّة وتوحِيد الأسماء والصِّفَات(١).

قوله رحمه الله تعالىٰ: «والرَّسُول فعَبْدُه حَقًّا»، كما قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١].

وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١].

---

(١) فقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: توحيد الربوبية.
وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: توحيد الأسماء والصفات.
وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: توحيد الألوهية.
وقد فصل هَذِهِ الأقسام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الرسالة السادسة.

وقال: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ ورَسُولُه**»(١).

وهَذِه هي العُبودِيَّة الخاصَّة لكمَال عُبودِيَّته لرَبِّه، وذُلِّه، ومحبَّتِه، وخَشْيتِه، وخَوْفِه ورجَائِه، والتَّوكُّل عليه، وغير ذَلِك مِن أنواع العِبَادة، فمَقامه ﷺ كمال العُبودِيَّة(٢)، فلذَلِك حَمىٰ حِمىٰ التَّوحِيد(٣) بكل قَوْل ينفي الشِّرْك أو يُقَرِّب مِنْه(٤) كما سيَأتِي.

قوله: «ولَيْس لنَا إلَهٌ ثَانٍ»، لأنَّ الإلهية هي حق الله علَىٰ عِبَاده لا شَريكَ له في ذَلِك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١﴾ [النحل: ٥١]، فقصر الإلهية علىٰ نَفْسِه(٥)؛ لأنَّه لا يَسْتحقها غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح/ ٣٢٦١ و٦٤٤٢).

(٢) انظر رسالة «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث بَيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الله تعالىٰ أثنىٰ علىٰ محمد ﷺ عبده بوصف العبودية في عدَّة مقامات، مقام التحدي بالقرآن، ومقام الإسراء، ومقام الوحي، ومقام معجزة إنزال القرآن، ووصفه بأنه فرقان. (الفتاوىٰ ١٠/ ١٤٩).

(٣) والمؤلف -رحمه الله تعالىٰ- قد أَسْهَب في شرح الأدلة التي تدل علىٰ ذَلِكَ، وذَلِكَ عند باب «ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ حمىٰ التَّوحِيدِ، وسده طرق الشِّرْك» من كتاب التَّوحِيد: (حمايته ﷺ حمىٰ التَّوحِيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحلُّ معها التَّوحِيدُ أو ينقص). «فتح المجيد» (ص٥٤٩).

(٤) وهَذَا هو معنىٰ تحقيق التَّوحِيد، وهو تخليصُهُ من كل شوائب الشِّرْك، والبدع، والمعاصي.

(٥) وكذَلِكَ ما جاء في حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟**». قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ**». قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ**».

فلذاكَ لم نعبدْه مثلَ عبادةِ الرَّ حمن فعل المشرك النَّصْراني

فإنَّ النَّصارىٰ غلَوا حتَّىٰ عبَدُوا المسيح وأمَّه، وعبَدوا الأحْبَار والرُّهبَان، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]، وكما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة: ٧٧].

قوله: «فلذاك»، أي: لكَوْنِه لا يستحِقُّ العِبَادة سِوَاه لم نجعله له شريكًا في ذَلِك، كما قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩]، إلىٰ قوله: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠﴾ [آل عمران: ٨٠].

قوله رحمه الله تعالىٰ:

كَلا ولم نَغْلُ الغلوَّ كما نَهى عنه الرَّسُولُ مخافةَ الكُفْرانِ

الكاف هنا للتَّعْلِيل(١)، كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١-١٥٢]، فقد نهىٰ النَّبي ﷺ عن الغُلو غاية النَّهي، لكَونِه ذَريعةً إلىٰ الشِّرْك وسُلَّمًا إلَيْه كمَا وقع في قَومِ نوحٍ ومَن بعدهم مِن مُشْركِي الأُمَم والعَرَب.

وسبب ذَلِك: الإفراط في التَّعظِيم والمحبَّة.

---

(١) أي: في قول ابن القيم (كما نهىٰ).

قال ﷺ: «**إِيَّاكُم والغلُو، فإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم الغُلُوُّ**»(١) الحديث.

وقال: «**لَا تطْرُونِي كمَا أَطْرَت النَّصَارَىٰ ابنَ مريم، إِنَّمَا أَنَا عَبْد، فقُولُوا عبد الله ورَسُوله**»(٢).

ولَمَّا قال له رَجُلٌ: أنت سيِّدُنا وابْنُ سيِّدِنا، وخَيْرنا وابْنُ خَيْرنا، قال: «**قُولُوا بِقَولِكُم أو بَعْضِ قَوْلِكُم، ولَا يَسْتَهْوِيَنَّكُم الشَّيْطَان، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْد الله ورَسُولُه، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ**»(٣).

ولعن ﷺ اليهود والنَّصَارَىٰ، لكَوْنهم اتَّخذوا قبُور أَنْبِيَائهم مسَاجِد يدْعُون عندها، ويُصَلُّون تعظِيمًا لها، وإفراطًا في محبَّتِها، فقال «**لَعْنَةُ اللهِ علَىٰ اليَهُودِ والنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِم مسَاجِد**»، يُحَذِّر ما صَنَعُوا، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ولولا ذَلِك لأبرز قبره، غير أَنَّه خَشِي أَنْ يتخذ مسجدًا»(٤).

ولما ذكَرَت أُمُّ سلَمَة له وأمُّ حَبِيبة كنِيسَةً رأينها بأرض الحبشة، وما فيها مِن الصُّوَر فقال: «**أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِم الرَّجُل الصَّالِح أو العَبْدُ الصَّالِح بَنَوْا علَىٰ قَبْرِه مَسْجِدًا، وصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَر، أُولَئِكَ شِرَار الخلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ**

---

(١) رواه أحمد (ح/ ٣٣٠٥)، والنسائي (ح/ ٤٠٦٣)، وابن ماجه (ح/ ٣٠٢٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه» (ح/ ٢٤٥٥).

(٢) رواه البخاري (ح/ ٣٤٤٥)، وأحمد (ح/ ١٥٦) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه أحمد (ح/ ١٢٨٨٧)، والبخاري في «التاريخ الصغير» (ح/ ٧)، وقال الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١٠١)، رقم (١٥٧٢): وهَذَا إسناد صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح/ ١٢٦٥ و١٣٢٤ و٤١٧٧)، ومسلم في «صحيحه» (ح/ ٥٢٩).

القِيَامَة»(١).

وهَذَا الَّذِي لعَن رَسُول اللهِ ﷺ مَن فَعَلَه، وأَخْبَر أَنَّه فِعْل شِرَار الخلْق عِنْد الله يَوْم القِيَامة هو الوَاقِع اليَوْم وقَبْله فِي أَكْثَر هَذِه الأُمَّة بَعْد القُرون المفَضَّلة لما ظهَرت الرَّافضة فِي المشْرق والمغْرِب، والقَرامِطَة، والبَاطِنيَّة(٢)، والاتِّحَاديَّة(٣)، وكَثُرَت البِدَع فِي طَوائف كَثيرةٌ مِن هَذِه الأمَّة، فافترقت الأمة إلىٰ ثلاثٍ وسَبْعِين فرقة كمَا فِي حديث مُعَاوية وغيره أنَّ رسُول الله ﷺ قال: «**افْتَرقَتْ اليَهُودُ علَىٰ إحْدَىٰ وسَبْعِينَ فِرْقَةٍ، وافْتَرقَت النَّصَارَىٰ علَىٰ ثِنْتَيْن وسَبْعِين فِرْقَة، وسَتَفْتَرقُ هَذِه**

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (ح/ ٤١٧ و١٢٧٦ و٣٦٦٠)، ومسلم في «صحيحه» (ح/ ٥٢٨)، والنصوص التي ذكرها المؤلف في التعليق علىٰ هَذَا البيت قد شرحها في «فتح المجيد شرح كتاب التَّوحِيد»، وعلق عليها تحت باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، وباب ما جاء من التغليظ فيمن عَبدَ الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عَبدَه.

(٢) **الباطنية والقرامطة**: هُمُ الَّذِينَ جعلوا لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلًا، وهم مجموعة من الفرق، كلها تقول بالتأويل الباطني للنصوص، وكلها تؤول للتشيع، ولهم ألقاب، مثل: الباطنية، القرامطة، الإسماعيلية، الخرمية، وغيرها، وهم ملاحدة زنادقة. انظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص٢٦٦)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (٢/ ٢٩).

(٣) **الاتحادية**: هو غلاة الصوفية؛ كابن عربي، وابن الفارض الَّذِين يعتقدون أن الوجود المعاين هو عين وجود الحق. والاتحاد ينقسم إلىٰ اتحاد عام: وهو اعتقاد كون الوجود هو عين الله عَزَّوَجَلَّ، بمعنىٰ أن الخالق متحد بالمخلوقات جميعها، وهَذَا هو معنىٰ وحدة الوجود. واتحاد خاص: وهو اعتقاد أن الله عَزَّوَجَلَّ اتَّحَد ببعض المخلوقات دون بعض. وهَذِهِ العقيدة إلحادية كفرية، مأخوذة من مَذَاهب، وفلسفات، ووثنيات هندية ويهودية ونصرانية. انظر: «مجموع فتاوىٰ لشيخ الإسلام» (٢/ ٤٥٦-٤٦٦)، و«التعريفات» للجرجاني (ص٦)، وكتاب: «هَذِه الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل (ص٢٤، ٢٥)، وكتاب: «مصطلحات في كتب العقائد» (ص٤٤-٤٧).

الأُمَّة علَىٰ ثَلاثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةٍ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلَّا وَاحِدَة»، قالوا: مَن هي يا رَسُول الله؟ قال: «**مَنْ كَانَ علَىٰ مِثْل مَا أنَا علَيْه اليَوْم وأصْحَابِي**»[(١)].

فوَقعَ كمَا أخبر ﷺ، واشْتدَّت غُربَةُ الإسْلَام، حتَّىٰ عادَ المعروف مُنكَرًا والمنكَر معروفًا، فنَشَأ علىٰ هَذَا الصَّغِير، وهَرم عليه الكَبِير[(٢)]، فعَاد الإسْلام غريبًا كما بَدَأ، فطُوبَىٰ للغُربَاء الَّذِين يُصْلِحُون إذا فسَد النَّاس، أو يُصلِحُون ما أفْسَدَ النَّاس[(٣)].

وقد كان العُلمَاء مِن أهل السُّنة في القَرْن الخامِس والسَّادس يَشْكُون غُربَة

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٠٣)، والترمذي (٣/ ٣٦٧)، وابن ماجه (٢/ ٤٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨٣٤)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٥)، والحاكم (١/ ١٢٨)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (ق٢٨٠/ ٢) من طرق عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعًا به، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٣٥٦).

(٢) روىٰ الدارمي بسنده إلىٰ عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة، يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غيرت قالوا: غيرت السنة، قالوا: متىٰ ذلك يا أبا عبدالرحمن؟ قال: إذا كثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة». «مصنف عبد الرزاق» (ح/ ٢٠٧٤٢)، «سنن الدارمي» (١/ ٦٤)، ورواه البيهقي في «المدخل» (ص٤٥٣).

(٣) كما جاء في الحديث الَّذِي رَوَاه مسلم (ح/ ١٤٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ**»، وفي روايةٍ رواها أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن: قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «**الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إذا فَسَدَ النَّاس**»، ذكر صحتها ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ. «الفتاوىٰ» (٣/ ١٥٩)، والألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٢٦٧) حيث قال: أخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن»، ثم قال: «هَذَا سندٌ صحيحٌ رجاله ثقات، رجال الصحيح».

الإسْلَام، وهَذَا كَثيرٌ فِي أَشْعَارِهِم، حتَّىٰ قال **الشَّاطِبِي**(١):

وهَــذَا زَمَــانُ الــصَّبر مَــن لــكَ بــالَّتِي   كقَبْضٍ علَـى جَمْـر فَتَنْجُـو مِـن الـبَلا(٢)

وقال الصرصري(٣):

لَـــوْلَا بقِيَّـــة سُـــنَّةٍ ورِجَالهـــا   لـــم يَبْـــق نَهْـــج واضِـــح نَأَتَمَّـــه

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

....   ولعَبْـــدِه حـــقٌّ همـــا حقَّـــانِ

لا تَجْعَلُــوا الحقَّــين حقًّــا واحــدًا   مِـــن غَيْـــر تمييـــزٍ ولا فُرقَـــانِ

قوله: «لَا تجعلوا الحقَّين حقًّا واحِدًا»، هَذَا هو الَّذِي وَقَع، وعمَّت به البَلْوَىٰ فِي هَذِه الأُمَّة، فصَرفُوا حقَّ الله مِن العِبَادة لغَيْره مِن الأموات، والغَائِبين، والطَّواغِيت، والأشجار، والأحجار، بسبب الجهل بالتَّوحِيد الَّذِي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، فأنكروا التَّوحِيد علىٰ مَن دعَاهُم إلَيْه، وبالغلو فِي سَبِّه،

(١) هو الشيخ الإمام العالم العامل القدوة سيِّد القراء، أبو محمد، وأبو القاسم القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرُّعيْني، الأندلسي، الشاطبي، الضرير، ناظم «الشاطبية»، و«الرائية». ولد سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة. كان إذا قرئ عليه «الموطأ»، و«الصحيحان»، يصحِّح من حفظه، حتىٰ كان يقال: إنه يحفظ وِقْرَ بعيرٍ من العلوم. قال الأبَّار: تَصدَّر بمصر، فعظم شأنه، وبَعُدَ صيته، انتهت إليه رياسة الإقراء، وتوفي بمصر في الثامن والعشرين من جمادىٰ الآخرة سنة تسعين وخمس مئة. «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٢٦١).

(٢) «منظومة حرز الأماني» (ص٩).

(٣) يحيىٰ بن يوسف بن يحيىٰ الأنصاري أبو زكريا جمال الدين الصرصري. ولد سنة ٥٨٨هـ، من أهل صرصر علىٰ مقربة من بغداد، وكان ضريرًا، قتله التتار يوم دخلوا بغداد. انظر ترجمته «تذكرة الحفاظ» (١/ ٦٣)، و«البداية والنهاية» (١٣/ ٢١١).

وتَبدِيعه وتَكْفِيره، واسْتَحْسَنوا الشِّرْك، ونصَروه بالشُّبهات البَاطِلة كما لا يَخْفَىٰ.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن غَيْر تمييز ولا فُرقَان»، فهَذِه هي عِلَّتهم لما جَهِلوا الشِّرْك وقَعُوا فيه، وصار لهم عادَة، وقَبِلوا الشِّرْك لما اعْتَادوه، ووجدوا عليه مَن قَبْلَهم مِن أسْلَافهم، فالله المستعان.

ثم شَرَع رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُبَيِّن الحقَّ، وهو تمييز الحقُوق، وإعْطَاء كُلِّ ذِي حقٍّ حقَّه، فقال في بيان حَقِّ الله -تعالىٰ- الَّذِي لا يجوز أنْ يُصْرَف مِنْه شيءٌ لغَيْره كائِنًا مَن كَان، فقال رحمه الله تعالىٰ:

فالحَجُّ للرَّحمنِ دونَ رسولِه ... وكذا الصَّلاةُ وذبحُ ذي قربانِ
وكذا السُّجودُ ونذرُنا ويمينُنا ... وكذا متابُ العبد من عصيانِ
وكذا التوكلُ والإنابةُ والتقى ... وكذا الرجا وخشيةُ الرحمنِ

ذَكَر - رحمه الله تعالىٰ- في هَذِه الأبْيَات جُمَلًا مِن الأعمَال البَاطنة والظَّاهِرة، وذكر ما يجمَعُها بقَوْله:

وكذَا التَّوَكُّل والإنَابة والتُّقَى ... وكذَا الرَّجَا وخَشْية الرَّحْمَن

فهَذَا يجمع أنْوَاع العِبَادة كلها، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣].

وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

ووَصَّىٰ عبادَه بالتقوىٰ في مواضع من كتابه كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وحق تُقَاته: أنْ يُطَاع فلا يُعْصَىٰ، وأن يُذْكَر فلا يُنْسَىٰ، وأن يُشْكَر فلا يُكْفَر(١).

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، فالرجاء مما يبعث علىٰ الأعْمَال الصَّالحة وعلىٰ الإخْلَاص.

وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

فلا تَجْتَمِع هَذِه الأمُور في قَلْب عبد إلَّا وقد أَخْلَص أعْمَاله لله وحْدَه، وأدَّىٰ حقَّ اللهِ علَيْه بإخْلَاص، وأطاعَه فِيمَا أمَر به ونَهَىٰ عنه، وبهَذِه الأعْمَال يحصل كمَال الإيمان.

وأمَّا قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكـذا العبـادةُ واسـتعانَتُنا بـه ... إيَّـاك نعبـدُ ذانِ توحيـدانِ

فقَولُه رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكَذا العِبادَة» يشْمَل ما تقَدَّم ذِكْره مِن أنْوَاع العِبَادة وما لم يذكره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العِبَادة اسْمٌ جَامِعٌ لكُلِّ ما يحبُّه الله ويَرضَاه مِن الأقْوَال والأعْمَال البَاطِنة والظَّاهِرة(٢).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم، والحاكم في «مستدركه» عن عبد الله بن مسعود، وقال عنه: صحيح علىٰ شرط الشيخين. وقال ابن كثير: إسناده صحيح موقوف. «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٣٢)، ورَوَاه الطبري في «تفسيره» أيضًا (٧/ ٦٥).

(٢) انظر: «رسالة العبودية ص١١ بشرح الفوزان»، وانظر الفتاوىٰ (١٠/ ١٤٩).

وَقَولُه رَحِمَهُ اللَّهُ: «واستِعانَتُنا بِه» كمَا فِي فَاتِحة الكِتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، فالعِبادَةُ هِي الغَايةُ، وقَصْرها عَلىٰ اللهِ وَحدَه دُونَ ما سِواهُ هُو الحقُّ الَّذي أُرسلَت به الرُّسُل وأُنزلِت به الكُتُب، كَما قال تَعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وفي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ما يُفيدُ الحَصرَ لِتقدِيم المَعمُولِ عَلىٰ العَامِل، وذَلِك يَدلُّ عَلىٰ حَصرِ العِبادَة وَقَصرِها عَلىٰ اللهِ تَعالىٰ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لَا غَيرك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ لَا غَيرك، وَالاسْتعانَة وسِيلَةٌ إلىٰ حُصولِ العِبادَة الشَّرعِيَّة، بَل وَعَلىٰ مَا يَنفَع العَبْد شَرعًا وغير ذَلِك، فالإِعانَة فِعل الرَّبِّ، وذَلِك مِن تَوحيدِ الرُّبوبِيَّة، وَالاسْتِعانَة فِعل العَبْد، وذَلِك يَجِب إِخلاصُه لَه فَيَكُون عِبادةً لا يَجوزُ صَرفُها لِغيرِ اللهِ بِخلافِ ما عَلَيه أَهلُ الشِّرْك بالله، فإِنَّ المُشرِك يَستَعينُ بِمَن كانَ يَعبُدُه مِن دُون اللهِ مِن قَبرٍ أَو مَشْهدٍ أَو غَير ذَلِك.

وَقَولُه رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

قَولُه: «ذان تَوحِيدَان» أيْ: تَوحِيد الإِلهِيَّة الَّذِي هُو الغَايةُ الَّذِي دلَّ عَلَيه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وتَوحِيد الرُّبوبِيَّة الَّذِي دَلَّ عَلَيه ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ لِأَنَّ إعانَة الرَّبِّ لِلعَبْد مِن أَنواع تَوحِيد الرُّبوبِيَّة كَما قَال تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ (يونس: ٣١) فَهُو الَّذِي يُعينُ عَبدَه إِذَا اسْتعانَه وَحدَه.

وقَولُه رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَعَلَيهِمُ[1] قَامَ الوُجودُ بأَسرِه دُنيَا وأُخرى حَبَّذَا رُكْنانِ

(١) في «النُّونِيَّة»:

=

الظَّاهِرُ أنَّه أَرادَ أنَّ أَمرَ الدُّنيَا وَالآخِرَة لَا يَصلُح إلَّا بِهذَيْن التَّوحِيدَين، فمَتىٰ ظَهر التَّوحِيدُ في الأُمَّة وعَمِلوا بِما يَقتَضِيه مِن القِيامِ بِعبادَةِ اللهِ وَحدَه عَلىٰ مَا شَرعَه رَسُولُه ﷺ صَلحَت الدُّنيا بصَلاحِ أَعمَال الآخِرَة[1] كحَالِ الأُمَّة في الصَّدْر الأَوَّل[2]، ومَتىٰ وَقَع الفَسادُ بشِركٍ في الأُلُوهِيَّة والرُّبوبِيَّة والبِدَع المُنكَرَة وَكَثُرَت فَسَدَت[3] الدُّنيا لِفسَاد أَعمالِ الآخِرَة، وَبِكَثْرة الذُّنوبِ تكثُر عُقُوباتُها، وهَذَا أَمرٌ

=

وعليهما قام الوجود بأسره دنيا وأخرىٰ حبَّذا الركنان

(ص٢٢٦).

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥]، وكما قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

(٢) كما ورد عن الإمام مالك: «لا يصلح آخر هَٰذِه الأمة إلا بما صلح به أولها».

(٣) كما قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]، قال الطبري في «تفسيره»: «ظهرت المعاصي في بر الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نَهاهُمُ الله عنه». (١٧/ ٥٩). وقال ابن كثير في «تفسيره»: قال أبو العالية: «مَنْ عَصَىٰ الله في الأرض، فقَدْ أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة، ولهَٰذَا جاء في الحديث الَّذِي رواه أبو داود: «**لَحدٌّ يُقَام في الأرض أحبُّ إلىٰ أهلها من أن يمطروا أربعين صباحًا**»، والسبب في هَٰذَا أن الحدود إذا أقيمت، انكفَّ الناس، أو أكثرهم، أو كثيرٌ منهم عن تَعَاطي المحرمات، وإذا تركت المعاصي، كان سببًا في حُصُول البركات من السماء والأرض، ولهَٰذَا إذا نزل عيسىٰ ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان يَحْكم بهَٰذِهِ الشريعة المطهرة في ذَٰلِكَ الوقت من قتل الخنزير، وكسر الصليب، ووضع الجزية، وهو تركها، فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه، ويأجوج ومأجوج، قيل للأرض: أخرجي بركتك، فيأكل من الرمانة الفئام من الناس، ويستظلون بقحفها، ويكفي لبن اللقحة الجماعةَ من الناس، وما ذاك إلا ببركة تنفيذ =

مَحسُوسٌ مَعلومٌ بِالفِطَر السَّليمَة وَالعُقُول الصَّحيحَة. قَال تَعالىٰ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]، والفَسادُ إِنَّما يَقعُ بِظُهور الشِّرْك والبِدَع والمَعاصِي، وَقَد قالَ تَعالىٰ عِند ذِكر المنافِقِين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾﴾[البقرة:١١]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة:١٢]؛ فَوصَفَهم بالفَسادِ، ونَفىٰ عَنْهُم الصَّلاحَ، فمَا صَلحَ قَومٌ وَما فَسَد...، وَالله أعْلَم.

ومِن آثَارِ ذَلِك: مَا جَرىٰ عَلىٰ الأُمَم لَمَّا دَعَتْهُم رُسُلُهم إلىٰ التَّوحِيد الَّذِي يَقومُ بِه وُجُودهم في دُنياهُم وعَاقِبَة أَمرِهم، فَلمَّا لَم يَقبَلوا هَذَا التَّوحِيدَ هَلكُوا بعَذابِ الاستِئصَال كَقَوم نَوحٍ وَقَومِ صَالحٍ وَقَومِ هُودٍ وَمَن بَعدَهُم كمَا قَال تَعالىٰ: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ (القصص: ٥٨) وَقال تَعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ (يس: ٣١) وَقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٥٨﴾﴾ (الإسراء: ٥٨).

قالَ العِمادُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا إِخبارٌ مِن اللهِ بأَنَّه قَد حَتَم وَقَضىٰ بِما قَد كَتَب عِندَه في اللَّوحِ المَحفُوظ أَنَّه مَا مِن قَريَةٍ إلَّا سَيهُلِكُها بأنْ يَبِيدَ أَهلَها جَميعَهم أَو

=

شريعة محمد ﷺ، فكلما أقيم العدل، كثرت البركات والخير، ولهَذَا ثبت في الصحيح أن الفاجر إذا مات تستريح منه العباد، والبلاد، والشجر، والدواب». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٨٩،٥٩٠).

يُعذِّبَهم عَذابًا شَديدًا، إمَّا بِقَتل أَو ابْتلاءٍ بِما يَشاءُ، وَإنَّما يَكونُ ذَلِك بسَببِ ذُنُوبِهم وَخَطايَاهُم، كَما قَال تَعالىٰ عَن الأُمَم المَاضِين: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (هود: ١٠١) وقَالَ تَعالىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الطلاق: ٨ – ٩) انْتَهىٰ(١).

فكُلُّ فَسادٍ في الوُجودِ فَمِن عُقوباتِ الذُّنوبِ بِسَبَب مَا ارْتَكبُوه مِن الشِّرْك وَالمَعاصِي، وذَلِك مِن عَدَم قِيامِ الوُجُود الَّذِي لا يَقومُ إلَّا بالتَّوحِيد وَواجِباتِه وَمُقتَضيَاتِه وَحُقوقِه كَما هُو مُشاهدٌ في هَذِه الأَعصَار. فمَتىٰ آثَروا حُظوظَهُم الدُّنيَويَّة وأَهواءَهُم عَلىٰ مَا أَمرَهُم اللهُ بِه وَرَسُولُه وآثَروا دُنياهُم عَلىٰ أُخرَاهُم وَقَع بِهم مَا وَقَع. اللَّهمَّ إنَّا نَعوذُ بِرضَاك مِن سَخطِكَ، وبِمُعافَاتِك مِن عُقوبَتِك.

ثُمَّ قَال رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَــذا التَّــسبيحُ والتَّكبيــرُ والتَّهــــ ـــــليلُ حــــقُّ إلهِنـــا الـــديَّانِ(٢)

ذَكَر – رحمه الله تعالىٰ– الذِّكرَ المَشرُوع وذَلِك أَفضَل الذِّكْر، وَلَولا ضِيق النَّظْم لَزادَ: الحَمْد للهِ. وَالذِّكرُ مِن أَفضَل العِبادَة يُحبُّها اللهُ ويَرضَاها مِن عِبادِه، وَهُو مُطلَق ومِنْه مَا هُو مُقَيَّد، كَالمَشرُوع في أَدبارِ الصَّلاةِ وَنَحوِها. قَال تَعالَىٰ:

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٩).

(٢) في «النُّونِيَّة»:

وكــذَلِكَ التــسبيح والتكبيــر والتهـــ ـــــليل حــــق إلهنـــا الــــديان

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

وَسُئِل عُثمانُ بنُ عَفَّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَن البَاقِياتِ الصَّالحاتِ مَا هِي؟ فَقالَ: (هِي: لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَسُبحانَ اللهِ، وَالحَمدُ للهِ، وَاللهُ أَكبَر، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللهِ) وَنَحوه عَن ابنِ عَبَّاس.(١) فكُلُّ مَا وَردَ مِن الذِّكرِ يَجِب إخْلاصُه للهِ، وَلا يُصرَف مِنْه شَيءٌ لِغَيْر اللهِ تَعالىٰ.

ثُمَّ ذَكرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَا يَجبُ مِن حَقِّ النَّبيِّ ﷺ فَقالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَكنَّمـا التَّعزِيـرُ والتَّـوقِيرُ حـــــ ـــقٌّ لِرسُـولِه بمقتـضَى القُـرآنِ

قَال تَعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾ (الفتح: ٨ - ٩). قال العِمادُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَال ابنُ عَبَّاس وَغَيرُ وَاحدٍ: تُعزِّرُوه وتُوَقِّرُوه وتُعظِّمُوه، وتَوقِيرُه مِن التَّوقِير وَهُو الِاحْترامُ والإجلَالُ وَالتَّعظِيم. وقَولُه: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أيْ: تُسبِّحُون اللهَ بُكرَةً وأَصيلًا، وأَصيلًا: أي أَوَّل النَّهَار وآخِرُه).(٢) فهَذِه الآيَة جَمعَت الحُقُوقَ الثَّلاثَة.

ثُمَّ قَال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحـبُّ والإِيمـانُ والتَّـصدِيقُ لا يَخـتَصُّ بَـلْ حَقَّـانِ مُـشتَركانِ

فَيَجبُ مَحبَّةُ اللهِ ورَسُوله، والإيمَانُ باللهِ ورَسُوله، وتَصدِيقُه فِيما أَخْبَر بِه،

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣١٠).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٨٦).

وتَصدِيق الرَّسُول ﷺ فِيما ثَبتَ عَنه مِن أَخبارِه، فَذَكر -رحمه الله تعالىٰ- في هَذِه الأَبياتِ الحُقُوق الثَّلاثَة مِمَّا هُو مُختَصٌّ باللهِ تَعالىٰ مِن جَميع العِبادَة وَحَق الرَّسُول ﷺ، وأَعظَم اتِّباعِه هُو طَاعَتُه فِيما أَمَر، وَالانْتِهاء عَمَّا نَهىٰ عَنْه وَزَجَر، وهَذَا هُو مُقتَضىٰ تَوقِيره وَاحْترامِه ﷺ بأنْ يَكونَ هُو المَتبُوع المُطاع، ويُعظِّم أَمرَه وَنَهيَه.

ثُمَّ قَال رَحِمَهُ اللهُ:

هَـذي تَفاصِـيلُ الحُقـوقِ الثَّلاثـةِ لا تُجْملُوهـا[١] يَـا أُولـي العُـدْوانِ

وإِجمالُها هُو الوَاقِع في آخِر هَذِه الأُمَّة، وهُم الخَلْق الكَثيرُ والجَمُّ الغَفِير، فَأَفرطُوا، فوضَعوا حقَّ اللهِ لِغَيْره مِن مشهَد وقَبر وغَير ذَلِك، وفَرَّطوا في حَقِّ النَّبيِّ ﷺ، فَتَركوا سُنَّته كما تَرىٰ عَلَيه الكَثِير مِمَّن يَنتَسِب إلىٰ الإِسلَام.

ثُمَّ قَال رَحِمَهُ اللهُ:

حــقُّ الإِلــهِ عِبــادةٌ بــالأَمْرِ لَا بِهَـوى النُّفـوسِ فَـذَاكَ لِلـشَّيْطانِ
مِـن غَيْــرِ إِشْـراكٍ بِــهِ هُــما سَـبَــبُ النَّجـاةِ فَحبَّـذا الـسَّبَبانِ

فَيَعبدُه بما شَرعَه في كِتابِه وعَلىٰ لِسانِ رَسُولِه ﷺ، فيَفعَل الأَمْر خَالصًا للهِ، وَيكونُ عَلىٰ السُّنَّة[٢]، ويَترُك ما نَهىٰ اللهُ عَنْه ورَسُولُه رَأْسًا.

(١) أي: لا تخلطوها.

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠]، وكما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، وهو أخلصه وأصوبه. ومن السُّنَّة علىٰ شرطي الإخلاص والمتابعة، حديث: «**إِنَّما الأعمال بالنيَّات**»، وحديث: «**مَنْ عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وتقدم تخريجهما.

قَولُه: «لا بِهَوىٰ النُّفُوس» وذَلِك كَثيرٌ جِدًّا يَتركُون الحَقَّ لِمخَالَفَة هَواهُ، وَسَبب ذَلِك: الجَهلُ باللهِ، وَعَدمُ خَشيَتِه وخَوفِه، فمَا أَكثَرَ هَذَا! وَلا يَسلَمُ مِنه إلَّا مَن عَصَمَه اللهُ بِمعَرفَتِه وخَشيَتِه وَخَوفِه، وذَلِك فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ، وَاللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيم.

قَولُه رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالرَّسُولُ(١) فَهُو المُطاعُ وَقَولُه الـ ـمَقْبُولُ إِذْ هُو صَاحِبُ البُرهَانِ(٢)

أَيْ: تَجبُ فِي كُلِّ مَا أَمرَ بِه إذا اسْتطَاعَ العَبدُ، وَيَجبُ تَركُ ما نَهىٰ عَنه رَأسًا.

وفِي الحَديث: «مَا نَهيتُكُم عَنهُ فَاجْتَنبُوه، ومَا أَمَرتُكُم بِه فَأْتُوا مِنْه مَا اسْتَطَعتُم»(٣) كمَا في حَديثِ عِمرَانَ بنِ حُصَين لَمَّا كانَ مَريضًا: «صَلِّ قَائمًا، فإنْ لَم تَستَطِع فَقاعِدًا، فَإنْ لَم تَستطِع فَعلىٰ جَنْبِكَ»(٤)، وكالحَجِّ فَلا يَجبُ إلَّا عَلىٰ المُستَطِيع؛ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وَكالزَّكاةِ فَلا تَجبُ إلَّا عَلىٰ مَن مَلكَ نِصابًا وَنَحوَه.

قَولُه رَحِمَهُ اللَّهُ:

والأَمْـرُ مِنـهُ الحَـتْمُ لا تَخْييـرَ فِيـ ـهِ عِنـدَ ذِي عَقْـلِ وَذِي إِيمـانِ(٥)

---

(١) في «النُّونِيَّة»: «رسوله»، انظر (ص٢٢٦) من «النُّونِيَّة».

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝١٧٤﴾ [النساء:١٧٤].

(٣) أخرجه البخاري (ح/ ٧٢٨٨)، ومسلم (ح/ ١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (ح/ ١٠٦٦).

(٥) رقم البيت (٣٩٩٥)، في (ص١٧١) من الشرح.

قَال تَعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (النور: ٦٣) قَال الإمامُ أَحمدُ: (أَتدْرِي مَا الفِتنَة؟ الفِتنةُ الشِّرْك، لَعلَّه إذا رَدَّ بَعضَ قَولِهِ أنْ يَقَع في قَلبِه شَيءٌ مِن الزَّيغ فَيَهْلِكَ)(١). وقَال تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ الآيةَ (الأحزاب: ٣٦).

وهَذَا الأَصلُ العَظيمُ لَا يَحصلُ إلَّا مِن ذَوي العُقول والإيمانِ، وَأكثر النَّاس قَدَّموا الرَّأي عَلىٰ قَولِه ﷺ، وَتركُوا طاعَتَه لِأهوَائِهم، ورأيِ مَن يَجوزُ عَليه الخَطأ، وهَذَا كَثيرٌ فِيمَن يَنتَسِب إلىٰ العِلْم(٢)، قَدَّموا رَأيَ مَن لَا يَعرِفُونَه إلَّا

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١/ ٢٦٠) رقم (٩٧)، وهَذَا الأثر ذَكَره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ- في كتاب التَّوحِيدِ تحت باب «مَنْ أطاعَ العلماء والأُمَراء في تحريم ما أحلَّ الله، أو تَحْليل ما حرَّمه، فقد اتَّخَذهم أربابًا من دون الله».
وقال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقًا عليه: «هَذَا الكلام من الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ رواه عنه الفضل بن زياد، قال الفضل عن أحمد: نظرت في المصحف، فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ الآية، وجعل يُكرِّرها، ويقول: وما الفتنة إلا الشِّرْك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ، فيزيغ قلبه، فيهلكه، وجعل يتلو هَذِهِ الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾». «فتح المجيد» (ص٤١٤).

(٢) وتقديم طاعته ﷺ علامة صدق محبة العبد لله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١]، وكما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعـصي الإلـه وأنـت تـزعم حبَّـه ... هَـذَا محـالٌ في القيـاس بـديعُ
لـو كـان حبُّـك صـادقًا لأطعتَـه ... إنَّ المحـبَّ لمَـنْ يحـبُّ مطيـعُ

انظر: «ديوان الشافعي».
=

بِمُجرَّد انْتسابِه إلىٰ مَذهَبِه،(١) فاللهُ المُستعانُ.

قَولُه رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُــو المُقَـدَّمُ في مَحبَّتِنـا عَــلى الــ أَهْــلِيـــن وَالأَزْواج وَالوِلْـدانِ(٢)
وعَلى العِبادِ جَميعِهِم حَتَّى عَلى النَّـ ـفْس الَّتـي قَـد ضَـمَّها الجَنْبَـانِ

كمَا في حَديثِ أَنسٍ أنَّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: «لا يُؤمِنُ أَحدُكُم حتَّىٰ أَكونَ أَحبَّ إِلَيه مِن وَلَدِه وَوالِدِه وَالنَّاسِ أَجمَعين»(٣)، رواه البُخاريُّ وَمُسلمٌ.

=

ويقول ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمَنْ أحبَّ الله ورسوله محبةً صادقةً من قلبه، أوجب له ذَلِكَ أن يحبَّ بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضىٰ بما يرضىٰ الله ورسوله، ويسخط ما يسخطه الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضىٰ هَذَا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذَلِكَ، فإن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله، مع وجوبه والقدرة عليه، دلَّ ذَلِكَ علىٰ نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذَلِكَ، ويرجع إلىٰ تكميل المحبة الواجبة». «جامع العلوم والحكم» (ص٧٧٨، ٧٧٩).

(١) وإذا كان بعض الأوَّلين فتنوا بتقليد أصحاب المذاهب وهم أهل علم، فالناس اليوم من المنتسبين للتدين والدعوة فتنوا باتباع الأحزاب التي يعقد لها البيعات، ويوالىٰ ويعادىٰ عليها اتباعًا للأهواء وتقليدًا لكل ناعقٍ ينادي باسمها، واغترارًا بزخرف القول منها، والله المستعان. وما أشبه هؤلاء بأتباع الدجال، وما أشبه هَذِهِ الأحزاب ورؤوسها وفتنتها للناس بالمسيح الدجال. نعوذ بالله من الزيغ.

(٢) رقم البيت (٤٠٠٢)، في (ص١٧٢) من الشرح. ويسبق هذين البيتين البيت الَّذِي سيذكره المؤلف كما في «النُّونيَّة»، وهو:

وهــو المطــاع أمــره العــالي علــىٰ أمـــر الـــورىٰ وأوامـــر الـــسلطان

(٣) أخرجه البخاري (ح/ ١٥) ومسلم (ح/ ٤٤).

وفي الحَديث الآخَر أنَّ عُمرَ قَال: يَا رَسولَ الله، لَأنتَ أَحبُّ إليَّ مِن كُلِّ شَيءٍ إلَّا نَفسِي، فقالَ: «**والَّذِي نَفسِي بِيَدِه حَتَّىٰ أَكونَ أَحبَّ إِلَيك مِن نَفسِك**»، فقَال عُمرُ: فَإِنَّك أَحبُّ إِليَّ الآنَ مِن نَفسِي، فَقالَ: «**الآنَ يا عُمَر**»(١).

إلىٰ أنْ قَال رَحِمَهُ اللهُ:

وَهـو المُطـاعُ وَأَمْـرُه العَـالي عَلـى … أَمْـرِ الـوَرَى وَأَمـرِ ذِي الـسُّلطانِ(٢)

ولهَذَا قالَ عبد الله بنُ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حَقِّ أُناسٍ احْتَجُّوا بِفِعل أبي بَكْر وَعُمَر حَيثُ لَم يَتمَتَّعوا بالعُمْرة إلىٰ الحَجِّ، وكانَ ابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَرىٰ أنَّه يتَعَيَّن علَىٰ مَن قَدِم مَكَّة حاجًّا أنْ يَتمَتَّع بالعُمْرة إلىٰ الحَجِّ، فَإِذا قَدِم مَكَّة وطافَ بالبَيتِ وَسَعىٰ بَين الصَّفا والمَروَةِ حَلَّ مِن عُمرَتِه، ثُمَّ إذا أَرادَ أَنْ يَخرُج إلىٰ عَرفاتٍ في اليَومِ الثَّامِن مِن ذِي الحجَّةِ أَحرَم بالحَجِّ، واسْتدَلَّ ابنُ عبَّاس بحَدِيث سُراقَة بنِ مَالك حِين قَال للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَمرَهُم أنْ يَحِلُّوا مِن عُمرَة قَال: يا رَسُول اللهِ،

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٦٦٣٢).

قلت: واختيار المؤلف لهذين الحديثين في بيان وجوب تقديم محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ كل أحدٍ من الخلق مع قول الناظم يدل علىٰ أن محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقتضي طاعته، وأن علامة صدق محبته اتباعه، وتقديم أمره. ولهذا قال الناظم بعد ذلك:

وهو المطاع وأمره العالي علىٰ … أمر الورىٰ وأمر ذي السلطان

(٢) هَذَا البيت مقدم علىٰ البيتين السابقين كما في «النُّونيَّة» (ص٢٢٦)، ولفظ البيت كما يلي:

فهـو المطـاع أمـره العـالي علـىٰ … أمـر الـورىٰ وأوامـر الـسلطان

أَلِعامِنا هَذَا أَمْ لِلإبَد؟ قالَ: «**بَل لِلأَبَد**»[(١)]، وفِي ذَلِك ثَمانِيَة عَشرَ حَديثًا في قَولِ الإمامِ أَحمدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقالَ ابنُ عبَّاس: (يُوشِك أنْ تَنزِل عَلَيكم حِجارةٌ مِن السَّماء، أَقولُ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وتَقولُون: قَال أَبو بَكرٍ وَعُمر)[(٢)] فإذا كان هَذَا يخَافُ مِنه عَلىٰ مَن قَدَّم قَولَ أَبي بَكرٍ وَعُمَر وَهُما أَفضَل الصَّحابَة، فكَيْف بِمَن يُخالِف قَولَ النَّبيِّ ﷺ مِمَّن لَا نِسبَة لَه إِلَيهِما! فاللهُ المُستعانُ.

إِلىٰ أنْ قَال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) أخرجه البخاري (ح/ ١٧٨٥)، ومسلم (ح/ ٢٩٥٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالىٰ عنهما.

(٢) هَذَا الأثر ذَكَره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ- في كتاب التَّوحِيد تحت باب: «من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله، وتحليل ما حرَّم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله». وانظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التَّوحِيد» (٢/ ١٠٨٢)، وقال مُحققه الشيخ أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي: هَذَا الأثر ذكره شيخ الإسلام وابن القيم بهَذَا اللفظ في عدد من كتبهما، منها: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٠/ ٢١٥، ٢٥١)، (٢٦/ ٢٨١،٥٠)، و«زاد المعاد» (٢/ ١٩٥)، و«الطرق الحكمية» (ص٢٥)، و«إعلام الموقعين» (٢/ ٢٣٨)، و«الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٦٣)، ولم أقف عليه مسندًا عن ابن عباس بهَذَا اللفظ، وإنما بألفاظ متقاربة، منها: «أُراهم سَيَهْلِكون، أقول: قال النبي ﷺ، ويقولون: نهىٰ أبو بكر وعمر»، رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٣٧)، والبزار في «مسنده» (رقم ٥٠٥٢)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٢١٠)، وابن حزم في «حجة الوداع» (ص٣٥٣)، و«الضياء في الأحاديث المختارة» (١٠/ ٣٣١)، وغيرهم.

ومنها: «والله ما أراكم منتهين حتىٰ يعذبكم الله، نحدثكم عن رسول الله ﷺ، وتحدثونا عن أبي بكر وعمر» ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١٢٩٠)، و«التمهيد» (٨/ ٢٠٧) معلقًا عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب قال: قال عروة لابن عباس: «ألا تتقي الله، ترجعَنَّ في المتعة -يعني متعة الحج- فقال ابن عباس: سَلْ أُمَّك يا عُرَيَّةُ، فقال عروة: أما أبو بكر وعمر فلم يفعلا، فقال ابن عباس: والله ما أراكم ...» فذكره. ورواه بنحوه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٣٧٧، ٣٧٨) وسندُهُ صحيحٌ.

وَالعِلْـمُ أَقْسَـــامٌ ثَـلاثٌ مَـا لَـــهَا مِـــنْ رَابِــع وَالحَـــقُّ ذُو تِبْيَـــانِ[١]
عِلْـــمٌ بِــأَوْصَافِ الإِلَـــهِ وَفِعْــلِه وَكَـــذَلِك الأَسْـــمَاءُ لِلـــرَّحْمَنِ
وَالأَمْــرُ وَالنَّهــيُ الَّــذِي هُــوَ دِينُــهُ وَجَـــزاؤهُ يَـــومَ المعَـــادِ الثَّـــانِي

ذَكَر رَحِمَهُ اللهُ في هَذِه الأَبياتِ الثَّلاثَة أَنواعَ التَّوحِيدِ الثَّلاثَةَ التي يَجبُ إِثباتُها وَاعتِقادُها. وَكلُّ عِلمٍ نَافِع رَاجِع إلىٰ هَذِه الأَبْيات الثَّلاثَة، كَعِلم التَّفسِير والحَدِيث والفِقْه.

الأَوَّل: تَوحيدُ الأَسماءِ وَالصِّفاتِ، وَالأَسماء هِي المَذكُورة في الحَدِيث «**إنَّ للهِ تِسعَةً وتِسعِين اسْمًا مَن أَحصَاها دَخَل الجَنَّةَ**»[٢]، وذَكَر العُلمَاء أنَّ هَذَا لا يُفيدُ الحَصْر، بلْ أَسماءُ اللهِ أَكثَر[٣]، وكُلُّها أَعلامٌ للهِ تَعالىٰ، وكُلُّ اسْمٍ دَلَّ عَلىٰ صِفَةِ

(١) هَذِهِ الأبيات الثلاثة جاءت في «النُّونِيَّة» تحت فصل: في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء. وهي برقم (٤٢٥٣، ٤٢٥٤، ٤٢٥٥)، ومناسبة اختيار الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ لهَذِهِ الأبيات الثلاثة من «النُّونيَّة» أنها تتحدث عن حق الله الواجب علىٰ العباد من التَّوحِيدِ بأنواعه الثلاثة، وما أَخْبَر الله من أمر المعاد مما يجب الإيمان به، والَّذِي به بيان جزاء العمل، وكذا لارتباطها بالأبيات الأولىٰ من بيان العلم.

(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٢٧٣٦ و٧٣٩٢)، ومسلم (ح/ ٢٦٧٧).

(٣) كما دل علىٰ ذَلِكَ قوله عليه الصلاة والسلام: «**ما أصاب أحدًا قط همٌّ، ولا حزنٌ، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك سَمَّيت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك أن تجعلَ القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب هَمِّي، إلا أذهب الله همَّه وحزنه، وأبدله مكانه فرجًا**»، قال: فقيل: يا رسول الله، ألا نَتعلَّمها؟ فقال: «**بلىٰ، ينبغي لمَنْ سمعها أن يَتعلَّمها**»، رواه أحمد (٣٧١٢)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (ص٢٥١) من «زوائده»، وأبو يعلىٰ (ق١٥٦/ ١)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٧٤/ ١)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٧٢)، والحاكم (١/ ٥٠٩) من حديث عبد الله بن مسعود =

كَمَال ثَابِتَة للهِ لَا تُشبِهُ صِفات المَخلُوقِين، بلْ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجلالِ اللهِ وَعَظمَتِه.

فَقَولُه: «عِلمٌ بِأَوْصافِ الإِلَه» قَدَّم مَدلُولَ الأَسْماء -وَهِي الأَوصاف- رَدًّا عَلىٰ الجَهمِيَّة وَالمُعطِّلَة ونَحوِهم، وأَخَّر الأَسماءَ التي دَلَّت علَىٰ الأَوصافِ لِضَرُورةِ الشِّعْر.

وقَولُه: «وَفِعله» هَذَا هُو تَوحِيد الرُّبوبِيَّة، فأَفعَالُه بِجَمِيع مَخلُوقاتِه دَلَّت عَلىٰ أَنَّه رَبُّ كُلِّ شَيءٍ ومَلِيكُه، كَما قالَ تَعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (الروم: ٢٠) ولما قال فرعون لموسىٰ ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (الشعراء: ٢٣، ٢٤).

فَمَن تَفكَّر في مَخلوقَاتِه وما فِيها مِن العَجائِب دَلَّت عَلىٰ كَمالِه في أَسمائِه وَصِفاتِه وفي إِلهِيَّته، ولهَذَا احتَجَّ تَعالىٰ علىٰ المُشرِكِين بما أَقرُّوا بِه مِن أَنَّه رَبُّهم ومَلِيكُهم عَلىٰ ما جَحدُوه مِن الإِلهِيَّة التي هُو أَقوالُهم وأَفعالُهم وَإِرادَتُهم البَاطِنة والظَّاهِرَة، فقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (الزمر: ٣٨) وَقَال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ (المؤمنون: ٨٤) إِلىٰ قَولِه: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ

=

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ ٣٨٣) برقم (١٩٩).

﴿٨٩﴾ (المؤمنون: ٨٩)، والآياتُ في بَيانِ مَا أَقرُّوا بهِ للهِ مِن الرُّبوبِيَّة وما جَحدُوه مِن الإلهِيَّة كَثيرَةٌ جِدًّا.

وقَولُه: «الأَمْر وَالنَّهْي الَّذِي هُو دِينُه» هَذَا هُو تَوحيدُ الإِلهِيَّة، وَهُو ما أَمَر اللهُ به عِبادَه مِن طَاعَتِه فِيما أَمَرهم بِه وَنهاهُم عَنه خَالصًا لِوَجْهه لَم يَلبِسُوه بشِرْك[1] كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ (البينة: ٥)، وَتَأمَّل قولَ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ (الأحقاف: ٤) فَفي هَذِه الآية بَيان أنَّ مَن لا يَقدِر عَلىٰ خَلقِ ذَرَّة لا يَجوزُ أنْ يَجعَل شَريكًا بمَن خَلق السَّماواتِ وشَمْسَها ومَلائِكتَها ومَا فِيها مِن الآياتِ وَما يَخلُقُه مِن السَّحابِ الثِّقالِ، ويُسبِّح الرَّعدُ بِحَمدِه وَالمَلائِكَة مِن خِيفَتِه، ومَا يَحمِله مِن المِياهِ العَظيمَة فَينزلها عَلىٰ الأَرض، فإِذا أَنزلَ عَليها الماءَ اهْتَزَّت ورَبَت وأَنبَتَت مِن كُلِّ زَوجٍ كَريمٍ، وَالأَرْض وَإِنسها وَجِنُّها وجِبالها وَأَشْجارها وَأَقْواتها وعَجَائِبها، فَكيفَ يَجعَل الضَّعيف العَاجِز مِن مَيِّت أَو غَائِب شَريكًا لِمَن هَذَا خَلقه في حقِّه الَّذِي أَحقَّه لِنَفسِه وَخَلق الخَلق لِأَجْلِه، وَهُو حَقُّه شَرعًا وعَقلًا وَفِطرةً، فهَذَا الشِّرْك هُو أَظلَم الظُّلْم[2] وَأَعظَم الذُّنوب، ولهَذَا قَالَ تَعالَىٰ بَعد

(١) كما قال تعالىٰ علىٰ لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

(٢) كما قال تعالىٰ علىٰ لسان لقمان الرجل الصالح وهو يعظ ابنه ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ =

هَذِه الآية: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (الأحقاف: ٥) إلىٰ أنْ قَال: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ (الأحقاف: ٦) فتأمَّل هَذِه الآياتِ ومَا فِيها مِن بُطلانِ دَعوَةِ غَيرِ اللهِ، فَما فَوقَ هَذَا البَيان بَيان، فَبهَذَا يعْلَم أنَّ أَعظَم جَهْل وَقع في هَذِه الأُمَّة جَهلهم بِما بَعث اللهُ بِهِ رُسُله وَأنْزَل بِه كُتُبه مِن إفرادِ اللهِ تَعالىٰ بِالإلِهيَّة عَن كُلِّ ما سِواهُ، وهَذَا بَيان فِيما قَصَّه اللهُ في كِتابِه عَن المُرسَلِين. وَأَعظَم مِن هَذَا أنَّ اللهَ تَعالىٰ شَهِد بِهِ لِنَفْسِه مَرَّتَين في سُورَة آل عِمرانَ فَقالَ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨]. وَأخبَر أنَّ مَلائِكَتَه وَأُولي العِلم شَهدُوا له بذَلِك، فكُلُّ عَدلٍ في الأَرْض يَشهَدُ لَه بذَلِك، وجَميعُ أَهل السَّماواتِ يَشهَدُون له بذَلِك.

وقالَ في سُورة طه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، وَنَحوها مِن الآياتِ المُحكَمات. ومَع هَذِه الشَّهادة والبَيان شَهدوا لِغَيره بالإلَهيَّة، فقَالُوا: يَجوزُ أنْ يُدعَىٰ مَعه غَيرُه، ويُستَغَاث بغَيْره. وقَد بَيَّن تَعالىٰ أنَّ الإِلهِيَّة هُو العِبادَة، وقَصَرها عَلىٰ نَفسِه بقَولِه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، وبقَوْلِه: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (المؤمنون: ٣٢).

وقَولُه رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَجَزاؤُه يَومَ المَعادِ الثَّانِي». الإيمانُ بالمَعادِ وَالبَعثِ وَالجَزاءِ

=

يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان:١٣]، روىٰ البخاري في «صحيحه» من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قلنا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟ قال: «**ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم؛ بشرك، أَوَ لم تسمعوا إلىٰ قول لقمان لابنه** ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾».

بَعد المَوت واجبٌ(١)، وجُحودُه كُفرٌ، لِقولِه تَعالىٰ: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾ (الرعد: ٥) وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ (الأنبياء: ١٠٤)، وقَالَ تعالَىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾ (الجاثية: ٢١). وَأدِلَّة المعادِ والجزاءِ عَلىٰ الأَعمال والجَنَّة والنَّار في الكِتاب والسُّنَّة أَكثَر مِن أنْ تُحصَر(٢).

وقَد بَيَّن النَّاظِمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَعنىٰ هَذَين البَيتَيْن مَبسوطًا، فَقال: (وأَمَّا التَّوحِيدُ الَّذِي دَعَت إِلَيْه الرُّسُل ونَزَلَت بِه الكُتُب فَهُو نَوعانِ: تَوحيدٌ في المَعرِفَة والإِثباتِ، وَتَوحيدٌ في الطَّلَب والقَصْد، فالأَوَّل هُو إِثباتُ حَقيقَة ذاتِ الرَّبِّ تَعالىٰ وَصِفاتِه وَأَفعالِه وَأَسْمائِه وَتَكلُّمِه بكُتُبه وتَكليمِه لمِنَ شَاء مِن عِبادِه، وَإثبات قَضائِه

(١) والمراد بالوجوب هنا: أي الإيمان الواجب الذي يعد من أركان الإيمان وأساسياته وأصوله، ويعد جحوده وإنكاره كفرًا مخرجًا من أصل الإيمان والإسلام. ودليله حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فذكر منها الإيمان بالبعث واليوم الآخر، بل إن الله عَزَّ وَجَلَّ وصف من أنكر البعث بالكفر، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن: ٧].

(٢) انظر كتاب: «معارج القبول» للشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٨٣٠-٩٦٨ و٣/ ٩٦٩-١٠٨٣)، فقد أطال في ذكر الأخبار الواردة من الكتاب والسُّنَّة في المعاد، والجزاء، وقيام الساعة عند شرحه لقوله:

وبالمعـــاد أيقـــن بـــلا تـــردد ... ولا ادعـــاء علـــم بوقـــت الموعـــد

وقُدرَتِه وَحِكمَتِه، وَقَد أَفصَح القُرآنُ عَن هَذَا النَّوع حقَّ الإفْصاحِ كَما في سُورَة (الحَديد) وسُورة (طه) وآخِر (الحَشْر) وأَوَّل (تَنزيل السَّجدة) وأَوَّل[١] (آل عِمرانَ) وسُورة (الإخلاص) بكَمَالها، وغير ذَلِك.

النَّوع الثَّاني: مَا تَضَمَّنته سُورةُ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون:١]، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟﴾[٢] [آل عمران: ٦٤][٣].

---

(١) في المطبوع: «وآل عمران».

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٣١، ٣٣٢)، وأنقل تتمَّة كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأهميته وارتباطه بالأبيات، فقال: «وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها، وأول سورة يونس، ووسطها، وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التَّوحِيد، بل نقول قولًا كليًّا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فهو التَّوحِيدُ العلمي الخبري، وإما دعوة إلىٰ عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يُعْبد من دونه، فهو التَّوحِيدُ الإرادي الطلبي، وإما أمر، ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التَّوحِيدِ ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشِّرْك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبىٰ من العذاب، فهو خبر عَمَّنْ خرج عن حكم التَّوحِيدِ، فالقرآن كله في التَّوحِيدِ، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشِّرْك، وأهله، وجزائهم».

(٣) **يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لهَذِهِ الأبيات:** «هَذِهِ أقسام العلوم: علم يتعلق بالله عَزَّوَجَلَّ، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، الثاني: علم يتعلق بشرائعه. والثالث: علم بجزائه، وهو العلم باليوم الآخر، وما يكون فيه، ولهَذَا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**»؛ لأنها أخبرت عن الله، وعن أسمائه، وصفاته، ويبقىٰ أحكامه وجزاؤه، وهَذِه أقسام العلم، وليس لها رابع. والدليل علىٰ انحصارها في هَذِهِ الأقسام الثلاثة هو التتبع، فتتبع وانظر: هل هناك علم يخرج عن هَذِهِ الثلاثة؟ لا تجد، ولهَذَا جزم المؤلف بأنه ليس لها علم رابع، وهي علىٰ هَذَا الترتيب:

الأول: العلم بأسماء الله، وصفاته، وأفعاله.

=

الرسالة الحادية والثلاثون(١)
« رسالة مناصحة للإمام فيصل بن تركي رَحِمَهُ اللَّهُ »

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَبِه نَستَعِين

مِن عَبدِ الرَّحمَن بنِ حَسَن، إِلَىٰ الإمام المُكَرَّم: فَيصَل بن تُركِي سَلَّمَه اللهُ وَهَداهُ آمِين، سَلامٌ عَلَيكُم ورَحمَةُ اللهِ وَبَركَاتُه......أمَّا بَعدُ:

فالوَاجبُ عَلَينَا وَعَلَيكُم: التَّناصُح في دِينِ اللهِ، وَالتَّذكِيرُ بِنِعَم اللهِ وَأيَّامِه، فإِنَّ في ذَلِك مِن المَصالِح الخَاصَّة والعامَّة، مَا لا يُحيطُ بِه إلَّا اللهُ، وفي الحَديثِ: **«مَا نَزلَ بَلاءٌ إلَّا بِذَنبٍ، ومَا رُفِع إلَّا بِتوبَةٍ»**(٢).

=

الثاني: العلم بأحكامه الشرعية التي تَعبَّدنا الله بها.

الثالث: العلم بالجزاء الَّذِي يكون يوم القيامة.

انظر: «شرح القصيدة النُّونِيَّة» (٤/ ٢٥١، ٢٥٢).

(١) طبعت في مجموعة «الرسائل والمسائل» (٢/ ٢-١٤)، و«الدرر السنية» (١٤/ ٦١-٧٧)، وقَدْ كتبها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ مرةً أخرىٰ إلىٰ عموم أئمة المسلمين وعامتهم بألفاظ مقاربة، ومخطوطتها موجودة بدارة الملك عبدالعزيز برقم (٢١٧)، ومطبوعة في «الدرر» (١٤/ ١٠١).

(٢) نسبه الإمام ابن القيم في «الداء والدواء» (ص١٥٧) لعلي بن أبي طالب.

وَللهِ حَقٌّ وعُبودِيَّةٌ عَلىٰ خَلقِه، بَحَسَب وُسعِهِم وَقُدرَتِهم، ولذَلِك كانَ عَلىٰ وُلاةِ الأُمورِ، ورُؤساءِ النَّاس المُطاوعِين[1] فِيهم، ما لَيس علَىٰ عَامَّتِهم وسُوقَتِهم، وكُلُّ خَيرٍ في الدُّنيا والآخِرة إنَّما حَصل بمُتابعَة الرُّسل، وقَبُول ما جاؤوا به، وكلُّ شَرٍّ في الدُّنيا والآخِرَة، إنَّما حدَث ووَقَع بمَعصِيَة اللهِ ورُسُله، والخُروج عمَّا جَاؤوا بِه مِن النُّور والهُدىٰ، وهَذِه الجُملَة شَرحُها يَطولُ، وتَفاصِيلُها لا يَعلَمُها إلَّا اللهُ، الَّذي لا يَعْزُب عَنه[2] ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]. وَالسَّيْر والاعْتبار والاِسْتقراء، والقَصَص والأَمثالُ والشَّواهِد[3] النَّقليَّة والعَقليَّة، تَدلُّ علَىٰ هَذَا وتُرشِد إلَيْه، وبَعْض الأَذكِياء يَعرف ذَلِك، في نَفسِه وأَهلِه وَولَدِه ودَابَّته، قالَ بَعضُهم: إنِّي لأَعصِي اللهَ، فَأعرِف ذَلِك في خُلُق أَهلي

(١) في المطبوع: «المطاعين فيهم».

(٢) في المطبوع: «الذي لا يعزب عن علمه مثقال».

(٣) في المطبوع: «(والقصص والشواهد» بدون ذكر الأمثال. قلت: وقد لفت الله تعالىٰ الأنظار إلىٰ أحوال الأمم، وما حصل لهم من عقوبات لمن عصىٰ الله، وأمر العباد بالاتعاظ والاعتبار، حيث قال تعالىٰ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ٢١﴾ [غافر:٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١١﴾ [الأنعام:١١]، وقال: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر:٢]، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]، وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف: ٣]، وقال: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ودَابَّتي(١). واللَّبيبُ يُدركُ مِن الأُمُور الجُزئِيَّة والكُلِّيَّة(٢)، ما لا يُدرِكُه الغَبيُّ الجَاهِل، ويَكفِي المُؤمِنَ قَولُ الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣،١٤](٣) بَاطنًا وظَاهرًا(٤)، في الدُّنيا والآخِرَة، وفي البَرزَخ.

وقد قَالَ تَعالَىٰ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ الآيَةَ [النساء: ١٢٣]، ويَدخُل في هَذَا كلُّ شَيءٍ مِن المَصائِب والجَزاء، حَتىٰ الشَّوكة والهَمُّ والحَزَن، لكن المُؤمِن يُثاب علَىٰ ذَلِك، ويُكفَّر عنه بإيمَانِه(٥)، كما دلَّ علَىٰ ذَلِك الحديثُ(٦).

---

(١) ذكره ابن القيم في «الجواب الكافي» (ص٥٤).

(٢) أي أن بعض العقوبات التي تحصل للمؤمن بسبب معصيته، أو تقصير يدركها اللبيب الذكي، أما مَنْ سواهم فتأتيهم العقوبات الكبيرة فضلًا عن الصغيرة، ومع ذَلِكَ لا يُدْركونها، فهم في غفلةٍ يَعْمهون، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦].

(٣) في المطبوع زيادة بعد ذكر الآية، وهي: «فإن هَذِه الآية يدخل فيها كل نعيم».

(٤) وذَلِك أن عقوبات الله متنوعة، باطنة وظاهرة، فمن الباطنة: ضيق الصدر، وضرب القلوب بعضها ببعض، والتباغض، والزيغ عن الحق، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، وغيرها. ومن الظاهرة: الفساد في البر والبحر، كما قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١]، والفساد هنا: القحط، والخراب، وكل ذَلِكَ من الجحيم الظاهر والباطن.

(٥) كما قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١].

(٦) الحديث رواه البخاري وغيره عن النبي ﷺ قال: «**مَا يُصيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلا وَصَبٍ، وَلا هَمٍّ، وَلا حَزَنٍ، وَلا أذًىٰ، وَلا غَمٍّ، حَتَّىٰ الشَّوكَةُ يُشَاكُهَا إلا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»، وهَذَا =

إذا عُرف هَذَا فكَثير مِن النَّاس يَعرف أنَّ المَصائبَ والابْتلاءَ إنما حَصلَت بسَبَب الذُّنوب، ويقْصد[1] الخُروج مِنها والتَّوبَة ولا يُوَفَّق، نَعوذُ باللهِ مِن ذَلِك، وذَلِك لأَسبابٍ، مِنها: جَهلُه بالذُّنوبِ ومَراتِبها وحَالها عِند الله، ومِنها: جَهلُه بالطَّريق التي تُخلِّصُه مِنها، وتُنقِذُه مِن شُؤمِها وشَرِّها وتَبَعَتِها، ولا سَبيلَ لأَحدٍ إلىٰ مَعرفةِ ذَلِك وما يَخلُص مِنه إلا مِن جِهَة الرَّسُول ﷺ ومَعرِفَة ما جاءَ بِه مِن الهُدَىٰ ودِينِ الحَقِّ، إجمالًا وتَفصيلًا.

فإنَّه الواسِطَة بَين العِبادِ وبَين رَبِّهم في إبلاغِ ما يُحبُّه الرب ويَرضاه، ويُريدُه مِن عِبادِه، ويُوجِب السَّعادَة والنَّعيم والفَلاح في الدُّنيا والآخِرَة، وفي إبلاغِ مَا يَضرُّهم ويسْخطُ رَبَّهُم، ويُوجِب الشَّقاوَة والعَذاب الأَلِيم في الدُّنيا والآخِرَة، فكُلُّ طَريقٍ غَير طَريقَه مَسدُودٌ علَىٰ سَالِكِيه، وكلُّ عَملٍ لَيسَ عَليه رَسمُه وتَقريرُه فهُو رَدٌّ علَىٰ عامِلِيه[2].

وقدْ عَرَفتم - أَرشَدكُم اللهُ تَعالىٰ - أنَّ اللهَ بَعث مُحمَّدًا ﷺ علَىٰ حِين فَترَةٍ مِن الرُّسُل، وأَهْل الأَرض قَد عَمَّتْهم الجَهالَة، وغَلَبَت عليهم الضَّلالَةُ[3]،

=

لفظ البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه (ح/ ٥٦٤١)، ومتفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالىٰ عنه. انظر: «اللؤلؤ والمرجان» (ح/ ١٦٦٤)، ونحوه من حديث عائشة رضي الله تعالىٰ عنها.

(١) أي: ويسعىٰ للخروج منها، ولا يوفق لذَلِكَ.

(٢) كما قال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، أخرجه الإمام مسلم (ح/ ١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٣) في المطبوع: «وغلبتهم الضلالة».

عَرَبَهُم وعَجَمَهم، إلَّا مَن شاءَ اللهُ مِن بَقايا أَهل الكِتاب.

فأَوَّل دَعوَته ﷺ وَرسَالَته، وقَاعِدَة نُبُوَّته: ردُّ الخَلقِ إلىٰ اللهِ، وَأَمرُهم بعِبادَتِه وَحدَه لا شَريكَ لَه، وخَلعُ ما سِواهُ مِن الأَندادِ والآلِهَة، والبَراءَة مِنْهُم؛ وهَذَا هُو الَّذِي دَلَّت عَلَيْه كَلمَةُ الإخلَاص، وهُوَ أَوَّل دَعوَة الرُّسُل، وأَوَّل الوَاجِبات والفَرائِض.

ومَكَث -عَلَيه الصَّلاةُ والسَّلامُ- مُدَّةً مِن الدَّهر نَحو العَشْر بَعد النُّبُوَّة، يَدعُو إلىٰ هَذَا ويَأمُر بِه ويَنْهىٰ عَن الشِّرْك ويُنذِر عَنه، وفرضَ الفَرائض وبَقيَّة الأَركان بَعد ذَلِك مُنَجَّمًا[١]؛ لأنَّ هَذَا هُو أَهمُّ الأُمُور، وأَوجَبها علَىٰ الخَلْق، كَما في الحَديث: «**رَأسُ الأمرِ الإسلامُ، وَعَمُودُه الصَّلاةُ، وذِرْوةُ سَنامِه الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ**»[٢].

وكَان مِن هَديهِ ﷺ أنْ يَبعَثَ عُمَّالَه، ويُرسِلَ رَسائِلَه إلىٰ أَهْل الأَرض، يَدعُوهم إلىٰ هَذَا، يَبدأُ بِه قَبلَ كُلِّ شَيءٍ، وَلا يَأمُر بشَيءٍ مِن الأَركانِ، إلَّا بَعدَ

(١) أي: بالتتابع، وليس جملةً واحدةً، حسب ما تَقْتضيه حكمة الله وإرادته؛ كالجهاد، والصيام، والزكاة، والحج، فكلها فرضت بعد الهجرة، وبقاؤه ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة.

(٢) طرف من حديث رواه الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالىٰ عنه (ح/ ٢٦١٦)، وقال عنه: حديث حسن صحيح. وكذا رَوَاه ابن ماجه عنه (ح/ ٣٩٧٣)، وصححه الألباني أيضًا. «صحيح الترمذي» (٢/ ٣٢٩)، و«الإرواء» رقم (٤١٣). والمراد بالإسلام هنا التَّوحِيد والإيمان. والحديث بَيَّنَ فيه النبيُّ ﷺ أعظم ما يقوم عليه الدين، وهو التَّوحِيد، والصلاة، والجهاد، ولهَذَا كانت هَذِهِ الثلاث هي أوَّل ما فرض من الدين، فالتَّوحِيدُ أول ما فرض، ثم تبعه الصلاة، ثم بعد الهجرة أول ما فرضه الله الجهاد.

التِزامِه ومَعرِفَتِه، كَما دلَّ عَلَيه حَديثُ مُعاذٍ لَمَّا أَرسَلَه إلىٰ اليَمَن(١)، وغَيره مِن الأَحادِيث.

وَفي أَوقاتِنا بَعُد العَهْد بآثَارِ النُّبوَّة، وطالَ الزَّمانُ، وكادَ الزَّمنُ يُشبِه زَمنَ الفَترَة، لِغلَبَة الجَهْل وَشِدَّة الغُربَة(٢).

وقَد مَنَّ اللهُ في هَذِه الأَقطارِ بِشَيْخ الإِسلام رحمه الله تعالىٰ(٣)، فَقامَ بتجديد الدين(٤)، وتَمهِيد قَواعِد المِلَّة أَتمَّ قِيام، حَتىٰ ظَهَر بِحَمد اللهِ مَنار التَّوحِيد والإِسلام، ووَازَرَه(٥) علَىٰ ذَلِك مِن أَسلافِكم وأَعمامِكم مَن وازره(٦)، رَحمَة اللهُ عَلَيهم أَجمَعِين.

وبَعدَهُم حَصَل مِن النَّاس ما لا يَخفَىٰ مِن الإِعراضِ وَالإِهْمال، وعَدَم الرَّغْبَة وَالتَّنافُس فِيما أَوجَبَه الرَّبُّ مِن تَوحيدِه، وفَرضه علَىٰ سَائِر عَبيدِه، وقَلَّ

---

(١) رواه البخاري (ح/ ٤٣٤٧)، ومسلم (ح/ ١٩)، وجاء في بعض رواياته: «**إِنَّكَ تَقْدمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ** -وفي رواية: مَا تَدْعُوْهُم إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ- **فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ**».

(٢) **قلت**: ومن مظاهر ذلك: ترك التوحيد تَعَلُّمًا وتعليمًا وعملًا، وكثر الشرك، وعبدت الأحجار والأشجار والقبور، وكثر التبرك بآثارها.

(٣) الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ.

(٤) في المطبوع: «فقام في تجريد التوحيد».

(٥) في المطبوع: «وآزره».

(٦) في المطبوع: (آزره). قلت: وهو الإمام محمد بن سعود، والإمام عبد العزيز، والإمام سعود، وسائر ذرية محمد بن سعود وأحفاده رحمهم الله تعالىٰ.

الدَّاعي إلىٰ ذَلِك، والمُذَكِّر بِه والمُعَلِّمُ لَه في القُرىٰ والبَوادي(١).

والتَّغافُل والتَّساهلُ في هَذِه الأَحْوال(٢) العِظَام(٣)، الَّتي هِي آكَدُ مَباني الإسلامِ، يُوجِب(٤) لِلرَّعِيَّة أنْ يَشبَّ صَغيرُهُم، ويَهرمَ كَبيرُهم علَىٰ حَالةٍ جاهِلِيَّة، لا يَعرِف الأُصولَ الإيمانِيَّة، والقَوَاعِد الإسْلامِيَّة، واللهُ سَائِلُنا وسَائِلُك عَن ذَلِك كلٌّ بِحَسب قُدرَتِه وَطَاقته(٥). والجَهلُ والظُّلمُ غَالبٌ علَىٰ النُّفوسِ، وَلَها ولِلشَّيطانِ حَظٌّ كَبيرٌ(٦) في ذَلِك، والنُّفُوس الجَاهلةُ(٧) المُعرضةُ عن العِلْم

---

(١) وهَذَا يدلُّ علىٰ أهميَّة دعوة الناس بالتَّوحِيدِ، وإشغال أوقاتهم بهَذَا الأمر الجليل، وخُطُورة التغافل عن تذكير الناس بالتَّوحِيدِ وتعليمه. والشيطان وحزبه أحرص ما يكون عليه ترك ذَلِكَ، وهو أشد فرحًا به مما سواه.

(٢) في المطبوع: «الأصول».

(٣) وهَذَا من أعظم الفتن، والتي يترتب عليها شر عظيم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال:٢٥]. يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كيف بكم إذا لبستكم فتنة! يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويتخذ سُنَّة، فإن غيرت يومًا قيل: هَذَا منكر، قالوا: ومتىٰ ذَلِكَ يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا قَلَّتْ أمناؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقَلَّت فقهاؤكم، وكثرت قُرَّاؤكم، وتفقه لغير الدين، والتمست الدنيا بعمل الآخرة»، وقد تقدم تخريجه (ص٤٤٠).

(٤) أي: ليتسبب، وينتج عنه.

(٥) كما في قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والنبي ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّة**»، رواه البخاري (ح/ ٧١٥١)، ومسلم (ح/ ١٤٢) من حديث أبي يعلىٰ معقل بن يسار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. والمسؤولية في تبصير الناس دينهم، وتربيتهم علىٰ التَّوحِيد والسُّنَّة هم الأمراء والعلماء.

(٦) في المطبوع: «عظيم».

(٧) في المطبوع: «الجاهلية». قلت: والأصح والأبلغ المثبت، وهو ما في المخطوط، لأن الأبلغ في الجاهليَّة أن تكون وصفًا للحال، والجاهلة وصفٌ للذوات والنفوس. يقول ابن منظور في لسان =

النَّبويِّ يُسرِع إِلَيها الشِّرْكُ وَالتَّنديدُ، أَسرَعَ مِن السَّيل في[1] مُنحَدَرِه.

والوَاجبُ مُراعاةُ هَذَا الأَصْل، والقِيامُ فِيه، وبَعثُ الدُّعاة إِلَيه، وجَعل أَموالِ اللهِ الَّتي بأَيدِيكم آلَةً لَه، وَوِقايَة وَحِمايَة وإِعانَة؛ فإِنَّ هَذَا مِن أَفرَض الفَرائِض وأَلْزَمَها، وَلَم تشْرَع الإمَارَةُ والإِمامَةُ إِلَّا لأَجْل ذَلِك والقِيَام بِه[2].

وبَقاءُ الإِسلامِ والإِيمانِ في اسْتقامةِ الوُلاةِ والأَئِمَّة علَىٰ ذَلِك؛ وزَوالُ الإِسلام وانْقضاؤُه في انْحرافِهم[3] عن ذَلِك، وجَعل الهِمَّة والأَمْوال والقُوَّة مَصرُوفَة في غَيرِه، مَقصودًا بها سِواه، مِن العُلوِّ والرِّياساتِ وَالشَّهَوات[4].

وكذَلِك وَقَع[5] في آخِر بَني العَبَّاس ما وَقَع مِن الخَلَل والزَّلَل، واشْتَدَّت

=

العرب: والجهالة أن تغفل فعلاً بغير العلم، والتجهيل أن تنسبه إلىٰ الجهل. وقال أيضـًا: والجاهلية هي زمن الفترة ولا إسلام. وقال أيضـًا: هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك. (لسان العرب ١١/ ١٢٩-١٣٠).

(١) في المطبوع: «إلىٰ».

(٢) **يقول أبو الحسن الماوردي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا». «الأحكام السلطانية» (ص٥).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها». «السياسة الشرعية»، (ص٤٤٧).

(٣) في المطبوع: «بانحرافهم».

(٤) أي: الرياسات، والشهوات المذمومة، والتي يترتب عليها فساد الدين والدنيا، وذهاب القوة، والشوكة، والتمكين في الأرض، أو ضعفه.

(٥) أي: وهَذَا ما وقع في آخر الدولة العباسية. وفي هَذَا أهميَّة الاعتبار لما حصل لمَنْ قبلنا بسبب الإعراض عن دين الله، والتغافل عن الآخرة، والانهماك في الدنيا كما مرَّ من الآيات.

غُربَةُ الإِسلام، وظَهَرت البِدَع العِظَام، وأَظهَر الكُفْر[١] أَعلامَه وشِعارَه، وبُنِيَت المَساجِد علَىٰ القُبُور، وأُسرِجَت علَيها السُّرُج، وأُرخِيَت[٢] السُّتُور، وهَتَف أَكثَر النَّاس في الشِّدَّة بسُكَّان القُبورِ، وذَبَحوا لَها القَرابِين ونُذِرَت لها النُّذُور.

وبُنِيَت الهَيَاكِل للنُّجُوم، وخَاطَبها بالحَوائِج كلُّ مُشرِكٍ ظَلومٌ؛ وسَرىٰ هَذَا في النَّاس حتَّىٰ فَعَله مَن يَظنُّ أنَّه مِن الأَخيَار والأَكْياس[٣]، وكَثِير مِنهُم يَظنُّ أنَّ هَذَا هُو الإِسْلام، وأنَّه مِمَّا جاءَ بِه سَيِّدُ الأَنَام، عَلَيه أَفضَل الصَّلاةُ والسَّلام. وهَل وَقَع ذَلِك وصَار، علَىٰ تَطاوُل الدُّهُور والأَعْصَار، إلَّا بِسَبب إِهمالِ الرُّؤساءِ والمُلوك الَّذِين اسْتَكبَروا في الأَرْض، ولَم يَرفَعوا رَأسًا بِما جاءتْ به الأَنبياءُ، وقَنَعوا بمُجرَّد الإِسلام[٤] والِانْتِسَاب مِن غَير حَقيقَة، قَال اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ [غافر: ٤٧].

فَأَهَمُّ المُهِمَّات، وآكَد الأُصُول والوَاجِبات، النَّظَرُ في هَذَا، وتَفَقُّدُ الرَّعِيَّة الخاصَّةِ والعَامَّة، البَادِيَة والحَاضِرَة، لأَنَّكَ مَسؤُولٌ عَنهُم، والسُّؤالُ أولًا يَقعُ عَن الدِّين قبلَ الدُّنيا. وفي الحَديث: «**كُلُّكُم رَاعٍ وَكُلُّكُم مَسؤُولٌ عَن رَعِيَّتِه**»[٥] وفي

---

(١) كالتجهم، ونفي القدر، وظهور علم الكلام، وغيرها من البدع القولية، والعملية، والاعتقادية.

(٢) في المطبوع زيادة: «وأرخيت عليها الستور».

(٣) من أهل البدع ودعاتها، كالجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وعمرو بن عبيد، وغيرهم من رؤوس البدع ممن ظهروا في العصور الأولىٰ.

(٤) في المطبوع: «الاسم».

(٥) طرف من حديث رواه البخاري في «صحيحه»، عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالىٰ عنه، وأوله: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**». الحديث (ح/ ٨٩٣) . =

«الصَّحيح»: «كَانَت بَنو إِسرائِيلَ تَسُوسُهُم الأَنبياءُ، كُلَّما هَلَك نَبِيٌّ خَلفهُ نَبيٌّ، وَإِنَّه لَا نَبِيَّ بَعدِي، وسَيكُون بَعدِي خُلفاءُ[1] فَيَكثُرُون. قَالُوا: فمَا تَأمُرُنا بِه؟ قالَ: أَوفوا[2] بِبَيعَةِ الأَوَّل فالأَوَّل، وأَعطُوهُم حَقَّهُم، فإِنَّ اللهَ[3] سَائِلُهم عمَّا اسْتَرعَاهُم عَلَيه»[4].

ففَتِّش عَقائِدَهم، وانْظُر في تَوحيدِهم وإِسلامِهم، خُصوصًا مثل أَهْل الأحساء والقطيف[5]، فَقَد اشْتهر عَنهُم ما لا يَخفَاك، مِن الغُلوِّ في أَهلِ البَيْت،

=

وفي لفظ: «أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الأَعْظَم الَّذِي عَلَىٰ النَّاسِ رَاعٍ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». الحديث (ح/ ٧١٣٨) ، ورواه مسلم عنه أيضًا بلفظ: «أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَىٰ النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». (ح/ ١٨٢٩) .

(١) يُسْتَفاد من قوله ﷺ هَذَا: أن الحكام والسلاطين يخلفون الأنبياء في إقامة الدين والدعوة إليه، وتحكيم شرع الله، ونشر التَّوحِيد والسُّنَّة، وقمع كل ما يخالف العقيدة والسُّنَّة. ويُسْتَفاد من الحديث أيضًا: أهمية إقامة الحاكم والإمام لحفظ الدين والدنيا، وأمن السبل، والدماء، والأعراض. ويستفاد من قوله: «خلفاء فيكثرون»: رد علىٰ مَنْ يرىٰ أن الإمامة لا تنعقد إلا للإمام الأعظم.

(٢) في المطبوع: «فوا».

(٣) في المطبوع زيادة: «فإن الله عَزَّوَجَلَّ».

(٤) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه (ح/ ١٨٤٢) .

(٥) وذَلِكَ لأنَّ أهل القطيف وبعض أهل الأحساء رافضة. قال محمد الأنصاري الأحسائي: «والقطيف هي التي يطلق عليها اسم الخط علىٰ سيف البحر، وتقع في آخر الزاوية الشمالية الشرقية عن الأحساء -إلىٰ أن قال- أشهر مدنها: دارين وتاروت، والزور، وسنابن، وصفوىٰ، وسيهات، والجش، والجارودية، وأم الحمام، والخويلدية، والعوامية، والقديح، وأم الساهك، وعنك. والقطيف من القطف، وهو اسم لكورة بالبحرين. وفي هَذِه الكورة عيون جارية ونخيل وأشجار الفاكهة، وأكثر سكانها الشيعة). انظر: «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد»، لمحمد بن عبد الله الأنصاري الأحسائي (١/ ٦٣) .

ومَسبَّة أَصحاب الرَّسُول ﷺ وعَدَم التِزَام كَثير مِن أُصُول الدِّين وفُرُوعه[١]. وكَونهم يُسِرُّون ذَلِك ويُخفُونَه، لا يُسقِط عَنك وُجوبَ الدَّعوةِ والتَّعليم[٢]، والنُّصْح للهِ بِظُهُور دِينِه، وإِلْزامهم بِه، وتَعْليم صِغارهم وكِبارِهم، فإِنَّك مَسؤولٌ عن ذَلِك، والحِمْل ثَقيلٌ، والحِسابُ شَديدٌ.

وفي الطَّبرانيِّ: أَنَّ عُمرَ بنَ الخَطَّاب، اسْتَعمَل بِشْر بنَ عَاصِم علَىٰ صَدقات هَوازِن، فتَخلَّف بِشْرٌ، فَلَقِيَه عُمَرُ، فقالَ: مَا خَلَّفَك؟ أَمَا لَنا عَليك سَمْع وطَاعَة؟ قالَ: بَلىٰ. ولَكِن سَمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «**مَن وَلِيَ شَيئًا مِن أَمْرِ**[٣] **المُسلِمِين، أُتِي بِه يَومَ القِيامَةِ حَتَّىٰ يُوقَفَ علَىٰ جِسْر جَهَنَّم، فإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجا، وإِنْ كَانَ مُسيئًا انْخَرَق بِه الجِسْر، فَهَوىٰ فِيه سَبعِين خَريفًا**» فرَجَع عُمَر كَئِيبًا حَزينًا[٤]. جَعلكَ اللهُ مِن الَّذِين يَخشَون رَبَّهُم، ويَخافُون سُوءَ الحِساب.

ومِن الدَّعوَةِ الوَاجِبَة، والفَرِيضَةِ اللَّازِمَة: جِهادُ مَن أَبىٰ أَنْ يَلْتَزِمَ التَّوحِيدَ

---

(١) انظر لمعرفة عقائد الشيعة: «منهاج السُّنَّة» لابن تيمية -«مختصر التحفة الاثني عشرية» للدهلوي اختصار محمود شكري- مؤلفات إحسان إلهي ظهير في الشيعة -«طعون رافضة اليمن في صحابة الرسول ﷺ»، و«رافضة اليمن علىٰ مر الزمن» لمحمد الإمام، وغيرها من كُتُب الفرق.

(٢) ولا زالت -ولله الحمد- هَذِهِ البلاد المباركة تقوم بهَذَا في جميع مناطقها، حتىٰ وإِنْ كان ساكنوها علىٰ خلاف عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، فهي تقوم بالتعليم وَفْق عقيدة أهل التَّوحِيدِ، وسبيل سَلَف هَذِه الأُمَّة في جميع مناهجها ومراحلها الدراسية.

(٣) في المطبوع: «أمور».

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٩) رقم (١٢١٩)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب»، وعزاه إلىٰ الطبراني. وقال عنه الألباني: ضعيف. «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢/ ٦٧)، و«ضعيف الجامع» (ح/ ٥٨٩٤).

وَيَعرِفَهَ، مِن البَادِيَة أو[1] غَيرِهِم، وأَكثرُ بادِية نَجد يَكفي فيهم المُعَلِّم، وأمَّا مَن يَليهِم مِن المُشرِكِين، مِثل الظّفير[2] وأَمْثالهم، فيَجِب جِهادُهم، ودَعوَتُهُم إلىٰ اللهِ.

---

(١) في المطبوع: «و».

(٢) وذَلِكَ لأن الظفير هاجرت مع مَنْ هاجر من سائر قبائل نجد إلىٰ العراق نتيجة الغزوات الجاهلية بين القبائل، ونتيجة أيضًا المجاعة التي كانت في نجد، فلم يحصل لها أن تتعلم التَّوحِيد. وأما اليوم فقد أصبحت هَذِه القبيلة من الموالين المناصرين للتوحيد وأهله، وولاة أمر هَذِهِ الدولة السلفية وعلمائها، منذ قيام الدولة السَّعودية الثالثة علىٰ يد الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث بايعه أميرها حمود بن صويط في عام ١٣٤٢هـ. وبعد أن استقر الحكم للملك عبد العزيز، وأمر علىٰ إنشاء الهجر أتت الظفير بقيادة شيخها عجمي بن شهيل بن صويط رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان سببًا لرجوع قبيلة الظفير من العراق، ومن بعض دول الخليج، وبنت لها هجرة شمال حفر الباطن. وفي عام ١٣٥٠هـ أرسل الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لهم شيخًا يعلمهم التَّوحِيد وسائر العلوم، ويصلي بهم، وهو الأستاذ محمد بن عبد الرحمن الباهلي، والَّذِي أصبح بعد ذَلِكَ أميرًا للدرعية، علمًا أن القبيلة منذ ذهابها للعراق في أعوام متقطعة إلىٰ حين عودتها لم تتأثَّر بعقيدة الرافضة، وبقيت محافظة علىٰ عقيدتها السُّنية، وانتمائها السُّني؛ لأنها لم تسكن القرىٰ والمدن العراقية، ولم تستوطن، وإنما كانت علىٰ أمرها الأول كبدوٍ رُحَّل. وهَذَا -بعد رحمة الله بهم- كان السبب في عدم اختلاطهم بالرافضة، والتأثر بهم. وكان لبعض أبناء الظفير مواقف إيجابية بارزة لمؤازرة الدعوة السلفية ودولتها منذ قيام دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، قد سجلها لهم التاريخ، من أبرزها قيام اثنين من هَذِه القبيلة بحماية شيخ الإسلام إلىٰ أن أوصلوه الدرعية لما أمر بإخراجه ابن معمر أمير العيينة ، وهما الفريد الظفيري، ومعه طواله الحمراني الظفيري من ضمن مجموعة خيالة، كما أن من مواقفها البارزة الوقوف مع وُلَاة الأمر في وجه الإرهاب الفكري والاعتداءات الإجرامية التي قامت بها خوارج القاعدة، حيث أقامت تجمعًا خطابيًّا في آخر شهر ربيع الأول لعام ١٤٢٥هـ بقيادة أميرها فيصل بن صويط تشجب وتستنكر فيه هَذِهِ الاعتداءات، وتعلن ولاءها ومناصرتها لولاة أمرها، وتبريها من كلِّ فكرٍ يخالف سبيل أهل السُّنَّة والجماعة، وكان قَدْ أُوكِلَ إليَّ الكلمة بعد كلمة افتتاح أمير القبيلة. قلت فيها: إن الدولة السَّعودية قائمة علىٰ التَّوحِيد والسُّنَّة، ويجب علىٰ الجميع السمع والطاعة لولي أمرها حفظه الله. وحذرتُ من دعاة الفتن الَّذِين حاولوا زعزعة الأمن، والقيام =

وقَد أَفلَح مَن كانَ للهِ مَحياهُ وَمَماتُه(١)، وخافَ اللهَ في النَّاس، ولَم يَخَف النَّاس في اللهِ، وفِي الحَدِيث: مَثَل المُجاهِد في سَبيلِ الله - وَاللهُ أَعلَم بِمَن يُجاهِد في سَبيلِه - كَمَثل الصَّائِم القَائِم، وتَكَفَّل(٢) اللهُ لِلمُجاهِد في سَبيلِه بأنْ تَوفَّاه أنْ

=

بالتفجيرات ممن يُسمُّون أنفسهم بـ «دعاة الإصلاح»، والحقيقة أنهم دعاة شرٍّ وفساد كبير، أهدافهم سياسية، رفعوا شعار الإصلاح باسم الدين لدغدغة مشاعر وعواطف الناس، وحماس الصغار، وجعلوهم ضحايا لغاياتهم الشخصية، وأهدافهم الدنيئة.

كما بينت أن الواجب على الجميع التفقه في الدين، والارتباط بالعلماء، والالتفاف حول وُلَاة الأمر، والتناصح والتعاون معهم على البرِّ والتقوى، كما أمر بذَلِكَ المولى عَزَّوَجَلَّ. انظر: «جريدة الجزيرة» عدد (١١٥٦٠) الأحد ٤ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ.

وقبيلة الظفير المشهور أنها من بني لام من قبيلة طي القحطانية. يقول شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى العمري، وهو ممن عاش في القرن الثامن: «شمر ولام من عرب الحجاز وديارهم جبلا طيئ: أجا وسلمى، وظفير من بني لام، ومنزلهم الظعن قبالة المدينة النبوية، على سكانها أفضل الصلاة والتسليم».

ويقول القلقشندي (ت:٨٢١) في كتابه «نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب»: ظفير من بنى لام. انظر للاستزادة: «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» للمؤرخ عبد القادر بن محمد الأنصاري (ت/ ٩٧٧) ، كتاب «سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي» للمؤرخ عبد الملك بن حسين العصامي (ت/ ١١١١) ، «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق» للمؤرخ عبد الله بن محمد البسام، «عنوان المجد في تاريخ نجد» للمؤرخ عثمان بن بشر، «تاريخ الفاخري» للمؤرخ محمد بن عمر الفاخري، «عقد الدرر فيما وقع في نجد» لابن عيسى، «تاريخ ابن عباد»، «تنوير المسير عن تاريخ الظفير» لعبد الله العسكر.

(١) كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]، أي: وحد الله، وعظم الله به، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

(٢) في المطبوع: «وتوكل الله».

يُدخِلَه الجَنَّة، أَو يُرجِعَه سَالمًا مَع أَجرٍ أَو غَنيمَةٍ[١].

وَكذَلِك يَجبُ علَىٰ وَلِيِّ الأَمْر أنْ يَقومَ للهِ علَىٰ مَن نسبَ عَنه طَعنٌ وَقَدحٌ، في شَيءٍ مِن دِينِ اللهِ ورَسُولِه، أو تَشبيهٌ علَىٰ المُسلمِين في عَقائِدِهم ودِينِهم، مِثل مَن يَنهىٰ عَن تَكفيرِ المُشركين، ويَجعلُهم مِن خَيرِ أَمَّة أُخرجَت للنَّاس، لأَنَّهم يَدَّعُون الإِسْلامَ، ويَتكَلَّمُون بالشَّهادَتَين، وهَذَا الجِنسُ ضَررُهُم علَىٰ الإِسْلام، خُصوصًا علَىٰ العَوامِّ، ضَررٌ عَظيمٌ يُخشَىٰ مِنه الفِتنَة. وأَكثَر النَّاس لا عِلْم لَه بالحُجَج الَّتي تَنفِي شُبهَة[٢] المُشَبِّهِين، وزَيْغ الزَّايغِين، بلْ تَجِده - والعِياذُ باللهِ - سَلسَ الانْقيَاد[٣] لكُلِّ مَن قَادَه أَو دَعاهُ[٤]، كمَا قَال فِيهِم أَميرُ المُؤمِنين عَليُّ بنُ أَبي طَالبٍ: لَم يَستَضِيئوا بنُور العِلْم، وَلَم يَلجَؤُوا إِلىٰ رُكنٍ وَثيقٍ، أَقرَب شَبهًا بِهِم الأَنْعَامُ السَّارِحَة[٥].

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة (ح/ ٢٧٨٧).

(٢) في المطبوع: «شبه».

(٣) في المطبوع: «القياد».

(٤) كما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «لا يكونن أحدكم إِمَّعة. قالوا: وما الإمعة يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إنما أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطنن أحدكم نفسه إلا أن كفر الناس فلا يكفر»، ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٥).

(٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٩، ٨٠) بلفظ: «يا كميل بن زياد، القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك، الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم علىٰ سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلىٰ ركن وثيق، العلمُ خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال...» إلخ. وليس فيه: «أقرب شبهًا بهم الأنعام السارحة»، ولم أجدها في أي مصدر من المصادر، ولعلها مُدْرجة من كلام الشَّيخ عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ.

=

فإذا تَيَسَّر لَكَ(١) - إنْ شَاء اللهُ - الاهْتِمام، والقِيَام بهَذَا الأَصْل العَظِيم، فيُنظَر بَعد هَذَا فِي أَحوالِ النَّاس، فِي الصَّلَوات الخَمْس المَفرُوضَات، فإنَّها مِن آكَدِ الفُرُوض والوَاجِبَات، وفِي الحَدِيثِ: «**أَوَّل ما تَفقِدُون مِن دِينِكُم الأَمانَة، وآخِر ما تَفقِدُون الصَّلاة**»(٢) وكُلُّ شَيءٍ ذَهبَ آخِرُه لَم يَبقَ مِنه شَيءٌ.

وقَد قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [سورة البينة آية: ٥] فيَلزَم جَعلُ نُوَّاب، يَأمُرُون بما أَمَر اللهُ بِه ورَسُوله، مِن إِقام الصَّلاةِ فِي المَساجِد فِي أَوقاتِها، ويُؤدِّبُون مَن عُرِف مِنه كَسلٌ أَو تَركٌ أَو إِهمالٌ، أَدبًا يُردِع أَمْثاله، وَعَلىٰ أَئِمَّة المَساجِدِ تَعليمُ مَا يُشتَرط لَها، ومَا يَجِب فِيها مِن الأَعمَال وَالأَقْوَال.

وبَعد هَذَا يُلتَفَت إلىٰ النَّظَر فِي أَمْر الزَّكَاة(٣) الشَّرعِيَّة، وواجَباتها علَىٰ الوَجه

=

ويقول الإمام ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو ردوا المشكل منهما إلىٰ أهل العلم بهما، وضح لهم المنهج، واتسع لهم المخرج، ولكن يمنع من ذَلِكَ طلب الرياسة، وحب الأتباع، واعتقاد الإخوان بالمقالات، والناس أسراب طير، يتبع بعضها بعضًا، ولو ظهر لهم من يَدَّعي النبوة مع مَعْرفتهم بأن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء، أو مَنْ يدعي الربوبية، لوجدنا علىٰ ذَلِكَ أتباعًا وأشياعًا». «تأويل مختلف الحديث» (ص٤٣).

(١) في المطبوع: «لك» غير موجود.

(٢) رواه ضياء الدين المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢/ ٤١٠) من حديث أنس. ورواه الطبراني في «الكبير» (٧/ ٣٥٣)، (ح/ ٧١٨٢) من حديث شداد بن أوس دون ذكر الصلاة، ورواه أيضًا في «الصغير» (١/ ٢٣٨)، (ح/ ٣٨٧) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال عنه الهيثمي: فيه حكيم بن نافع، وثقه ابن معين، وضعفه أبو زرعة، وبقية رجاله ثقات. والحديث ذكره الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤/ ٣١٩)، (ح/ ١٧٣٩).

(٣) في المطبوع: «في الزكاة».

الشَّرعِي؛ مِن الأَنْعام والثِّمَار والنُّقُود والعُرُوض، ويَكون مَع كلِّ عامِل رَجُل لَه مَعرِفَة بالحُدُود الشَّرعيَّة والأَحكام الزَّكوِيَّة؛ ويُحْذَر مِن الزِّيادَة عمَّا شَرعَه اللهُ ورَسُوله، فَلا يُؤخَذ إلَّا ما وَجَبت فيهِ الزَّكَاة، وتَمَّ نِصابُه، وحَال حَولَه، وكَثيرٌ مِن العُمَّال يخْرِصُون جَميعَ الثِّمار، وإنْ لَم تَنصب، وأَخذ الزَّكاة مِن شَيء لَم يُوجِبْه اللهُ ورَسُولُه، فِيه ظُلْمٌ بَيِّن، وتَعَدٍّ ظَاهِرٌ، حَمانَا اللهُ وإيَّاكُم مِنه.

وَكذَلِك ما يَتْبَعُ الزَّكاةَ مِن النَّائِبَة(١)، قَد أَغنَىٰ اللهُ عَنها، وجَعَل فِيما أَحَلَّ غِنًىٰ عَمَّا مَنَع وحَرَّم، ومِن الوَاجِب علَىٰ وَلِي الأَمْر تَرك ذَلِك للهِ، وفي بَيت المالِ ما يَكفِي الضَّيف ونَحوه، إنْ حَصَل تَسديدٌ مِن اللهِ وَمنَّ بتَوفِيق مِن عِندِه.

وَكذَلِك ما يُؤخَذ مِن المُسلمِين في ثَغْر القطيف، مِن الأَعشَار(٢) لا يَليقُ، وَلا يَجُوز التَّعشِير في أَموالِ المُسلِمِين، ويَلزَم وَلِي الأَمْر - أَيَّدَه اللهُ - أنْ يُلزِمَ التُّجَّارَ الزَّكَاةَ الشَّرعِيَّة قَهرًا، ويَدَع مَا لا يَحِلُّ، ومِن الوَاجِب تَمييز الأَمْوال الدَّاخِلَة علَىٰ وَلِي الأَمْر، فإنَّ اللهَ مَيَّزَها في كِتابِه وَقَسَّمَها، فلا يَحلُّ تَعدي ذَلِك وَخَلطِها، بحيثُ لَا يُمكِن تَمييز الزَّكَاة مِن الفَيْء والغَنائمِ، فإنَّ لهَذَا مَصرِفًا، ولهَذَا مَصرِفًا.

ويجبُ علَىٰ وَليِّ الأَمرِ صَرفُ كُلِّ شَيءٍ في مَحلِّهِ، وإِعطَاءُ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّه، أَهْل الزَّكَاة مِن الزَّكَاة، وأَهْل الفَيءِ مِن الفَيْءِ، ويُعَين ذَلِك في الأَوامِر الَّتي تَصدُر

---

(١) والمراد بذَلِكَ -والله أعلم- ما ينوب علىٰ الإمام من أمور يحتاج معها إلىٰ أموال، وهي من غير أهل الزكاة الثمانية، ومصارفها المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة:٦٠].

(٢) تقدم التعريف به.

مِن الإمامِ لِوَكِيل بَيتِ المَالِ.

ويَجِب تَفقُّد مَن في بِلادِ المُسْلِمين مِن ذَوي القُربَىٰ، ويُعطون ما فَرَض اللهُ ورَسُولُه لَهم(١)، مِن الحَقِّ في الفَيْءِ وَالغَنيمَة، فإنَّ هَذَا مِن آكَدِ الحُقُوق وأَلزَمِها، لِمَكَانِهم مِن رَسولِ اللهِ ﷺ(٢) والمُرادُ بِهم مَن عَرف التَّوحِيدَ وَالتَزَمَه. وأَهلُ الإسلامِ مَا صَالوا علَىٰ مَن عادَاهُم إلَّا بسَيفِ النُّبُوَّة وسُلطَانِها، خُصوصًا دَولَتكُم، فإِنَّها ما قامَت إلَّا بهَذَا الدِّين، وهَذَا أَمرٌ يَعرفُه كلُّ عَالِم.

وفي الحَديث: «**إنَّ هَذَا المالَ حُلوَةٌ خَضِرَة، فمَن أَخَذَه بحَقِّه بُورِكَ لَه فِيه، ورُبَّ مُتَخوِّض في مَالِ اللهِ بَغَيْر حَقٍّ، لَيسَ لَه يَومَ القِيامَة إلَّا النَّار**»(٣) عَافانَا اللهُ وَإيَّاكُم مِن النَّار، وأَعمَال أَهلِ النَّار.

وكُلُّ مَن أَخَذ مَا لا يَستَحِقُّ، مِن الوُلاةِ وَالأُمراءِ، وَالعُمَّال، فَهُو غَالٍ، كَما في «الصَّحيحَين» عَن أَبي هُريرَة، قال: قَامَ فِينا رَسولُ الله ﷺ فذَكَر الغلُولَ فَعَظَّمَه،

---

(١) في المطبوع بدون: «لهم».

(٢) وهم بنو هاشم، وبنو المطلب حيث كانوا، ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]، لحديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: لمَّا قسم رسول الله ﷺ سهم ذي القربىٰ بين بني هاشمٍ وبني المطلب، أتيتُهُ أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله، هؤلاء بنو هاشمٍ لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم، أرأيت بني المطلب، أعطيتهم ومنعتنا، فإنما نحن وهم منك بمنزلةٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**إنهم لم يفارقوني في جاهليةٍ، ولا إسْلام، إنَّما بنو هاشمٍ وبنو المطلب شيءٌ واحدٌ**»، وشبك بين أصابعه. انظر كتاب: «منار السبيل في شرح الدليل» (١/ ٢٧٦)، والحديث أخرجه البخاري (٢/ ٢٨٦)، وأحمد (٤/ ٨١)، والنسائي (ح/ ٤١٤٨)، وغيرهم.

(٣) رواه أحمد (٦/ ٣٦٤)، (ح/ ٣٧٨)، والترمذي (ح/ ٢٣٧٤) من حديث خولة بنت قيس. وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصَحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (ح/ ١٥٩٢).

وعَظَّم أمرَه حتىٰ قَال: «**لا أَلْفَينَّ أَحدَكُم يَجيءُ يَومَ القِيامَة، علَىٰ رَقَبَته بَعيرٌ له رغَاءٌ، يَقولُ: يا رَسولَ اللهِ، أَغِثْني، فأَقُول: لا أَملِك لكَ شَيئًا، قَد بَلَّغْتُك. لا أَلْفيَنَّ أَحَدَكُم يَجيءُ يَومَ القِيامَة، علَىٰ رَقَبتِه فَرسٌ، لَها حَمحَمَة، فيَقولُ: يا رَسُول الله، أَغِثْني، فَأقولُ: لا أَمْلِك لكَ شَيئًا، قَد بَلَّغْتُك؛ لا أَلْفينَّ أَحدَكُم يَجيءُ يَوم القِيامَة، علَىٰ رَقبَتِه شَاة لها أعار، فيَقولُ: يَا رَسولَ اللهِ، أَغِثْني، فأَقُولُ: لا أَملِك لكَ شَيئًا قَد بلَّغْتُك، لا أَلفينَّ أَحدَكم يَجيءُ يَومَ القِيامَة، علَىٰ رَقَبَته نَفْس، لَها صِياحٌ، فَيَقول: يا رَسولَ اللهِ، أَغِثْني، فَأقُول: لَا أَملِك لَك شَيئًا قَد بَلَّغْتُك، لا أَلفينَّ أَحدَكُم يَجيءُ يَومَ القِيامَة، علَىٰ رَقبَتِه رقاع تَخفِق، فيَقولُ: يا رَسولَ الله، أَغِثْني، فَأَقُول: لا أَملِكُ لَك شَيئًا، قَد بَلَّغْتُك؛ لا أَلفينَّ أَحدَكُم يَجيءُ يَوم القِيامَة، وعَلىٰ رَقبَته صَامت، فَيقولُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْني، فأَقُولُ: لَا أَملِك لَك شَيئًا قَد بَلَّغْتُك**»(١).

وأَخْبَر ﷺ أنَّ هَدايا العُمَّال غلُولٌ، فقَال: «**هَدايا العُمَّال غلُولٌ**»(٢). فيَنبَغي التَّفطُّن لهَذِه الأُمُور، لِئلَّا يَقَع فيها وهُو لا يَدرِي. وكذَلِك يَنبَغي تَفقُّد أَحوَال النَّاس(٣) في الحَجِّ، والقِيَام علَىٰ مَن تَركَه وهُو يَستَطِيعُه، وَهُو رُكنٌ مِن أَركَان الإِسلام؛ ويُذْكَر عَن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: هَمَمْت أنْ أَضَع الجِزْيَة علَىٰ مَن تَرَك الحَجَّ(٤). وبَعضُ السَّلف يُكفِّر مَن تَرَكَه(١)، وأَمْرُ الرَّعِيَّة بذَلِك، مِن الأَمْر

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة (خ/ ٣٠٧٣)، و(م/ ١٨٣١).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٤)، والبيهقي (١٠/ ١٣٧) بلفظ: «**هدايا الأمراء غلول**»، كلاهما عن أبي حميد الساعدي، وصححه الألباني في «الإرواء» (٨/ ٢٤٦).

(٣) في المطبوع: «أمر الناس».

(٤) رواه سعيد بن منصور، والبيهقي، كما قال ابن حجر في «التلخيص الحبير»، وقال: طريق =

بالمَعرُوفِ والنَّهيِّ عَن المُنْكَر، الَّذِي لا يَسَع تَركُه.

وكذَلِك القِيامُ علَىٰ النَّاس عَن التَّعدِّي[٢] في الدِّمَاء، والأَمْوَال، وقَطْع السُّبُل، وهَذَا مِن الفَسَاد في الأَرْض، والمُحَاربَة للهِ ورَسُوله، فإنْ لَم يَنْتَهوا إلَّا بِغَزوِهم، لَزِم الإمامَ أنْ يَبعَثَ السَّرايا لِحَربِهم.

وَلما تعرضُ الفُجَاءَة السلمي[٣] للنَّاس، يَأخُذ ويَقتُل، مِن مُسلِم وكَافِر، بَعَث أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيق جَيشًا، فَظَفَروا به، فأَحرَقَه بالنَّار، ويُذكر عَن حسَّانَ أنَّه قالَ:

وَمَـا الـدِّينُ إلَّا أنْ تُقـامَ شَـريعَة ... وَتَـأْمَن سُـبُلٌ بَينَنَـا وشِـعَاب

وَكذَلِك ما حَدَث مِن الدفنَانِ للبَادِيَة، إذْ أَخَذُوا المُسلِمِين، وقَتَلوا، لِمَا فِيه مِن تَركِ حُقُوق المُسلِمِين، في الدِّماءِ وَالأَموالِ، مَع القُدرَةِ علَىٰ اسْتيفائِه، والقِيام بالعَدْل الَّذِي أَمَر اللهُ به ورَسُولُه، كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨]، فتَأَمَّل هَذِه المَوعِظَة، وما خَتَمها اللهُ بهِ مِن هَذَيْن الوَصْفَيْن العَظِيمَين.

=

صحيحة موقوفة، ومحمله علىٰ من استحلَّ الترك. «التلخيص الحبير» (١/ ٢٢٣)، و«السنن الكبرىٰ» للبيهقي (٤/ ٣٣٤).

(١) ويحمل ذلك علىٰ مَنْ تركه استحلالًا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من لم يعتقد وجوبه فقد كفر. «شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة» (٢/ ٧٦).

(٢) في المطبوع زيادة: «ومنعهم عن التعدي».

(٣) «الطبري» (٨/ ٤٤)، و«الكامل» لابن الأثير (٢/ ٣٢٤)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٦/ ٣١٩)، و«تاريخ ابن خلدون» (٢/ ٤٧٧).

وَقَد قَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥]، فَالواجِبُ علَىٰ مَن نَصَح نَفْسَه أَلَّا يَحكُم إلَّا بِحُكم اللهِ وَرَسُولِه، فإنْ لَم يَفعل، وَقع في خَطَر عَظِيم، مِن تَقدِيم الآراءِ وَالأَهْواء، علَىٰ شِرعَة اللهِ وَرَسُوله، قالَ العَلَّامَة ابنُ القَيِّم، رحمه الله تعالىٰ:

وَاللهِ مَا خَوفِي الذُّنُوب فَإِنَّهَا لَعَلى طَرِيقِ العَفْو وَالغُفْرَانِ
لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسلاخُ القَلْب مِن تَحكِيم[1] هَذَا الوَحْي وَالقُرآنِ
وَرِضًا بآرَاءِ الرِّجَالِ وَخَرصِهَا لَا كَانَ ذَاكَ بِنِعْمَةِ الرَّحْمَنِ[2]

ومِمَّا يَجبُ علَىٰ وَلِيِّ الأَمْر: تَفَقُّدُ النَّاس عَن الوُقُوع فِيما نَهَىٰ اللهُ عَنهُ وَرَسُولُه مِن الفَواحِش مَا ظَهَر مِنها وَما بَطَن، بإِزالَةِ أَسبابِها، وَكذَلِك بَخْس الكَيْل وَالوَزْن[3] والرِّبا؛ فيَجعل في ذَلِك مَن يَقومُ بِه، مِمَّن لَه غيرَةٌ لِدِين اللهِ وَأمانَة[4].

وكذَلِك مُخالَطَة الرِّجالِ للنِّساءِ، وَكفُّ النِّساء عَن الخُرُوج، إذا كانَت المَرأةُ تَجدُ مَن يَقضي حاجَتَها، مِن زَوجٍ أَو قَريبٍ أَو غَير ذَلِك. وكَذَلِك تَفَقُّد أَطْراف البِلادِ في صَلاتِهِم وَغَير ذَلِك، مِثْل أَهْل النَّخِيل النَّائِيَة، لأَنَّه رُبَّما يَقَع فيهَا مِن فَساد ما يُدرَىٰ عَنه، وأَكثَر النَّاس ما يُبالِي وَلَو فَعَل مَا نَهَىٰ عَنْه، وفِي الحَديثِ «مَا

(١) في المطبوع: «تكحيم».
(٢) «نونية ابن القيم».
(٣) في المطبوع: «والميزان».
(٤) كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص:٢٦].

تَركْتُ فِتنَةً أَضَرَّ علَىٰ الرِّجال مِن النِّسَاء»(١).

وفي الحَديثِ أَيضًا: «**مَا ظَهَرَت الفَاحِشَةُ في قَوْمٍ، إِلَّا ابْتُلُوا بالطَّوَاعِين وَالأَمْرَاض الَّتي لَم تَكُن في أَسلَافِهِم الَّذِين مَضَوا**»(٢). نَعوذُ باللهِ مِن عُقُوبات المَعاصِي، وَنَسأَلُه العَفْو والعَافِيَة في الدُّنْيا والآخِرَة.

وَكذَلِك التَّوسُّع في لبْس الحَرير، وما زَاد علَىٰ المُباح، وهُو ما نَهىٰ اللهُ عَنه، ونَهَىٰ عَنه رَسولُه ﷺ ونَصَّ علَىٰ تَحريمِه(٣)؛ ولَا يَجوزُ تَتَبُّع الرُّخَص(٤).

ومِن الأُصُول الَّتي تَدُور عَلَيها الأَحكَامُ حَديث: «**الأَعمَالُ بالنِّيَّات وإِنَّمَا**

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (ح/ ٥٠٩٧)، ومسلم (ح/ ٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالىٰ عنه، بلفظ: «**ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضر علىٰ الرجال من النساء**».

(٢) في المطبوع بدون: «الذين مضوا»، والحديث طرف من حديث رواه ابن ماجه من عبد الله بن عمر (ح/ ٤٠١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠٤)، والحديث صَحَّحه الألباني في ابن ماجه (٢/ ٣٧٠).

(٣) قَدْ جاءت أحاديث كثيرة في هذا الباب، منها حديث حذيفة عند البخاري قال: «**نهانا النبيُّ ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه**». (ح/ ٥٨٣٧).

(٤) قد جاءَ عن كثيرٍ من أهل العلم النهي عن تتبع الرخص، وأنَّ من تتبع الرخص فقد تزندق. قال سليمان التيمي: «إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله». قال أبو عمر ابن عبد البر: «هذا إجماع لا أعلم فيه خلافًا». «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٢). وقال الأوزاعي: «من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام»، «سنن البيهقي» (١٠/ ٢١١)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٨٠). وقال الشاطبي: «فإذا صار المكلف في كل مسألة عنت له يتبع رخص المذاهب، وكل قول وافق فيها هواه، فقد خلع ربقة التقوىٰ، وتمادىٰ في متابعة الهوىٰ، ونقض ما أبرمه الشارع، وأَخَّر ما قدمه». «الموافقات» للشاطبي (٢/ ٣٨٦).

لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ»[١]، وحَديث: «**مَن أَحدَث في أَمرِنا هَذَا ما لَيْس مِنْه فَهُو رَدٌّ**»[٢]. وحَديث «**الحَلالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيَنَهُما أُمُورٌ مُشتَبِهاتٌ، لَا يَعلَمُها كَثيرٌ مِن النَّاس، فَمَن اتَّقىٰ الشُّبُهات اسْتَبرَأَ لِدِينِه وعِرضِه، ومَن وَقَع في الشُّبُهات، وَقَع في الحَرام، كالرَّاعِي يَرعَىٰ حَولَ الحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يَقَع فِيه، أَلَا وإنَّ لِكُلِّ مَلِك حِمىٰ، أَلَّا وَإِنَّ حِمىٰ اللهِ مَحارِمُه**»[٣]. فَكلُّ أَمرٍ يَنبَغِي لِذَوي العُقُول: أَنْ يَتركُوا مَا تَشابَهَ مِنهُ، مِمَّا قَد يَقَع فِيه خِلافٌ مِن بَعضِ العُلَمَاء، فَلا يَنبَغي أَنْ يُرخِّصَ لِنَفسِه، في أَمرٍ قَد ظَهَرَت فِيه أَدلَّة التَّحريم؛ فاجْتنابُه مِن تَقوىٰ اللهِ تَعالىٰ وخَوفِه، وتَركُه مَخافَةَ الله مِن الأَعمالِ الصَّالِحَة الَّتي تُكْتَب لَه حَسَنات.

ومِمَّا يَجِب النَّهيُّ عَنْه: الإِسبالُ، كَما نَهَىٰ عَنه رَسولُ اللهِ ﷺ كمَا في الحَديثِ الصَّحيحِ: «**مَا أَسفَل مِن الكَعبَيْن فَهُو في النَّار**»[٤].

وفي حَديثٍ آخَر[٥]: «**بَينَما رَجُلٌ يَجُرُّ إِزارَه خُيلاءَ، أَمَر اللهُ الأَرضَ أَنْ تَأخُذَه،**

(١) في المطبوع: «التي تدور عليها الأحكام، حديث» وبدون ذكر: «**وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**»، والحديث رواه البخاري (ح/ ١)، ومسلم (ح/ ١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (ح/ ٢٦٩٧)، ومسلم (ح/ ١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله تعالىٰ عنها.

(٣) في المطبوع زيادة: «إن الحلال»، والحديث متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله تعالىٰ عنه. (خ/ ٥٢)، و(م/ ١٥٩٩).

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/ ٤١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، ورواه البخاري بلفظ: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**». (ح/ ٥٧٨٧).

(٥) في المطبوع: «وفي الحديث».

فَهُو يَتَجَلْجَل فِيها إِلَىٰ يَوم القِيامَة»[١]، وكذَلِك التَّشبُّه باليَهُود والمَجُوس، في تَركِ الشَّوارِب، وَقَد أَمَر النَّبيُّ ﷺ: بإِحفَائِها مُخالَفَة لليَهُود وَالمَجُوس، فقَالَ ﷺ: «**احفُوا الشَّوارِب، وَاعْفوا اللِّحَىٰ، خَالِفُوا اليَهُودَ**»[٢]؛ والَّذِي فِيه دِينٌ وَرَغبَةٌ في الخَير مَا يَرضَىٰ لِنَفسِه أنْ يُخالِفَ مَا أَمَر اللهُ بِه وَرَسُولُه، وَيَقتَدِي بِاليَهُودِ وَالمَجُوس وَالمُتَكَبِّرينَ. وَكُلُّ مَا أَمَرَ اللهُ بِه ورَسُولُه، فيَنبَغِي لِلعَبدِ أَنْ يَمتَثِل ويَسمَعَ ويُطيعَ، لِمَا في ذَلِك مِن المَنافِع الكَثيرَة، ومَا في خِلافِه مِن الإِثْم، قَال اللهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فعَلىٰ الإِمام أنْ يَأمُرَ النُّوَّابَ، مِمَّن[٣] رَأَوْه تَاركًا لِلأَمْر أَنْ يَقُومُوا عَلَيه، ويُلزِمُوه بالطَّاعَة، حَتىٰ تَظهَر طَاعَة اللهِ وَرَسُولِه في المُسلِمِين؛ ويَمتَازُون بذَلِك عَمَّن خَالَفَهُم في الدِّين، مِن أَهْل الجَفَاء[٤] والغِلْظَة، والغَفلَة والإِعرَاض - نَسأَل اللهَ العَفْو والعَافِيَة - فإِنَّها قَد عَمَّت البَلوَىٰ بهَذَا بكَثِير مِن النَّاس[٥]، لِمَا قَام بقُلُوبِهم مِن ضَعفِ الإِيمانِ، وَعَدمِ الرَّغبَة فِيه.

وَكذَلِك يَجبُ علَىٰ الإِمامِ النَّظَرُ في أَمرِ العِلمِ، وَتَرغِيبُ النَّاس في طَلَبِه،

(١) رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما. (ح/ ٥٧٩٠).
(٢) الحديث بزيادة: «**خالفوا اليهود**»، لم يروها إلا الطحاوي في «شرح مشكل الآثار».
(٣) في المطبوع: «من»، والنواب من ينوب الإمام في المدن والقرىٰ من أميرٍ أو قاضٍ أو غيرهم.
(٤) كذا في «الدرر والرسائل»، وهو الصحيح، وفي المخطوط: «أهل الغي».
(٥) في المطبوع بدون: «من الناس».

وَإِعَانَةُ مَن تَصدَّىٰ لِلطَّلَب، لِقِلَّة العِلْم وَكَثْرَة الجَهْل، وإِن كانَ قَد قام ببَعْض الوَاجِب، فيَنبَغي لَه أنْ يَهتَمَّ بهَذَا الأَمْر[1]؛ لفَضِيلَة العِلْم، وَكَثرَة ثَوابِ مَن قَام بِهِ وَأَعانَ عَلَيه.

فإِنَّ أَكثَر مَن يَطْلُب العِلم فُقراء، ويَحتاجُون إِلىٰ الإعَانَة علَىٰ فَقرِهِم، لما يَكونُ لَهُم فِيه سَعَة، وطَلَب العِلْم اليَوْم مِن الفَرائِض، كمَا لا يَخفَىٰ علىٰ الإمام وَغَيْره، وَفي الحَديثِ الصَّحِيح[2]: «**الدُّنْيا مَلعُونَة، مَلعونٌ مَا فِيها، إِلَّا ذِكْر اللهِ وَما وَالاهُ، وَعَالمًا ومُتَعَلِّمًا**»[3]، وهَذَا ما يَحصُل إلَّا باعْتِناءِ الإمامِ، وتَأْلِيفِه للطَّالِب.

فإِذَا كَثُر العِلْم، وقَلَّ الجَهْل، حَصلَ بسَبَبِهِ مِن الخَيْر وَالحَسَناتِ مَا لَا يُحصِيه إِلَّا اللهُ، إنْ قَبِلَه. وبِالغَفْلَة عَن طَلَب العِلْم، تَضْعُف هِمَمُهُم، ويَقِلُّ طَلَبُهم. وفي مَناقِب عُمَر بنِ عَبد العَزيزِ -رحمه الله تعالىٰ- أنَّه إذَا أَرادَ أَن يُحيِي سُنَّة، أَخرَج مِن العَطاءِ مالًا كَثيرًا، فإِذا نَفَروا مِن هَذَا رَغِبوا إِلىٰ هَذَا[4].

فلِلَّه دَرُّه رَحِمَهُ اللَّهُ، ومَا أَحسَنَ نَظرَهُ لِنَفسِه، وَلِمَن وَلَّاه اللهُ عَلَيهم! وهَذَا الَّذِي ذَكَرْنا مِن الأُمُور البَيِّنَة الَّتي يَنبَغِي التَّنبِيه عَلَيْها بِخُصُوصِها.

وأمَّا الأُمُور الَّتي بَيْن اللهِ وبَيْن العَبدِ، التي فِيها صَلاحُ القُلُوب، ومَغفِرَة

---

(١) في المطبوع بدون زيادة: «الأمر».
(٢) في المطبوع بدون: «الصحيح».
(٣) رواه ابن ماجه (ح/ ٤١١٢) وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٣٥٩).
(٤) روىٰ ذلك النسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ١١٧).

الذُّنُوب، مِن إتعابِ النَّفْس فِيما يُحِبُّه اللهُ ويَرضاهُ، مِمَّا يَقَع لَه وَعَلَيْه، فهَذَا بابٌ وَاسِعٌ، وَلا يُدْرِكُ هَذَا إلا مَن جَعل اللهُ لَه رَغْبةً في تَدَبُّر[1] كِتابِه، ومَعرِفَة صِفَة أَهلِ الإِيمانِ وَالتَّقوىٰ، الَّذِين أَعَدَّ اللهُ لَهُم الجَنَّة، ويُجاهِدُ نَفسَه علَىٰ ذَلِك فِعلًا وتَركًا.

وعَلىٰ كلِّ مَن نَصَح نَفسَه: أنْ يَحذَرَ مِن كَبائِر الذُّنُوب، التي هِي مِن أَعظَم الذُّنُوب، ولا يَأمَن مَكرَ اللهِ[2]، وَلْيَكُن لِنَفسِه أَشَدَّ مَقتًا مِنه لِغَيْرِه، ولْيَكُن مُعظِّمًا للأَمْر والنَّهْي، مُفَكِّرًا فِيما يُحِبُّه اللهُ وَيَرضَاه، مُتَدَبِّرًا لِكتَابِه، مَحبَّةً لِرَبِّه وَرغبَةً في ثَوابِه، وخَوفًا مِن غَضَبِه وَعِقابِه.

ومِن الوَاجِب علَىٰ كُلِّ أَحدٍ أنْ يُحِبَّ في اللهِ، ويُبْغِض في اللهِ، ويُعادِي في اللهِ، وَيُوالي في اللهِ، ويُحِبَّ أَولياءَ اللهِ وَأَهْلَ طَاعَتِه، ويُعادِي أَعداءَه وَأَهلَ مَعصِيَتِه[3]، ومَا تَوفِيقي إلَّا باللهِ، عَلَيْه تَوكَّلْت وَإِلَيه أُنيب، وَلا حَولَ وَلا قُوَّة إلا باللهِ العَلِيِّ

---

(١) في المطبوع بدون: «تدبر».

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف:٩٩].

(٣) كما جاء في «صحيح البخاري» عن أنسٍ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف فى النار**». (ح/ ١٦). وكما قال ﷺ: «**أوثقُ عرىٰ الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**». رواه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما (١١/ ٢١٥)، وحَسَّنه الألباني بمجموع طرقه وشواهده. «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٣٠٦).

العَظِيم[١]، وصَلَّىٰ اللهُ علَىٰ مُحَمَّد وعَلىٰ آلِهِ وَصَحبِه أَجمَعِين وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثيرًا.

(١) هذه الكلمة الحوقلة ليست موجودةً في المطبوع.

الرسالة الثانية والثلاثون[١]
« وجوب معرفة الشِّرْك والبراءة من أهله »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مِن عَبدِ الرَّحمَن بنِ حَسَن، وعَلي بنِ حُسَين[٢]، وإبراهِيمَ بنِ سَيْف[٣]، إلىٰ

(١) طبعت في «الدرر السنية» (٢/ ٢٦٣-٢٧٠).

(٢) علي بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي الشيخ العالم، ولد في الدرعية عاصمة الدولة في وقته، ونشأ في بيت علم، فقرأ علىٰ والده، وعمه عبد الله بن محمد، وعمه علي بن محمد، كما قرأ علىٰ الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وغيرهم، تولىٰ قضاء الدرعية للإمام سعود بن عبد العزيز، وأقره الإمام عبد الله بن سعود، وبعد سقوط الدرعية خرج إلىٰ عمان وقطر، ثم عاد إلىٰ نجد، وأقام بمدينة الرياض بعد تولي الإمام تركي، ثمَّ عينه الإمام تركي قاضيًا في حيطة بني تميم، ثم نقله إلىٰ قضاء الرياض، وبقي فيها إلىٰ أن تُوفِّي. قال عنه ابن بشر: له المعرفة التامة في الحديث، والفقه، وغير ذلك. وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف في مشاهير علماء نجد: رأيت له بعض الرسائل في مجموعة «الرسائل والمسائل النَّجديَّة». وقال ابن بسام: له فتاوىٰ وردود محررة جيدة، ويُوجَد من فتاواه في مجموعة «الرسائل والمسائل». توفي آخر سنة ألف ومئتين وسبع وخمسين. انظر ترجمته: «مشاهير علماء نجد» (ص٥٣)، «معجم مصنفات الحنابلة» (٦/ ١١١).

(٣) إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن سيف الشمري النجدي أصلًا، المدني مولدًا ووفاةً، العالم الفرضي. قال عنه ابن حميد العلامة الفهامة، المحقق المدقق: انتهت إليه رئاسة المذهب في

مَن يَصِل إلَيْه هَذَا الكِتاب مِن الإخْوان، رَزقنا اللهُ وإيَّاهُم الفِقْه في الدِّين، وَالإيمانَ، وَاليَقِينَ، سَلامٌ عَلَيكُم وَرَحمةُ اللهِ وَبَركاتُه... وبَعدُ:

فإنَّا نُوصِيكُم بتَقْوىٰ اللهِ، في الغَيْب والشَّهادَة، والسِّرِّ والعَلانِيَة، ونُذَكِّرُكُم مَا أَنعَم اللهُ بِه عَلَيْنا، وعَلَيْكم، مِن دِين الإسلَام، الَّذِي رَضِيَه لَكُم دِينًا؛ كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) وَهُو الَّذِي لَا يَقْبَل اللهُ مِن أَحَدٍ دِينًا سِواهُ كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل: عمران ٨٥).

ولَيْس الإسلامُ بِمُجَرَّد الدَّعْوَىٰ، وَالتَّلَفُّظ بالقَوْل، وإنَّما مَعناهُ: الانْقِيَادُ للهِ بالتَّوحِيد، والخُضُوع وَالإذعان لَه بالرُّبُوبِيَّة والإلهِيَّة، دُون كُلِّ ما سِواهُ، كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ إلىٰ قَولِه: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢]، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ﴾ الآية [يوسف: ٤٠].

=

الحجاز، لا سيما علم الفرائض، فإنه فيه لا يُجَارىٰ، ولا يُبَارىٰ، إليه فيه الغاية، وعنده منه النهاية، وكان يرحل إليه لأجله، ويرسل إليه كل عويص فينعم بحله. له من المصنفات: «العذب الفائض شرح عمدة الفارض»، جمع فيه جمعًا بديعًا، وحوىٰ المذاهب الأربعة تأصيلًا وتفريعًا. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ عام ١١٨٩هـ. «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٥/ ٣٥٠).

وَهُو الدِّين الَّذِي بَعَث اللهُ بِه رُسُلَه، وأَنزَل بِه كُتُبه(١)، كما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت: ٦]، والإِلَهُ: الَّذِي تَأْلَهُهُ القُلوبُ، مَحبَّةً، ورَجاءً، وتَعظِيمًا، وتَوكُّلًا، واسْتعانَةً، وَنَحو ذَلِك مِن أَنواع العِبادَة، البَاطِنَة، والظَّاهِرَة(٢).

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودين الإسلام مبني علىٰ أصلين: علىٰ أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيء، وعلىٰ أن يعبد بما شرعه علىٰ لسان نبيه ﷺ، وهذان هما حقيقة قولنا: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)، فالإله هو الذي تألهه القلوب عبادةً، واستعانةً، ومحبةً، وتعظيمًا، وخوفًا، ورجاءً، وإجلالًا، وإكرامًا. والله عَزَّوَجَلَّ له حق لا يشركه فيه غيره، فلا يعبد إلا الله، ولا يدعىٰ إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يطاع إلا الله، والرسول ﷺ هو المبلغ عن الله تعالىٰ أمره ونهيه، وتحليله وتحريمه، فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، والرسول ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وتحليله وتحريمه، وسائر ما بلغه من كلامه». انظر «فتاوىٰ ابن تيمية» (١/ ٣٦٥).

(٢) وهذا هو تفسير الإله عند أهل السُّنَّة، وأما أهل البدع من المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم فإنهم يرون أن معنىٰ «الإله»: الصانع القادر علىٰ الاختراع، واعتبروا معنىٰ الألوهية القدرة علىٰ الاختراع. ولهذا فَهُمْ جعلوا دعوة المرسلين هي الدعوة إلىٰ توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية، وبالتالي هم جعلوا خصوصية الألوهية هو الإقرار بأن الخالق القادر علىٰ الاختراع هو الله، فمَنْ أقرَّ بذلك فهو الموحد؛ لأن الشرك عندهم هو أن يجعل مع الله خالقًا معه. وخلطوا في ذلك بين معنىٰ الربوبية والألوهية، وادعوا عدم الفرق بينهما. ومن هؤلاء من المعاصرين: أحمد زيني دحلان الذي عادىٰ دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب السلفية، وافترىٰ عليه، فهو يقول مقررًا هذا المفهوم العقلاني متبعًا طريقة أهل الكلام (ألا ترىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾، ولم يقل: ألست بإلهكم، فاكتفىٰ منهم بتوحيد الربوبية، ومن المعلوم أن مَنْ أقر لله بالربوبية، فقد أقر له بالألوهية، إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الإله
=

=

بعينه. وفي الحديث: «**أنَّ المَلَكين يسألان العبد في قبره، فيقولان له: من ربك؟**»، ولم يقولا: من إلهك؟، فدل ذلك علىٰ أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية). انظر: «الدرر السنية» لدحلان (ص٤٠)، فانظر إلىٰ هذا الخلط الذي سببه الاعتماد علىٰ العقل والرأي.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: «وقَدْ غلط في مُسمَّىٰ التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام، ومن أهل الإرادة والعبادة حتىٰ قلبوا حقيقته - إلىٰ أن قال- ثم إن طائفةً ممن تكلم في تحقيق التوحيد علىٰ طريقة أهل التصوف ظنَّ أن توحيد الربوبية هو الغاية، والفناء فيه هو النهاية، وأنه إذا شهد ذلك، سقط عنه استحسان الحسن، واستقباح القبح، فآل بهم الأمر إلىٰ تعطيل الأمر والنهي، والوعد والوعيد». «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٨٥٤-٨٥٦) باختصار.

ويقول أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد، ويظن هؤلاء أنهم إذا شهدوا هذا، وفَنَوْا فيه، فقد فَنَوْا في غاية التوحيد -إلىٰ أن قال- والإله هو بمعنىٰ المألوه المعبود الذي يستحقُّ العبادة، ليس هو الإله بمعنىٰ القادر علىٰ الاختراع، واعتقد أن هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك مَنْ يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث اللهُ به رَسُولَه، فإنَّ مشركي العرب كانوا مُقرِّين بأنَّ الله وحده خالق كل شيءٍ، وكانوا مع هذا مشركين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف:١٠٦].

قال طائفةٌ من السَّلف: تسألهم مَنْ خلق السماوات والأرض، فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره، فليس كل من أقرَّ أن الله رب كل شيء وخالقه، يكون عابدًا له دون ما سواه، داعيًا له دون ما سواه، راجيًا له خائفًا منه دون ما سواه، يوالي فيه، ويعادي فيه، ويطيع رُسُله، ويَأْمُرُ بما أمر به، ويَنْهىٰ عما نهىٰ عنه».

ثم يبين شيخ الإسلام ما أوصله لهم هذا المفهوم العقلاني المبتدع من الشرك بالله، وعبادة ما سواه، فيقول: «ولهذا كان من أتباع هؤلاء مَنْ يسجد للشمس، والقمر، والكواكب، ويَدْعوها كما يدعو الله تعالىٰ، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليهما، ثمَّ يقول: إنَّ هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سببًا وواسطةً، لم أكن مشركًا، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك». «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٢٥-

=

فالتَّوحِيدُ هُو إفْرادُ اللهِ بالإلِهيَّة، كما تَقدَّم بيانُه، وَلا يَحصُل ذَلِك إلا بالبَراءَةِ مِن الشِّرْك والمُشرِكِين باطنًا وظَاهرًا، كما ذَكَر اللهُ تَعالىٰ ذَلِك عَن إمامِ الحُنَفَاءِ عليه السلام، بِقَولِه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف: ٢٦]، وقَولِه: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٨ -٧٩].

فَتأَمَّل: كَيفَ ابْتَدَأَهُم بالبَراءَةِ مِن المُشرِكِين، وهَذَا هُو حَقيقَةُ مَعنىٰ: لا إِلَه إلَّا اللهُ، وَمَدلُولها، لا بِمُجَرَّد قَولِها باللِّسانِ، مِن غَير مَعرِفَة وإِذعانٍ، لِمَا تَضمَّنَته

=

٢٢٨). وانظر كذلك كتاب: (منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل) تأليف جابر إدريس علي أمير (٢/ ٥٧٤-٥٨١).

قلت: وهذا التَّخبُّط والخلط هُوَ الذي أوقعهم في الشرك، وهو الذي جَعَلهم يرون أن الوقوع في الشركيات أنه مجرد مخالفة، أو معصية. وهذه البدعة التي سارَ عليها أهل الكلام ضيعت كثيرًا من المنتسبين للإسلام، وأوقعتهم في الشرك، وسَرتْ حتىٰ إلىٰ الجماعات المنتسبة للدعوة، كالتبليغ، والإخوان المسلمين، فوقع كثير من أتباعهم في الشركيات، وأهملوا التحذير من الشرك، والدعوة إلىٰ التوحيد، وجعلوا غاية دعوتهم توحيد الربوبية، والإعجازات العلمية الدالة علىٰ ربوبية الله. وأما توحيد الألوهية فنَقَص في أعينهم، وقلَّ تعظيمهم له، حتىٰ قال بعضهم: إن التوحيد تستطيع أن تتعلمه في عشر دقائق.

وأنقل كلامًا مهمًّا للإمام ابن القيم يبين التلازم بين الانحراف في التوحيد الخبري، وبين الانحراف في التوحيد العملي، فيقول رحمه الله: «فإن تسلط التأويل علىٰ التوحيد الخبري العلمي كان تسليطُهُ علىٰ التوحيد العملي القصدي أسهل، وَانْمَحَتْ رُسُوم التوحيد، وقامت معالم التعطيل والشرك، ولهذا كان الشرك والتعطيل متلازمين، لا ينفكُّ أحدهما عن صاحبه. وإمام المعطلين المشركين فرعون، فهو إمام كل معطل مشرك إلىٰ يوم القيامة، كما أن إمام الموحدين إبراهيم ومحمد عليهما السلام». «الصواعق» (٢/ ٤٠٣).

كَلِمَة الإِخلَاص، مِن نَفي الشِّرْك، وإِثباتِ التَّوحِيد.

والجَاهِلُون مِن أَشبَاه المُنافِقِين: يَقولُونَها بأَلْسِنَتِهم، مِن غَيْر مَعرِفَةٍ لِمَعناهَا، وَلا عَمَلٍ بِمُقتَضاها؛ وَلهَذَا تَجِدُ كَثيرًا مِمَّن يَقولُها باللِّسَان، إذا قِيل لَهُ: لَا يُعبَدُ إلَّا اللهُ، وَلا يُدعَىٰ إلَّا اللهُ، اشْمَأَزَّ مِن هَذَا القَولِ، كَمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الزمر: ٤٥).

وقَالَ تَعالَىٰ لنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ: ﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (يونس: ١٠٥- ١٠٦) وَالحَنِيف، هُو: المُقْبِل علَىٰ اللهِ، المُعْرِض عَن كُلِّ مَا سِواهُ؛ وَقَد قَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (العنكبوت: ٥٦) وتَقدِيم المَعمُول: يُفيدُ الحَصْر، كمَا فِي هَذِه الآيَة، وأَشبَاهِها[(١)].

قالَ العِمادُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في مَعنىٰ قَولِه: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾ [البقرة: ١٣٠]: فِيها الرَّدُّ علَىٰ المُشرِكِين، المُخالِفِين لِمِلَّة إمامِ الحُنفاءِ، فإِنَّه جَرَّد تَوحيدَ رَبِّه، فَلَم يَدْعُ مَعَه غَيرَه، وَلا أَشْرَك بِه طَرْفَة عَينٍ، وَتَبرَّأَ مِن كُلِّ مَعبُودٍ سِواهُ، وخَالَف فِي ذَلِك قَومَه، حَتىٰ تَبَرَّأَ مِن أَبِيهِ[(٢)].

---

(١) وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة:٥]. قال ابن كثير: وقدم المفعول، وهو ﴿إِيَّاكَ﴾، وكرره للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة. «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٦٥) بتصرف من المؤلف. ونصه كاملًا: «يقول - تبارك وتعالىٰ- ردًّا علىٰ الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله، المخالف لملَّة إبراهيم الخليل، إمامِ

كَما ذَكَر اللهُ ذَلِك عَنه في قَولِه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (مريم: ٤٨، ٤٩) وَكَيف بادَأَهُم بذِكْر اعْتِزالِهِم أَوَّلًا ثُمَّ عَطَف عَلَيْه بِاعْتِزالِ مَعبُودَاتِهِم، كما فِي سُورَة الكَهْف: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ (الكهف: ١٦) وهَذَا هُو حَقِيقَةُ التَّوحِيد.

وقَد أَرشَد اللهُ نَبِيَّه مُحمَّدًا ﷺ، والمُؤمِنِين: أنْ يَأْتَمُّوا بِخَلِيلِه في ذَلِك، ويَتَأَسُّوا بِه، فَقَال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ (الممتحنة: ٤).

ولهَذَا الأَصْل العَظِيم، الَّذِي هُو مِلَّة إِبراهِيمَ: شَرَع اللهُ جِهادَ المُشرِكِين، فَقَال: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (التوبة: ٣٦) وَفِي الحَدِيثِ: «**بُعِثْتُ بالسَّيْفِ، بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، حَتَّىٰ يُعبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ**»(١).

= الحنفاء، فإنه جرد توحيد ربه تبارك وتعالىٰ، فلم يدع معه غيره، ولا أشرك به طرفةَ عينٍ، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتىٰ تبرأ من أبيه، فقال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٨، ٧٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

(١) رَوَاه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر -رضي الله تعالىٰ عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتىٰ يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظلِ** =

ومَعَ هَذَا: حَذَّر اللهُ نَبيَّه ﷺ وعِبادَه المُؤمِنين مِن الرُّكونِ إِلَيْهم، فقَالَ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ (الإسراء: ٧٤-٧٥) وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ (هود ١١٣). وَأظلَمُ الظُّلْم: الشِّرْك بالله؛ كما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (لقمان: ١٣).

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ (الممتحنة: ١) ومِن المَعلُوم: أنَّ الَّذِين نَزَلَت فِيهِم هَذِه الآيَةُ في التَّحذِير عَن تَوَلِّيهم، لَيسُوا مِن اليَهُود، وَلا مِن النَّصَارَىٰ؛ ولَا رَيبَ أَنَّ اللهَ تَعالَىٰ أَوجَبَ علَىٰ عِبادِه المُؤمِنين، البَراءَةَ مِن كُلِّ مُشرِكٍ، وَإِظْهار العَدَاوَة لَهُم، وَالبَغْضَاء، وَحَرَّم علَىٰ المُؤمِنين مُوالاتهم، والرُّكُون إِلَيْهم.

ومَعلُومٌ أنَّ مُشرِكي العَرَب لا يَقولُون: إنَّ آلِهَتَهُم تَخلُقُ وتَرزُقُ، وتُدَبِّرُ أَمرَ مَن دَعاها، وشِرْكُهم إنَّما هُو في التَّأَلُّه والعِبادَةِ، كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ (البقرة: ١٦٥)، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ والآية الثانية[1]، (الأحقاف: ٥، ٦).

=

رُمْحي، وجعل الذلَّة والصغار علىٰ مَنْ خالف أمري، ومن تَشبَّه بقومٍ فهو منهم». «المسند» (٢/ ٥٠)، وصَحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣/ ٨).

(١) وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف:٦].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ (الرعد: ١٤) وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ (فاطر: ١٣، ١٤).

والآياتُ في بَيانِ الشِّرْك في العِبادَةِ، وأَنَّه دِينُ المُشرِكِين، وما تَضمَّنَه القُرْآن مِن الرَّدِّ عَلَيْهم، وبَيانِ ضَلالِهم، وضَياع أَعمَالِهم: أَكثَر مِن أَن تُحصَر؛ ويَكفِي اللَّبِيبَ المُوَفَّق لِدِينِه بَعضُ مَا ذَكرنَاه، مِن الآياتِ المُحكَمَات. وأَمَّا مَن لَمْ يَعرِف حَقيقَةَ الشِّرْك، لإِعْراضِه عَن فَهْم الأَدِلَّة الوَاضِحَة، والبَراهين القَاطِعَة، فكيفَ يَعرفُ التَّوحِيدَ، ومَن كَان كذَلِك، لم يَكُن مِن الإسلامِ في شَيءٍ، وإِنْ صَام، وصَلَّىٰ، وزَعَم أنَّهُ مُسلِم.

وأمَّا مَن شَرَح اللهُ صَدرَه للإِسْلامِ، وَأَصغَىٰ قَلبُه إلىٰ ذِكرِ اللهِ، مِن الآياتِ المُحكَماتِ، في بَيانِ التَّوحِيد، المُتَضَمِّن لِخَلْع الأَندادِ، الَّتي تُعبَدُ مِن دُون اللهِ، والبَراءَة مِنها، ومِن عَابِديها: عَرَف دِينَ المُرسَلِين، كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦) والطَّاغُوت: ما تَجاوَز بِه العَبدُ حَدَّه، مِن مَعبُودٍ، أَو مَتبُوعٍ، أَو مُطاعٍ[(١)].

وكُلَّما ازْدادَ العَبدُ تَدَبُّرًا لِمَا ذَكَره اللهُ تَعالىٰ في كِتابه، مِن أَنواعِ العِبادَةِ، الَّتي يُحِبُّها اللهُ مِن عَبدِه، ويَرضَاها، عَرَف أنَّ مَن صَرَف شَيئًا مِنها لِغَير اللهِ فَقَد أَشرَك،

(١) ذكر هذا التعريف ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٥٠).

كمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآية (الكهف: ١١٠) وَيَجمَع أَنواعَ العِبادَة، تَعريفُها، بأَنَّها: كُلُّ مَا يُحِبُّه اللهُ ورَسُولُه، مِن الأَقوالِ، وَالأَعْمالِ، الظَّاهِرةِ، وَالبَاطِنَة(١).

إذا فَهِمْتُم ذَلِك، وعَقَلْتُمُوه، عَلِمْتُم: أَنَّ مِن المَصائِب في الدِّينِ، مَا يَقَع اليَومَ، مِن كَثيرٍ مِمَّن يَدَّعِي الإِسلاَمَ مَع هَؤلاءِ، الَّذِين يَأْتُونَهُم مِن أَهل الشَّمال(٢)، وهُم

(١) لقد ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ- تعريف العبادة في جوابٍ له، فقال: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. «الفتاوىٰ» (١٠/ ١٤٩).
وإضافة: «رسوله» من المؤلف عند قوله: «كل ما يحبه الله ورسوله» محمول ذلك علىٰ أن ما يحبه رسول الله هو مما يحبه الله. وقد قال -رحمه الله تعالىٰ- قبل ذلك بقليلٍ: «وكُلَّما ازداد العبد تدبرًا لما ذكره الله تعالىٰ في كتابِهِ من أنواع العبادة التي يحبها الله من عبده يرضاها».
وأيضًا في قوله: «ما يحبه الله ورسوله» إشارة منه إلىٰ شَرْطَي صحة العبادة، وهما: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، والمتابعة للرسول ﷺ. وهذا ما أكَّده كثيرًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسائله.
يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن نقل الوجه الرابع والثلاثين بعد المئة من كتاب: «مفتاح دار السعادة»: «هذا الوجه من أنفع ما رأيت في تحقيق التوحيد والمتابعة». انظر «الرسالة السابعة عشرة».
(٢) أي: من العراق، ويراد بهم الرافضة، أو من تأثَّر بشيءٍ من عقائدهم وشركهم من جهلة وعوام أهل السُّنَّة مِمَّنْ خالط الرافضة. وفي هذا بيان لخطورة مجالسة ومعاشرة السُّني لأهل البدع، أو مناكحتهم. ومعلوم أنه قد جاءت كثيرٌ من النُّصُوص الشرعيَّة، والآثار السلفية من التحذير من مجالسة أهل البدع، ومجاورتهم، ومناكحتهم. ولعلَّ الشَّيخ عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقصد بذلك أيضًا عثمان بن منصور، وهو من أهل نجد، الذي ذهب إلىٰ العراق في الزبير والبصرة، وجالس هناك بعض مَنْ يعادي دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهم عثمان بن سند، ومحمد بن سلوم، وابن جديد، وتأثر بهم، وأصبح يعادي شيخ الإسلام، والدعوة السلفية وأصحابها، ويصفهم بالخوارج. ثم بعد ذلك عاد إلىٰ نجد في بلد الوشم، وأخذ يُظْهر حقده علىٰ هذه الدعوة، ويلقي عليها وعلىٰ منهج وطريق شيخ الإسلام الشُّبه. يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في معرض رده عليه: «وذلك أنه لما ظهر هذا الدين بنجد، وانتشر في البادية =

يَعلَمُون: أنَّ الأَوثانَ الَّتي تُعبَد، وتُقصَد بأَنواعِ العِبادَةِ، مَوجُودَةٌ في بِلادِهِم؛ وأَنَّ

=

والحاضرة، طلبت نفسه (أي: عثمان بن منصور) السفر إلىٰ بلاد الزبير، وفيها أناس كثير من أهل نجد قد أجلاهم عنه كراهة هذا الدين وعداوته، منهم محمد بن سلوم جلا من سدير بسبب كراهة الإسلام والمسلمين، فاجتمع به وقرأ عليه، وأقام عنده مدة من السنين فصار معظمـًا عنده ثم أنه تردد إلىٰ البصرة، واجتمع بابن سند وقرأ عليه، واتخذه له شيخـًا، وهو من أشد الناس عداوة لهذا الدين، ومن دعا إليه يصرح بسبهم، وعداوتهم ثم أن عثمان بعد ذلك قدم الفرعة من بلد الوشم فأخرجه أهلها من الصف الأول كراهة له، ولما كان عليه في تلك الحال التي ذكرنا فهو حقيق بأن يمقت ويهان، ثم إنه سكن سديراً في حال اختلاف أهل نجد لما ابتلوا به من عساكر مصر فصارت حالهم وحال أهل الزبير والشمال واحداً في الموالاة والمحبة، والإكرام وصاروا يزوجونهم نساءهم، فصار فيهم قاضيـًا إلىٰ أن ظهر ما كان يعتقده في أهل الإسلام لكنه بين مصدق ومكذب، فمن كانت له غيرة في الدين عرف حاله وكرهه، ومَنْ لم يكن كذلك غره جهله». «الدر المنثور في الرد علىٰ ابن منصور» (ص٢٠). ويقول أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ردًّا عليه: «فيُقَال في الجواب: أنت يابن منصور إنما افتخرت في رحلتك إلىٰ البصرة والزبير وأقامتك بين أشياخك الثلاثة فما الذي خصك بأخذ العلم منها دونه إذا كان الكل قد سافر إليها وجالس العلماء وتميز عنك بالأخذ عمن لا يتهم في حقه بالكذب والزور وأنت قبلت فيه قول أهل الريب والفجور وصنف في البصرة كتاب التوحيد الذي شهد له بفضله بتصنيفه له القريب والبعيد أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث، وأما أنت يا ابن منصور فأي علم جئت به من رحلتك ضيعت زمانك، وأخمدت شأنك وصرت ضحكة عند من أخذ عن هذا الشيخ وقد عدوا عليك من الغلطات ما لا فائدة في عده هاهنا وأنت لم تنقل عنهم واحدة غلطوا فيها وذلك ببركة ما حصلوه ممن أخذ عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب فكيف حالك لو رأيت من أخذ عنه لكنت في نفسك أحقر». «الدر المنثور» (ص٥٢). ويقول أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما من انحرف عنه وعن دعوته في مبدأ نشأته (أي: انْحَرف عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ودعوته)، وهو عثمان بن منصور، وتَوجَّه برحلته إلىٰ من اشتدت عداوته له في دينه؛ كابن سند، وابن سلوم، وابن جديد، فهؤلاء الثلاثة المذكورون قد أشربوا عداوة التوحيد، ومَنْ دعا إليه، فصارَ أهل التوحيد هم أعداؤهم بما أشربوه من كراهته، وكراهة مَنْ دان به». «الدر المنثور» (ص٥٤).

الشِّرْك: يَقَع عِندَهُم، مِن الأَقوالِ وَالأَعمال، ولَا يَحصُل مِنهُم نفْرَةٌ، وَلا كَراهَةٌ لَه، مِثْل هَؤلاءِ الَّذِين لا يَعْرِف مِنهُم أَنَّهُم عَرَفوا ما بَعَث اللهُ بِه رَسُولَه، مِن تَوحِيدِه، وَأَنْكَروا الشِّرْك الأَكْبَر الَّذِي لا يَغفِرُه اللهُ، بلِ الوَاقِع مِنهُم: إِكرَامُهم وإِعظَامُهم، بل زَوَّجُوهُم نِساءَهُم، فأَيُّ مُوالَاةٍ أَعظَم مِن هَذَا ! وأَيُّ رُكُونٍ أَبْيَن مِن هَذَا! أَينَ العَداوَة لَهُم والبَغضاءُ ؟ هَل كانَ ذَلِك الَّذِي شَرع اللهُ، وَأَوجَبَه عَلَىٰ عِبادِه، خَاصًّا بِأُنَاسٍ كَانُوا فبَانُوا ؟ والنَّاسُ بَعدَ أُولئِكَ القُرُون قَد صَلَحُوا ؟ أَمْ كَان الشِّرْك؟(١)

❊ ❊ ❊

(١) وهذا الواقع الناتج عن البعد عن القرآن العظيم، وسُنَّة سَيِّد المرسلين، والبُعْد عن فَهْم السلف الصالحين ليبين لنا ما يؤول به الجهل من إيقاع الناس في الشرك، والضلال، والبدع، وعبادة ما سوىٰ الله تعالىٰ، نعوذ بالله من الزيغ.

الرسالة الثالثة والثلاثون(١)
« رسالة إلى الإمام فيصل بتذكيره بحال أعمامه وجده وكيف أعز الله بهم دينه وبيان الواجب عليه »

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، اللَّهُمَّ اجْعَلْنا هَادِينَ مُهتَدِين، غَيْر ضَالِّين وَلا مُضِلِّين، سِلمًا لأَولِيائِكَ، حَربًا لأَعْدائِك، نُحِبُّ بِحُبِّك مَن أَحَبَّك، ونُعادِي بِعَداوَتِك مَن خَالَف أَمرَك، اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعاءُ وَعَليكَ الإِجَابَة، اللَّهمَّ هَذَا الجهْدُ وَعَليك التُّكْلانُ.

وأَشهَدُ أنْ لَا إِلَهَ إلَّا اللهُ وَحدَه لَا شَريكَ لَه، وأَشْهدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبدُه ورَسُولُه، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيه وعَلَىٰ آلِه وَصَحبِه، وَسَلَّم تَسليمًا.

مِن مُحِبكم الدَّاعي لَكُم بظَهر الغَيب، عَبد الرَّحمَن بنِ حَسَن إلىٰ الابنِ الإِمامِ فَيْصَل ابن تُركِي(٢)، أَلزَمَه اللهُ كَلِمَةَ التَّقوَىٰ، ووَفَّقَه للقِيامِ بِما هُو أَقوَمُ

---

(١) طبعت في «الدرر السَّنيَّة» (١٤/ ٨٤-٩٠).

(٢) تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة.

وأَقْوَىٰ، سَلامٌ عَلَيكُم وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُه. وبَعدُ:

مُوجبُ الخَطِّ أُبَيِّن لَكَ مَا أَنتَ خَابرٌ[١]، مِن أَمرِ دَعوةِ الإِسلام[٢]، الَّتي مَنَّ اللهُ بِها في آخِر هَذَا الزَّمان، بِمُوجب النَّصيحَة للإمامِ، المَشُوبَة بالمَحبَّة والشَّفَقة والخَوفِ، وَكُنتُ -واللهُ يَعلُم صِدقي بما قُلتُه أَنِّي- أُحِبُّك، وأُقَدِّمُك في المَحَبَّة علَىٰ مَن مَضىٰ، مِن حمُولَتِك وَحمُولَتي[٣].

واليوم الَّذِي أَجتَمِع بكَ فِيه عِندي يَوم سُرُور، ولا عِندي لكَ مُكافآت إلَّا بالدُّعاءِ والنُّصْح باطنًا، وَأَكْثَر مَن يَجتَمِع بالإِمَام مَا يَجِي أَمْر النَّصيحَة له علَىٰ بالٍ، وبَعضُهم ما يُحسِن النَّصيحَة، ولا يَعرِفُ وَجهَها، وبَعضُهُم غَرضُه دُنياهُ، وَهِمَّتُه مَوقُوفَة عَلَيها[٤]، وقَد قَال اللهُ تَعالىٰ: بِسْم اللهِ الرَّحمَن الرَّحِيم ﴿وَٱلْعَصْرِ

(١) أي: ما أنت عالم، و«ما» أداة صلة، وليست نفيًا.

(٢) المراد بذلك دعوة التوحيد والسُّنَّة، والتي جَدَّدها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وسَاعَده علىٰ ذلك الإمام محمد بن سعود رحمها الله تعالىٰ.

(٣) أي: من آل سعود، وآل الشيخ.

(٤) وهذا تنبيه مهم من الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ أحوال الداخلين علىٰ الحاكم الإمام، فإن الناس أصناف في ذلك، فمنهم مَنْ لا يقدم النصيحة، ولا تأتي له عند بال، ومنهم مَنْ لا يحسن طريقها، أو أسلوبها، فربما يضر ويفسد أكثر من أن ينفع، ومنهم مَنْ يدخل لغرضه الشخصي، ومصلحته الخاصة، وقليل مِمَّنْ هو من أهل العلم والصدق من يدخل علىٰ الإمام باذلًا النصيحة، سالكًا مسلكها الشرعي، مخلصًا لله، مؤثرًا المصلحة العامة، والنصح للإمام، وهؤلاء هم القليل الناجون من الخسار، والذي يشملهم قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ٣]، فرحم الله من عالمٍ جليلٍ، وناصحٍ أمينٍ.

والنصيحة للإمام مما أوجبه الله تعالىٰ، وجعلها من أعظم أمور الدين والإيمان؛ لقوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين وعامتهم**»، رواه مسلم =

﴿١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾[١] [العصر: ١-٣]. ولَا يَسلَمُ مِن الخُسرانِ إِلَّا أَهلُ العِلْم ومَعْرِفته، وقَبُول الحَقِّ وَمَحَبَّته والانْقياد في طاعَتِه، والعَمَل الصَّالح، والتَّواصي بالحقِّ والصَّبْر علَىٰ ذَلِك، ومَن نَقص في ذَلِك نَالَه مِن الخَسارَةِ بِحَسَب ذَلِك.

وَلا يَخفَاكَ أَنَّ اللهَ مَنَّ عَلَيكُم بدِين الإِسلام[٢] في آخِر هَذَا الزَّمان، برَجُل وَاحدٍ[٣] خَالَف فِيه الأَدنىٰ وَالأَقْصَىٰ، والقَرِيب وَالبَعِيد، لِأَنَّه قَام في حَال غُربَتِه، لَمَّا اشْتَدَّت غُربَةُ الإِسلامِ في جَميعِ الأَمَاكِن، والنَّاس كُلُّهم إِلَّا مَن شَاء اللهُ، لَا

=

من حديث أبي رقية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وبَيَّنَ النبي ﷺ سبيلها، فقال ﷺ: «**مَنْ أراد أن ينصح لذي سلطانٍ فلا يبده علانيةً، ولكن يأخذ بيده، فيخلو به، فإن قَبِلَ منه فذاك، وإلَّا كان قد أدَّىٰ الذي عليه**»، رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السُّنَّة» من حديث عياض بن غنم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. (ح/ ١٠٩٦)، وصَحَّحه الألباني.

(١) هذه السورة سورةٌ عظيمةٌ جمعت المسائل الأربع التي يجب أن يَتعلَّمها كلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ، يقول الشافعي رحمه الله تعالىٰ: لو ما أنزل الله حُجَّةً علىٰ خلقه إلا هذه السورة لكفتهم، ولهذا كان الصحابة يعظمونها، ويتواصون فيما بينهم علىٰ قراءتها، فقد روىٰ الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي مليكة الدارمي وكانت له صحبة، قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا حتىٰ يقرأ أحدهما علىٰ الآخر سورة ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢﴾ [العصر:١، ٢] إلىٰ آخرها، ثم يُسلِّم أحدهما علىٰ الآخر. «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٦٦).

(٢) أي: الإسلام الصحيح النقي عن شوائب الشرك والبدع، المبني علىٰ الاتباع، وترك التعصب والتقليد.

(٣) يعني به شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ.

يَعرِفُون مَعنىٰ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ. واشْتَدَّ نَكِير النَّاس عَلَيْه، العَامَّة وَالمُطاوعة[1]، وحَذَّروا المُلوك مِنْه، وشَنَّعُوا عَلَيه فِي التَّوحِيد الَّذِي بَعثَ بِه رُسُله، وَأَنزَل به كُتُبه، وخَلَق الجِنَّ وَالإِنسَ لَه، وصَارَ أَقرَب قَرِيبٍ لَه: ابن مَعْمَر أَمِير بِلادِه، لَمَّا عَرَف عَداوَة النَّاس لَه، أَرخَص لَه[2] عَن البَلَد[1].

---

(١) والمراد بهم: أي من الذين يجهلون حقيقة التوحيد، ومن الذين يعظمون القبور والمشاهد، ومن متعصبة المذاهب، وإن كانوا ممن يتقفرون العلم ومعرفة مسائل الفقه.

(٢) يعني به شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ. وأرخص له، أي: أمره بالخروج عن البلد، والمراد به: العيينة وأميرها عثمان بن حمد بن معمر، وذلك لما أعلن بالدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتبعه أناسٌ من أهل العيينة، وهدم قبة زيد بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورجم المرأة التي اعترفت بالزنا لما تكرَّر منها الإقرار، واستخبر عن عقلها، فلما اشتهر أمره في الآفاق، بلغ خبره سليمان بن محمد رئيس الأحساء، وبني خالد، فأرسل إلىٰ عثمان كتابًا يتهدده فيه إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلده، وأنه إِنْ لم يفعل به ذلك، قطع خَرَاجه عنده في الأحساء، وكان خراجًا كثيرًا جدًّا، قيل إنه: اثنا عشر ماية أحمر، وما يتبعها من كسوةٍ وطعام. فلمَّا وَصَل إلىٰ عثمان كتابه، استعظم الأمر من المخلوق، وذهل عن أمر الخالق المعبود، فأرسل إلىٰ الشيخ، وذكر له ذلك، فوعظه الشيخ بأن هذا دين الله ورسوله، ولا بُدَّ لمن يقوم به من الامتحان، ثمَّ يكون له التمكين، والسلطان، والغلبة، والظهور لأولياء الرحمن، كما وَرَد في القرآن. فاستحيا عثمان، وأعرض عنه، ثمَّ أعاد عليه جلساء السوء بالتخويف والإرجاف من صاحب الأحساء، فأرسل إلىٰ الشيخ ثانيًا، وقال: إنَّ سليمان أمرنا بقتلك، ولا نقدر إغضابه ومخالفة أمره؛ لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقرابتك، فشأنك ونفسك، وخلِّ لنا بلادنا، فأمر علىٰ فارس عنده يُقَال له: الفريد الظفيري، وخيالة معه، منهم: طوالة الحمراني -(الصواب: طوالة الحمر. انظر «تنوير المسير عن تاريخ الظفير» (ص٥٣)-، وقال لهم: اركبوا مع هذا الرجل إلىٰ ما يريد، فقال الشيخ: أريد الدرعية، فسار الشيخ ومعه الفرسان حتىٰ وصل الدرعية... ذكر لي: أنه في طريقه لا يفتر لسانه من قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل علىٰ الله فهو حسبه». انظر «عنوان المجد =

=

في تاريخ نجد» (١/ ٤٠-٤٩).

(١) وهذا الإخبار من الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ بحال نجد والجزيرة قبل دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وكيف كان عليه الناس من الشرك، ومُعَاداتهم للشيخ لما دعا إلىٰ التوحيد، فيه رد علىٰ مَنْ يقول أن نجدًا والجزيرة لم تكن فيها شيء من مظاهر الشرك، وأن العداوة لشيخ الإسلام لم تكن عداوةً دينيةً، بل كانت عداوةً سياسيةً.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في معرض رده علىٰ ابن منصور: «ثم رجع (أي: شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب) إلىٰ نجد، وهم علىٰ الحال التي لا يحبها الله ولا يرضاها من الشرك بعبادة الأموات، والأشجار، والأحجار، والجن، فقام فيهم يدعوهم إلىٰ التوحيد، وأن يُخْلصوا العبادة بجميع أنواعها لله، وأَنْ يَتْركوا ما كانوا يعبدونه من قبرٍ، أو طاغوتٍ، أو شجرٍ، أو حجرٍ، والناس يتبعه منهم الواحد والاثنان، فصاح به الأكثرون، وحَذَّروا منه الملوك، وأَغْرَوهم بعداوته حتىٰ إن ابن حميد ملك الإحساء والقطيف والبادية أرسل إلىٰ ابن معمر أمير العيينة أن يقتله، أو ينفيه، فنفاه إلىٰ الدرعية، وتلقاه محمد بن سعود رحمه الله تعالىٰ وأولاده، وإخوته، فصبروا علىٰ حرب القريب والبعيد حتىٰ أظهر الله هذا الدين، فنجا بدعوته مَنْ نجاه الله من الشرك والضلال، وهلك بدعوته مَنْ هلك ممن بغىٰ وطغىٰ واستكبر، وكل مَنْ دعا إلىٰ ما دعت إليه الرسل لا بدَّ أن يقع له من الناس ما وقع لهم». «الدر المنثور في الرد علىٰ ابن منصور» (ص٥٣).

ويقول الشيخ عبد الرحمن في رسالة التوحيد، وطروء الشرك علىٰ المسلمين، وجهاد العلماء له - وهي الرسالة التاسعة من هذه الرسائل- وهو يتحدَّث كيف شرح الله صدر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوَهَّاب إلىٰ دعوة التوحيد في آخر هذا الزمان: «فتَبَيَّن له التوحيد وما يُنَافيه، والسُّنَّة وما يناقضها، فدعا الناس من أهل قريته، وما قرب منها أن يتركوا عبادة أرباب القبور، والطواغيت، وعبادة الأشجار، والأحجار، والذبح للجن، ونحو ذلك. وكل هذا قَدْ وقع في قرىٰ نجد وغيرها حتىٰ البوادي، فلما أنكر ذلك كرهوا ذلك منه، وطرده أهل قريته عنها وهي حريملاء، وصار في العيينة يدعو إلىٰ دين الإسلام، وينهىٰ عن الشرك وعبادة الأوثان، وقبل ذلك طائفة منهم، ومن أهل الدرعية.

ثم بعد ذلك ضاق نطاق أمير العيينة لما رآه قد أنكر قوله الخلق الكثير، والجم الغفير، وقد نصب له العداوة أهل القرىٰ والأمصار، والبادي والحاضر، فأمره أن ينتقل من بلده عنه، وصار في =

وصَار رَحْمَة ونِعْمَة عَظِيمَة لَكُم يَا حمُولَة(١)، وتَلَقَّاها جَدُّك رَحِمَهُ اللَّهُ وأهلكَ وخَوَاصُّ(٢)، وأعَانَهُم اللهُ علَىٰ عَداوَة أَهلِ الأَرضِ في هَذَا الدِّين، ولا عِندَهُم أَموالٌ يَبذُلُونها، لَكِن بَذَلوا نُحُورَهم وأَنْفُسَهم، وأَرخَصُوها للهِ في طَلَب رِضاهُ، والفَوز بالجَنَّة، والنَّجَاة مِن النَّار.

ولا مَقصِدُهم إلَّا أنَّ النَّاس يَترِكُونَهُم يُوحِّدُون اللهَ، وَلا يُعارِضُونَهُم عِند التَّوحِيد، ولا حَصَل مِن الشُّيُوخ بنَجْد وأَتبَاعِهم، وضِدهم في غَايَةِ القُوَّة(٣)، وهُم في غَايَة الضَّعفِ والقِلَّة. فأَيَّدَهُم اللهُ بِدِينِه(٤)، وكُلُّ عَدُوٍّ يَقصِدُهُم يَكسِرُه اللهُ،

=

الدرعية عند محمد بن سعود وأولاده وإخوانه وبعض الأعيان من جماعته. فصار لهم قبولٌ لهذه الدعوة، فصبروا علىٰ عداوة الناس؛ قريبهم وبعيدهم، وكلٌّ قصدهم بالحرب، فثبتهم الله تعالىٰ علىٰ قلتهم وكثرة من خالفهم، وقتل من قتل من أعيانهم، فصبروا، وصارت الحرب بينهم سجالًا، والله تعالىٰ يحميهم ويقوي قلوبهم، وما جرىٰ بينهم وبين عدوهم مذكور في التاريخ. فأظهر الله هذا الدين في نجد والبادية حتىٰ لم يكن فيهم من ينازع ويجادل». انظر: «الرسالة التاسعة»، وسيأتي في الرسالة «السادسة والثلاثون» زيادة توضيح وبيان لما لاقاه محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب من عداوةٍ وحربٍ بسبب دعوتهم التوحيد، ونبذهم ومحاربتهم للشرك.

(١) أي: أسرة آل سعود عندما أراد الله تعالىٰ خيرًا بالإمام محمد بن سعود، وشرح صدره لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

(٢) أي: خواص من الناس.

(٣) أي أن هذا الأمر -وهو العمل بالتوحيد والدعوة إليه- لم يحصل من شيوخ نجد مِمَّنْ كان موجودًا قبل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مع أنهم كانوا أهل قوة من مالٍ، ومنعةٍ، ورجالٍ، ولكن لم يَرْفعوا بذلك رأسًا.

(٤) وهذا مصداق قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ [الحج:٤٠].

=

وما زَالوا كذَلِك حتَّىٰ مَلَّكَهُم اللهُ جَزيرةَ العَربِ بهَذَا الدِّين[١]، وهُم في تِلك

=

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «الدر المنثور» (ص١٣): «فرحم الله محمد بن شهاب الزهري حيث يقول لعبد الملك بن مروان لما ذكر العلماء في الأمصار، قال: إنما هو دينٌ مَنْ حفظه ساد، ومَنْ ضيَّعه سقط، فلقد ساد شيخنا بهذا التوحيد».

وقال أيضًا في (ص٦٠، ٦١): «لأن القصد بهذا الوضع الاعتبار بما جرىٰ لأهل هذه الدعوة من النصر، والتأييد، والظهور علىٰ قلَّة أسبابهم، وكثرة عدوهم وقوته، وذلك من آيات الله وبيناته علىٰ أنَّ ما قام به الشيخ في حال فساد الزمان أنه الدين الذي بَعَث الله به المرسلين، وتَبيَّن أنَّ هذه الطائفة في هذه الأزمنة هي الطائفة المذكورة في قوله ﷺ: «**ولا تزال طائفةٌ من أمتي علىٰ الحق منصورة، لا يضرهم مَنْ خذلهم، ولا مَنْ خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك**»، وقد كانت هذه الطائفة قبل ظهور الشيخ فيما تقدَّم موجودة في الشام، والعراق، ومصر، وغيرها بوجود أهل السُّنَّة، وأهل الحديث في القرون المفضلة، وبعدها، فلما اشتدَّت غربة الإسلام، وقلَّ أهل السُّنَّة، واشتد النكير عليهم، وسعىٰ أهل البدع في إيصال المكر إليهم، مَنَّ الله بهذه الدعوة، فقامت بها الحجة، واستبانت الحجة – كذا في الدر المنثور، ولعلها: واستبانت المحجة-، فيا سعادة مَنْ قَبِلَها وأحبها ونصرها، وذلك في فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم».

قلت: بالنسبة للقصة المذكورة بين الزهري وعبدالملك بن مروان هي قصة مشهورة في كتب المصطلح، فقد رواها الحاكم في معرفة علوم الحديث ص١٩٨ من طريق الوليد بن محمد الموقري عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري. وأوردها الواقي في فتح المغيث (٣/ ٣٩٢) وابن الملقن في المقنع في علوم الحديث (٢/ ٦٧٠) والسيوطي في تدريب الراوي (٢/ ٩١٠) وابن كثير في الباعث الحثيث (٢/ ٦٧٣). وأوردها المزي في تهذيب الكمال (٢/ ٨١) والذهبي في السير (٥/ ٨٥)، وقال الذهبي بعد إيرادها: الحكاية منكرة، والوليد بن محمد واه. (٥/ ٨٥). وقال د. بشار عواد محقق كتاب تهذيب الكمال (٢٠/ ٨١): هذه الحكايات من وضع الشعوبية أعداء الإسلام يدسون السم بالدسم، وراويها الوليد بن محمد الموقري مولىٰ لبني أمية متروك، كذبه يحيىٰ بن معين). اهـ.

(١) وهذا وعد الله لعباده الموحدين المخلصين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ

=

السِّنين مُعافِيهم اللهُ في أَبدَانِهم(١)، حتَّىٰ إِنَّ الأَمرَاض العَامَّةَ لا تُعرفُ فِيهم.

ولَهُم سِيرةٌ، أَذكُرُها لكَ مِن غَير مُجازَفَة دائمًا في كلِّ وَقتٍ، يَبعثُون الدُّعاةَ إلىٰ اللهِ إِلىٰ كلِّ بَلدةٍ، يُجَدِّدُون لَهُم دِينَهُم ويَسأَلُونَهم عَن ثَلاثةِ الأُصُول،

=

هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

يقول الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله تعالىٰ- في «الدر المنثور» (ص٧١، ٧٢): «ومن عجيب ما اتفق لأهل هذه الدعوة أنَّ محمد بن سعود -عفا الله عنه- لمَّا وَفَّقه الله لقبول هذا الدين ابتداءً بعد تَخلُّف الأسباب، وعدم الناصر، شَمَّر في نصرته، ولم يبالِ بمَنْ خالفه من قريبٍ أو بعيدٍ حتَّىٰ أن بعض أناسٍ مِمَّنْ له قرابة له عذله عن هذا المقام الذي شَمَّر إليه، فلم يلتفت إلىٰ عذل عاذل، ولا لوم لائم، ولا رأي مرتاب، بل جدَّ في نصرة هذا الدين، فملكه تعالىٰ في حياته كل من استولىٰ عليه من القرىٰ، ثم بعد وفاته صار الأمر في ذريته يسوسون الناس بهذا الدين، ويجاهدون فيه كما جاهدوا في الابتداء، فزادت دولتهم، وعظمت صولتهم علىٰ الناس بهذا الدين الذي لا شك فيه، ولا التباس، فصار الأمر في ذريته لا ينازعهم فيه منازع، ولا يدافعهم عنه مدافع، وأعطاهم الله القبول، والمهابة، وجمع عليهم من أهل نجد وغيرهم ممن لا يمكن اجتماعهم علىٰ إمام واحد إلا بهذا الدين، وظهرت لآثار الإسلام في كثير من الأقاليم النجدية وغيرها مما تقدم ذكره، وأصلح الله بهم ما أفسدت تلك الدول التي حاربتهم ودافعتهم عن هذا الدين ليطفئوه، فأبىٰ الله ذلك، وأن يجعلهم أئمة هدىٰ، وأن يُوفِّقهم لما وفَّق له خلفاءه الراشدين الذين لهم التقدُّم في نصرة هذا الدين، وعلينا وعلىٰ المسلمين أن ندعو لمن وَلَّاه الله أمرنا من هذه الذرية أن يصرف عنا وعنهم كل محنةٍ وبليةٍ، وأحيا الله بهم ما دَرَس من الشريعة المحمدية، وأصلح لهم القلوب، وغفر لنا ولهم الذنوب، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم».

(١) وهذا مصداق لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]، وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

والقَواعدِ[١]، وغَيْر ذَلِك مِن كُتُب الأُصُول، أَعرِف مِنْهُم نَحوَ العَشرة.

مِنهُم[٢]: عَبدُ الله بنُ فاضِل، وعَبدُ الرَّحمَن بنُ ذهلانَ، ورَاشِد بن درعان، وعُثمانُ بن عَبد الله بن عُبَيْكان، وحمَد بن قَاسِم، وأَحمَد الوُهِيبي، وسُليمان بن مَاجِد، ومُحَمَّد بن سُلطان وَأولَادُه، وحَسَن بن عِيدَان، ومُحَمَّد بن سُويلِم، وعَبد العَزيز بن سُويلَم، وعُثمان العود، وعَبد الرَّحمنِ بن نَامي، وعَبد الرَّحمَن بن خريف، وَأمثالُ هَؤلاء مَن لَهُم فِقهٌ في التَّوحِيد، ورَغبَةٌ فِيه. وَكلُّ واحدٍ مِن هَؤلاء يَروحُ لِجِهَة، ومَعه اثْنانِ أَو ثَلاثَة، ويَجلِس في البَلَد قَدرَ شَهرَيْن، يَسأَلُهم ويُعَلِّمُهم، والَّذِي ما يَعرِف دِينَه يُؤَدَّب[٣] الأَدبَ البَليغَ مَا يُعارِضُ، فإِذا أرادَ السَّفرَ اسْتحلَق[٤] أَهل الدِّين مِن أَهلِ البَلَد، وقال: سَلِّموا علَىٰ الكِبَار، ويعرف الشَّيخ، وعَبد العَزيز، وإِخوانهم بأحْوالهم[٥]. ويُقدِّمُونهم في بَلدِهم، بالأَمرِ

(١) أي: القواعد الأربعة، والتي كتبها مع «ثلاثة الأصول» شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وهما رسالتان عظيمتان، اهتم بهما العلماء -ولا زالوا- تدريسًا، وشرحًا، وتعليقًا، وطبعت عشرات الطبعات.

(٢) لم أجد لأحدٍ من هؤلاء المذكورين ترجمةً، لعلَّهم لم يكونوا من المشهورين بالعلم، ولكن كانوا طلاب علمٍ، وأهل خيرٍ، يحبون التوحيد، ويحرصون علىٰ نشره بمقدرتهم العلمية، كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عنهم: «وأمثال هؤلاء مَنْ لهم فقه في التوحيد، ورغبة فيه».

(٣) والمراد بالتأديب: هو التعليم، والمؤدِّب هو المُعلِّم، أو المراد به شيء من الزجر، والتوبيخ الخفيف للتربية والتعليم.

(٤) أي: سلم من بعده مَنْ يقيم حلق العلم، ودراسة التوحيد، وتعليم مسائل الدين.

(٥) أي: إذا عاد إلىٰ الدرعية يبلغ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، والإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود عن حال الدعوة، ويبشره بإقبال الناس إلىٰ العلم والتوحيد، ودراسة الرسائل في ذلك.

بالمَعرُوف والنَّهي عن المُنكَر، وبهَذَا صارَ لِلدِّين سُلطانٌ وعِزٌّ، وهَذَا ما يَفعَلُونَه دائمًا مع الرَّعايَا، وصارَ الَّذِي لَه دِينٌ يَقومُ بالدِّين ويَأمُر ويَنهَي، والَّذِي مَا لَه دِينٌ يَتزَيَّن[١] عِند أَهلِ الدِّين.

وأمَّا حَالُهُم في بَلدِهِم الدِّرعِيَّة، فبَنَوا مُجمَّعًا - حَولَ مَسجِد البجيري - مَحلُّه مَعروفٌ[٢] إلىٰ اليَوم، يَسَع له قَدر مائتي رَجل، وجَعَلوا فيه رَفًّا[٣] للنِّسَاء، فإذا صَلُّوا الصُّبْحَ أَقبَلُوا لهَذَا المُجَمَّع، وَفِيه «مَعامِيل»[٤] وَقَهوَة ومَا نَابَها، مَقيُومٍ[٥] بهِ مِن بَيتِ المَال.

تَارةً يَجلسُ فِيه حُسَين ابن الشَّيخ، وتَارةً عَبدُ الله، وتَارةً عَليٌّ[٦]، ويَقرؤُون في نُسَخ التَّوحِيد، فإذا فَرَغ هَذَا الدَّرس، رَاحُوا هُم وَغَيرُهم، وجَلَسوا عِندَ بَيتِ الشَّيْخ، حتىٰ يَجِيءَ عَمُّك وجَدُّك[٧]، وسعُود وعِيالُه[٨]، وآلُ عَبدِ الله[٩]،

(١) أي: يجاملهم ويجالسهم، ويكون معهم ولو ظاهرًا لهيبة أهل الدين والعلم.

(٢) حي معروف باسم (حي البجيري) في مدينة الدرعية.

(٣) أي: جزءًا مستورًا للنساء. والرُّفَّة مصطلح عند حاضرة وبادية نجد والجزيرة، ويراد به جزء منفصل في بيت شعر أو مدر، يعزل فيه الرجال عن النساء في مجالسهم.

(٤) وهي أدوات وأواني صنع القهوة من دلالٍ وأباريق.

(٥) أي: مؤنته علىٰ كفالة الدولة. و"مقيوم" كلمة عامية، وهي اسم مفعول من قام يقوم فهو مقوم، ويراد به أن هذا المجمع مكفول وهناك من يقوم به.

(٦) وهم أبناء الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٧) وعمه المراد به عبد العزيز بن محمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، وجدُّه المراد به عبد الله بن محمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٨) وسعود المراد به سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٩) أي: أبناء عبد الله بن محمد بن سعود رحمهم الله.

ويَدخُلُون عِند الشَّيخ رحمَهُم اللهُ.

فإذا تَقَهووا، وذَكَر عَمُّك رَحِمَهُ اللهُ للشَّيخ ما عِندَه مِن خَبَر، أو أَمرٍ يَحتاجُ لَه الشَّيخ ذَكَره لَه، وأَخَذ ما عِندَه مِن رَأيٍ ومِن عِلمٍ، وَأَرخَصُوا للجَمَاعَة، وقَرأَ ثَلاثَة: عَبد العَزيز ابنُ الشَّيخ يَقرأُ في «تَفسير ابن كَثير»، وعَليٌّ وعَبدُ الله يَقرآن في «البُخاري»، وكُلُّ مَن عِندَه دِرايَة وفَهْم، إذا فاضُوا في البَاطِن صارُوا حِلقًا، يَتذاكَرُون دَرسَ الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ.

والأَجْنَبي(١) الَّذِي يَبغِي يَركَبُ لِديرَته، يُصغي للمُذاكَرَة، عارِفٌ أَنَّ أَهلَ ديرتِهِ يَسأَلُون: إيش دَرَّس الشَّيخُ فِيه؟ وقَد ذَكرتُ لكَ قِصَّة إبراهيمَ بنِ زَيدٍ، في تِلكَ المُدَّة، ومُوسىٰ بن حجيلان(٢)، يَمشي علَىٰ المَساجِد يَسألُهم عَن ثَلاثَة الأُصُول والقَواعِد.

وَنَحن يا حمُولَة(٣)، لنَا مَجلِس بَين العِشاءَين في البَاطِن، يَجتمِعون فيه أَهل البِلاد، ونَسألُ اثْنَين، والَّذِي ما يَعرِف دِينَه يُضرَب(٤)، فأَوَّل يَجلِس فيه حُسَين، ثُمَّ عَلِي ابن الشَّيخ، وجَلَست فيه مُدَّة نَحو سَنَتَين أو ثَلاث علَىٰ هَذَا التَّرتيب، ثُم حَمد بن حُسَين، هَذَا بَعضُ ما حَضرناهُ مِن سِيرَتِهم.

---

(١) أي: الذي ليس من أهل البلد.

(٢) لم أجد لهما ترجمةً.

(٣) أي: آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

(٤) وهذا دلالة علىٰ الاهتمام بالعلم والتوحيد، والبساطة في المعاملة فيما بينهم، وصفاء القلوب والتآلف الموجود بينهم، وهذا كله من ثمرة التوحيد، والإيمان، والسُّنَّة.

فَلَمَّا تَوَفَّىٰ اللهُ عَمَّك[١]، حصَل غَفلَةٌ عَن هَذَا التَّرتِيب، لَمَّا فَتَح اللهُ الدُّنيا، وَكَثَّرَها علَىٰ النَّاس، ووَقَع الإعْراضُ عَن كَثيرٍ مِمَّا ذَكَرنا، لا كُله، بل باقٍ لَه بَقايَا، وَحَدَث ما حَدَث مِن البَلاوي[٢] بالعَدُوِّ، وذَا شَيءٌ أَنت خَابرُه، ورَدَّ اللهُ لَكُم الكَرَّة[٣]، أنتَ وَوَالِدُك رَحِمَهُ اللَّهُ، وعَادَت البَلوَىٰ الأُولىٰ[٤]، وعافَاكَ اللهُ مِنها ومَكَّنَك غَايةَ التَّمكِين، وتَسَبَّبت في حِفظ أَموال النَّاس، ورَفْع أَيدي البَوادي، وهَذَا عَمَل صَالحٌ، ومِن الواجِبات.

ولكِنَّك أَصبَحت اليَومَ في جِيل غَفلُوا عن دِينِهم، إلَّا مَن شاءَ الله، وهُم الأَقَلُّون، وأَقبَل النَّاس علَىٰ دُنياهُم، لَها يُوالُون، وعَلَيها يُعادُون؛ فَهُم وإِن صَلُّوا وصَامُوا، فَقَد أَعرَضوا عَن التَّوحِيد، تَعلُّمًا وَتَعلِيمًا، وصارَ أَكثَرُهم خُصوصًا أَهل المَناصِب والوِلايَات وأَتبَاعهم، وأَكْثَر النَّاس لَيس لَه إِخلاصٌ وَلا مُتابَعَة[٥]، كُلُّ

---

(١) والمراد به: سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أي: البلايا، والمصائب، والمحن من سقوط الدرعية علىٰ يد محمد علي باشا حاكم مصر عام ١٢٣١هـ، وأُخِذ آل سعود، وآل الشيخ إلىٰ مصر.

(٣) الدولة السعودية الثانية علىٰ يد تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود رحمهم الله.

(٤) وذلك بعد أن قامت قوات محمد علي بأسر الإمام فيصل بن تركي، وصار الحكم الاسمي لخالد بن سعود بن عبد العزيز، والحكم الفعلي لقائد قوات محمد علي باشا، من عام ١٢٥٤هـ إلىٰ ١٢٥٧هـ، ثم استولىٰ علىٰ الحكم عبد الله بن ثنيان من عام ١٢٥٧هـ إلىٰ ١٢٥٩هـ. ثم في أول عام ١٢٥٩هـ عاد الإمام فيصل بن تركي من مصر، واسترد الحكم. انظر «الأطلس التاريخي» (ص١٢٨، ١٢٩).

(٥) وفي هذا إشارة إلىٰ عِظَمِ هذين الأمرين في تحقيق صلاح الدين والدنيا، وهما الإخلاص لله =

يَحومُ إلىٰ ما يَراهُ ويَشتَهِيه.

وأنتَ اليَومَ جَعل اللهُ لكَ القُدرَة علَىٰ تَجديدِ هَذَا الدِّين، تُولِّي لَه وتَعزِلُ لَه، وتَغضَب لَه، وتَرضَىٰ لَه، وتَبعثُ الدُّعاةَ والسعَاةَ لِكلِّ بَلدٍ، وتُقدِّمُ للهِ وَتُؤخِّر للهِ وتُبعِدُ للهِ، لا يَدخُل عَلَيك في هَذَا هَوىٰ أَحَد يَخِلُّ بالإخلاصِ، والمُتابَعَة.

وتَفْهَم حَديث عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **«مَن التمَس رِضَىٰ اللهِ بِسَخَط النَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرضَىٰ عَنهُ النَّاس، ومَن الْتَمَس رِضَىٰ النَّاس بسَخَط اللهِ، سَخِط اللهُ عَلَيه وَأَسخَط عَلَيه النَّاسَ»**(١).

وَقد قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ

=

تعالىٰ، وذلك بتحقيق الإيمان الصادق، والتوحيد الخالص، والمتابعة للرسول ﷺ في أداء العمل الصالح، واتباع سُنَّته، وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، وقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣]، والعمل الصالح هو الموافق لشرع الله بأن يكون خالصًا لله، صوابًا علىٰ سُنَّة رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٤٧)، ورواه الترمذي (٤/ ٦١٠)، وابن المبارك في «الزهد» (ص٦٦)، بلفظ: **«من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، وَكَله الله إلىٰ الناس»**. وصححه الألباني في «السلسلة» (٥/ ٣٩٢)، و«صحيح الجامع» (٥/ ٢٥٨).

بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨-١٩]، وَنظائِرُها في (المائدة) و(الكهف) و(طه) و(النجم) وَغيرها مِن القُرآن(١).

جدِّدْ هَذَا الدِّينَ الَّذِي اخْلَولَق، لما أَقْدرَك اللهُ علَىٰ ذَلِك، والْتَمِس مِن أَهل الخَير عَددًا يَدعُون إلىٰ هَذَا الدِّين، ويُذكِّرونَه النَّاس، ويُعلِّمُونَه الجَاهِل والغَافِل(٢).

---

(١) في سورة المائدة آية: [٤٨، ٤٩]: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾، وفي سورة الكهف آية [٢٨]: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾، وفي سورة طه آية [١٢٣، ١٢٤]: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾، وفي سورة النجم آية: [٢٨-٣٠]: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾.

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وكما كان النبي ﷺ يبعث أصحابه للأمصار داعين ومُعلِّمين الناس التوحيد، والسُّنَّة، والعلم، كما بعث معاذًا، وعليًّا، وأبا موسىٰ الأشعري، رضوان الله عليهم.

وبِالله التَّوفيق، وَلا حَولَ وَلا قُوَّة إلا باللهِ العَليِّ العَظِيم، وصَلَّىٰ اللهُ علَىٰ سَيِّد المُرسَلِين وإمامِ المُتَّقِين، مُحمَّد وعَلىٰ آلِه وصَحبِه، وسَلَّم تَسليمًا كثيرًا، وأَنت سَالمٌ، والسَّلامُ(١).

(١) قلت: هذه الرسالةُ رسالةٌ عظيمةٌ من عالمٍ ربانيٍّ، وإمامٍ ناصحٍ، جديرة بالاهتمام بها، ونشرها بين الناس، الخاصَّة والعامَّة، ففيها من المواعظ والعبر، وبيانٍ سنن الله الكونية، وإعزازه ونصره لعباده الموحدين، وهي مع قلَّة صفحاتها فهي عظيمة المعاني مع سهولة في الأسلوب، وتنزل في استعمال بعض الألفاظ العاميَّة، لأن المقصد بيان الحق، وتقريب الفهم، فجزاه الله خيرًا من عالمٍ مجاهدٍ، وإمامٍ سلفيٍّ ناصحٍ.

الرسالة الرابعة والثلاثون(١)

« رسالة إلى علماء المسلمين في بيان موجز لتاريخ قيام دعوة التوحِيد والدولة السعودية »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، الرَّحمَن الرَّحِيم، مَالِك يَومِ الدِّين؛ وصَلَّىٰ اللهُ علَىٰ سَيِّد المُرسَلِين، مُحمَّد وعَلىٰ آلِه وصَحبِه أَجمعِين، ومَن تَبِعَهم بإِحسَانٍ إِلىٰ يَومِ الدِّين.

مِن عَبدِ اللهِ بنِ فَيصَل(٢)، وعَبد الرَّحمنِ بن حَسَن، وعَبد اللَّطيفِ بنِ عَبد

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٤/ ١٦١-١٦٧).

(٢) الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، بويع له بالإمامة علىٰ فترتين؛ الأولىٰ علىٰ إثر وفاة والده الإمام فيصل عام ١٢٨٢هـ واستمرت هذه الفترة إلىٰ عام ١٢٨٨هـ. والثانية: إثر تنازل أخيه الإمام عبد الرحمن له بالحكم عام ١٢٩٣هـ، واستمرت هذه الفترة إلىٰ عام ١٣٠٥هـ. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد رُجُوعه هو وأخوه الإمام عبد الرحمن من حائل بيومين، وذلك في عام ١٣٠٧هـ. وتولَّىٰ الحكم أخوه الإمام عبد الرحمن بن فيصل لفترته الثانية من عام ١٣٠٧هـ إلىٰ ١٣٠٩هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٣) - نبذة تاريخية عن نجد (ص٤٩-٨٥) - «الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية» (ص١٤٠-١٤٨).

الرَّحمن[١]، إلىٰ مَن يَصلُ إلَيْه مِن عُلمَاء المُسلِمِين، وأُمرائِهم، وعَامَّتِهم، جَعلنَا اللهُ وَإيَّاهُم مِمَّن عَرفَ النِّعمَة وشَكَرها، وصَرَّفها في طَاعَةِ مَن أَنعمَ بِها ويَسَّرها، سَلامٌ عَليكُم ورَحمَة اللهِ وبَركاتُه.

وبَعدُ: فالَّذِي أَوجبَ هَذَا الكِتاب، ذِكرُ مَا أَنعمَ اللهُ بِهِ عَلَيكم مِن نِعمَة الإِسلام، الَّذِي عَرَّفكم بِه، وَهَداكم إلَيْه، وتُسمُّون بِه، فَلا يَعنىٰ باسْم المُسلِمِين إلَّا أَنتُم؛ ومَا أَعطاكُم اللهُ في هَذَا الدِّين مِن النِّعَم أَكثَر مِن أَن تُحصَىٰ، لَكِن مِنها نِعَمٌ كُلُّ وَاحِدةٍ مِنها حُصُولُها نِعمَةٌ عَظيمَةٌ، لِأَنَّ المُعارِضَ لَها قَويٌّ جدًّا.

(١) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، الشيخ الإمام العالم المجاهد. ولد في الدرعية أيام عزها، وقرأ بها القرآن، ورحل منها عند سقوطها عام ١٢٣٣هـ مع والده وأسرته إلىٰ الديار المصرية، وأقام بها أكثر من ثلاثين سنةً، درس خلالها علىٰ علماء من نجد، ومن مصر، منهم والده، والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمد بن محمود بن محمد الجزائري، وغيرهم. وفي سنة ١٢٦٤هـ عاد إلىٰ نجد في زمن الإمام المصلح المجدد فيصل بن تركي، ولحق أباه، وجلس في الرياض لطلاب العلم، ثمَّ بعثه الإمام فيصل إلىٰ الأحساء لتقرير عقيدة السلف، ونشر الدعوة، فأقام بها سنتين، وبعد ذلك رجع إلىٰ الرياض، وقد أخذ عنه خلائق من أهل نجد، منهم ابنه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وأخوه إسحاق بن عبد الرحمن، والشيخ سلمان بن سحمان. قال عنه آل الشيخ في مشاهير علماء نجد: كافح عن الإسلام، وناضل عن الدين، وكرَّس جهده، وأَوْقَف حياته علىٰ نشر العلم، وبث الدعوة والدفاع عنها. وقال عنه ابن عيسىٰ في «عقد الدرر»: كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمامًا، عالمًا، فاضلًا، بارعًا، محدثًا، فقيهًا، أصوليًّا. له من المصنفات: «تأسيس التقديس في الرد علىٰ داود بن جرجيس»، و«مصباح الظلام في الرد علىٰ من كذب علىٰ الشيخ الإمام»، و«البراهين الإسلامية في الرد علىٰ الشبهات الفارسية»، وغيرها. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٢٩٣هـ. انظر: عنوان المجد (٢/ ٤٣، ٤٧، ٢٥٦) – عقد الدرر (ص٧٧) – مشاهير علماء نجد (ص٩٣) – علماء نجد (١/ ٢٠٢) – الدرر السنية (١٦/ ٤١٣) – «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٦/ ١٥٧).

أوَّلها: كَون الدَّعوَة إلىٰ دِين الإسْلام مَا قَام في بَيانِها والدَّعوَة إلَيْها إلَّا رَجلٌ وَاحدٌ[1]، فلَمَّا شَرَح اللهُ صَدرَه واسْتَنار قَلبُه بِنُور الكِتاب والسُّنَّة، تَدبَّر الآيات، وطَالَع كُتُب التَّفسِير، وَأقْوال السَّلَف في المَعنَىٰ، والأَحادِيث الصَّحيحَة.

سَافَر إلىٰ البَصرَة ثم إلىٰ الإحساء والحَرَمَين، لَعلَّه أنْ يَجِد مَن يُساعِدُه علَىٰ ما عَرف مِن دِين الإِسلامِ، فَلَم يَجِد أَحدًا، كُلُّهم قد اسْتحسَن العَوائِد، وما كانَ عَليه غَالِب النَّاس في هَذِه القُرونِ المُتأخِّرَة إلىٰ مُنتَصَف القَرن الثَّاني عَشَر. ولَا يُعرف أَنَّ أَحدًا دعا فِيها إلىٰ تَوحيدِ العِبادةِ، أَو أَنكَر الشِّرْك المُنافي له، بل قَد ظنُّوا جوازَ ذَلِك أو اسْتحبابَه، وذَلِك قدْ عَمَّت به البَلْوىٰ مِن عِبادَة الطَّواغِيت، والقُبور والجِنِّ، والأَشجارِ وَالأَحجَار، في جَميع القُرَىٰ والأَمصَار، والبَوادِي وغَيرِهم، فمَا زَالُوا كذَلِك إلىٰ القَرن الثَّاني عَشَر.

فَرَحِم اللهُ كَثيرًا مِن هَذِه الأُمَّة بظُهُور شَيخ الإسْلام مُحمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكانَ قَد عَزَم وهُو بمَكَّة أنْ يَصِل الشَّامَ مَع الحاجِّ، فعاقَهُ عَنهُم عَائقٌ، فقَدِم المَدينةَ فَأقامَ بِها، ثُم إنَّ العَليمَ الحَكيمَ رَدَّه إلىٰ نَجْد، رَحمةً لِمَن أرادَ أنْ يَرحَمَه بمن يُؤيِّدُه ويَنصُرُه. وقَدِم علَىٰ أَبيه[2] وصِنْوه وَأَهلِه بِبَلَد حريملاءَ، فبَادَأَهم بالدَّعوَة إلىٰ التَّوحِيد ونَفي الشِّرْك، والبَراءَة مِنه ومِن أَهلِه، وبَيَّن لهم الأَدلَّةَ علَىٰ ذَلِك مِن الكِتابِ وَالسُّنَّة، وكَلام السَّلَف والعُلماءِ، رَحِمَهم اللهُ، فَقَبِل

---

(١) وهو الإمام المجدد شيخ الإسلام ومفتي الأنام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ.

(٢) تقدم الكلام علىٰ أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المطلب الثالث في مبحث حياة المؤلف الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مِنه مَن قَبل وَهُمُ الأَقَلُّون(١).

وأَمَّا المَلأُ وَالكُبَراءُ الظَّلَمةُ الفَسَقة، فَكِرهوا دَعوَتَه، فخافَهُم علَىٰ نَفسِه، وأَتىٰ العُيَينَة وأَظهر الدَّعوةَ بها، وقَبِل مِنه كَثيرٌ مِنهُم، حتَّىٰ رَئيسُهم عُثمانُ بنُ حَمَد بن مَعمَر(٢). ثُمَّ إنَّ أهلَ الأحساء - وهُم خاصَّة العُلماء - أنْكروا دَعوتَه، وكَتبوا شُبهات تُنبِئ عَن جَهلِهم وضَلالِهم، وأَغرَوا به شَيخ بني خَالد، وكَتبوا لابن مَعمَر أنَّه يَقتُل هَذَا الشَّيخ أو يَطرُدُه، فما تَحمَّل مُخالَفَتَه فَنَفاه مِن بَلده إلىٰ الدِّرعِيَّة(٣).

فتَلقَّاه مُحمَّد بن سعُود رَحِمَهُ اللَّهُ، بالقَبُول وبايَعَه علَىٰ أنْ يَمنَعَه ممَّا يَمنَع مِنه أَهلَه وَولَده، وهَذِه أيضًا نِعمةٌ عَظيمةٌ، كونُ اللهِ أَتاحَ لهُ مَن يَنصرُه ويُؤويهِ، والَّذِي أَقوىٰ مِن ابن سعُود وأَكثَر لَم يَحصُل(٤) منه ذَلِك، وصَبَر مُحمَّد علَىٰ عَداوَة الأَدنىٰ والأَقْصَىٰ، أَهل نَجد والمُلوك مِن كُلِّ جِهةٍ.

وبادَأَهم دهام ابن دواس بالحَربِ، فَهَجَم علَىٰ الدِّرعِيَّة علَىٰ غرَّةٍ مِن أَهلِها،

(١) وفي هذا الإخبار بالواقع رد علىٰ مَنْ يقول: إن معارضة مَنْ عارض دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوَهَّاب، والإمام محمد بن سعود أنها معارضة سياسية ليست دينيةً. كما يدلُّ هذا علىٰ أن الشرك والجهل بالتوحيد أطبق علىٰ البلدان؛ كالعراق، والجزيرة، ونجد، والحجاز، والحاضرة، والبادية. وقد تقدم في الرسالة الثالثة والثلاثين ما هو أكثر توضيحًا.

(٢) انظر: «الرسالة الخامسة والثلاثون».

(٣) انظر في الكلام علىٰ ما حصل من شيخ بني خالد، وهو سليمان بن محمد في الرسالة السابقة.

(٤) مؤسس دولة التوحيد والسُّنَّة، الدولة السَّعودية الأولىٰ. والذي نَصَر الله به دعوة التوحيد، وآزر وآوىٰ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

وَقَتل أَولاد مُحمَّد، فَيصَل وسعُود[١]، فما زادَ مُحمَّد إلا قُوَّة وصَلابَة في دِينِه[١]،

(١) يقول الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «المقام الأول: إن شيخنا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ- لما ألهمه الله رشده، وفتح بصيرته في تمييز الحق من الضلال، وأنكر ما عليه الناس من الشرك، فبادروه بالعداوة والإنكار لمخالفتهم ما قد اعتادوه ونشأوا عليه هم وأسلافهم من الشرك، والبدع، وأعظم مَنْ عَادَاه، ونفر الناس عن دعوته العلماء والرؤساء، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣]، وفيه مشابهة لنبينا ﷺ فيما ناله من الرؤساء والأحبار في الابتداء، فإنَّ شيخنا -رحمه الله تعالىٰ- أظهر هذه الدعوة في بلد العيينة، وهي في أعلىٰ وادي حنيفة، فاستحسن دعوته من استحسنها، وَقَبِلَها من قبلها، وأنكرها من أنكرها، ثمَّ إن أهل الأحساء لما استصرخوا شيخهم سليمان المحمد شيخ بني خالد، أرسل إلىٰ ابن معمر شيخ العيينة بأن يقتله، فهاجر إلىٰ الدرعية بلد محمد بن سعود، فتلقاه هو وأولاده بالقبول، وتابعهم علىٰ ذلك أكثر أهل بلده وقبيلته علىٰ قلة منهم وضعف كما قدمناه، فصبروا علىٰ مخالفة الناس والملوك ممن حولهم، والبعيد عنهم، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، ولهذا تَحمَّل هذا الرجل وأتباعه عداوة كل مَنْ عادىٰ هذا الدين، وقال تعالىٰ: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران:٧٤]. وقَدْ قال هرقل لأبي سفيان: وسألتك: هل يرتدُّ أحدٌ منهم سخطةً لدينه؟ فذكرت أَنْ لا، فكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. فأشبه أمر هذا الشيخ -رحمه الله تعالىٰ- ما جرىٰ لخاتم النبيين حتىٰ في مهاجره وأنصاره، وكثرة مَنْ عاداه وناوأه في الابتداء كما هو حال الحق في المبادي يرده الكثير وينكرونه، ويقبله القليل وينصرونه. فأول من عاداهم أقرب الناس إليهم بلدًا، وأقواه كثرةً ومالًا، بلاد دهام بن داوس، وهو أول مَنْ شنَّ الغارة عليهم علىٰ غفلةٍ وغرةٍ، وعدم الاحتساب مِنهم، فخرجوا إليه علىٰ عجل، فقتل منهم رجالًا، منهم فيصل بن محمد سعود، وسعود بن محمد بن سعود، فسبحان مَنْ قوَّىٰ جأش هذا الرجل علىٰ نُصْرة هذا الدين حين قُتِلَ ابناه، ثم سطا عليهم مرةً ثانيةً، فقُتِلَ كثيرٌ ممن سطا بهم، فأخذ المسلمون الثأر منهم، ثم بعد ذلك استمر الحرب بينهم وبينه أكثر من ثلاثين سنةً، وفي تلك الثلاثين سنةً أو أكثر أعانه علىٰ حربهم أهل نجران، وابن حميد شيخ بني خالد مرارًا، فيأتونهم بأنواع الكيد والكثرة، فينصرهم الله عليهم، وفي ذلك أعظم عبرة. وبعد هذه المدة وقع بينه وبين المسلمين وقعة بين البلدين، فقتل فيها ابناه: دواس =

رَحِمَهُ اللَّهُ علَىٰ ضَعفٍ مِنه وقِلَّة في العَددِ والعُدَّة، وكَثرَة من عددهم، وذَلِك مِن نِعمَة الله وآياتِه عَلينا وعَليكُم. فرَحِم اللهُ هَذَا الشَّيخَ، الَّذِي أَقامَه اللهُ مَقام رُسُلِه وأَنبيائِه، في الدَّعوةِ إلىٰ دِينهِ، ورَحِم اللهُ مَن آواهُ ونَصرَه، فللَّه الحَمدُ علَىٰ ذَلِك.

وفِيما جَرىٰ مِن ابن سعُودٍ، شَبه بما جَرىٰ مِن الأَنصار في بَيعةِ العَقَبة[٢]، ثم

=

وسعدون، فانتهىٰ أمره، فخرج من بلده هاربًا في يوم صيف شديد الحر، وتبعه مَنْ تبعه، فصارت بلده فيئًا للمسلمين، ولم يبق لآل دواس بعد ذلك عين تطرف، فاعتبروا يا أولي الأبصار». «الدر المنثور في الرد علىٰ عثمان بن منصور» (ص٥٦، ٥٧).

(١) وهذا والله من أعظم الابتلاء والامتحان، وما أشبه هذا الحال بحال مبدأ دعوة الإسلام والبعثة النبوية، وما لاقاه النبي ﷺ وأصحابه علىٰ يد مشركي قريش من الأذىٰ والقتل لبعضهم، والله عَزَّ وَجَلَّ يبتلي عباده المؤمنين والموحدين علىٰ قدر إيمانهم وتوحيدهم، فأشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق المشركين الكافرين، وليحيىٰ من حي عن بينة، وليهلك مَنْ هلك عن بينة.

(٢) ذكر ابن إسحاق في السيرة أن النبي ﷺ عندما بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية قال: «**أبايعكم علىٰ أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**»، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيًّا، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا (أي: نساءنا)، فبايعنا يا رسول الله، فنحن -والله- أبناء الحروب، وأهل الحلقة (أي: السلاح)، ورثناها كابرًا عن كابر -إلىٰ أن قال- فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلىٰ قومك وتدعنا؟ قال: فتَبسَّم رسول الله ﷺ، ثم قال: «**بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم، وأنتم مني، أحارب مَنْ حاربتم، وأسالم مَنْ سالمتم**». «السيرة لابن هشام» ١/ ٤٤٢).

وأما مبايعة الإمام محمد بن سعود لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد قال ابن بشر: «فسار إليه محمد بن سعود (أي: إلىٰ شيخ الإسلام)، ودخل عليه في بيت ابن سويلم، فرحب به، وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك، وبالعز والمنعة. فقال له الشيخ: وأنا أبشرك بالعز، والتمكين، والنصر المبين، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، فمن تمسك بها، وعمل بها، ونصرها، ملك بها البلادَ والعبادَ، وأنت ترىٰ نجدًا كلها وأقطارها أطبقت علىٰ

=

إنَّ أَهلَ نَجد وبَني خَالد وأَهْل العِراق وَالأَشراف، والبَوادِي والقُرىٰ، تَجرَّدوا لِعداوَة هَذَا الشَّيخ، ومَن آواهُ ونَصرَه، وأَقبَلوا علَىٰ حَربِهم بِحَدِّهم وحَديدِهم، وكَثرَة جُنودِهم وكَيدِهم. فَأَبْطَلَ اللهُ كَيدَ كُلِّ مَن عَاداهُم، وكُلِّ مَن رَامَ مِن هَؤلاء المُلوك أنْ يُطفِئَ هَذَا النُّور، أَطفأَ اللهُ نَارَه وجَعلَها رَمادًا، وجَعل كَثيرًا مِن أَموالِهم فَيئًا لِلمُسلِمِين، وهَذِه عِبرةٌ عَظيمةٌ وَنِعمةٌ جَسيمةٌ(١).

ثُمَّ إنَّ الله بفَضله وإِحسانِه: أَظهَر هَذَا الدِّينَ في نَجد، وأَذَلَّ مَن عادَاه، فعَمَّت النِّعمَةُ أَهلَ نَجد، ومَن والاهُم شَرقًا وغَربًا، وحَفِظ اللهُ عَليكم نِعمَة الإسلام، الَّتي رَضِيَها سُبحانَه لِعبادِه دِينًا، فَلَم يَقدِر أَحدٌ أنْ يُغَيِّرها بقُوَّتِه وقُدرَتِه.

فاشْكرُوا ربَّكُم سُبحانه، الَّذِي حَفِظ عَلَيكم دِينكُم، وَرَدَّ لَكُم الكَرَّةَ(٢) علَىٰ مَن خَرَج عَنْه، وذَلِك بالإِقبالِ علَىٰ التَّوحِيد، تَعلُّمًا وتَعليمًا، والأَمْر بما يُحبُّه اللهُ مِن طَاعَتِه، والنَّهيِ عَمَّا نَهىٰ اللهُ عَنه مِن المَعاصِي.

=

الشرك، والجهل، والفرقة، والاختلاف، والقتال لبعضهم بعضٍ، فأرجو أن تكون إمامًا يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك. وجعل يشرح له الإسلام وشرائعه، وما يحل وما يحرم، وما عليه النبي ﷺ وأصحابه من الدعوة إلىٰ التوحيد، والقيام في نصره، والقتال عليه، فلما شرح الله صدر محمد بن سعود لذلك، وتقرر عنده، طلب من الشيخ المبايعة علىٰ ذلك، فبايع الشيخ علىٰ ذلك، وأن الدم بالدم، والهدم بالهدم». «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ٤٢).

(١) وهذا تحقيق لوعد الله بنصر عباده الصادقين، والدفاع عنهم، كما قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، وقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣].

(٢) وذلك علىٰ يد الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، حيث أعاد قيام الدولة السعودية الثانية. وقد تقدمت ترجمته في الرسالة.

وَفي كَلام بعضِ العُلماء ما يُبَيِّن حَال كَثيرٍ مِن هَذِه الأُمَّة قبلَ هَذِه الدَّعوَة، من الشِّرْك العَظِيم؛ فمِن ذَلِك قَولُ عَالمِ صَنعاءَ، الأَمِير: مُحَمَّد بن إِسماعِيل[1]، رَحِمَهُ اللَّهُ، عن شَيخ الإسْلام: مُحمَّد بن عَبد الوَهَّاب، رَحِمَهُ اللَّهُ وعَفا عَنه:

وَقَـد جـاءَتِ الأَخبَـارُ عَـنْـهُ بِأَنَّـهُ ... يُعيـدُ لَنا الشَّرعَ الشَّريف بما يُبـدي
ويَنشُر جَهرًا ما طَوى كـلُّ جَاهِـل ... وَمُبتَـدع مِنْـه فَوافَـقَ مـا عِنـدِي
ويَعْـمُر أَركـانَ الـشَّريعَة هَادِمًـا ... مَشاهِدَ ضَلَّ النَّاسُ فِيها عَن الرُّشدِ
أَعادُوا بِهَا مَعْنى سُواع وَمِثْلـه ... يَغُـوث وَوَدٌّ بِـئْسَ ذَلِـك مِـنِ ودِ
وَقَـد هَتفُـوا عِنـدَ الـشَّدائِد باسْـمِها ... كَما يَهتِف المُـضْطَرُّ بالصَّمَد الفَـرْدِ

(١) العلامة محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي الكحلاني، ثم الصنعاني، المعروف بالأمير، الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف. وُلِدَ ليلة الجمعة نصف جمادىٰ الآخرة سنة ١٠٩٩هـ بكحلان، ثم انتقل مع والده إلىٰ مدينة صنعاء سنة ١١٠٧هـ، وأخذ عن علمائها، ورحل إلىٰ مكة، وقرأ الحديث علىٰ أكابر علمائها، وعلماء المدينة. برع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد، وعمل بالأدلة، ونفر عن التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت مع أهل عصره خطوبٌ ومحنٌ، وحفظه الله تعالىٰ من كيدهم ومكرهم، وكفاه شرهم، وولاه الإمام المنصور بالله الخطابة بجامع صنعاء، فاستمر كذلك إلىٰ أيام ولده الإمام المهدي. وله مصنفات جليلة حافلة، منها: «سبل السلام»، اختصره من «البدر التمام» للمغربي، ومنها: «منحة الغفار»، جعلها حاشيةً علىٰ «ضوء النهار» للجلال، ومنها: «العدة»، جعلها حاشية علىٰ «شرح العمدة» لابن دقيق العيد، ومنها: «شرح الجامع الصغير» للسيوطي في أربع مجلدات، شرحه قبل أن يقف علىٰ شرح المناوي، ومنها: «شرح التنقيح في علوم الحديث» للإمام محمد بن إبراهيم الوزير، وسماه: «التوضيح»، ومنها: «منظومة الكافل» لابن مهران في الأصول، وشرحها شرحًا مفيدًا، وله مصنفات غير هذه، منها: «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» (٢/ ١٣٣-١٣٩)، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١١٨٢هـ في يوم الثلاثاء ثالث شهر شعبان.

وَكَم عَقَروا في سوحِـهَا مِن عقيـرَةٍ أُهِلَّـتْ لِغَيْـرِ اللهِ جَهْـرًا علَـى عَمـدِ
كَـمْ طَـائِفٍ حَـوْلَ القُبُـورِ مُقْبِـل وَمُـسْتَلِم الأَرْكَـانِ مِـنْهُنَّ بِاليَـدِ[1]

ثُمَّ إِنَّ اللهَ لَمَّا جَمَعَكم علَىٰ إِمامٍ تَرضَونَه، وَقَد حَصَل لَكُم مِن الأَمْن وَالرَّاحَة والعَافِيَة وَكَفِّ أَيدِي الظَّلَمَة عَنْكُم مَا لَا يَخفَىٰ. ثُمَّ لَمَّا تَبَيَّن من خَلع الطَّاعَةِ[2]، وفَارَق الجَمَاعة، وسَعىٰ فِي الخُروجِ إلىٰ مَا لا يُحبُّه اللهُ ولا يَرضاهُ، مِن الفِتنةِ فِي الدِّين، وشَقَّ عَصا المُسلِمين، أَوقَع اللهُ بِه وَبِمن جَمع بأْسَه، وَقَتل أَشرار مَن مَعَه، وَأَظهَر اللهُ جَماعَة المُسلمين وإِمامَهم علَىٰ كُلِّ مَن أَفسدَ، مَن قَتل فِي هَذِه الفِتنَة أو نَهَب؛ وصارُوا أَذِلَّةً، وحَفِظ اللهُ عَلَيكم الجَماعةُ.

فالوَاجِبُ عَلَينا وعَلَيكُم التَّواصِي بِهَذِه النِّعمَة العَظيمَة، والتَّنافُس فِي هَذَا الدِّين الَّذِي مَنَّ اللهُ بِه عَلَيكم، وهُو الَّذِي بَعث اللهُ بِه رُسُلَه وأَنزَل بِه كُتُبَه، وَأَكمَلَه ورَضِيَه لِعبادِه، كَما قَال تَعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة آية: ٣)، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (الحشر آية: ١٨-٢٠)،

---

(١) «ديوان الصنعاني» (ص١٢٨).

(٢) والمراد به خروج الأمير سعود بن فيصل علىٰ أخيه الإمام عبد الله بن فيصل، وذلك بعد توليه الحكم بسنة، في عام ١٢٨٣هـ، وقبل وفاة الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنتين، حيث توفي ١٢٨٥هـ. انظر تفصيل ذلك في «الأطلس التاريخي» (ص١٤٠-١٤٨).

فاحْذَروا نِسيانَ رَبِّكم بالإعراضِ عمَّا افْترضَه عَليكُم، وأَقبَلوا علَىٰ تَوحيدِه وطَاعَته، واطْلُبوا بذَلِك الجَنَّة والنَّجاة مِن النَّار.

والحقُّ في ذَلِك: علَىٰ العُلماءِ والأُمراءِ أَعظَم، لأَنَّ العامَّة يَتبعونَهم ويَتقرَّبون إليهم بما يُحبُّونه، ومَن أحبَّ شَيئًا أَكثَر مِن ذِكره[١]، فكونُوا أَئمَّة في هَذَا الدِّين الَّذِي هُو مَعنىٰ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ؛ وقَد بيَّن اللهُ مَعناها في آياتٍ كَثيرةٍ مِن كِتابِه، فإِنَّها دلَّت علَىٰ نَفي الشِّرْك، والبَراءَة مِنه ومِمَّن فَعلَه، وإخلَاص العِبادَة للهِ وَحدَه لا شَريكَ لَه، وذَلِك في آي كَثيرٍ[٢].

فَمِن ذَلِك قَولُه تَعالَىٰ: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (يونس آية: ١٠٥) فَقولُه: ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ [يونس:١٠٥]: فِيه الإِخلاصُ، وحَنِيفًا فِيه تَرك الشِّرْك. وَقَولُه: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام:١٤]، فِيه البَراءَةُ مِنهُم ومِن دِينهِم. قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ (الزمر آية: ٢-٣). والآياتُ في مَعنىٰ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ، أَكثرُ مِن أنْ تُحصَر، كَقولِه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (يوسف آية: ٤٠).

والمرادُ فَتح البابِ لَكُم في مَعنَىٰ التَّوحِيد، الَّذِي فيهِ الفَلاحُ وَالنَّجاةُ، وَصَلاحُ الدُّنيا وَالآخِرَة؛ فلا تَنسَوا رَبَّكم، بالإِعراضِ عَن الهُدىٰ، فيُنسِيكم

(١) ففيه الحث علىٰ تعظيم التوحيد، وتحبيبه للناس، كما أكثر الله من ذكره في القرآن، ونوَّع أساليب بيانه، فيكثروا من ذكره.

(٢) والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وعموم أئمة وعلماء هذه الدولة السلفية يُركِّزون دائمًا علىٰ التوحيد، وعلىٰ تحقيق العمل بلا إله إلا الله، ويربطون وجود الأمن والراحة والعافية به، وذلك لأن التوحيد أساس كل صلاح وفلاح وخير، كما سيأتي.

أَنفُسَكم(١). ومِن عُقوبَة الإعراض عَمَىٰ البَصيرَة في الدُّنيا والآخِرَة(٢).

ولَا باقٍ مَعكُم مِن دُنياكُم إلا دِينُكم، لِمَن مَنَّ اللهُ عَليه بِحفِظه، والإقبالِ عَلَيه والعَملِ بِه، وأَنتُم تَفهمُون أنَّ الدُّنيا ما للإنسانِ مِنها(٣) إلَّا ما كانَ للهِ، وَغَيرُ ذَلِك زَائلٌ. هَذَا ما نُوصِيكُم بِه، ونَدلُّكم عَليه عامَّة العُلماء والأُمراء خاصَّة. فيَجِب علَىٰ العُلماء والأُمرَاء أنْ يَكونُوا صَدرًا في هَذَا الدِّين، بالرَّغبَة فيهِ والتَّرغيبِ، وأنْ يَكونوا سَندًا لِمَن أَمرَ بالمَعروفِ، ونَهىٰ عَن المُنكر، ويَتفقَّدُون أَهلَ بَلدِهم، في صَلاتِهم، وتَعلِيمِهم دِينَهم، وَكَفِّهم عَن السَّفاهَة، وما يَحرُم علَيْهم، لأَنَّ اللهَ تَعالىٰ سَائلُهم عنه.

وباللهِ التَّوفيق، وَصلىٰ اللهُ علَىٰ سَيِّد المُرسلَين مُحمَّد، وعَلىٰ آلهِ وصَحبِه أَجمعين، وَسلَّم تَسليمًا.

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر:١٩].

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف:٥]، وكما قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣]، وكما قال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦].

(٣) أي: ليس له منها نصيب إلا ما عمله فيها لله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠].

الرسالة الخامسة والثلاثون(١)

« الوصية بالتوحِيد والعلم »

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِن فَيصَل بن تُركِي(٢)، وعَبد الرَّحمَن بن حَسَن، وعَلِي بن حُسَين(٣)، إلىٰ مَن يَصل إلَيه هَذَا الكِتاب مِن المُسلِمين، وَفَّقَهم اللهُ لِتوحيدِه، وجَعلَهُم مِن صَالحي عَبيدِه آمِين. سَلامٌ عَليكُم ورَحمةُ اللهِ وبَركاتُه... وَبَعد:

فنُوصِيكم وأَنفسُنا بتَقوىٰ اللهِ، فإِنَّها وَصيَّة اللهِ لِلأَوَّلينَ وَالآخِرين(٤)، وأَعظَم التَّقوىٰ وَأصلُها اتِّقاءُ الشِّرْك باللهِ، والإِخلاصُ لَه بِجَميع الأَعمالِ الظَّاهِرة والبَاطِنَة، وهُو مَعنىٰ كَلِمة الإِخلاصِ: شَهادَة أنْ لا إِلهَ إلَّا اللهُ، فإِنَّها دَلَّت علَىٰ نَفي الشِّرْك في العِبادةِ وَتَركه، والبَراءَة مِنه.

ودَلَّت أيضًا علَىٰ إِخلاصِ الإِلهيَّة للهِ تَعالىٰ، فَلا يُدعىٰ غَيرُه، وَلا يُرجىٰ

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٤/ ١٣٤-١٣٩).

(٢) تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة.

(٣) تقدمت ترجمته في الرسالة الرابعة والثلاثين.

(٤) كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

سِواه، وَلا يُتوَكَّل إلا عَلَيه، ولا يُرغَب إلا إليهِ، كمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ (الشرح آية: ٧-٨).

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ (هود آية: ١٢٣). وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ (الرعد آية: ١٤) الآيَةَ.

وجَميعُ أَفرادِ العِبادةِ لا تَصلُح إلا للهِ تَعالىٰ، قَد بَيَّنها في كِتابه مُجملًا وَمُفصَّلًا، كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ (الزمر آية: ٢) ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ (الزمر آية: ٦٦) فتَقديمُ المَعمولِ بِه يُفيدُ الحَصر والاخْتصاص، كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: لا نعبد غيرك، ولا نَستَعين إلا بِكَ.

وَهَذَا هُو الدِّين الَّذي بَعث اللهُ به رُسُلَه، وأَنزَل به كُتُبَه، وكُلُّ رَسولٍ يُرسِلُه اللهُ، يَقولُ: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآيةَ [البينة: ٥].

وأَمثالُ هَذِه الآياتِ في القُرآنِ كَثيرٌ، يأمُر تَعالىٰ عِبادَه أنْ يُخلصُوا له العِبادَة، ويَنهاهُم أنْ يَقصِدوا بها غَيرَه. وإخلاصُ العِبادةِ لَه، هُو أَصلُ الدِّين الَّذي لا يَقبلُ اللهُ مِن أَحدٍ دينًا سِواه، قَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ (الزمر آية: ٢-٣).

وفِي الحَديثِ الصَّحيحِ، أنَّه قالَ: «حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبادِ أَنْ يَعبدُوه ولا يُشرِكُوا

به شَيئًا»(١) وقَالَ تَعالَىٰ نَاهِيًا لهم عن الشِّرْكِ في عِبادَتِه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ (النحل آية: ٢١،٢٠) الآيَتين. وقَالَ تَعالَىٰ آمِرًا لهم بالتَّوحِيد: ﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ ﴾ (النحل آية: ٢٢). وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ (الصافات آية: ٤-٥). و هَذَا مَضمونُ كَلمَةِ الإخلاصِ: لا إِلهَ إلَّا اللهُ، نَفت الشِّرْكَ في الإلِهيَّة، وأَثبتَت تَوحيدَ الله بذَلِك.

ومِمَّا دَلَّت عَليه هَذِه الكَلمةُ: إِخلاصُ الحبِّ في اللهِ تَعالىٰ، كما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ ﴾ (البقرة: ١٦٥) إلىٰ قَولِه: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة: ١٦٧)، فأوْجَب لَهم بشِركِهم في المَحبَّة أن خُلِّدوا في النَّار، فإخلاصُ المُوحِّد المَحبَّة يقتَضِي الحُبَّ في اللهِ والبُغضَ فيهِ، والمُعادَاة والمُوالاة فِيه؛ لأنَّ العبدَ إذا أَخلصَ له المُحبَّة أحبَّ طاعتَه وأهلَ طاعتِه، وأَبغضَ مَعصيتَه ومَن يَعصيه؛ وعَلىٰ قَدر المحَبَّة تكونُ المُوالاةُ بَين المُوحِّدين، والمعاداةُ لِلمُشركين الجاحِدين لتَوحيدِ رَبِّ العالَمِين؛ والأدِلَّة علَىٰ هَذَا في الكِتابِ والسُّنَّة كَثيرٌ.

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ (التوبة آية: ٢٩) الآية. وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ (التوبة آية: ٥).

والآياتُ بالأَمرِ بِجهادِهِم وَجهادِ إِخْوانِهم مِن المُنافِقِين كَثيرةٌ، فأَوجبَ

(١) طرف من حديث رواه البخاري (ح/ ١٣٩٥)، ومسلم (ح/ ٢٩) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

جِهادهُم والبَراءَة مِنهم في أَكثر سُور القُرآن، مَنطوقًا ومَفهومًا؛ لَكن لا يَتفطَّنُ لهَذَا الأَصلِ إلَّا مَن اسْتنارَ قَلبُه بأَنوارِ التَّوحِيد، عِلمًا وعَملًا.

وَبهَذَا المَعنىٰ جاء الحَديث: «**اللَّهمَّ اجْعلنَا هُداةً مُهتدِين، غَيرَ ضالِّين ولا مُضلِّين، سِلمًا لأَوليائِك، حَربًا لأَعدائِك، نُحبُّ بِحُبِّك مَن أَحبَّك، ونُعادي بعداوتِك مَن خَالَفَك**»[1]. فلا ضَلالَ أَضلُّ، ولا ظُلْم أَعظَم مِن وَضْع حقِّ اللهِ تَعالىٰ مِن العِبادَة في غَيْر مَوضِعه، بأنْ يصرفَ لِمخلُوق مَيِّت غائبٍ، وَلا يَنفَع ولا يَضُر.

قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (النحل آية: ٧٣) الآية. وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ (المائدة آية: ٧٦). وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾ (الأنعام آية: ٤٠-٤١) الآيةَ. فمَن رُزق في القُرآن عِلمًا وفَهمًا، تَبيَّن له حَقيقةُ الإسلامِ والإيمانِ.

فيَا مَن نَصح نَفسَه، إيَّاك إيَّاك أنْ تَشتَغِلَ بشَهواتِك ومَألوفَاتِك عَن تَوحيدِ رَبِّك، ومَا يَجِب لَه عَليك، مِن الإِخلاص والطَّاعَة، وما أَوجَبه لِرسُولِه ﷺ مِن الاقْتِداء بِه وَالمُتابَعة؛ فمَا أَخسَر مِن أَخْذ الجَهل بَدلًا عَن الدِّين، وأَخذ الأَماني

(١) رواه الترمذي (ح/ ٣٦٥٩) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من حديث طويل، وقال عنه: هذا حديث غريب، لا نعرفه مثل هذا من حديث ابن أبي ليلىٰ إلا من هذا الوجه. وقال عنه الألباني: ضعيف الإسناد. «ضعيف سنن الترمذي» (ص٤٤٧).

والشَّكِّ عِوضًا عَن الإِيمانِ وَاليَقينِ!

قالَ أبُو العَاليَة(١) رَحِمَهُ اللهُ: تَعلَّموا الإِسلامَ(٢)، فإذا عَلِمْتُموه فلا تَرغَبوا عَنه. وعَليكُم بالصِّراط المُستقيم، فإنَّه الإسلامُ، ولا تَحرِفوه يَمينًا وشِمالًا. فلَقد صَدَق ونَصَح؛ فَمَن لَم يَتعلَّم الإسلامَ، ورَغِب عَنه، أَكثَر التَّحريف وَالانْحِراف.

فمَا أَعظَمها مِن مُصيبَة! ومَا أَجدَرها بالعُقوبَة! كمَا قَال قَتادَة(٣) رَحِمَهُ اللهُ في حالِ مَن أَعرضَ عَن الدِّين: قد رَأيتُموهُم -واللهِ- خَرجُوا مِن الهُدىٰ إلىٰ الضَّلالِ، ومِن الجَماعَة إلىٰ الفُرقَة، ومِن الأَمْن إلىٰ الخَوفِ، ومِن السُّنَّة إلىٰ البِدعَة(٤).

فاسْتدْرِكُوا -رَحمَكُم اللهُ- مَا فَاتَكم، وأَقبِلُوا بقُلوبِكم علَىٰ تَعلُّم ما بَعث اللهُ بِه رُسُلَه، مِن تَوحيدِ رَبِّكم. وارْغَبوا إلَيْه واسْأَلُوه الثَّباتَ عَليه، وأَنْ يَصرِف هَمَّكم إلىٰ العِلم النَّافع، والعَمَل الصَّالح(٥). وإيَّاكُم والخُلودَ إلىٰ الأَرْض،

(١) رُفَيع -بالتصغير- بن مهران أبو العالية الرياحي، ثقة، كثير الإرسال، من الثانية، مات سنة تسعين. وقيل: ثلاث وتسعين. وقيل بعد ذلك. «التقريب» (ص٢١٠).

(٢) والمراد بالإسلام السُّنَّة، كما قال البربهاري رَحِمَهُ اللهُ: اعلموا أن الإسلام هو السُّنَّة، والسُّنَّة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر. «شرح السُّنَّة» (ص٥٩).

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة السيوطي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ١٨٢)، وذكره ابن كثير في «تفسيره»، وقال: رواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة بمثله سواء. «تفسير ابن كثير» (١/ ٩٣)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»، وأحال إلىٰ عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة (١/ ٧٣).

(٥) وهو الذي بعث الله نبيه ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف:٩]، والهدىٰ: هو العلم النافع. ودين الحق هو: العمل =

والتَّمادي عَن السُّنَن والفَرائِض؛ فَقَد صَحَّ عَن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**كُلُّ النَّاس يَغدُو، فبائِعٌ نَفسَه فمُعتِقُها أو مُوبِقُها**»(١).

واعْلَموا -رَحِمَكُم اللهُ- أنَّه قَد وَرد في الأَثر: «**مَا نَزلَ بَلاءٌ إلا بِذنبٍ، ولا رُفِع إلَّا بتَوبَةٍ**»(٢). وقَد مَنع اللهُ تَعالىٰ القَطر مِن السَّماء، لِمَا لَه فِيه مِن الحِكمَة، ولَا شَكَّ أنَّ هَذَا مِن آثَار الذُّنوبِ(٣)، ومَا يَعفو اللهُ عَنه أَكْثَر، ومَا دَفع اللهُ عَنكم مِن العُقوباتِ أَعظَم.

فتُوبوا إلىٰ رَبِّكُم، كما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ﴾ (النور آية: ٣١). وقال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (التحريم آية: ٨) الآيَة، وائْتَمِروا بالمَعروفِ، وتَناهَوْا عَن المُنكَر، وتَناصَحُوا في دِينِكُم، وَتَحبَّبوا إلىٰ رَبِّكم بالتَّوبَةِ إلَيه، وَالإقْبالِ عَلَيه، والرَّغبَة إلَيْه بطَاعَتِه، واجْتنابِ مَعصِيَته، لَعلَّ اللهَ أَن يُدخِلَكُم في رَحمَةٍ مِنه وَفَضلٍ، ويَهدِيكُم إلىٰ صِراطٍ مُستَقيمٍ، وَصلَّىٰ اللهُ علَىٰ مُحمَّد وعَلىٰ آلِه وصَحْبِه وسَلَّم.

=
الصالح.

(١) طرف من حديث رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. والحديث بتمامه: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حُجَّة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها**» (ح/ ٢٢٣).

(٢) نَسَبه ابن قيم الجوزية في «الداء والدواء» (ص١٥٧) إلىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كما قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

الرسالة السادسة والثلاثون[١]
« نصيحة لولي الأمر بالحرص علىٰ إقامة الدين »

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِن عَبدِالرَّحمن بن حَسَن إلىٰ إمام المُسلِمين، وَخَليفَة سَيِّد المُرسَلِين في إقَامَة العَدْل والدِّين، وهُو سَبيلُ المُؤمِنين والخُلفَاء الرَّاشِدين، فَيصَل بن تُركِي[٢] جَعلَه اللهُ في عِدادِهم مُتَّبِعًا لِسِيَرِهم وَآثَارِهم، آمِين.

سلَامٌ عَليكُم وَرَحمةُ اللهِ وَبَركاتُه. وبَعدُ: اعْلَم أنَّ اللهَ تَعالىٰ أَنعَم عَلينَا وَعَليكُم وَعلىٰ كافَّةِ أَهلِ نَجد بِدِين الإسلامِ الَّذِي رَضِيَه لِعبادِه دِينًا، وَعَرفنا ذَلِك بأَدِلَّتِه وبَراهِينِه دونَ الكَثير مِن هَذِه الأُمَّة الَّذِين خَفي عَلَيهم ما خُلقِوا لَه مِن تَوحيدِ رَبِّهم الَّذِي بَعث به رُسلَه، وأَنزلَ به كُتبَه، ولا صَلاحَ لِلعِبادِ في مَعاشِهِم ومَعادِهم إلا بِمَعرِفَة هَذَا الدِّين وقَبُولِه ومَحَبَّته والعَمَل بِه، واسْتِفراغُ الوُسْع إلىٰ ذَلِك عِلمًا وعَملًا ودَعوةً إلَيْه وَرغْبةً فيهِ، وأنْ يَكونَ أَكبَر هُمِّ الإنسانِ وَمَبلَغ

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (٤/ ٣٧٩-٣٨٣).
(٢) تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة.

عِلمِه لِيَحصُل له النَّعيم الأَبدِي، وَالسُّرور السَّرمَدِي. وقَد وَقَع أَكثَر مَن أَنْعَمَ اللهُ عَلَيه بهَذِه النِّعمَة فِي التَّفريطِ فِي شُكرِها والتَّهاوُن بها، وعَدَم الرَّغبَة فِيها، والتَّحدُّث بها، والعَمَل بمُوجِبها، وقَد وَقَع بالغَفلَة عَن شُكر هَذِه النِّعمَة مِن التَّفريطِ فِيها وَالاشْتغالِ بما يَشْغل عَنها مِن الرَّغْبَة فِي الدُّنيا، والإقْبالِ عَلَيها مَا لَا يَخفىٰ علَىٰ ذَوي البَصائِر.

وقَد ذَمَّ اللهُ تَعالَىٰ فِي كِتابِه أَهْل الغَفلَة والإِعرَاضِ أَعاذَنا اللهُ وَإِيَّاكُم مِن اتِّباع سُبُلهم، فَقالَ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (الأعراف: ١٧٩) فَعلينَا وَعَليكُم أنْ نَقومَ علَىٰ مَن قَدرْنا علَىٰ القِيامِ عَلَيه بِبَذل الجهْدِ وَالاجْتهادِ بالنَّصيحَة لِجَميع المُسلِمِين بتَذكِيرِهم مَا أَنعَم اللهُ عَلَيهم بِه مِن الدِّين، وتَعلِيمِهم ما يَجبُ عَلَيهم تَعلُّمُه مِمَّا فِيه صَلاحُهم وفَلاحُهُم ونَجاحُهم وسَعادَتُهم وَنَجاتُهم مِن شُرورِ الدُّنيا والآخِرَة. وقَد قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٦) فإِذا كَان هَذَا فِي أُناسٍ فِي عَهدِ النُّبوَّة، والقُرآنُ يَنزلُ، فَمَن بَعدَهُم أَحْرَىٰ أنْ يَكونُوا كذَلِك.

فَيَجبُ علَىٰ مَن أَقدَره اللهُ مِن المُسلمين أنْ يَقومَ بنَصيحَة العِبادِ بهَذَا الدِّين عِلمًا وعَملًا ودَعوةً إِلَيْه وتَعلُّمًا وتَعليمًا، ولا يَخفىٰ أنَّ العامَّة تَتبع الخاصَّة فيما أَحبُّوه وقالُوهُ وعَمِلوا بِهِ. وقَد حذَّرَ اللهُ تَعالىٰ عِبادَه مِن عُقوباتِ الدُّنيا والآخِرَة

علَىٰ الإعراضِ مِمَّا خُلِقوا له(١) كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ (الذاريات: ٥٠) وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾ (غافر: ١٨) وقَال في حقِّ نَبيِّه ﷺ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور: ٦٣]، وعَلينَا أنْ نَحْذرَ ونُحذِّرَ عمَّا حَذَّرنا اللهُ تَعالىٰ مِنه مِن التَّفريطِ في طاعَة اللهِ وطَاعةِ رَسولِه، والقِيام بدِينِه كَما يَنبغِي.

وبسَببِ الغَفلةِ عَن هَذِه الأُمورِ الوَاجِبَة وَقَع في كَثيرٍ مِن النَّاس أَشياء مِمَّا لَا يُحبُّه اللهُ ويَرضاه كمَا لا يَخفَىٰ علَىٰ مَن يَنظُر بنُور اللهِ، وَقد قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: ٤١] وَالفَسادُ(٢): المَعاصِي وَآثارُها في الأَرضِ، ولَكِن كَما قِيلَ: إذا كَثُر الإِمسَاس قَلَّ الإحساسُ، نَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنفُسِنا وسَيِّئاتِ أَعمالِنَا.

ومِن مُوجِباتِ الغَفلَة: الإِعراضُ عَن الأَمرِ بالمَعرُوف والنَّهيِ عَن المُنكَر، فإِنَّه لَا صَلاحَ لِلعبادِ في دِينِهم ودُنياهُم إلَّا بالقِيامِ بِحَقِّه. واليَوم ما في البلْدَان مَن يَأمُر بالمَعرُوف ويَنهىٰ عَن المُنكَر إلا علَىٰ ضَعفٍ، وفي تَركِه الوَعِيد الشَّديد(٣)

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ [الصف:٥]﴾.

(٢) قال أبو العالية: مَنْ عصىٰ الله فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة. «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٨٩).

(٣) كما قال الله تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة:٧٨]، وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم**»، رواه أحمد (/ ٣٨٨)، والترمذي (ح/ ٢١٦٩)، وحسنه ووافقه الألباني من حديث حذيفة.

وفِعلِه عَلامَةَ الإيمان(١) وهُو مِن فُروضِ الكِفاياتِ(٢) الَّتي إذَا قَام بِها البَعضُ سَقط الوُجوبُ عَن الباقِين، وإذا لَم يَحصُل القِيامُ بذَلِك أَثِمُوا كُلُّهم.

قالَ بَعضُ العُلماء: فُروضُ الكِفايَة أَشدُّ علَىٰ النَّاس مِن فُروض العَين؛ لأنَّ فَرضَ العَين يَخصُّ عُقوبَته تَارِكه، وفَرض الكِفايَة تَعمُّ عُقوبَتُه كُلَّ مَن كَان له قُدرَة. فأُوصِيكُم مَعشرَ الإِخْوانِ مِن الخَاصَّة والعَامَّة أنْ تَرغَبُوا فِيما رَغَّبَكم اللهُ فِيه، وأنْ تَهتَمُّوا بِه كَاهْتمامِكُم بدُنياكُم لِتَسعدُوا وتَسلَمُوا وتَغنَموا، الشَّأنُ كُلُّ الشَّأنِ بالاهْتمامِ فِيما يُرضِي اللهَ عَنكُم ويَدفَع اللهُ بِه عَنكُم عُقوباتِ الدُّنيا والآخِرَة، وعَلىٰ الإِمام(٣) -وَفَّقه اللهُ- أنْ يَبعَث للدِّين عُمَّالًا كَما يَبعَث لِلزَّكاة

---

(١) كما قال ﷺ: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»، رواه مسلم (ح/ ٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(٣) كما قال ﷺ: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله، وهو مسؤول عن رعيَّته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته**»، قال: وحسبت أن قد قال: «**والرجل راعٍ في مال أبيه، ومسؤول عن رَعيَّته، وكلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته**»، رَوَاه البخاري (ح/ ٨٩٣) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقد قال البخاري قبله: قال يونس: وكتب رزيق بن حكيم إلىٰ ابن شهاب وأنا معه يومئذ بوادي القرىٰ: هل ترىٰ أن أجمِّع؟ ورزيق يومئذ علىٰ أيْلة، فكتب ابن شهاب، وأنا أسمع، يأمره أن يُجَمِّع، يُخبره أن سالمًا حدثه أن عبدالله بن عمر قال: ثم ذكر الحديث. قال ابن رجب رحمه الله تعالىٰ: «والمقصود منه أن الزهري استدل بهذا الحديث في رواية الليث عن يونس، عنه -التي ذكرها البخاري تعليقًا- علىٰ أن الأمير في البلدان والقرىٰ - وإن لم تكن من الأمصار الجامعة- أن يقيم الجمعة لأهلها، لأنه راعٍ عليهم، ومسؤول عنهم، ومما يجب عليه؛ رعايته أمر دين رعيته، وأهمه الصلاة ». «فتح الباري» لابن رجب (٨/ ١٤١، =

عُمَّالًا لِيُعلِّمُوهم دِينَهُم ويَأمُروهُم ويَنهَوْهم، وهَذَا مِمَّا يَجبُ علَىٰ الإمامِ أَعانَه اللهُ علَىٰ ذَلِك وَوفَّقَه للقِيام بوظَائِف الدِّينِ نَصيحةً للهِ ولِكتابِه ولِرسُولِه ولِلمُسلِمِين.

وَأُوصِيكُم بالتَّوبَة إلىٰ اللهِ عمَّا فَرَّطتُم فيهِ مِن العَمل بدِينِه وتَعلُّمِه وتَعلِيمِه وتَكميلِه، فإِنَّ اللهَ تَعالىٰ أَكمَله لَكُم وَهُو أَعظَم نِعمَة أَنعَم بِها عَلَيكم.

فاللهَ اللهَ فِي الأَخذِ بأَسبابِ الفَلاحِ وَالنَّجاةِ، وعَلىٰ كُلٍّ مِنكُم أنْ يُحاسِبَ نَفسَه لِربِّه قَبلَ القُدوم عَلَيه والرُّجوع إِلَيه، ولا يَنفَع قَولٌ إلا بعَمَل، وَلا عَملٌ إلَّا بِنِيَّةٍ، فَاشْكُروا اللهَ تَعالىٰ علَىٰ مَا أَعطاكُم ومَنَّ به عَلَيكم مِن دِين الإِسلام ومَا حَصَل بِه مِن النِّعم الَّتي لا تُحصَىٰ.

وقَد خَطبَ نَبيُّكم ﷺ وأَنذَرَهم وحَذَّرَهم فَقالَ: «**إِني نَذيرٌ لكُم بَينَ يَدَيْ عَذابٍ شَديدٍ**»(١) فاحْذَروا وَحَذِّروا، فإِنَّ الأَمرَ عَظيمٌ، قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ

=

١٤٢).

وقال ابن حجر رحمه الله تعالىٰ: «ووجه ما احتج به علىٰ التجميع من قوله ﷺ: «**كلكم راعٍ**» أنَّ علىٰ من كان أميرًا إقامة الأحكام الشرعية -والجمعة منها- وكان رزيق عاملًا علىٰ الطائف التي ذَكَرها، وكان عليه أن يراعي حُقُوقهم، ومن جملتها إقامة الجمعة». «الفتح» (٢/ ٣٨١).

(١) طرف من حديث رواه البخاري (ح/ ٤٩٧٢)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٨١)، واللفظ له من حديث عبد الله بن عباس -رضي الله تعالىٰ عنهما- قال: صعد رسول الله ﷺ يومًا الصفا، فقال: «**يا صباحاه**»، قال: فاجتمعت إليه قريش. فقالوا له: ما لك؟ فقال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أما كنتم تصدقوني؟**»، فقالوا: بلىٰ. فقال: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». قال: فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تبًّا لك! فأنزل الله ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ

=

أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ (سبأ: ٤٦).

قَال بَعضُ العُلماءِ في قَولِه: ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ [سبأ:٤٦]: فِيه وُجوبُ القِيامِ للهِ فِيمَا شَرعَه وَأمَر بِه، وقَوله: ﴿لِلَّهِ﴾ فِيه التَّنبيهُ علَىٰ إخلاصِ العَبد في قِيامِه لرَبِّه وَطاعَتِه، فَجَمعت هَذِه الآيَة العَمَلَ بالتَّوحِيد وحُقُوقَه ولَوازِمَه والقِيامَ بذَلِك جِدًّا وَاجْتِهادًا، وَيُشبِه هَذِه الآيَة قَوله تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إلىٰ قَولِه: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ (إبراهيم: ٤٢-٤٤) فجَمَع تَعالىٰ الدِّين كُلَّه في هَاتَين الكَلمَتَيْن ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ [إبراهيم:٤٤] فِيه التَّوحِيدُ؛ لأَنَّه الَّذِي دَعا إِليهِ وَدَعت إِلَيْه رُسُله، وفي قَولِه: ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ [إبراهيم:٤٤] العَمَل بكِتابه وَاتِّباع رَسُولِه ﷺ؛ لأَنَّ مَن اتَّبَع كِتابَه وَرَسُولَه فَقَد اتَّبَع الرُّسُلَ جَميعَهُم، فَمَن عَمِل بِهاتَيْن الكَلِمَتَين فِيما كانَ طَاعَةً للهِ وَلِرسُولِه فقَد فَاز وَنَجا وَحَصَل مَا تَمنَّاه المُفرِّطُون يَوم القِيامَة.

فاللهَ اللهَ فِي الاهْتِمامِ بِهَذَا الشَّأنِ وَالقِيام بِه حَسَب الإمكانِ، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ومِمَّا يَدفَعُ اللهُ بِه العُقوباتِ وَيَزيدُ بِه الحَسناتِ: الصَّدقَةُ علَىٰ الفُقراءِ وَالمسَاكِين كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ

=

ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾ [المسد: ١-٥]».

عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمُۢ﴾ (المزمل: ٢٠). وقَد وَرَد: «**باكِرُوا بالصَّدقَة، فَإنَّ البَلاءَ لَا يتخَطَّاها، وَالحَسَنة بعَشْر أَمثالِها إِلىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعفٍ إلىٰ أَضْعَاف كَثِيرَة**»[1]، وفِي الحدِيث: «**اتَّقوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ**»[2] والآياتُ وَالأحاديثُ فِي فضْلِ الصَّدقَة كَثيرَة[3] وَهي مِن البَاقِياتِ الصَّالحاتِ. وَقَد قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ﴾ (مريم: ٧٦).

نَسأَلُ اللهَ لَنا وَلَكم العَفْوَ وَالعافِيَة، وَالعَونَ علَىٰ مَرضاتِه، فَإِنَّه وَلِيُّ ذَلِك والقَادِرُ عَلَيه، وَلا مَلجَأَ مِنْهُ إلَّا إِلَيه بالتَّوبَة النَّصوحِ وَالإيمانِ وَالعَمَل الصَّالِح، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم، وَهُو حَسبُنا ونِعْم الوَكِيل، وَصلَّىٰ اللهُ علَىٰ سَيِّدنا مُحَمَّد وَعَلىٰ آلِهِ وصَحبِه وَسلَّم تَسليمًا كَثيرًا إلىٰ يَوم الدِّين.

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» موقوفًا عن أنس بلفظ: «**باكروا بالصدقة؛ فإن البلاء لا يتخطىٰ الصدقة**» (٤/ ١٨٩)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**باكروا بالصدقة؛ فإن البلاء لا يتخطاها**». وقال: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه عيسىٰ بن عبد الله بن محمد، وهو ضعيف (٣/ ١١٣). وقال الألباني: ضعيف جدًّا. «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٢٦٤).

(٢) رواه البخاري من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (خ/ ١٤١٧).

(٣) ومن ذلك قال الإمام البخاري في «صحيحه»: باب فضل صدقة الشحيح الصحيح؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المنافقون:١٠]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ثم أَوْرَدَ بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «**أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشىٰ الفقر، وتأمل الغنىٰ، ولا تمهلها حتىٰ إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان**» (ح/ ١٤١٩).

الرسالة السابعة والثلاثون(١)
« حاجة الخاصة والعامة إلى العلم ومجالسة أهله »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مِن عَبْد الرَّحْمن بن حَسَن، إِلىٰ الأَخ المُكَرَّم: فَيصَل بن تُركِي(٢)، سَلَّمَه اللهُ تَعالَىٰ، آمِين، سَلامٌ عَليكُم وَرَحمةُ اللهِ وَبَركاتُه... وَبعدُ:

لا يَخفاكَ أنَّ حَقَّك عَليَّ كَبيرٌ، وأَكبَر مِنه حقُّ اللهِ تَعالَىٰ عَليَّ وَعَلَيك، وَيجبُ عليَّ النُّصحُ لَك وللمُسلمِين باطِنًا وظَاهِرًا، وأَنتَ -بَاركَ اللهُ فِيكَ- أَحسَنْتَ أَحْسَن اللهُ إِليكَ، وَلا لكَ مُكافَأَة إلا بالدُّعاءِ والنُّصْح باطِنًا وظَاهِرًا.

وأَنت اليَومَ حَاجَتُك إِلىٰ العِلم ضَرُورَة في خَاصَّة نَفسِك، وفِيما ابْتُلِيتَ بِه، مِن أُمورِ الخَلقِ، وَالعِلْم بالنَّظَر إِلىٰ أَحوالِ النَّاسِ، مَا بَقِي مَعَهُم إِلا رَسَمَه، كَما قَال عَبد العَزيز ابن المَاجِشُون(٣) - وهُو مِن أَكابِر عُلماءِ القَرنِ الثَّاني -: قَد -

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٤/ ٩٦-١٠٠).

(٢) تقدم التعريف به في الرسالة الخامسة.

(٣) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون المدني، نزيل بغداد، مولىٰ المهدي، ثقة، فقيه، مصنف، من السابعة، مات سنة أربع وستين. «التقريب» (ص٣٥٧).

واللهِ- عَزَّ المُسلِمُون، الَّذِين يَعرِفُون المَعرُوفَ وَبِمَعرِفَتهم يُعرَف، ويُنكِرُون المُنكَر وَبإنْكارِهِم يُنكَر.

فَإذا كانَ هَذَا حال القَرْن الثَّاني، فما ظَنُّك بأَهلِ هَذِه القُرُون، الَّذِين عادَ المَعرُوف فِيهم مُنكَرًا، والمُنكَرُ مَعرُوفًا، نَشأ علَىٰ هَذَا الصَّغِير، وَهَرم عَلَيه الكَبِير، والبِدَع فَشَت فِيمَن يَدَّعي العِلمَ، حَتَّىٰ اعْتَقدوا في رَبِّهم وخَالِقِهم، ما يَتَقدَّس عَنه ويَتعالىٰ، سُبحانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُون.

وهَذَا في حقِّ مَن عَرفَه، إذَا كانَ حازِمًا نَاصِحًا لِنَفسِه، اسْتيقَظ في طَلَب ما يُنْجِيه ويُسعِدُه، في دُنياهُ وَأُخْراهُ، مِن العِلم النَّافِع، وَالعَمَل الصَّالِح، ويَكونُ مَبنَىٰ أَقوالِه وَأفعالِه علَىٰ الإِخلاصِ وَالمُتابَعَة، علَىٰ عِلمٍ وَمَعرِفَة ويَقين.

فمَبنَىٰ العِبادَة علَىٰ مَحَبَّة المَعبُود غَايَة المَحَبَّة، في غَايَة الذُّلِّ وَالخُضُوع، كَما قالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَان
وَعَلَيْهِما فَلَكُ العِبادَةِ دَائِر ... مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ القُطْبَان
وَمَدارُه بِالأَمْر أَمْر رَسُولِه ... لا بِالهَوى وَالنَّفْس والشَّيطَان(١)

فالمُحبُّ للهِ قَلبُه يَخشَع، وَعَينُه تَدمَع؛ يُحاسِب نَفسَه بالإِخلاصِ، وَالمُتابَعَة لِلرَّسُول ﷺ بفِعل مَا أَمَر بِه وَتَرك مَا نَهىٰ عَنه، وهَذَا هُو دَليلُ المَحبَّة، كمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) من قصيدة «الكافية الشافية» المعروفة بـ«نونية ابن القيم».

وهَذَا هُو الصِّراطُ المُستقيم، لَا يَعرِفُه السَّالِك وَلا يَهتَدِي إِلَيه إلا بِالكِتاب والسُّنَّة، عِلمًا وعَملًا، ومَحبَّةً وطَلَبًا، كَما في حَديثِ عَبد الله بنِ عَمرو، عَن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَال: «**لا يُؤْمِنُ أَحدُكُم حَتَّىٰ يَكونَ هَواهُ تَبَعًا لِمَا جِئتُ بِهِ**»[١].

وهَذَا لا يُدرَك إلَّا بالعِلْم النَّافِع؛ والعَلِمُ النَّافعُ لَا يُدرَك إلَّا بالدُّخُول مِن بَاب التَّواضُع، والاعْتِراف بالجَهْل والتَّفريط.

وَقَد كَان أَمير المُؤمِنين عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَستَعِين علَىٰ ما حَمَل مِن أُمورِ النَّاس، بِقُربِ أَهلِ العِلم، وتَقْرِيبِهم إِلَيه، وَكانَ يُقرِّب ابنَ عَبَّاس علَىٰ صِغَر سِنِّه، لِعلْمِه بالتَّأوِيل[٢]، وقَد كَان وَقَّافًا عِند كِتابِ اللهِ تَعالىٰ[٣].

---

(١) رواه البيهقي في «المدخل» برقم (٢٠٩)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» برقم (١٥)، وغيرهما. وقال عنه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٧٧٥): تصحيح هذا الحديث بعيد جدًّا من وجوهٍ، منها: أنه حديث تفرد به نعيم بن حماد المروزي. وذكر عللًا أخرىٰ. وقال عنه الألباني في تخريجه للسُّنَّة لابن أبي عاصم (ص١٢): «إسناده ضعيف».

(٢) روىٰ البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وَجَد في نفسه، فقال: لِمَ تدخل معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات يوم، فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذٍ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر:١]؟ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله، ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم ولم يقل شيئًا. فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ قلت: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه له. قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾، وذلك علامة أَجَلِكَ ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر:٣]. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول. (ح/ ٤٩٧٠).

(٣) روىٰ البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قدم عيينة بن حصين بن حذيفة، فنزل علىٰ ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته؛ كهولًا كانوا أو شبانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، =

ومِن سَعادَةِ العَبد أنْ يَتَّخِذ لَه إِخْوَان صِدْق، مِمَّن لَه عِلمٌ ودِينٌ، يُذَكِّرُونَه إذَا نَسِي، ويُعينُونَه إذا ذَكَر، كَما قالَ بَعضُ السَّلَف: عَليكَ بِإخوَان الصِّدْق، تَعِشْ في أَكنافِهِم -يَعني بالعِلم النَّافِع والعَمَل الصَّالح- فإِنَّهُم زِينَةٌ في الرَّخاءِ، عُدَّةٌ في البَلاءِ، يَأنَس بِهِم أَصحابُهم في هَذِه الدَّار، وفي القُبُور، ويَومَ البَعثِ والنُّشُور.

وَهُم الحُجَّة بَيْن يَدي اللهِ تَعالىٰ، حَال العَرْض علَىٰ اللهِ، وَهُم الَّذِين قَرَن اللهُ تولِّيهم، بتَوَلِّيه وتوَلِّي رَسُوله، كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (المائدة آية: ٥٥-٥٦). وهَذِه أُمورٌ مُتلازِمَة، لا يَكونُ اللهُ تَعالىٰ وَليًّا لِعَبد، حتَّىٰ يَكونَ الرَّسُول لَه وَليًّا، ويَكون المُؤْمِنون هُم أَولياءَه، دُونَ كُلِّ مَن عَداهُم.

وقَد وَصَّىٰ اللهُ تَعالىٰ نَبِيَّه بالصَّبْر مَعَهم، فَقالَ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ (الكهف آية: ٢٨).

ولهَذَا كانَ الحُبُّ في اللهِ وَالبُغْض في اللهِ أَوثَق عُرىٰ الإيمانِ، لِمَا في الحَديثِ

=

فاستأذن لي عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه، قال: هي يابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتىٰ همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالىٰ قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جَاوَزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وَقَّافًا عند كتاب الله. (ح/ ٤٦٤٢).

الصَّحيح: «**أَوثَق عُرىٰ الإيمانِ، الحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ**»(١).

وفي الحَديثِ الآخَر: «**مَن أَحبَّ في اللهِ وَأبغَضَ في اللهِ، وَوَالىٰ في اللهِ وَعَادَىٰ في اللهِ، فَإِنَّما تُنالُ ولايَةُ اللهِ بذَلِك، وَلَن يَجِد عَبدٌ طَعمَ الإِيمانِ، وإِن كَثُرَت صَلاتُه وَصَومُه، حَتَّىٰ يَكونَ كذَلِك**»(٢).

وهُم الَّذِين وَصَّىٰ اللهُ نَبيَّه ﷺ بأنْ يَقولَ لَهُم إذا جَاؤُوه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ٥٤]؛ بَشَّرَهم عَن رَبِّهم بالمَغفِرَة مِن ذُنُوبِهم، إذا تَابوا إلَيْه وأَنابُوا، وَوصَّاه بِهم في قَولِه: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وبِهِ تَتِمُّ مَصالحُ الدُّنيا والدِّين؛ وقالَ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وفي العِلم بِما وَصَّىٰ اللهُ بِه نَبيَّه مِن ذَلِك صَلاح أَمْر الدُّنيا والآخِرَة؛ فارْغَب -وَفَّقك اللهُ- فِيما رَغَّبَ اللهُ بِه نَبيَّه ﷺ فِيهِ.

وأَنتَ اليَومَ تَستَعينُ بكُلِّ صانِعٍ في صَنعَتِه الَّتي يُحْسِن، وتُدوِّر(٣) الطَّيِّب مِن

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٨٦)، وأبو داود الطيالسي (ح/ ٣٧٨)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (ح/ ١٣٤)، والطبراني في «الكبير» (ح/ ١١٥٣٧)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٣٠٧).

(٢) رواه عبد الله بن المبارك في «الزهد» (ح/ ٣٥٣)، واللالكائي في «شرح السُّنَّة» (٥/ ٩٣٥)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٤٠٦) وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٦٨)، والعدني في «الإيمان» (برقم ٦٥)، وكلهم من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس. والليث قال عنه ابن حجر: صدوق، اختلط جدًّا، ولم يَتميَّز حديثه فترك. «التقريب» (ص٤٦٤).

(٣) كلمة عامية بمعنىٰ: تبحث. والشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ يتنزل في أسلوبه في مخاطبته، =

السِّلَع، والطَّيِّب مِن العِلم والإيمانِ والدِّين أَنتَ لَه أَحوَج مِن جَميع ما تَحتاجُ إِلَيه(١)، وَاخْتَر لِنَفْسك مَن تَسْتَعين بِه علَىٰ طاعَةِ اللهِ، وبَراءَة ذِمَّتكَ، بالعَمَل بالمَشْرُوع، في الدَّقِيق وَالجَليل، حتَّىٰ تَسلَم وَتَغنَم.

وَقَد رُؤِي عُمرُ بنُ الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعد مَوتِه، فَقال لَه الرَّائي: مَا فَعل اللهُ بِكَ؟ قَال: كَادَ عَرشي لَينهَدُ، لَولا أَنِّي لَقيتُ غَفورًا رَحيمًا.

فاحْرِص علَىٰ العِلْم وَأَهْل العِلْم، وَاجْعَل بالَكَ لِهَذِه الآية: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٦](٢)، فَلا غَلبَة إلا بِهَذَا السَّبَب العَظِيم، الَّذِي مَن انْتَظَمت لَه هَذِه الثَّلاثَة، غَلَب مَن نَاوَأَه وعَادَاه، مِن قَريبٍ أَو بَعيدٍ؛ لِأَنَّه صَار مَع حِزْب اللهِ، لِهَذِه الثَّلاثةِ: تَوَلِّيه رَبَّه بالإِخلَاصِ، وَخَشيَته، وطَاعَته، وَتَولِّيه رَسُولَه بِمَحَبَّته واتِّباعِه، وَتَولِّيه المُؤمِنين بِمَحَبَّته لَهُم وَقُربِه مِنهُم، ودُنُوِّهم مِنه، وإِكرَامِهم، وَالتَّواضُع لَهُم بِخَفْض الجَناحِ، وَغَير ذَلِك مِمَّا يَجِب لَهُم مِن الحُقُوق الَّتي تَجِب لَهُم دُون غَيرِهم.

واطْلُبهم ولَوْ في أَطرافِ البِلادِ، وَاطْلُب مَا عِندَهُم مِمَّا يُعِينُك علَىٰ هَذَا

=

ويختار الأسهل من الألفاظ ليؤدي المقصد، والذي هو الفهم، وهو الأساس والمقصد، وهذا من حكمته ولطفه رَحِمَهُ اللهُ.

(١) أي: من جميع سائر الحاجات من طبٍّ، وهندسةٍ، وغيرها.

(٢) فالنصر، والتمكين، والغلبة لمَنْ والىٰ الله ورسوله والمؤمنين، وإن كانوا قلةً، وشاهد ذلك الإمام محمد بن سعود، وأبناؤه، وأحفاده لما جعلوا ولايتهم لله ورسوله، والمؤمنين من أهل العلم والتوحيد، وعلىٰ رأسهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وأبناؤه، وأحفاده، وتلاميذه، نصرهم الله، وأعزهم، ومكن لهم في الأرض مع قلتهم.

السَّفَر، فإِنَّ العَبْد في هَذِه الدُّنيا مُسافِر مُحتاجٌ إلىٰ أَخذِ الزَّاد وَالمَزادِ لِلمَعادِ، وَلا حَولَ ولا قُوَّة إلَّا باللهِ العَليِّ العَظيمِ، وَصَلَّىٰ اللهُ علَىٰ مُحمَّد، ١٢٨١ هـ.

الرسالة الثامنة والثلاثون(١)
« رسالة إلى الإمام فيصل بن تركي في وجوب تقريب أهل العلم والصدق وإبعاد أهل النفاق والخيانة والظلم »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مِن عَبدِ الرَّحمَن بنِ حَسَن، إلىٰ الأَخِ الإمام المُحِبِّ المُكَرَّم: فَيصَل بن تُركي، أَلهَمَه اللهُ رُشدَه، وَوَقاهُ شَرَّ نَفسِه، سَلامٌ عَليكُم وَرحمَةُ اللهِ وبَركاتُه.

وبَعدُ؛ تَعلَمُ: أنْ نَصِيحَتي لكَ نَصيحَة للهِ وَلِكتابِه، وَلِرسُولِه، وَلأئِمَّة المُسلمِين وَعامَّتِهم، لأَنَّ بصَلاحِكَ يَقومُ الدِّين، ويَصلُح أَكثرُ النَّاسِ(٢)، وفي

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (١/ ٣٢١-٣٢٥)، وفي «الدرر السنية» (١٤/ ٩٠-٩٥).

(٢) وهذا من فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقريب منها كلمة الإمام الفضيل بن عياض حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أنَّ لي دعوةً مستجابةً ما صَيَّرتها إلا في الإمام. قيل له: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: متىٰ ما صَيَّرتها في نفسي لم تجزني، ومتىٰ صيرتها في الإمام فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد. رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩١) ورواه ابن عبدالبر في «جامع العلم وفضله» (١/ ٦٤١) ورواه أيضًا عنه البربهاري بلفظ: «وإذا جعلتها في نفسي لم تَعْدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد». قال البربهاري معلقًا: فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم، وإن ظلموا وإن جاروا؛ لأنَّ ظلمهم وجورهم علىٰ أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين. =

الحَديثِ: «**الدِّين النَّصيحَة. قَالها ثَلاثًا، قُلنَا: لِمَن يَا رَسولَ اللهِ؟ قَال: للهِ، وَلكِتابِه وَلِرسُولِه، ولِأئِمَّة المُسلِمين وَعامَّتِهِم**»(١)، وقَد جَعل اللهُ لِأهْل الإيمانِ نُورًا يَمشُون بِه في النَّاسِ(٢).

وهَذِه البَلْوىٰ الَّتي ابْتَلىٰ اللهُ بها أَهلَ نَجد، مِن فِتنَة خَالِد وَالعَسْكَر(٣) وقَبْله

=

«شرح السُّنَّة» (ص١٠٨، ١٠٩).

تنبيه: اشتهرت هذه العبارة عن الإمام أحمد، لكن لم تذكر مسندةً، فقَدْ ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوىٰ» (٢٨/ ٣٩١)، و«كشاف القناع» لمنصور البهوتي (٢/ ٣٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولهذا كان السلف؛ كالفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وغيرهما، يقولون: لو كان لي دعوةٌ مستجابةٌ لدعونا بها للسلطان. انظر رسالة «السياسة الشرعية» لابن تيمية (ص٤٥١).

(١) إشارة إلىٰ حديث رواه مسلم من حديث تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**». قلنا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين، وعامتهم**». (ح١٩٦).

(٢) وهو كتاب الله الذي يرشد للتي هي أَسدُّ وأقوم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩]، وقوله تعالىٰ أيضًا: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٢﴾ [الأنعام:١٢٢].

(٣) وهذه الفتنة المراد بها أنه لمَّا قام الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بتثبيت سلطة الدولة في المناطق التي كانت خاضعةً لها في عهد والده، وما كاد ينتهي من هذا حتىٰ أرسل محمد علي باشا حملةً عسكريةً جديدةً إلىٰ نجد للقضاء علىٰ الدولة السعودية الثانية، وقد وصلت تلك القوات إلىٰ القصيم في أواخر ١٢٥٢هـ، ومعها الأمير خالد بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله الذي كان مِمَّنْ نقلهم إبراهيم باشا إلىٰ مصر عندما غادر الدرعية. وبعد معارك عديدة مع قوات محمد علي في العارض والخرج اضطر الإمام فيصل إلىٰ الاستسلام لمنع حدوث المزيد من القتل والدمار في المنطقة، ونقلته قوات محمد علي إلىٰ مصر في رمضان عام ١٣٥٤هـ منهية بذلك الفترة الأولىٰ من حكمه. وبعد ذلك صار الحكم الاسمي =

إِبراهِيم بَاشَا[(١)]، مَيَّز اللهُ بِها أَهلَ نَجد، طَيِّبَهم وَخَبِيثَهم، وَتَفاوَتَت مَراتِبُهم في الشَّرِّ، وَالزَّيغِ وَالفَسادِ، وَكَثْرَةِ السَّفاهَة وَالقَسْوَة، وَلا تَخفَىٰ حَالُهم إِلَّا علَىٰ مَن لا بَصيرَةَ لَه، كَمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]. وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا

=

لخالد بن سعود بن عبد العزيز، والحكم الفعلي لقائد قوات محمد بن علي خورشيد باشا. إلا أن خروج خورشيد باشا إلىٰ مصر، وحصول النزاعات المحلية، وخروج عبد الله بن ثنيان إلىٰ العراق، ومن ثم عودته إلىٰ الرياض من حيث بدأ تحركاته لإنهاء حكم خالد بن سعود في عام ١٢٥٧هـ. انظر «الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية» (ص١٢٤-١٢٨).

(١) إبراهيم هو ابن محمد علي باشا والي مصر للدولة العثمانية، حيث أسندت له مهمة القضاء علىٰ الدولة السعودية الأولىٰ، وكانت أولىٰ حملاته عام ١٢٢٦هـ في عهد الإمام سعود، بقيادة ابنه طوسون محمد علي باشا، ثم أرسل حملة أخرىٰ بقيادة ابنه الآخر إبراهيم محمد علي باشا عام ١٢٣١، حيث واصل تحركاته حتىٰ وصل الدرعية في جمادىٰ الأولىٰ ١٢٣٣هـ وحاصرها، واستمر حصاره لها أكثر من ستة أشهر إلىٰ أن استسلمت، وهدمها إبراهيم باشا، ثم استمر القتال بينه وبين الإمام عبد الله بن سعود. ثم طلب الإمام عبد الله بن سعود التفاوض مع إبراهيم باشا حول عقد الصلح، وإنهاء الحرب حقنًا للدماء مقابل تسليم نفسه، وذلك في ٩ ذي القعدة ١٢٣٣هـ. وأرسل الإمام عبد الله مع مجموعة كبيرة من أفراد أسرته وأسرة آل الشيخ إلىٰ مصر، ثم نقل إلىٰ إستانبول حيث قتل هناك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأمر من السلطان العثماني عام ١٢٣٤هـ.

ودخل إبراهيم باشا الدرعية، وبقي فيها تسعة أشهر، وعاشت قواته فيها تدميرًا وتخريبًا، وفرَّق إبراهيم باشا قواته في نواحي نجد لهدم أسوار بلدانها وحصونها، ومصادرة أرزاق أهلها، ثم أمر بهدم الدرعية وحرقها، وقطع نخيلها وأشجارها قبيل مغادرتها في شعبان عام ١٢٣٤هـ. انظر «الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية» (ص ٦٨-٩٨).

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ (العنكبوت آية: ١- ١١)، وهَذَا أمْرٌ مُشاهَدٌ لِمَن جَعل اللهُ في قَلبِه نُورًا.

وقَد وَسَم اللهُ المُنافِقِين بأَقوالِهم وَأعْمالِهِم، وَجَعل اللهُ أَهل الإِيمان شُهداء علَىٰ النَّاس، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ﴾ (التوبة آية: ١٠٥).

فَيَجبُ علَىٰ مَن وَلَّاه اللهُ أَمرَ الدِّين وَالدُّنيا أنْ لَا يَتَّهِمَ مَن أَقامَهُم اللهُ شُهداءَ علَىٰ النَّاس، وَهُو يَعلَم مِنْهُم مَحَبَّةَ الإِسلامِ وَمَحبَّةَ أَهلِه، وَبُغضَ البَاطِل وَأَهْلِه؛ فَكَيف لَا تَقبَل شَهادَةُ مَن أَقامَهم الرَّبُّ تَبارَك وتَعالىٰ شُهداءَ في أَرضِه علَىٰ أَعمَال خَلقِه، وَقَد قَال في المُؤمِنين والمُهاجِرين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ (الأنفال آية: ٧٢). وَقَال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ (الأنفال آية: ٧٣).

وَمِن الفَسادِ الكَبير - علَىٰ ما ذَكر العُلماءِ -: ضَعف الإِيمان، وَقُوَّة البَاطِل. وَقَد حَذَّر اللهُ نَبِيَّه ﷺ مِن طَاعَة الكَافِرين وَالمُنافِقين، فقَالَ تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ (الأحزاب آية:١). عَليمًا بما يُصلِح عِبادَه، حَكيمًا في أَقوالِه وَأفعالِه وَشَرعِه وَقَدرِه.

وَلَمَّا كانَ التَّحذِيرُ مِن أُولِئك مِن أَهَمِّ مَقامَات الدِّين[١]، قالَ اللهُ تَعالىٰ لِنَبِيِّه: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة آية: ٤٩). وقالَ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ (الكهف آية: ٢٨). وَقالَ: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ (طه آية: ١٦).

وَفِي الأَثَر: تَحبَّبُوا إلىٰ اللهِ ببُغْضِ أَهل المَعاصِي، وَتَقرَّبُوا إلىٰ اللهِ بالبُعْد عَنهُم، وَاطلُبوا رِضَا اللهِ بسخطِهم. وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (القلم آية: ٣٥-٣٦)، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الجاثية آية: ٢١). فالمُساوَاة بَين أَهلِ الأَهواءِ وَالزَّيغ وَالمعَاصِي، وَجَعْلُهم في رُتبَةِ أَهلِ الإيمانِ، أَو فَوقَهُم، خِلافُ مَا أَحَبَّه اللهُ، وَأَمَر بِه عِبادَه؛ وَهُو في نَفسِه فَسادٌ، وذَلِك سَببُ سخطِ اللهِ، وَحُلُولِ عَذابِه.

فَعَليك بِقُرب مَن إذا قَرَّبْتَهم قَرَّبَك اللهُ وَأَحبَّك، وإِذا نَصرتَهُم نَصَرَك اللهُ

---

(١) والشيخ في ذلك متبع لطريقة السلف في التحذير من أهل الباطل من كافرين ومنافقين وأهل هوىٰ، فإن ذلك من واجبات الدين والإيمان؛ حمايةً للدين والسُّنَّة والعقيدة، وذلك أن المتدبِّر لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسُنَّة النبي ﷺ يجد أن الدين مبنيٌّ علىٰ أصلين عظيمين، هما: التأصيل والتحذير، تأصيل الحق وبيانه، والتحذير من الباطل بكل أشكاله، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:٦٨].

وَأَيَّدَك؛ وَاحْذَر أَهلَ البَاطِلِ الَّذِين إذا قَرَّبْتَهُم أَبعَدَكَ اللهُ، وَأَوجَبَ لكَ سخطَهُ، قَالَ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ (الأحزاب آية: ١٧).

وفي الحَديثِ: «**مَن الْتَمسَ رِضَىٰ اللهِ بِسَخَط النَّاسِ، كَفاهُ اللهُ مَؤُونَة النَّاس، وَمَن الْتَمَس رِضىٰ النَّاسِ بِسَخَط اللهِ، لَمْ يُغنُوا عَنْه مِن اللهِ شَيئًا**»(١). وقَد رَأَينَا عَجبًا أنَّ مَن الْتفَتَ إلىٰ أَحدٍ دُون اللهِ، خَذَلَه اللهُ بِه، وَسَلَّطَه عَلَيْه؛ قَالَ العُلماءُ رَحِمَهُم اللهُ: «**قَضىٰ اللهُ قَضاءً لا يُرَدُّ، وَلا يُدفَعُ: أَنَّ مَن أَحَبَّ شَيئًا دُونَ اللهِ عُذِّبَ بِه، ومَنْ خَافَ شَيئًا دُونَ اللهِ سُلِّطَ عَلَيْه**»(٢).

وَأَنتَ تَجِدُ وَتَرىٰ كَثيرًا مِن النَّاس، قَدَّمَهُم وُلاةُ الأَمرِ في شَيْءٍ مِن أُمُورِهِم، فَتَعَزَّزُوا علَىٰ النَّاس، وتَجَاسَرُوا علَىٰ الأَهواءِ، وَمُخالَفَة الشَّرع في أَقوالِهِم وَأَعمالِهِم، فَخَافَهُم أَهلُ الدِّين، فَمِنْهُم مَن ذَلَّ لَهُمْ وَاعْتَذَر بِعَدَم القُدرَة، ومِنْهُم مَن اسْتَصْلَح دُنياهُ خَوفًا مِن كَيدِهِم.

وَأَنتَ(٣) تَجِدُ هَؤلاءِ إذَا ظَهَرَت حَالُهم كَابَروا العُقولَ بِزُخرُفٍ مِن القَولِ

---

(١) رواه الترمذي (ح/ ٢٤١٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كتابها إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٣٩٢).

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٠٠)، والترمذي (ح/ ٢٥١٨)، والنسائي (ح/ ٥٧١٤) عن الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ وريحانته. وقال عنه الترمذي: حسن صحيح. وأطال في تخريجه، وذكر رواياته ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٢٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣/ ١٤٤).

(٣) في المطبوع: «وأن تجد».

وَالكَذِب، وَاسْتَعانُوا علَىٰ إِفكِهِم بأَمثَالِهِم مُحافَظةً علَىٰ العُلوِّ والفَسَاد.

فَلو وُفِّق الإمامُ بالاهْتِمام بالدِّين، واخْتارَ مِن كُلِّ جِنسٍ أَتْقاهُم وَأَحَبَّهُم، وَأَقرَبَهُم إِلىٰ الخَيْر، لَقَامَ بِهِم الدِّينُ وَالعَدْلُ، فَإِذا أَشكَل عَلَيه كَلام النَّاس، رَجَع إلىٰ قَولِه ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ**»(١).

فَإِذا ارْتابَ مِن رَجُلٍ، هَل كَانَ يُحِبُّ مَا يُحِبُّه اللهُ؟ نَظَر في أُولَئِك القَوم، وَسَأَل أَهلَ الدِّين: مَن تَعلَمُونَه أَمْثَل القَبيلَة أَو الجَمَاعَة في الدِّين، وَأَولَاهُم بِولَايَةِ الدِّين وَالدُّنْيا؟ فَإِذا أَرشَدُوه إلىٰ مَن كَانَ يصْلحُ ذَلِك، قدَّمَه فِيهِم.

ويَتعَيَّن عَليه أنْ يَسأَلَ عَنهُم مَن لَا يَخفاهُ أَحوالَهُم، مِن أَهلِ المَحلَّةِ وَغَيرِها، فَلَو حَصَل ذَلِك لَثبَت الدِّين، وبِثَباتِه يَثبُت المُلكُ؛ وبِاسْتِعمالِ أَهل النِّفاقِ وَالخِيَانَة وَالظُّلْم، يَزُول المُلكُ، وَيَضعُف الدِّينُ، وَيَسودُ القَبيلَةَ شِرارُهَا، وَيَصيرُ علَىٰ وُلاةِ الأَمْر كِفْلُ(٢) مَن فَعَل ذَلِك.

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٠٠)، والترمذي (ح/ ٢٥١٨)، والنسائي (ح/ ٥٧١٤) عن الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ وريحانته. وقال عنه الترمذي: حسن صحيح. وأطال في تخريجه، وذكر رواياته ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٢٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣/ ١٤٤).

(٢) في المطبوع: «كفعل»، ولعل الصحيح ما أثبت، كما في المخطوط، والمراد بـ «كفل»، أي: نصيب من إثم سيادة هؤلاء الأشرار وأهل النفاق علىٰ ولاة الأمر؛ لأنهم هم الذين قربوهم، وكان ذلك سببًا لتَسلُّطهم علىٰ الناس ممَّا ترتب علىٰ ذلك مفاسد، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء:٨٥]. قال في «لسان العرب»: الكِفْل: النصيب والجزء. «لسان العرب» (١١/ ٥٩٠).

فالسَّعيدُ مَن وُعِظ بِغَيرِه، وَبِما جَرىٰ لَه وَعَليْه؛ وَأَهل الدِّين هُم أَوتَاد البِلادِ وَرَواسِيها، فَإِذَا قُلِعَت وَكُسِر، مَادَت وَتَقَلَّبَت، كَما قَالَ العَلَّامَة ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مِيمِيَّتِه»:

وَلَـولاهُم كَـادَت تَميـدُ بِأَهلِهـا ... وَلَكِـن رَوَاسِـيها وَأَوتَادهَـا هُـمُ[1]

فَأَنتَ إِذَا فَعَلت مَا قُلتُ لكَ، قَام بِكَ الدِّين والعَدْلُ، وصَارَت سُنَّةً حَسَنةً في هَذَا الزَّمانِ، وَنِلْتَ أَجرَ مَن أَقامَ السُّنَّة، كَما في الحَديثِ: «**مَن سَنَّ في الإِسلامِ**[2] **سُنَّةً حَسنةً، كَان لَه أَجرُها وَأَجرُ مَن عَمِل بِها إِلىٰ يَومِ القِيامَةِ، مِن غَيْر أَن يَنقُص مِن أَجْرِهم شَيءٌ**»[3]، فإِنِ انْعَكَس الأَمْر كَما هُو الوَاقِع، كَانَت سُنَّةً سَيِّئَةً «**عَلَيه وِزرُها وَوِزْرُ مَن عَمِل بِها إِلىٰ يَومِ القِيامَة، مِن غَير أَنْ يَنقُص مِن أَوزَارِهِم شَيءٌ**»[4].

وَمِن المَعلُوم أَنَّ النَّفسَ تَميلُ إِلىٰ الرَّاحَةِ، وَطَلَب رِضَىٰ الخَلْق، وَفي النَّظَر فِيما يُرضِي اللهِ مُخالَفَة لِلخَلْق أَو بَعضِهم، وَلَكِن طَريق الجَنَّة حَزْنٌ[5] بِرَبوةٍ، وَاقْرأَ قَولَه تَعالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقوله:

---

(١) بيت من «القصيدة الميميَّة» لابن القيم، وجاء بعده:

ولـولاهم كانـت ظلامًـا بأهلهـا ... ولكـنهم فيهـا بُـدُورٌ وأنجـمُ

انظر القصيدة «الميمية» (ص٣١٧)، طبعت ملحقة لكتاب «الكافية الشافية» له.

(٢) في المطبوع: «من سن سُنَّة» بدون ذكر: «في الإسلام».

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٣٥١) و(٦٨٠٠).

(٤) رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٣٥١) و(٦٨٠٠).

(٥) الحَزْن بفتح الحاء وتسكين الزاي: هو ما غلظ من الأرض، وهو الخشن. «لسان العرب» (١٣/ ١٢٢).

﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١]، وقولَه: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقولَهُ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦].

فإِذَا عُرِف أنَّ العَبدَ لا يَأتِيه مَا يَكرَه، إلا مِن شُرورِ نَفسِه، وَسَيِّئاتِ أَعمالِه(١)، وأَن نَواصي الخَلْقَ في قَبضةِ الرَّبِّ تَباركَ وتَعالىٰ، وأنَّ قُلُوبَهم بَين إِصبَعَين مِن أَصابِعه(٢)، أَفادَكَ القِيامَ بِدينِه، وَالأَخذَ في أَسبابِ ذَلِك، والحُبَّ فِيه وَالبُغضَ فِيه، وَالتَّقريبَ لَه(٣) وَالإبعادَ لِأجلِهِ، وَجَعَلْتَ أَفعالَك تُطابِقُ أَمرَه الشَّرعِيَّ الدِّينيَّ، وتَتَحرَّىٰ مَرضاتِه في كُلِّ قَولٍ وَفِعلٍ، وَتَقديمٍ أَو تَأخِيرٍ، أَو غَير ذَلِك.

فلَو صَلحَ تَدبِير الإِمام فِيما وَلَّاه اللهُ مِن الحَاضِرَة، أَصلَح اللهُ البَوادِي وَغَيرَهم(٤)، فإِنَّ الأَعمالَ حُجَّة لكَ أَو عَليكَ؛ وَأنتَ سَالمٌ، وَالسَّلامُ، وَلا حَولَ

والربوة: المكان المرتفع من الأرض، وهي أحسن ما يكون فيه النبات. «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٤٢). ومراد المؤلف أن طريق الجنة مليء بالابتلاءات والمحن، ومعاداة كثير من الخلق، فالمؤمن يحتاج في طريقه للجنة إلىٰ الصبر والمصابرة والمجاهدة لينال بعده المكان الرفيع الأنيس الذي فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥].

(٢) إشارة إلىٰ قوله ﷺ: «**ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه**»، رواه أحمد (٤/ ٣٢١)، وابن ماجه (ح/ ١٩٩)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (ح/ ٢١٩)، وصححه الألباني في تخريج «السُّنَّة».

(٣) في المطبوع: «والتقرب له». والصحيح ما أثبت، لأنها مقابلة لقوله: والإبعاد لأجله.

(٤) وهذا من السياسة الشرعية، فإن الحاكم إذا أصلح بلده الذي هو فيه، وعاصمة دولته، وأقام فيها حدودًا، صلحت بذلك سائر القرىٰ وأهل البوادي.

وَلا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظيمِ، وصَلَّىٰ اللهُ علَىٰ نَبيِّنا مُحمَّد وآلِه وَصَحبِه وَسَلَّم.

الرسالة التاسعة والثلاثون[١]
«حقيقة التوحِيد ووجوب معرفته»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِن عَبدِ الرَّحمَن بن حَسَن، إلىٰ الأَخَوين المُكَرَّمَيْن: مُحمَّد بن عَبدِ الله، وعَبدِ الله بنِ سَالم[٢]، سَلامٌ عَلَيكُم ورَحمةُ اللهِ وَبَركاتُه.

وَما ذَكرْتُما عَن نَصْب الشَّيخ عَبد اللَّطيف[٣] لِهؤلاءِ الثَّلاثَة، فالعَادَة أنَّ مِثلَ هَذَا يُراجَع فيه الإِمَامُ، لِأَنَّ نَصبَه لَه[٤] في أَمرٍ خَاصٍّ، وهُو فَصل القَضايا بَين النَّاس، وأَمَّا النَّظرُ فيمَا يَصلُح للإمَامةِ وَالتَّدريسِ، فَيُردُّ إلىٰ الإمَام وَرُبَّما أنَّ الإمامَ يَجعَل لَنا فِيه بَعضَ الشُّورىٰ[٥]، لأَنَّ كَثيرًا مِن النَّاس ما يَخفانَا حَالُهم،

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١/ ٣١٩-٣٢٢)، ومجموعة «الرسائل والمسائل» (٢/ ٨٤-٨٧).

(٢) لم أجد لهما ترجمة.

(٣) أي تنصيب الإمام للشيخ عبداللطيف للقضاء والفصل بين الناس، أما ما سواهما كالإمامة والتدريس، فراجع للإمام.

(٤) أي: تنصيب الإمام للشيخ عبد اللطيف للقضاء والفصل بين الناس، وأما ما سواهما؛ كالإمامة والتدريس، فراجع للإمام.

(٥) وفي ذلك أهمية رجوع الخاصَّة والعامة للعلماء الربانيين أهل السُّنَّة، منهم علماء الجرح

وعَقائِدُهم، ونَصبُ الإمامِ القُضاةَ بِنَجْد كَذَلِك.

والشَّيخ أَحْمَد بن مشرف[(١)] يُسامِيٰ الأَكابِر وَمِثْلهم[(٢)] مَا يُنْسَب لَه، والَّذِي نَعلَم عَنه صِحَّة المُعتَقَد في تَوحيدِ الأَنبياءِ وَالمُرسَلِين الَّذِي جَهِلَه أَكثرُ الطَّوائِف، كذَلِك هُو رَجلٌ سَلفِيٌّ، يُثْبِتُ مِن صِفاتِ الرَّبِّ تَعالىٰ مَا وَصَف بِه نَفسَه وَوَصَفَه بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ علَىٰ مَا يَليقُ بِجَلالِ اللهِ وَعَظَمَتِه .

وأَمَّا أَهلُ بَلَدِكُم في السَّابِق وَغَيرِهم، فَهُم أَشاعِرَة[(٣)]، وَالأَشَاعِرَة أَخطَؤُوا في ثَلاثٍ مِن أُصولِ الدِّين، منها: تَأويلُ الصِّفات، وهُو صَرفُها عَن حَقيقَتِها الَّتي تَلِيقُ باللهِ، وَحَاصِل تَأوِيلِهم: سَلبُ صِفاتِ الكَمالِ عَن ذِي الجَلالِ.

=

والتعديل، وهم حُمَاة الدِّين والعقيدة، ومنهم هذا الإمام الهمام الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) العلامة الفقيه المحدث المتقن، الشيخ أحمد بن علي بن حسين بن مشرف التميمي المالكي الأثري السلفي. ولد بالأحساء، وأخذ العلم عن جماعةٍ من أهلها، منهم الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام، ونظم رسالة «أبي زيد القيرواني في فقه مالك»، وله ديوان شعر مطبوع متداول، يشتمل علىٰ منظومة سماها: «جوهرة التوحيد»، وفيه نظمه لعقيدة ابن أبي زيد القيرواني، و«الشهب المرمية في الرد علىٰ المعطلة والجهمية»، و«نغمة الأغاني في عشرة الإخوان»، تشتمل علىٰ الأدب والسلوك، ومدائح في الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود وابنه عبد الله. تولىٰ القضاء في الأحساء في آخر أيام الإمام فيصل بن تركي، وأول أيام ابنه الإمام عبد الله. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة خمس وثمانين ومئتين وألف، وهي السنة التي توفي فيها العلامة الإمام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ. «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد» (١/ ٢٨٦-٢/ ٦٣٩).

(٢) أي: أولئك الذين نصبهم الشيخ عبد اللطيف للإمامة، وهم أشاعرة، فمثل هؤلاء لا ينسبون عقيدةً للشيخ أحمد بن مشرف، فهو سلفي الاعتقاد، وهؤلاء أشاعرة.

(٣) تقدم التعريف بهم في الرسالة الخامسة.

أَيضًا أَخَذُوا بِبدعَة عَبدِ الله بن كُلَّابٍ[١] في كَلام الرَّبِّ تَعالىٰ وَتَقدَّس، وَرَدُّ العُلماءِ عَلَيْهم في ذَلِك شَهيرٌ، مِثلُ الإمام أَحمَد، والشَّافِعي وأَصحابِه، والخَلَّال في كِتابِ «السُّنَّة»، وإِمام الأَئِمَّة مُحمَّد بن خُزَيْمَة، واللَّالَكائِي، وَأَبو عُثمَان الصَّابُونِي الشَّافِعِي، وابن عَبدِ البَرِّ، وغَيرهم مِن أَتباعِ السَّلَف؛ كَمُحمَّد بنِ جَريرٍ الطَّبَرِي، وشَيخ الإِسلام الأَنْصارِي .

وَقَد رَجَع كَثيرٌ مِن المُتكَلِّمِين الخَائِضِين[٢]، كالشّهرِسْتَانىٰ[٣] شَيخِ أَبي المَعالِي، وكذَلِك أَبُو المَعالي[٤]، والغَزَّالِي[٥].

---

(١) عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان من أئمة الكلام، صاحب التصانيف في الرد علىٰ المعتزلة، وكلاب لقبٌ لُقِّبَ به لقوته في المناظرة. وعلىٰ طريقته سار الأشعري في طوره الثاني بعد تركه الاعتزال، ثم ترك طريقته، ورجع إلىٰ طريقة الإمام أحمد. توفي بعد سنة ٢٤٠هـ. انظر «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٤٩)، «الملل والنحل» (١/ ٣٦، ١١٨)، «لسان الميزان» (٣/ ٢٩٠)، «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية» (٥/ ٥٥٥-٥٥٨)، (١٢/ ٣٦٦-٣٦٧)، «سير الأعلام» للذهبي (١١/ ١٧٤).

(٢) وقد نقل أقوالهم في رجوعهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحموية» (ص٢٠٧-٢١١)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٢٦٢)، وانظر «شرح الطحاوية» (١/ ٢٤٥/ ٢٤٧)، و«سير الأعلام» للذهبي (١٨/ ٤٧٤).

(٣) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني. المتكلم علىٰ مذهب الأشاعرة. من مؤلفاته: «الملل والنحل»، و«نهاية الإقدام». توفي سنة ٥٤٨هـ. انظر «لسان الميزان» (٥/ ٢٦٣)، «الوافي بالوفيات» للصفدي (٣/ ٢٧٨).

(٤) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الملقب بإمام الحرمين، من علماء الشافعية، وكبار أئمة الأشاعرة. توفي سنة ٤٧٨هـ. انظر ترجمته «تبيين كذب المفتري» (ص٢٧٨)، «وفيات الأعيان» (٣/ ١٦٨)، «طبقات الشافعية» (٣/ ٢٤٩)، «البداية والنهاية» (١٢/ ١٢٨).

(٥) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي الأشعري الصوفي أبو حامد الغزالي، تفقه علىٰ إمام الحرمين الجويني. له مصنفات منتشرة في فنون عديدة. يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عما كتب في بعض كتبه، في الكتب التي يقال: «إنها مضنون بها علىٰ غير أهلها، ما هو =

وَكذَلِك الأَشْعري[١] قَبلَهُم في كِتابِ «الإبَانَة» وَ«المقَالات»، ومَع هَذَا وغَيره فبَقِي هَذَا في المُتأَخِّرين المُقلِّدِين لِأُناسٍ مِن المُتأَخِّرين لَيْس لَهُم اطِّلاعٌ علَىٰ كَلامِ العُلماءِ، وَكانُوا يُعَدُّون مِن العُلماءِ.

وَأخْطَؤوا أَيضًا في التَّوحِيد، وَلم يَعرِفُوا مِن تَفسِير لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، إِلَّا أَنَّ مَعناهَا القَادِرُ علَىٰ الِاخْترَاع. وَدَلالَة لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ علَىٰ هَذَا دَلالَة الْتِزام[٢]، لأَنَّ هَذَا مِن تَوحيدِ الرُّبُوبيَّة الَّذِي أَقرَّ بِه الأُمَمُ وَمُشرِكو العَربِ، كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ الآيات (المؤمنون: ٨٤-٨٩) وَهِي كَثيرةٌ في القُرآنِ، يَحتَجُّ تَعالىٰ عَليْهِم بذَلِك، علَىٰ ما أَنكَرُوه مِن تَوحيدِ الإلهِيَّة، الَّذِي هُو مَعنىٰ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، مُطابقةً وتَضمُّنًا[٣].

وهو الَّذِي دَعا إِلَيه النَّاس في أَوَّل سُورة البَقَرة، وفي سُورَة آل عِمران والنِّساء[٤] وَغَيرها، ودَعَت إِلَيْه الرُّسُلُ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢] وَهُو الَّذِي

=

فلسفة محضة، مخالفة لدين المسلمين واليهود والنصارىٰ، وإن كانت قد عُبِّر عنها بعبارات إسلامية». «شرح الأصبهانية» (ص٥٧٩). توفي ٥٠٥هـ. انظر «تبيين كذب المفتري» (ص٢٩١)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٢١٦)، «طبقات الشافعية» (٦/ ١٩١) «البداية والنهاية» (١٢/ ١٧٣).

(١) تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة.

(٢) أي أن «لا إله إلا الله» ليس المراد بها الإقرار بالربوبية، بل المعنىٰ: لا معبود بحق إلا الله، وأما الإقرار بالربوبية فمن لوازمها الإيمان بـ «لا إله إلا الله» الذي هو معنىٰ توحيد الألوهية.

(٣) تقدم الكلام علىٰ هذا في الرسالة الثالثة عشرة.

(٤) كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، وكما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

=

دَعا إِلَيْه رَسولُ اللهِ ﷺ وَفدَ نَصارَىٰ نَجرانَ(١)، ودَعا إِلَيْه العَرَبَ قَبلَهم، كَما قالَ أَبُو سُفيانَ لِهِرَقْل(٢) لَمَّا سَأَلَه عَمَّا يَقولُ، قَال: يَقولُ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾ (النساء:٣٦)، وَكُلُّ السُّورِ المَكيَّة في تَقريرِ مَعنَىٰ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَبَيانُه.

فَإذا كانَ العُلماءُ في وَقْتِنا هَذَا وقَبْلَه في كَثيرٍ مِن الأَمصارِ مَا يَعرفونَ مِن مَعنىٰ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ إِلَّا تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة كَمَن كَان قَبلَهُم في عَصْر شَيْخ الإِسلام ابنِ تِيمِيَّة وابنِ القَيِّم وابن رَجَب، اغْتَرُّوا بقَولِ بَعضِ العُلماءِ مِن المُتَكَلِّمِين: إِنَّ مَعنىٰ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، القَادِرُ علَىٰ الِاخْتراعِ(٣)، وَبَعضُهم يَقولُ مَعناها: الغَنِيُّ عَمَّن سِواه، المُفْتَقِرُ إِلَيْه مَا عَداهُ.

وَعُلماءُ الأَحْسَاء مَا عَادَوْا شَيخَنا رَحِمَهُ اللهُ في مَبدَإِ دَعوَتِه إِلَّا مِن أَجلِ أَنَّهُم ظَنُّوا أَنَّ عِبادَةَ يُوسُف وَالعيدروس(٤) وأَمثَالِهِما، لَا يُستَفادُ بُطلانُها مِن كَلِمَة

=

[آل عمران: ٦٤]، وكما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ [النساء:١].

(١) وهم الذين أنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلىٰ بضع وثمانين آية منها. كما قال ابن كثير في «تفسيره». وقد نقل قصتهم كاملة ابن هشام رَحِمَهُ اللهُ في «سيرته» (١/ ٥٧٣)، وأوردها ابن كثير في «تفسيره»، في تفسير سورة آل عمران، وأورد جزءًا منها البخاري في «صحيحه» (ح/ ٣٧٤٥).

(٢) طرف من حديث رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب بدء الوحي (ح/ ٧).

(٣) قد تكلمت عن تعريف المتكلمين للإله، والرد عليهم في الرسالة الخامسة، والعاشرة، والثانية والثلاثين.

(٤) أبو بكر بن عبد الله العيدروس، ولد سنة ٨٥١هـ، أحد شيوخ التصوف بحضرموت، رحل إلىٰ عدن، فلقي السلطان عامر الطاهري، فاعتنىٰ به عنايةً كبرىٰ. وقبره يُعبَد في اليمن. (ت٩١٤هـ). انظر: «الصوفية في حضر موت» (ص٣٨) لأمين أحمد السعدي.

الإِخلاصِ(١).

وَاللهُ سُبحانَه بَيَّن لَنا مَعنَىٰ هَذِه الكَلِمَة في مَوَاضِعَ كَثيرَةٍ مِن القُرآنِ، قَالَ تَعالَىٰ عَن خَليلِه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الزخرف: ٢٦ -٢٨) فعَبَّر عَن هَذِه الكَلِمَة بِمَعناهَا، وَهُو: نَفي الشِّرْك في العِبادَةِ، وقَصْرُها علَىٰ اللهِ وَحْدَه(٢). وقَال عَن أَهل الكَهْف: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ (الكهف: ١٦) فإِذَا كَان هَذَا التَّوحِيد، الَّذِي هُو حَقُّ اللهِ علَىٰ العِبادِ، قَد خَفِي علَىٰ أَكابِر العُلماءِ في أَزمِنَة سَلَفَت، فَكيفَ لَا يَكونُ بَيانُه أَهَمَّ الأُمُور؟ خُصوصًا إِذَا كانَ الإنسانُ لَا يَصِحُّ لَه إِسلامٌ وَلا إِيمانٌ إِلَّا بِمَعرِفَة هَذَا التَّوحِيد وَقَبُولِه وَمَحَبَّته والدَّعوَة إِلَيه، وَتَطلُب أَدِلَّته، وَاسْتِحضارِها ذِهنًا وَقولًا وَطَلَبًا وَرَغْبةً.

فَهَذِه نَصيحةٌ مِنِّي لِكُلِّ إنسانٍ، دَعاني إِلَيْها غُربَةُ الدِّين وَقِلَّة المَعرِفَة، فيَنبَغِي أَنْ تُشاعَ وَتُذاعَ في مَحَاضِر أَهل العِلْم، يَقبَلُها مَن وَفَّقَه اللهُ لِلخَيْر، فَإِنَّها خَيرٌ مِمَّا كَتَبتُم فِيه بِأَضْعاف أَضعَاف. وَصَلَّىٰ اللهُ علَىٰ مُحمَّد وآلِه وَسَلَّم .

---

(١) وهذا كله ناتج عن سوء فهمهم لمعنىٰ كلمة التوحيد، وكلمة الإله. النظر الرسالة الخامسة، والعاشرة، والثانية والثلاثين.

(٢) انظر الرسالة الثلاثين، والخامسة والثلاثين، والحادية والأربعين.

الرسالة الأربعون[١]
« سبيل العز والتمكين في الأرض »

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِن عَبد الرَّحْمَن بن حَسَن إِلىٰ الإِمام عَبْد الله بن فَيصَل[٢]، سَلَّمَه اللهُ تَعالىٰ وَتَولَّاه. سَلامٌ عَلَيكُم وَرَحْمَة اللهِ وَبركَاتُه.

وَتَفهَمُ أَنَّ الدِّينَ النَّصيحَةُ[٣]، وَأَحقُّ مَن أَنصَح نَفسِي ثُمَّ أَنتَ يا إِمامَ المُسلِمِين، وَرَأيتُ الأَمرَ ضَاعَ، وَكَثُر الأَعداءُ، وَاسْتَحكَمَت أُمُورُهم، وَصَعُبَت عَلَيْكُم.

---

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٤/ ١٢٢-١٢٤)، وهذه الرسالة التي كتبها الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ هي رسالة عظيمة وتاريخية، فهي تذكير بحال نجد وما أصابها علىٰ أيدي أعدائها، وكيف كانت قبل ذلك من قيامها علىٰ التوحيد، وتعظيمها له، والدعوة إليه، وعدم اغترارهم بزخرفة الدنيا حتىٰ آل الأمر إلىٰ ما آل إليه مما ذكره الشيخ عبد الرحمن. كما تضمنت هذه الرسالة بيان سبيل التمكين في الأرض، وأن من نصر الحق، نصره الله، ومن تهاون فيه، فإنه يحصل له ما كتبه الله في سُنَّته الكونية، كما سيأتي مما جاء في هذه الرسالة من أدلة نقلية، وقواعد شرعية. كما أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان يستعمل بعض الألفاظ العامية لأن القصد فهم مضمون الرسالة وهو غايتها.

(٢) تقدم التعريف به في الرسالة السادسة والثلاثين.

(٣) كما جاء في حديث أبي رقية تميم الداري وسيأتي في الرسالة الرابعة والأربعين.

وَهُنا سَببٌ فِيه ذَهَابُ الأَعداءِ مَع النِّيَّة الصَّالِحَة، وَتَهتوهُ بالفِعْل(١)، وَأَمَّا القَولُ فتَذكُرونَه صَباحًا ومَساءً، وذَلِك لا يُجدِي شَيئًا. وباين(٢)لَكَ مَا جَرىٰ علَىٰ أُولَئِك، مَع مَا بَيَّنُوه مِن هَالدِّين(٣)، ومَعَهُم حَسَنةٌ تَعدِلُ مَا عَمِل بِه الخَلايق(٤)، فَكَيف بِكُم اليَومَ، جَعَلتُمُوها أُمورَ مُلكٍ وَرَأَيتُم الخَلَلَ؟!

تَفهَم أنَّ أَوَّل مَا قَام بِه جَدُّك مُحمَّد وَعَبد الله وعَمُّك عَبد العَزيز(٥) أنَّها

(١) أي: خالفتموه بالفعل.

(٢) في المطبوع: «وقد بان».

(٣) في المطبوع: «هذا الدين».

(٤) في المطبوع: «الخلائق».

(٥) هؤلاء الثلاثة مع سعود الآتي ذكره هم أئمة وحكام الدولة السعودية الأولىٰ، وهم حسب ترتيب حكمهم:

١- الإمام محمد بن سعود بن مقرن، ولد عام ١١٠٩هـ، وتولىٰ إمارة الدرعية، وأسس الدولة السعودية عام ١١٥٧هـ حيث كان اتفاق ومناصرة محمد بن سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، وتجديد ما اندرس من أمر التوحيد والكتاب والسُّنَّة. واستمر الإمام محمد بن سعود في الحكم حتىٰ وفاته في نهاية ربيع الأول من عام ١١٧٩هـ.

٢- الإمام عبد العزيز بن محمد سعود، حيث تولىٰ الحكم بعد وفاة والده في عام ١١٧٩هـ، واستأنف بناء الدولة السعودية الأولىٰ، ونشر الدعوة السلفية، وامتد نفوذ الدولة في عهده، واستمر حكمُهُ حتىٰ قتل شهيدًا إن شاء الله عام ١٢١٨هـ علىٰ يد رافضي من أهل العمارة من العراق، قتله وهو يصلي في مسجد الطرفية بالدرعية، وذلك انتقامًا لما قام به من إزالة الأمكنة الشركية، وإيقاف الممارسات المخالفة للتوحيد في كربلاء والنجف.

٣- سعود بن عبد العزيز بن محمد، ولد بالدرعية عام ١١٦١هـ، وتولىٰ الحكم خلفًا لوالده الإمام عبد العزيز في عام ١٢١٨، وامتدَّ نفوذ الدولة في عهده إلىٰ إمارات ساحل الخليج العربي وعمان، كما امتد نفوذها إلىٰ الحجاز، وتهامة العسير وأجزاء اليمن. ففي عهده وصلت الدولة السعودية إلىٰ أقصىٰ اتساعها وقوتها، ولذا أطلق عليه لقب: سعود الكبير. توفي الإمام سعود في عام ١٢٢٩هـ.

=

خِلافَة نُبُوَّة، يَطلُبُون الحَقَّ ويَعمَلُون به، ويَقُومُون ويَغضَبُون لَه، ويَرضَون ويُجاهِدُون، وَكَفاهُم اللهُ أَعداءَهُم علَىٰ قُوَّتِهم، إذَا مَشىٰ العَدوُّ كَسَرَه اللهُ(١) قَبل أنْ يَصِل، لِأَنَّها خِلافَةُ نُبُوَّة.

وَلا قَاموا علَىٰ النَّاس إلا بالقُرآنِ والعَمل بِه، كَما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ (النور آية: ٥٥).

وأَخَذ عَمُّك في الإسلام حتَّىٰ جَاوزَ الثَّمانِين في العُمر، وَالإسلامُ في عِزٍّ وَظُهورٍ، وَأَهلُه يَزيدُون، وحَصلَ لَهُم مَضمونُ قَولِه: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (النور آية: ٥٥)، وصارَ أَهلُ الأَمصارِ يَخافُونَهُم، وَأرادَ اللهُ سُبحانه إِمارَةَ سعُودٍ

=

٤- عبد الله بن سعود بن عبد العزيز، حيث تولىٰ إمامة الدولة السعودية إثر وفاة والده في عام ١٢٢٩هـ، وفي عهده تمكنت قوات محمد بن علي من الوصول إلىٰ الدرعية ومحاصرتها، ودخولها في ٩ ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ، واصطحبت الإمام عبد الله معها إلىٰ مصر، ومنها إلىٰ إستانبول، حيث قتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ هناك في عام ١٢٣٤هـ. وبحكمه انتهت الدولة السعودية الأولىٰ. انظر للتراجم الأربع: «الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية» (ص ٤٦-٨٠) باختصار.

والشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ممن اصطحب أيضًا إلىٰ مصر، وبقي هناك إلىٰ حين عودته عام (١٢٤١هـ) عندما طلبه الإمام تركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما مر معنا في ترجمته.

(١) كما قال ﷺ: «**أعطيتُ خمسًا لم يعطهنَّ أحد قبلي، نصرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأُحلِّت لي الغنائم، ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبْعث إلىٰ قومه خاصة، وبعثتُ إلىٰ الناس كافة**»، رَوَاه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالىٰ عنهما. وكلام المؤلف يفيد أن هذه الخصلة التي أعطاها الله لنبيه ﷺ (وهي: النصر برعب عدوه مسيرة شهر) إنما هي للنبي ﷺ، ولمن تبعه وسار علىٰ سبيله مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ.

بَعد أَبيهِ، يَرحَم اللهُ الجَميع.

وأرادَ اللهُ أنْ يُغَيِّر الطَرِيقَةَ(١)، وبَغاها مُلكًا، وبَدأَ الأَمْر يَنقُص أَمْر الدِّين، وَالدُّنيا تَطغَىٰ(٢)، إلىٰ أن جَرىٰ مَا جَرىٰ، مِن تَسليطِ الأَعدَاء عَلَيهِم، هَذَا وَهُم علَىٰ التَّوحِيد، لَكِن مَا أَعطَوه حَقَّه.

اشْتَغلوا بالدُّنيا ونَضارَتِها ومَا فتَح اللهُ عَلَيْهم، وَأَعرَضُوا عَمَّا أَوجَبَ اللهُ عَلَيْهم القِيَام بِه في أَنفُسِهم(٣) وهَذَا بسَبَب الغَفلَة عمَّا أَوجبَ اللهُ، لأَنَّ اللهَ اخْتارَ لَهُم أَمرًا عَظيمًا، ومَكَّنَهم مِنه ومِن النَّاس، لَكِن حَصَل تَفريطٌ في هَذِه النِّعمَة العَظيمة(٤).

---

(١) في المطبوع: «طريقة والده الذي قبله».

(٢) في المطبوع: «والدنيا تطغي، يَشْرىٰ البَيتَ بستِّ مِئَة رِيالٍ في الدِّرعِيَّة، والنَّخلَة الوَاحِدَة بستِّين رِيالًا، مِئَة نَخلَة بستَّة آلافِ رِيالٍ، أَنَا الكَاتِب لِمُشْتَراها. وصارَ العَاقِبةُ: القُصورُ الَّتي بُنِيَت بقَناطِير، والمَقاصِير الَّتي تَنفُذ فِيها الأَموال العَظيمَة الَّتي تسوىٰ ثَلاثَة آلاف، مَا تسوىٰ اليَومَ إلَّا جَديدَة لَمَّا جرىٰ ما جرىٰ...».

(٣) في المطبوع زيادة: «في أنفسهم وعلىٰ الناس، فجرىٰ ما جرىٰ، وصار الحمولة أكثر شرائدهم الذين بقوا آجالهم في مصر».

(٤) في المطبوع: «في هذه النعمة». قلت: وما جرىٰ لأهل التوحيد في نجد وسقوط الدولة السعودية الأولىٰ، وتشريد أهلها، هو سُنَّة الله في عباده، فنعمة التوحيد نعمة جليلة ينبغي أن تُحَاط بالشكر، وأن يرعاها أهلها حق رعايتها. ومتىٰ حصل تفريط فيها، وإهمال لها، وانشغال عنها بملذات الدنيا، أصاب أهلها ما أصاب الآخرين، ولقد أخبر الله تعالىٰ عن سُنَّته الكونية، حيث قال عَزَّ وَجَلَّ عما أخبر بما أصاب الصحابة رضوان الله عليهم، وسادات الموحدين فيهم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران:١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم =

والدِّرعِيَّة(١) اليَوم، مَنْ تَدبَّر حَالَها وحَلَّلها عَرف أنَّ ما جَاءَهم إلَّا ذُنوبُهم(٢)، فَاعْتَبِروا يا أُولي الأَبصَار. وهَذَا حَقُّك عَلي، وأَرجُو أنَّ الله يَمُنُّ عَلَيْك بتَوحِيدِه، وَالقِيام بِه عَلَىٰ نَفسِك وعَلىٰ النَّاس، قَرِيبِهم وبَعيدِهم، ويُعافِيك مِن أَهل التَّثْبِيط.

وَالحَقُّ مَنصورٌ في كُلِّ زَمانٍ ومَكان، ومَنصُور مَنْ هو معه، سواء كان حرًّا أو

=

مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٢]. وروىٰ البخاري (ح/ ٣١٥٨) في كتاب الجزية والموادعة بسنده إلىٰ عمرو بن عوف الأنصاري، أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلىٰ البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ هو صَالَحَ أهل البحرين، وأَمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمالٍ من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافت صلاة الصبح مع النبي ﷺ، فلما صلىٰ بهم الفجر انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم وقال: «**أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيءٍ**». قالوا: أجل يا رسول الله. قال: «**فأبشروا وأَمِّلوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشىٰ عليكم، ولكن أخشىٰ عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت علىٰ مَنْ كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**».

(١) تقع الدِّرعية شمال غرب مدينة الرياض، وتبعد عنها نحو خمسة عشر ميلًا، تتوزع مساكنها علىٰ خفاف وادي حنيفة. وقد بدأ تاريخ الدرعية حوالي منتصف القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) مع قدوم مانع المريدي الجد الثالث عشر لآل سعود، ثم تطوَّرت ونمت، فغدت موطن الدولة السعودية ودعوة التوحيد، حيث شهدت الدرعية الاتفاق بين الإمام محمد بن سعود، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله تعالىٰ- علىٰ نُصْرة التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، ومحاربة الشرك والبدع، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وما كان عليه السلف الصالح. انظر: «الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية» (ص ٤٢- ٤٤).

(٢) وهذا كما قال تعالىٰ عن المؤمنين يوم أُحُد: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

عبدًا، صغيرًا أو كبيرًا(١).

وَابْتلَاكُم اللهُ وَعَرفتُم العَوَاقبَ، والمُؤْمن ما يُلْدغ من جُحْرٍ مرَّتين: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة:١٢٩].

وَوَاللهِ ثمَّ وَاللهِ، إنْ لَمْ تَجْعلها أمرَ دينٍ، وتَدْعو النَّاس إلىٰ ما أَمَرهم اللهُ به، أن تُشْفق سُكُون قريةٍ من قرايا(٢) نجد، وأنتَ مدوَّرٌ(٣)، لكن إنْ تَسلَّط عليك أحدٌ، وأنتَ تأمُرُ بما أمرَ الله به ورسولُهُ، فالله مع المُتَّقين(٤)، فإنْ كنتَ علَىٰ هَذِه الحالة، فَلَا حَوْلَ ولا قوَّة إلَّا بالله، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. والسَّلام عَلَيكم ورحمةُ الله وبركاتُهُ.

---

(١) وهذا وعد الله لعباده المُتَّقين، كما قال تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ حيث يقول لقومه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وكما قال أيضًا: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وكما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون علىٰ الحق ظاهرين إلىٰ يوم القيامة، قال: فينزل عيسىٰ ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم علىٰ بعضٍ أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**»، رَوَاه مسلم (ح/ ٣٩٥) من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) في المطبوع: «قرىٰ».

(٣) في المطبوع: «مطلوبٌ».

(٤) كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل:١٢٨]، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٩﴾ [الأنفال: ١٩]، وكما قال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢﴾ [طه:١٣٢].

الرسالة الحادية والأربعون(١)
الآيات في التوحِيد الَّذِي دعت إليه كل الأنبياء(٢)

---

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (٤/ ٥٤٧، ٥٤٨).

(٢) لقد ذكر الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله تعالىٰ- في هذه الرسالة بعضًا من الآيات التي نوَّع الله فيها البيان لمعنىٰ كلمة التوحيد، وهذه الأنواع هي:

١- البراءة من كُلِّ ما يُعْبد من دون الله إلا الخالق عَزَّوَجَلَّ، فهو المعبود بحقٍّ وحده.

٢- نداء لجميع الملل بالاجتماع علىٰ عبادة الله وحده، ولا نشرك به شيئًا.

٣- أمر الله عباده بألَّا يعبد إلا الله، فله وحده التوحيد الخالص.

٤- أن الله عَزَّوَجَلَّ قضىٰ ألَّا يعبد إلا إياه، أي: حكم حكمًا شرعيًّا، وأمر به.

٥- أن التوحيد وإخلاص العبادة لله، وتخليصها من الشرك، هو الذي أمر الله به نبيَّه، وأمره أن يأمر الناس به، ويدعوهم إليه.

٦- قيام النبي ﷺ بالتوحيد، وجهاد المشركين عليه حق الجهاد، ودعوة الناس إليه.

٧- أن الأعمال كلها لا تصلح إلا بهذا التوحيد.

٨- أن الدين كله من لوازم التوحيد وحقوقه.

٩- بيان الأمر بتدبُّر القرآن، فإنَّ ذلك يوضح للإنسان حقيقة التوحيد والإسلام الذي جاء به المرسلون.

وهذه الأنواع إنَّما ذكرها الشيخ عبد الرحمن علىٰ سبيل المثال لا الحصر، وإلا فإنَّ جميع آيات الله الشرعية، وآياته الكونية تدلُّ علىٰ وحدانيته، واستحقاقه وحده بالعبادة، وهي ما تدل عليه كلمة التوحيد «لا إله إلا الله».

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» كثيرًا من هذه الأنواع، وأسهب في توضيحها وشرحها، خاصة في باب تفسير التوحيد، وشهادة أن «لا إله إلا =

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن إلىٰ الإخوان من أهل القصيم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

اعْلَموا وَفَّقنا الله وإيَّاكم لمَعْرفة العلم النَّافع والعَمَل به، تَفْهمون أنَّ الله سبحانه منَّ علَىٰ أَهْل نجد بتوحيدِهِ بالعبادة، وتَرْك عبادة ما سِوَاه، وهَذِه نعمةٌ عظيمةٌ خصَّ اللهُ أَهْلَ نجدٍ بالقِيَامِ فيها من الخاصَّة علَىٰ العامَّة، لكن ما عُرِف قدرها، والغفلةُ ذَمَّها اللهُ في كتابِهِ، وذكر أنَّها صفةُ أَهْل النَّار -نعوذ بالله من النَّار- بقولِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾(١) [الأعراف:١٧٩].

وذمَّ أَهْل الإعراض بقولِهِ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤]، وذِكْرُه هو القرآن، وَلَا تَعْرفونَ العبادةَ الَّتي خَلَقكم اللهُ لها إلَّا

=

الله»، حيث قال عند هذه الترجمة:

«هذه المذكورات في هذا الباب فيها مزيد بيان بخصوصها لمعنىٰ كلمة الإخلاص، وما دَلَّت عليه من توحيد العبادة». «فتح المجيد» (ص٩٧).

ومن الأنواع التي ذكرها في هذا الباب الدالة علىٰ كلمة التوحيد أدلة ربوبيته، وأسمائه، وصفاته، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيها أيضًا من أدلة التوحيد: إثبات الصفات، وتنزيه الرب تعالىٰ عما لا يليق بجلاله، وكل ما يعرف بالله من صفات كماله، وأدلة ربوبيته يدل علىٰ أنه هو المعبود وحده، ومعنىٰ شهادة أن «لا إله إلا الله». «فتح المجيد» (ص١١٤).

(١) وتمام الآية: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

من القرآن، والقرآنُ من أوَّله إلىٰ آخره يُبيِّن لكم كلمةَ الإِخْلَاص(١): لَا إِلَه إِلَّا الله، ولا يصحُّ لأحدٍ إسلامٌ إلَّا بمعرفة ما دَلَّتْ عليه هَذِهِ الكلمةُ من نَفْي الشِّرْك في العِبَادَة، والبَراءَة منه وممَّنْ فَعَله، ومُعَاداته، وإِخْلَاص العبادة لله وَحْده لا شريكَ لَهُ والمُوَالاة في ذَلِك.

فمِنَ الآيات الَّتي يُبيِّن الله تعالىٰ فيها هَذِهِ الكلمة قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، وَهِيَ لا إِلَهَ إِلَّا الله.

وَقَد افْتتَح قولَه بالبراءة ممَّا كان يعبدُهُ المشركون عمومًا، ولَمْ يَسْتثنِ إلَّا الَّذِي فَطَره، وهُوَ الله تعالىٰ الَّذِي لا يصلح شيءٌ من العبادة إلَّا له.

ونوع تَعَالىٰ البَيَان لمَعْنىٰ هَذِه الكلمة في آياتٍ كثيرةٍ يَتعذَّر حَصْرها:

كقولِهِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٦٤]، والكلمةُ هِيَ لا إِلَهَ إلَّا الله بالإجماع(٢)، ففَسَّرها بقَولِهِ:

(١) قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- في بيان نوعي التوحيد الذي دَعَت إليه رسل الله: النوع الثاني مثل ما تضمنت سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾، وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، وأول سورة ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وآخرها، وأول سورة يونس، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولًا كليًّا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه». «مدارج السالكين» (٣/ ٣٣٢).

(٢) **قال ابن جرير الطبري:** ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ﴾ يعني إلىٰ كلمة عدل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، والكلمة العدل هي أن نُوحِّد الله، فلا نعبد غيره، ونَبْرأ من كل معبودٍ سواه، فلا نشرك به شيئًا. وذكر في

﴿سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران:٦٤]، أي: نكون فيها سواء؛ علمًا وعملًا وقبولًا وانقيادًا[1]، فقال: «أن لا نعبد إلَّا الله، ولا نشرك به شيئًا»، فنَفَىٰ ما نَفَته لَا إِلَه إِلَّا الله بقَولِهِ: «أَلَّا نَعْبد»، وأثبتَ ما أثبتته لَا إِلَهَ إِلَّا الله بقَولِهِ: «إلَّا الله».

وقال: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠].

فهَذَا أمرٌ عظيمٌ أمر الله تَعَالَىٰ به عِبَادَه، وَخَلقهم له، ففي قَولِهِ: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠] نَفْي الشِّرْك الَّذِي نَفَته «لا إله إلَّا الله»، وقَوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ هو الإِخْلَاص الَّذِي أثبتته «لا إله إلَّا الله».

وَقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، قضىٰ أي: أمر ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ فيه من النَّفي ما في معنىٰ «لا إله»، وقَوْله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠] هَذَا هو الإثبات الَّذِي أَثْبتته «إلَّا الله».

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ [الرعد:٣٦]، فهَذَا هو الَّذِي أمر به ﷺ، وَدَعا النَّاس إليه، وَهُو

=

تأويل ذلك عن قتادة والربيع وأبي العالية. (٣/ ٢٨٦-٢٨٩)، وذكر مثل ذلك أيضًا السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٢٢٢).

(١) وفي هذا أعظم الرد علىٰ الجماعات الحزبية، والرايات البدعية ممن يرون أن الاجتماع يكون علىٰ مسمىٰ الإسلام بالإطلاق العام دون العمل بالتوحيد، أو الدعوة إليه؛ لأنهم في نظرهم أن التوحيد يُفرِّق بين أهل الإسلام، وهذا وإن لم يقولوه بلسان المقال، فإنما يقولونه بلسان الحال، وواقع دعواتهم ورسائل منظريهم شاهدٌ علىٰ ذلك. وهذا من انحراف فكرهم، وسوء تلقيهم، وميلهم عن منهج الأنبياء عليهم السلام.

إخلاصُ العِبَادَة وتَخْليصها من الشِّرْك قولًا وفعلًا واعتقادًا.

وقَدْ فَعَل ﷺ ذَلِكَ، وَدَعا النَّاس إِلَيْه، وجَاهَدهُمْ عَلَيه حقَّ الجهاد، وهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ دين الإِسْلَام كما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، بَيَّنَ تَعَالىٰ أنَّ توحيد الإلهيَّة هو الإسلامُ.

والأعمالُ كُلُّها لا يَصْلح منها شيءٌ إلَّا بهَذَا التَّوحِيد وهو أَسَاس الملَّة ودَعْوة المُرْسلين، والدِّين كلُّه من لَوَازم هَذَا الأصل وحُقُوقه، وقَدْ قَالَ تعالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩].

فمَنْ تَدبَّر القرآنَ، وتذكَّر به، عرف حقيقةَ دين الإسلام الَّذِي أَكْمَله الله لهَذِه الأُمَّة، كما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة:٣].

هَذَا ما نَنْصَحكم به، ونَدْعوكم إليه، وبالله التَّوفيقُ، وَصلَّىٰ الله علَىٰ سَيِّد المُرْسلينَ، وإِمَام المُتَّقينَ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وصحبِهِ أَجْمعينَ، وَسلَّم تسليمًا كثيرًا[1].

---

(١) هذه الرسالة علىٰ اختصارها رسالةٌ عظيمةٌ، فهي كما وَضَّحت أنواع التوحيد، ومعنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، فكذلك فإنها بَيَّنت أهمية الدعوة إلىٰ التوحيد، وأنه هو أساس صلاح الأعمال والعباد والبلاد، لذا وجب الاهتمام به، والاستمرار في العمل به، والدعوة إليه إلىٰ أن يلقىٰ العبد ربه عَزَّ وَجَلَّ، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩].

الرسالة الثانية والأربعون[١]
علم المنطق، وحكم الاشتغال به

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن، إلىٰ الأخ القادم من بلاد الأفغان[٢]: عبد الله بن مُحمَّد[٣]، وَفَّقه الله لحقيقة الإسلام والإيمان، سلامٌ عَلَيكم ورَحْمة الله وبركاتُهُ، وبَعْد:

فالَّذِي يجبُ عَلَينا محبَّة الخير لمَنْ أَرَاده وقَصَده، فلعلَّ الله أن يَجْعله مؤثرًا للحقِّ علَىٰ غيره، لكن نبحث مع مِثْلِكَ في شيئين:

الأول: أنَّ علمَ المنطق قد حرَّمه كثيرٌ من المُحقِّقين، وأجازه بعضُ العُلَماء، لكن الصَّواب تحريمُهُ[٤] لأُمُورٍ:

---

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (٤/ ٥٤٩، ٥٥٠)، وفي «الدرر السنية» (١/ ٣٣٨، ٣٣٩).

(٢) في «الرسائل»: «الأوغان». وفي «الدرر»: «الأفغان».

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) قد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ كثيرًا عنه، وبَيَّنَ حقيقته، وكشف عوره، ومفاسده الكثيرة، ونتائجه الوخيمة، فمما قال: «فأحسن ما يحمل عليه كلام المتكلم في هذا أن يكون قد كان هو وأمثاله في غاية الجهالة والضلالة، وقد فقدوا أسباب الهدىٰ كلها». وقال: «ونفس الحُذَّاق منهم لا يلتزمون قوانينه في كل علومهم، بل يعرضون عنها، إما لطولها، وإما =

منها: أنَّه ليس من عُلُوم الشَّريعة المُحمَّديَّة، بل هو من عُلُوم اليونان، وأَوَّل مَنْ أَحْدَثه المأمون بن الرَّشيد(١)، وأمَّا في خلافة مَنْ قبله من أسلافِهِ من بني العَبَّاس، وقبلهم خلفاء بني أُميَّة فلا يُعْرف في عصرهم.

=

لعدم فائدتها، وإما لفسادها، وإما لعدم تَميُّزها وما فيها من الإجمال والاشتباه، فإن فيه مواضع كثيرة هي لحم جمل غث علىٰ رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقىٰ، ولا سمين فينتقل، ولهذا ما زال علماء المسلمين وأئمة الدين يذمونه، ويذمون أهله، وينهون عنه، وعن أهله، حتىٰ رأيت للمتأخرين فتيا فيها خطوط جماعة من أعيان زمانهم من أئمة الشافعية والحنفية وغيرهم فيها كلام عظيم في تحريمه وعقوبة أهله، حتىٰ إن من الحكايات المشهورة التي بلغتنا أن الشيخ أبا عمرو بن الصلاح أمر بانتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الآمدي، وقال: أخذها منه أفضل من أخذ عكا، مع أن الآمدي لم يكن أخذ في وقته أكثر تبحرًا في العلوم الكلامية والفلسفية منه، وكان من أحسنهم إسلامًا، وأمثلهم اعتقادًا». انظر: «فتاوىٰ ابن تيمية» (٩/ ٦، ٧).

ومما قال أيضًا مبينًا نتيجته علىٰ المشتغلين به: «بل الذي وجدناه بالاستقراء أن من المعلوم أن من الخائضين في العلوم من أهل هذه الصناعة أكثر شكًّا واضطرابًا، وأقلهم علمًا وتحقيقًا، وأبعدهم عن تحقيق علم موزون -إلىٰ أن قال- ولهذا تجد من أدخله في الخلاف والكلام، وأصول الفقه لم يفد إلا كثرة الكلام والتشقيق مع قلة العلم والتحقيق، فعلم أنه من أعظم حشو الكلام، وأبعد الأشياء عن طريقة ذوي الأحلام». المصدر السابق (ص٢٣، ٢٤).

وقال أيضًا: «ولهَذَا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك، فالأولون يسمون الكواكب الآلهة الصغرىٰ، ويعبدونها بأصناف العبادات، كذلك كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك، ويوجبون التوحيد، بل يسوغون الشرك أو يأمرون به، أو لا يوجبون التوحيد -إلىٰ أن قال- وإنهم إذا ادعوا إلىٰ التوحيد، فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله، وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه، والتوحيد الذي يدعونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات، وفيه من الكفر والضلال ما هو من أعظم أسباب الإشراك»، المصدر السابق (ص٣٤، ٣٥).

فهذه النقولات عن شيخ الإسلام في حقيقة المنطق تبين بطلان ومخاطر هذا العلم، وإنما أطلتُ في النقل عنه لبيان المفاسد الخطيرة لهذا العلم مما يُؤيِّد ما قاله الإمام عبد الرحمن بن حسن من صواب تحريمه.

(١) تقدمت ترجمته في الرسالة الحادية عشرة.

الأَمْر الثَّاني: أنَّ أَئمَّة التَّابعينَ من الفُقَهاء والمُفسِّرين والمحدثين لا يعرفون هَذَا العلم، وهم نَقَلة العلم، والإسلام في وَقْتهم أظهر، والعُلُوم النَّافعة عندهم أكثر، وقَدْ تَوَافرت دَوَاعيهم علَىٰ نَقْل العلم، وكذَلِكَ من أخذ عنهم من الأَئمَّة الأَرْبعة ومَنْ في طَبَقَتهم من المحدثين، ومن الفُقَهاء والمُفسِّرين، فلا تجد في كُتُبهم، ولا من أخذ عنهم شيئًا من هَذَا العلم.

الأَمْر الثَّالث: أنَّ هَذَا العلمَ إنَّما أحدثَه الجهميَّة، لما أَلْحَدوا في أسماءِ الله وصفاتِهِ، وَاسْتَمالوا المأمون علَىٰ تَعْريب كُتُب اليونان، فعظمت فتنة الجهميَّة، وَظَهرت بِدْعَتهم من أجل ذَلِكَ، فصار ضررُهُ أكثر من نفعه.

وذَكَر العلماء أنَّ ما فيه من صحيح فهو موجودٌ في كُتُب أُصُول الفقه، فيَتعيَّن تركُهُ، وعَدَم الالتفات إليه، والمعول إنَّما هو الكتاب والسُّنَّة، وما عليه الالتفات إليه والمعول إنَّما هو علَىٰ الكتاب والسُّنَّة، وما عليه السَّلف والأَئمَّة.

وهَذِه كُتُبهم موجودةٌ -بحَمْد الله- لَيْسَ فيها من شُبُهات أَهْل المنطق شيءٌ أصلًا[1]، فهَذَا الَّذِي نَدينُ اللهُ به.

البَحْثُ الثَّاني: السُّؤال عن التَّوحِيد وأنواعه؟ وحقيقة كلِّ نوعٍ منه[2]؟ فإن

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما العلوم الموروثة عن الأنبياء صرفًا، وإن كان الفقه وأصوله متصلًا بذلك، فهي أجلُّ وأعظم من أن يظن من أن لأجلها التفاتًا إلىٰ المنطق، إذ ليس في القرون الثلاثة من هذه الأمة (التي هي خير أمة أخرجت للناس، وأفضلها القرون الثلاثة) مَنْ كان يلتفت إلىٰ المنطق، أو يُعرِّج عليه، مع أنهم في تحقيق العلوم وكمالها بالغاية التي لا يدرك أحد شأوها، كانوا أعمقَ الناس علمًا، وأقلهم تكلفًا، وأبرهم قلوبًا». «الفتاوىٰ» (٩/ ٢٣).

(٢) وقد وَضَّح الشيخ -رحمه الله تعالىٰ- التوحيد وأنواعه في جلِّ هذه الرسائل التي بين أيدينا، فضلًا عن كتبه الأخرىٰ وردوده، وذلك مثل كتاب: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، فهو من =

كان عند القادم من ذَلِك تحقيقٌ، وإلَّا فيجب إرشادُهُ إلىٰ ذَلِكَ وتعليمه؛ لأنَّ العلمَ أقسامٌ ثلاثةٌ(١) لا رابعَ لها، فيجبُ عَلَيك أيُّها الرَّجل القادم: أَنْ تسعىٰ لنفسك بمعرفة الحقِّ بدليلِهِ، والَّذِي يقبل(٢) علمنا هَذَا الَّذِي مَنَّ الله به علينا، من تمييز الحقِّ من الباطل، فهو أخونا، والحَمْد لله علَىٰ هِدَايَة من اهْتَدىٰ، والَّذِي يرىٰ(٣) غير ذَلِكَ فلا نَحْن بإخوانٍ له(٤)، والسَّلام.

وصلَّىٰ الله علَىٰ مُحمَّدٍ وآله وَسلَّم .

=
أجلِّ كتبه رحمه الله تعالىٰ.

(١) أي التوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات. وفي هذا ردٌّ علىٰ من يضيف قسمًا رابعًا، وهو توحيد الحاكمية، وهذا خطأ، فالحاكمية جزء من الألوهية، وإنما يقسم ذلك مَنْ به نفس الخوارج.

(٢) في «الرسائل والمسائل»: «واللي يبي يقبل علمنا هذا».

(٣) في «الرسائل والمسائل»: «واللي يرىٰ غير ذلك».

(٤) وذلك أن التوحيد فارق بين الناس، يفرق بين الحق وأهله، وبين الباطل وأهله، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة:٢٢]، وكما قال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

الرسالة الثالثة والأربعون(١)
وجوب الاجتماع علَى من انعقدت له البيعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن: إلىٰ مَنْ يصل إليه من الإخوان، سلامٌ عَلَيكم ورَحْمة الله وبركاتُهُ.

وبعد: تَفْهمونَ أنَّ الجماعةَ فرضٌ علَىٰ أَهْل الإسلام، وعَلَىٰ مَنْ دَانَ بالإِسْلَام، كما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ولا تَحْصل الجماعة إلَّا بالسَّمع والطَّاعة لمَنْ ولَّاه الله أمر المسلمين، وفي الحديث الصَّحيح عن العِرْبَاض بن سارية، قال: وَعَظنا رسولُ الله ﷺ موعظةً وَجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفتْ منها العيونُ، فقلنا: يا رسول الله، كَأَنَّها موعظةُ مُودِّعٍ، فأوصنا، قال: «**أُوصِيكُمْ بتَقْوىٰ الله، والسَّمع والطَّاعة، وإِنْ**

(١) طبعت في «الدرر السنية» (٩/ ١١-١٤)، وفي «الرسائل والمسائل» (٢/ ٧-٩)، وهي الفائدة الثالثة.
وهذه الرسالة كتبها الإمام عبد الرحمن بن حسن في عام ١٢٨٣هـ تقريبًا في السَّنة التي خرج فيها سعود بن فيصل علىٰ أخيه الإمام عبد الله بن فيصل. وعمر الشيخ آنذاك ما يقارب التسعين عامًا، رحمه الله تعالىٰ.

تَأَمَّر عليكم عبدٌ حبشيٌّ، وأَنَّه مَنْ يعش منكم بعدي فسَيَرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعَلَيكم بسُنَّتي، وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين من بَعْدي، تَمسَّكوا بها، وَعَضُّوا عليها بالنَّواجذ»(١).

وقَدْ جَمَع اللهُ أوائلَ الأُمَّة علَىٰ نَبيِّه ﷺ وذَلِكَ بسبب الجهاد، وكذَلِكَ الخلفاء، ردَّ الله بهم إلىٰ الجَمَاعة مَنْ خرج، وفَتحَ الله لهم الفُتُوح، وجمعَ الله النَّاس عليهم(٢).

وتفهمون: أنَّ الله ﷻ جَمَعكم علَىٰ إِمَامكم: عبد الله بن فيصل(٣) بعد وفاة والدِهِ فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ، فالَّذي بايعَ بايعَ وهُمُ الأكثرون، والَّذِينَ لَمْ يبايعوا بايعَ لهم كِبَارُهُمْ، واجتمع عليه أهلُ نجد؛ باديهم وحاضرهم، وَسَمِعُوا وأَطَاعوا، ولا

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٤٦)، وأبو داود (ح/ ٤٦٠٧)، والترمذي (ح/ ٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح. ورواه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (ح/ ٢٥)، وفي عدة مواضع أخر، وصَحَّحه الألباني في تخريجه للسُّنَّة.

(٢) وهذا يبين ثمرة الجماعة، حيث إن الجماعة رحمة، والفرقة والنزاع عذاب، فهي تثمر خيرًا عظيمًا في الدارين، من تراحم، وتلاحم، وهيبة، ونصر علىٰ الأعداء، ومن رضوانٍ مِنَ الله، وجنات عرضها السماوات والأرض، ولا تتحقق الجماعة إلا بطاعة الله ورسوله، فهي نتيجة العمل بالدين كله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في قاعدةٍ في الجماعة والفرقة، وسبب ذلك ونتيجته: «فظهر أن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين، والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر الله به باطنًا وظاهرًا، وسبب الفرقة ترك حظٍّ مما أمر العبد به، والبغي بينهم، ونتيجة الجماعة رحمة الله ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه، ونتيجة الفرقة عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول ﷺ منهم». «الفتاوىٰ» (١/ ١٧).

(٣) تقدم التعريف به في الرسالة الثانية والأربعين.

اختلفَ عليه أحدٌ منهم، حتَّىٰ سعود بن فيصل[١]، بَايَع أخاه وهو ما صَارَ له مدخال[٢] في أمر المُسْلمينَ، لا في حَيَاة والِدِهِ، ولا بَعْده، ولا التفتَ له أحدٌ من المُسْلمينَ، ونقض البيعة، وتَبيَّن لكم أمرُهُ أنَّه ساعٍ في شقِّ العصا، وَاخْتلاف المُسْلمينَ علَىٰ إمامهم، وساعٍ في نقض بيعة الإمام، وَقَدْ قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [النحل:٩١، ٩٢].

وسَعَىٰ سعودٌ في ثلاثة أمورٍ كُلُّها منكرةٌ، نقض البيعة بنفسِهِ، وفارقَ الجماعةَ، ودعا النَّاس إلىٰ نقض بَيْعة الإمام؛ فعَلَىٰ هَذَا: يجب قتالُهُ، وقتالُ مَنْ أَعَانه[٣]، وفي الحديث: «**مَنْ فارقَ الجماعةَ قِيدَ شبرٍ، فماتَ فميتتُهُ جاهليَّة**»[٤]،

---

(١) الأمير سعود بن فيصل بن تركي، بويع له بالإمامة في الرياض عندما دخلها، وبعد أن غادرها الإمام عبد الله سنة ١٢٨٨هـ، واستمر حكمه إلىٰ عام ١٢٩١هـ مع شيءٍ من الانقطاع، حيث استلم الحكم الأمير عبد الله بن تركي، ثم سلم الحكم إلىٰ عبد الله بن فيصل، وذلك في سنة ١٢٨٩هـ، ثم عاد الحكم إلىٰ سعود بن فيصل حتىٰ توفي في عام ١٢٩١هـ. انظر: «الأطلس التاريخي» (ص١٤٢).

(٢) أي: ليس له شأن، وسلطة، وأمر.

(٣) ومستند هذا قوله ﷺ: «**مَنْ أتاكم وأمركم جميع علىٰ رجلٍ واحدٍ، يريد أن يشقَّ عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**»، رواه مسلم (ح/ ٤٧٩٨) من حديث عرفجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٨٠)، وأبو داود (ح/ ٤٧٥٨)، وابن أبي عاصم (ح/ ١٠٥٣) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من فارق الجماعة شبرًا، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»، وهذا لفظ أبي داود. وأما لفظة: «**فمات، فميتته جاهلية**»، فهي ليست من هذا الحديث، وإنما من حديث معاوية: «من =

وفي الحديث الآخر: «**فقَدْ خَلَع رِبْقةَ الإسلام من عنقه**»[١].

فإِنْ كان أحدٌ مشكلًا عَلَيه وُجُوب قتالِهِ، لما في الحديث: «**إذا الْتقَىٰ المُسْلمانِ بِسَيْفيهما، فالقاتلُ والمقتولُ فِي النَّار**»[٢]، فظاهر الحديث: أَنَّ المراد ما يَجْري بَيْنَ القَبَائل من العصبيَّة، إمَّا عند ضربة عَصَا من قَبِيلَتَيْنِ، أَوْ فَخِذَيْنِ، أو طعنة، فكلُّ قبيلةٍ أو فخذٍ يكون منهم حميةٌ لمَنْ كان منهم، من غير خُرُوجٍ علَىٰ الإمام، ونقض لبيعة الإسلام، ولا شق عصا المسلمين.

وأَهْل العِلْمِ من الفُقَهاء وغيرهم، ذَكَروا قتالَ العَصبيَّة، وحكمه؛ وقتال البغي[٣] وحكمه؛ فذكروا أَنَّه يجبُ علَىٰ الإمام فِي قِتَالِ العَصبيَّة أَنْ يَحْملهم علَىٰ الشَّريعة؛ وأمَّا البغاة فحُكْمهم أَنَّهم يقاتلون حتَّىٰ يَفِيئُوا ويَرْجعوا، ويَدْخلوا فِي جَمَاعة المُسْلمينَ، فالفرقُ ظاهرٌ[٤] بينٌ، ولله الحمد، فَاسْتَعينوا بالله علَىٰ قِتَالِ

=

مات بغير إمام، مات ميتة جاهلية» (٤/ ٩٦). ورواه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» بلفظ: «**مَنْ مات وليس عليه إمام، مات ميتة جاهلية**» (ح/ ١٠٥٧)، وكلا الحديثين (أعني: حديث أبي ذر ومعاوية) صححهما الألباني في «السُّنَّة» لابن أبي عاصم.

(١) انظر إلىٰ ما قبله.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي بكرة برقم (٧٢٥٣) .

(٣) انظر: «المغني» (١٢/ ٢٣٧)، و«المقنع»، و«الشرح الكبير»، و«الإنصاف» (٢٧/ ٥٥).

(٤) قال صاحب «زاد المستقنع»: «باب قتال أهل البغي: إذا خرج قوم لهم شوكة ومنعة علىٰ الإمام بتأويلٍ سائغ فهم بُغَاة. وعليه أن يراسلهم فيسألهم ما ينقمون منه، فإن ذكروا مظلمةً أزالها، وإن ادَّعواً شبهةً كَشَفها، فإن فاؤوا وإلا قاتلهم، وإن اقتتلت طائفتان لعصبية أو رئاسة، فهما ظالمتان، وتضمن كل واحدة ما أتلفت الأخرىٰ». «زاد المستقنع في اختصار المقنع» (ص١٨٣).

يقول الشيخ ابن عثيمين في شرحه لهذا الباب: «فهؤلاء البغاة إذا لم يرجعوا، فإن الإمام يجب عليه

=

مَنْ بَغَىٰ وطَغَىٰ، وَسَعىٰ في البلاد بالفَسَاد، وهَذَا أمرٌ فسادُهُ ظاهرٌ لا يَخْفىٰ علَىٰ مَنْ له عقلٌ، وَاحْتَسبوا جِهَادَكم وأَجْركم علَىٰ الله، والسَّلام.

=

أن يقاتلهم، ويجب علىٰ رعيته أن يعينوه علىٰ قتالهم، فإن قالت الرعية: نحن لا نقاتل قومًا مسلمين، كيف نقاتلهم، وكيف نحمل السلاح عليهم؟ قلنا: لأنهم بغاة، فقتالهم من باب الإصلاح، وإذا لم يمكن الإصلاح إلا بقتالهم، وَجَبَ، فيجب علىٰ الرعيَّة طاعة الإمام إذا أمر بالخروج معه لقتال هؤلاء». «الشرح الممتع» (١٤/ ٤٠٢).

الرسالة الرابعة والأربعون[١]
أهمية العبودية والاستعانة بالله على تحقيقها[٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن، إلىٰ الأخ الشَّيخ: عيد بن حمد[٣]، وَفَّقَه الله لما يُحبُّه الله ويَرْضاه، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاتُهُ.

وبعد:

وَصَل الخطُّ أَوْصَلك الله ما يُرْضيه، وإِنْ سألت عنَّا، فنحمد إليك الله الَّذِي لا إله إلَّا هو، علَىٰ تمام نعمِهِ؛ ونسأله تَعَالىٰ أن يَجْعلك مِمَّنْ يطيعُهُ ويطيع رَسُولَه، ويَتَّبع رضوانَه، ويَجْتنب سَخَطه، فإِنَّما[٤] نحن به وَلَهُ.

---

(١) طبعت في «الدرر السَّنية» (١٤/ ١١٩-١٢١).

(٢) وهذه الرسالة علىٰ اختصارها فقد بَيَّنَ فيها الشيخ عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عظم شأن العبادة، وحاجة العبد الماسَّة لها، وأهمية الاستعانة بالله في تحقيقها، وأهميَّة الدعاء في طلب الهداية، وقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم رحمهما الله تعالىٰ عند هذا الموضوع، وأسهبا فيه في جُلِّ كتبهما. من ذلكم رسالة «العبودية» لابن تيمية، وكتاب: «مدارج السالكين» لابن القيم.

(٣) لم أجد له ترجمةً.

(٤) في المطبوع: «فإنا».

وتعلم يا أخي أنَّ الدِّين النَّصيحة(١)، فأُوصِيكَ ونَفْسي بتقوىٰ الله، ولُزُوم العُبُوديَّة الَّتي هي غاية الذُّلِّ في غاية المحبَّة للمعبود، الَّذِي لا يستحقُّ العبادة إلَّا هو، ولا يعين علَىٰ عبادة غَيْره، فعبادتُهُ أَعْلَىٰ الغَايَات، وإعانتُهُ أجلُّ الوَسَائل(٢)، وهُوَ مَعْنىٰ قولِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

قال العلَّامة ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقَدِ اشْتَملتْ هَذِه الكلمة علَىٰ نَوْعي التَّوحِيد؛ تَوْحيد الرُّبوبيَّة، وتوحيد الألوهيَّة، وتَضمَّنت التَّعبُّد باسم الرَّبِّ، واسم الله، فهو يعبد بألوهيَّته(٣)، ويُسْتَعان بِرُبوبيَّته، ويهدي إلىٰ الصِّراط المستقيم برحمتِهِ. انتهىٰ.

وحقيقة العُبُوديَّة: الإقبالُ علَىٰ الله، والإعراضُ عن كلِّ ما سواه، وإيثار مُرَاد الله علَىٰ كلِّ ما تطلبه النُّفوس وتَهْواه، كما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات:٤٠، ٤١]، وَقَال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، وَقَال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

وَفِي الحَدِيثِ: «**لَا يؤمن أَحَدكُمْ حَتَّىٰ يكون هَواهُ تبعًا لمَا جئتُ بِهِ**»(٤)،

---

(١) كما قال ﷺ: «**الدين النصيحة**». قلنا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»، رواه مسلم (ح/ ٥٥) من حديث أبي رقية تميم الداري.

(٢) انظر كتاب «الصلاة» لابن القيم (ص١٢١).

(٣) في المطبوع: «بالألوهية»، والصحيح ما أثبتناه، كما في الأصل المنقول عنه كلام ابن القيم من كتاب «الصلاة» له (ص١٢١).

(٤) تقدم تخريجه في الرسالة التاسعة والثلاثين.

وهَذَا هو الصِّراطُ المستقيمُ، كما ذَكَره عن نَبيِّه ورَسُولِهِ عيسىٰ عليه السلام، في مقام الدَّعوة إلىٰ الإِسْلَام: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٥١﴾ [آل عمران:٥٠، ٥١].

فلشدَّة فَاقَة العبد وضرورتِهِ إلىٰ أن يَهْديه[١] صِرَاطَه المستقيم، فَرَضَ الله عليه أن يسأَلَه هَذِه الهداية، في أَفْضل أحوالِهِ مرارًا مُتعدِّدةً في اليوم واللَّيلة،[٢] وليس العبد في شيءٍ أشد فَاقَةً وحاجةً منه إليها، فإنَّه يحتاجُ إِلَيْها في كلِّ نَفَسٍ، وطَرْفة عينٍ، وفي جميع ما يَأْتيه ويَذَره، من أمورٍ قَدْ أتاها علَىٰ غَيْر الهِدَايَة، فهُوَ مُحْتاجٌ إلىٰ التَّوبة منها، وأُمُورٍ هُدِيَ إلىٰ أَصْلها[٣] دون تَفْصيلها، أو هُدِيَ إليها من وجهٍ دون وجهٍ، وهو محتاجٌ إلىٰ إِتْمَام الهداية فيها؛ وأُمُورٍ هو محتاجٌ إلىٰ أن[٤] يَحْصل له من الهِدَايَة فيها في المُسْتقبل، مثل ما حَصَل له في الماضي، وأُمُورٍ هو خالٍ عن الاعتقاد فيها، هو محتاجٌ إلىٰ الهداية فيها، وأُمُورٍ لَمْ يفعلها، فهو محتاجٌ إلىٰ فِعْلِهَا علَىٰ وجه الهداية؛ وأُمُورٍ قَدْ هدي إلىٰ اعتقاد الحقِّ والعمل الصَّواب فيها، فهو محتاجٌ إلىٰ الثَّبات عليها، إلىٰ غير ذَلِكَ من أَنْوَاع الهِدَايَة.

---

(١) في المطبوع زيادة: «أن يهديه الله».

(٢) **يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ**: قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه: «تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون علىٰ مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾» [الفاتحة: ٥]. «بدائع التفسير» (١/ ١٨٠).

(٣) في المطبوع: «إلىٰ أصلحها».

(٤) في المطبوع: «إلىٰ ما يحصل».

وبَيَّنَ سبحانه أنَّ أهل هَذِه الهداية هم المُختصُّون بنعمِهِ[١]، دون المغضوب عليهم، وهُمُ الَّذِين عرفوا الحقَّ ولَمْ يَتَّبعوه؛ ودون الضَّالِّين، وهم الَّذِين عَبَدوا اللهَ بغير علمٍ؛ والطَّائفتان اشْتَركتا في القول علَىٰ الله في خلقِهِ وأَمْره وأسمائِهِ وصفاتِهِ بغير عِلْمٍ، فسبيل المنعم عَلَيهم مغايرٌ لسُبُل[٢] أهل الباطل كُلِّها، علمًا وعملًا.

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، «وقد بين الله في آيةٍ أخرىٰ المنعم عليهم، فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء:٦٩]. والمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارىٰ، وكل مَنْ عبد الله علىٰ جهلٍ من علمائنا وجهالنا ففيه شبهٌ من النصارىٰ، وكل من عَبدَ الله بهوىٰ، ففيه شبه من اليهود.

(٢) في المخطوط: «لسبيل»، والصحيح ما أثبتناه.

الرسالة الخامسة والأربعون[١]
نعمة الدعوة إلى التَوحِيد ووجوب شكرها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن، إلىٰ الأخ محمد بن عمر آل سليم[٢]، سَلَّمه الله تعالىٰ من كلِّ آفةٍ، وأَمَّنه من كلِّ مخافةٍ، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

وَصَل الخط وَصَلك الله ما يُرْضيه، ونحمد إليك الله علَىٰ ما أَسْبَغ من نعمه الباطنة والظَّاهرة، جعلنا الله وإيَّاكم من الشَّاكرين الذَّاكرين.

ونِعْمَةُ الله عليكم عظيمةٌ، حَيْث أَقَامكم في ناحية أَهْلها جهالٌ بالتَّوحِيد، ما له عندهم قدرٌ ولا قيمةٌ، وجعلكم تَدْعون إليه، وتُبيِّنونَه، وتَحْملونَ النَّاس عليه، وجَعَل لكم أصحابًا قَابِلينَ هَذِه الدَّعوة ومُحبِّينها[٣]، ومُعَادين فيها، ومُوَالينَ

---

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (٤/ ٤٢٨، ٤٢٩)، و«الدرر السَّنية» (١٤/ ١٣٦).

(٢) تقدمت ترجمته ضمن مطلب تلاميذ الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالىٰ.

(٣) أي: محبين لها.

فِيهَا(١).

(١) إن الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالىٰ في طريقته مع طلابه في حَثِّهِمْ علىٰ الدعوة إلىٰ الله إنما هو متبع في ذلك هدي النبي ﷺ مع أصحابه، فقد كان يحثُّ أصحابه علىٰ الدعوة إلىٰ الله، ويرسلهم إلىٰ الأمصار ليعلموا الناس دينهم، وينشروا التوحيد، كما أرسل معاذ بن جبل، وأبا موسىٰ الأشعري، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلىٰ اليمن، وكان ﷺ يقول لعليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**فوالله، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون حمر النعم**»، طرف من حديثٍ رواه البخاري (ح/ ٣٧٠١)، ومسلم (ح/ ٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وكان السلف الصالح هذا هَدْيهم فيما بينهم، فقد روىٰ ابن وضاح في البدع والنهي عنها: أن أسد بن موسىٰ المعروف بـ «أسد السُّنَّة» كتب لأسد بن الفرات فقال: «اعلم -أي أخي- أن ما حملني علىٰ الكتابة إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس، وحسن حالك مما أظهرت من السُّنَّة، وعيبك لأهل البدعة، كثرة ذكرك لهم، وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك، وشد بك ظهر أهل السُّنَّة، وقوَّاك عليهم بإظهار عيبهم، والطعن عليهم، فأذلهم الله بذلك، وصاروا ببدعتهم مستترين، فأبشر -أي أخي- بثواب ذلك، واعتدَّ به أفضل حسناتك من الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد -إلىٰ أن قال- فاغتنم ذلك، وادع إلىٰ السُّنَّة حتىٰ يكون لك في ذلك ألفة، وجماعة يقومون مقامك إنْ حدث بك حدث، فيكونون أئمة بعدك، فيكون لك ثواب ذلك إلىٰ يوم القيامة كما جاء الأثر، فاعمل علىٰ بصيرةٍ، ونيةٍ حسنةٍ، فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر، فتكون خلفًا من نبيك ﷺ، فإنك لن تَلْقىٰ الله بعمل يشبهه... إلخ». (ص٢٨-٣٢).

الرسالة السادسة والأربعون[(١)]
وجوب جهاد أهل الفساد والانحراف في الدين[(٢)]

(١) طبعت في «الرسائل والمسائل» (٤/ ٥٤٥، ٥٤٦).

(٢) يُبيِّن الإمام الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالىٰ في هذه الرسالة أهمية الجهاد، وفرضيته علىٰ المسلمين. ولا شكَّ أن الجهاد في سبيل الله عزٌّ للمسلمين، وسبب لإظهار دين الله، ورحمة للعباد، والله عَزَّوَجَلَّ ينصر عباده الموحدين المخلصين المجاهدين، ويؤيدهم بجُنُوده التي لا يَعْلمها إلا هو، وشاهد ذلك نصر الله لنبيه ﷺ في غزواته، وانتصار جيوش المسلمين علىٰ كسرىٰ والروم. وكذلك من شواهد ذلك الدولة السعودية، فإنها لمَّا قامت علىٰ التوحيد الخالص وإقامة شرع الله، وجاهدت في سبيل تحقيق ذلك، ومحاربة الشرك والبدع، أعزَّها الله، ومَكَّنها في الأرض، وهذا تحقيق لوعد الله الصادق: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

وأما إذا ترك المسلمون فريضة الجهاد بجميع أنواعه -سواء جهاد الكفار الصَّادِّين عن سبيل الله، أو جهاد أهل البدع الصَّادِّين عن السُّنَّة، الداعين إلىٰ البدعة- فإنَّ ذلك من أكبر أسباب الذل والهوان، وتَسلُّط أعداء الله علىٰ أهل الحقِّ والسُّنَّة كما جاء عن النبي ﷺ حيث قال: «**إذا تبايعتم بالعِينَةِ، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سَلَّط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم**»، رواه أبو داود (ح/ ٣٤٦٢) من حديث عبد الله بن عمر، وصَحَّحه الألباني. فالواجبُ علىٰ المسلين اليوم إذا أرادوا العزَّ والتمكينَ وغَلَبة أعداء الله، فعليهم أن يعودوا إلىٰ دينهم، وتطبيقه، والجهاد في سبيله، وهذا هو ما كان عليه السلف، والذي بسببه صلح أمرهم، ولا يصلح حالنا إلا إذا كنا علىٰ حالهم، كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالىٰ: =

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن إلىٰ كافَّة الإخوان، سَلَّمهم الله من شُرُور الدُّنيا والآخرة، ووَفَّقنا الله وإيَّاهم للتِّجارة الفاخرة.

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فَاعْلَموا وَفَّقنا الله وإيَّاكم لشكر ما أنعم به عليكم من نعمة الإسلام والاجتماع علَىٰ ذَلِكَ، وجهاد مَنْ خرج عنه من أَهْل الجهاد[1] والفساد، الَّذِين يُفْسدون في الأرض ولا يُصْلحونَ، وقَدْ أَوْجَبَ الله جِهَادَهم دفعًا لعنادهم وخُرُوجهم عن جَمَاعة المسلمينَ والسَّمع والطَّاعة لمَنْ وَلَّاه الله أمرهم، كَمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١].

ومن فَضْله عَلَيكم اجْتِمَاعُكُمْ وجِهَادُكُمْ لأَهْل الفَسَاد، ولَوْلا الجهادُ

=

«لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها». رواه ابن عبدالبر وقد تقدم تخريجه.

والجهاد الشرعي الصحيح، والذي يثمر للمسلمين خيرًا، هو ما كان تحت رايةٍ شرعيةٍ، وقيادةٍ شرعيةٍ، يسمع لها ويطاع، وبتَحْريضٍ من وليِّ الأمر، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ [الأنفال:٦٥].

وأمَّا الرايات الجهادية التي تخوضها الجماعات الدينية اليوم فهي رايات بدعية؛ لأنها قائمة علىٰ رايات حزبية فوضوية، لا علىٰ قيادات شرعية، بل كثير منها رايات خارجية، تقتل أهل الإسلام، وتدع أهل الأوثان، نعوذ بالله من الزيغ والخذلان.

(١) أي: الذين يُسمُّون أنفسهم أهلَ جهادٍ، وهم علىٰ الحقيقة أهل فساد، وخروج علىٰ وليِّ الأمر.

لأَفْسَدوا عليكم دينكم ودنياكم، وأنتم -لله الحمد- علَىٰ ملَّة الإسلام، تَعْبدونَ ربَّكم، وتُوحِّدونه، وتعملون بفرائضِهِ، وتأمرون بالمَعْروف، وتَنْهونَ عن المُنْكر.

ومن **أَعْظَم الشُّكر**: الجهادُ الَّذِي أَوْجَبه الله في كتابِهِ العزيز، قَالَ تَعالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ الآية [البقرة:٢١٦]، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾ الآية [النساء:٨٤]، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ﴾ الآية [الحج:٤٠].

وَالإيمانُ بالله ورَسُولِهِ، والجهادُ في سبيلِهِ بالمال والنَّفس هو التِّجارة المُنْجية من شُرُور الدُّنيا والآخرة الموجبة لخير الدُّنيا والآخرة، كَمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف:١٠-١٣] الآيات(١)، فبَشَّركم ربُّكم، فَاقْبَلوا هَذِه البشارةَ، وَامْتَثِلوا

---

(١) والآيات بتمامها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [الصف:١٠-١٣].

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآيات: «هذه وصيَّة ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجلِّ مطلوب، وأعلىٰ مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم. وأتىٰ بأداة العرض الدَّالَّة علىٰ أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل لبيبٍ، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح، ومن أجلِّ أعمال الجوارح: الجهاد في سبيل الله، فلهذا قال: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ =

أَمْره، وجَاهِدوا أَهْلَ الفَسَاد، وَارْغَبوا في ثَوَاب الجهاد في سبيل الله.

وفي الحديث: «**غَدْوةٌ في سبيل الله، أو روحةٌ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها**»(١)، ولا تُفرِّطوا في الغدواتِ والرَّوحاتِ فتضيع عليكم.

وفي الحديث: «**الجِهَادُ بابٌ من أَبْوَاب الخير يُنجي الله به من الهمِّ والغمِّ، وخير المال ما أنفق فيه، وخَيْر الأيَّام أيَّام المُجَاهدين**»(٢)؛ لأنَّ المُجَاهدَ في حسناتٍ تكتب له في يقظتِهِ ونومِهِ، وفي سَيْره ومقامِهِ، فَارْغَبوا في هَذَا الخير الَّذِي

=

بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ بأن تبذلوا نفوسكم ومُهَجكم لمصادمة أعداء الإسلام، والقَصْد نصر دين الله، وإعلاء كلمته، وتنفقون ما تَيسَّر من أموالكم في ذلك المطلوب، فإنَّ ذلك ولو كان كريهًا للنفوس، شاقًّا عليها، فإنه ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾، فإن فيه الخير الدنيوي، من النصر علىٰ الأعداء، والعز المنافي للذُّلِّ، والرِّزق الواسع، وسعة الصدر وانشراحه، وفي الآخرة الفوز بثواب الله، والنجاة من عقابه». «تفسير السعدي» (ص٨٦٠).

قلت: وهذه الآيات وإن كان المراد بها جهاد الكفار، فيدخل فيها أيضًا جهاد الخوارج، وأهل البدع؛ سواء كان باللسان والبيان، أو جهادهم تحت راية ولي أمر للمسلمين، كما هو وجه استدلال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بها. يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ: «والغزو ماضٍ مع الأمراء إلىٰ يوم القيامة؛ البرِّ والفاجر لا يترك». «أصول السُّنَّة» (ص٥٨).

وقال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحجُّ والغزو مع الإمام ماضٍ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، -إلىٰ أن قال- ومَنْ خرج علىٰ إمامٍ من أئمَّة المسلمين، فهو خارجي، وقد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار، وميتته ميتة جاهلية». «شرح السُّنَّة» (ص٧٠).

(١) رواه البخاري من حديث أنس (ح/ ٢٧٩٢)، ومن حديث سهل بن سعد (ح/ ٢٧٩٤)، ورواه مسلم من حديث أنس بن مالك (ح/ ١٨٨٠)، ومن حديث سهل بن سعد الساعدي (ح/ ١٨٨١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٦)، والبيهقي في «السُّنن الكبرىٰ» (٩/ ١٠٤)، وابن أبي عاصم في كتاب الجهاد (١/ ١٣٣) من حديث عُبَادة بن الصامت بلفظ: «**وجَاهَدوا في سبيل الله، فإنَّ الجهاد في سبيل الله من أبواب الجنَّة، يُنجِّي الله به من الهمِّ والغمِّ**».

رَغَّبَ فيه رَبُّكم، وَابْذُلوا فيه المالَ والنَّفسَ، وأَفْضَل المُجَاهد مَنْ جَاهَد بنفسِهِ ومالِهِ.

وما عَذَر ربُّنا عن الجهاد إلَّا الأَعْمىٰ والأَعْرج والمريض(١)، كذَلِكَ الَّذِين لا يجدونَ ما يُنْفقون إذا نَصَحوا لله ورَسُولِهِ(٢)، والنَّصيحة لله ولدينِهِ واجبةٌ علَىٰ المعذور وغيره(٣)، وَصلَّىٰ الله علَىٰ مُحمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ، وَسلَّم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح:١٧].

(٢) لقوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة:٩١].

(٣) لقوله ﷺ: «**الدين النصيحة**». قلنا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين، وعامَّتهم**»، رَوَاه مسلم (ح/ ٥٥) من حديث تميم الداري.

الرسالة السابعة والأربعون(١)
الوصية بتقوى الله وبيان حقيقتها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن، إلىٰ مَنْ يصل إليه هَذَا الكتاب من الإخوان، وَفَّقنا الله وإيَّاهم لإقامة شَرَائع الدِّين، وَاسْتَعْملنا فيما استعمل فيه أَهْل الإيمان واليقين، وجَعَلنا من الشَّاكرين لنعمة الإسلام، المُثْنينَ بها عَلَيه، ونسأله أن يَتقبَّلها منَّا، ويتمها عَلَينا بالرَّغبة فيما يوجب الفوزَ لَدَيه.

سلامٌ عَلَيكم ورحمة الله وبركاته.

أمَّا بعد:

فأُوصِيكُمْ وإيَّاي بتَقْوىٰ الله تعالىٰ في الغيب والشَّهَادة، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء:١٣١].

قَالَ طلق بن حبيبٍ(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التَّقوىٰ أن تعملَ بطَاعَة الله، علَىٰ نورٍ من الله،

---

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٤/ ١٠٨-١١٦).

(٢) طلق بن حبيب العنزي، بصري، صدوق، عابد، رمي بالإرجاء، من الثالثة، مات بعد التسعين.

تَرْجو ثوابَ الله، وأن تترك مَعْصيةَ الله، علَىٰ نورٍ من الله، تَخَاف عقابَ الله(١).

ولا وَصيَّةَ أعظم ولا أنفع، ممَّا وَصَّىٰ الله تعالىٰ(٢) به عِبَادَه المؤمنين، قال الله عَزَّوَجَلَّ(٣): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٥].

ويَنْبَغي أن نشيرَ إلىٰ بَعْض ما وَرَد عن السَّلَف، رحمهم(٤) الله، في مَعْنىٰ هَذِهِ الوصيَّة العظيمة، المُتضمِّنة لأُصُول الدِّين، وما يَقُومُ به من الأَعْمَال.

عَنِ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا، وروي مرفوعًا، والموقوف أشهر: «(حَقَّ تُقَاتِهِ) أن يُطَاع فلا يُعْصَىٰ، ويُذْكَر فلا يُنْسَىٰ، ويُشْكَر فلَا يُكْفَر»(٥).

=

«تقريب التهذيب» (ص٢٨٣).

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور»، وأحال لابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم (١/ ٥٧).

(٢) في المطبوع بدون: «تعالىٰ».

(٣) في المطبوع: «قال الله تعالىٰ».

(٤) في المطبوع: «رحمهم الله تعالىٰ».

(٥) تقدم تخريجه في الرسالة الثلاثين.

وأَصْلُ الإِسْلَام وأساسُهُ: أَنْ ينقادَ العبدُ لله تَعَالىٰ بالقلب والأَرْكَان، مُذْعنًا له بالتَّوحِيد، مفردًا له بالإلهيَّة والرُّبوبيَّة، دون كلِّ ما سواه، مقدمًا مرادَ ربِّه علَىٰ كلِّ ما تحبُّه نفسه وتَهْواه، وهَذَا معنىٰ قول النَّبيِّ ﷺ: «**الإِسْلَامُ أَنْ تشهدَ أَنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، وتقيم الصَّلاة، وتؤتي الزَّكَاة، وتصوم رَمَضان، وتحج البيت إن اسْتَطعتَ إليه سبيلًا**»[١]. الحديث.

وحَبْلُ الله: دينُهُ الَّذِي أَمَركم به، وعَهْده الَّذِي عهده إليكم في كتابِهِ، من الأُلْفَة والاجتماع علَىٰ كلمة الحقِّ، والتَّسليم لأَمْر الله، قَالَه أبو جعفر ابن جرير[٢]، رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]، وهو جامعٌ لكلِّ ما وَرَد عن السَّلَف في معناه، كما رُوِيَ عن ابْنِ مَسْعودٍ أنَّه قال: حَبْلُ الله الجَمَاعة[٤].

وعن أَبي العالية[٥]: اعْتَصموا بالإِخْلَاص لله وَحْده.

وعن ابن زيد[٦] قال: الحَبْلُ الإسلام[٧]، وقيل: هو القرآن، لما روىٰ ابن مردويه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ هَذَا القرآنَ هو حَبْلُ الله المتين، وهو النُّورُ المبينُ، وهو الشِّفاء النَّافع، عصمةً لمَنْ تَمسَّك به، ونجاةً**

---

(١) رواه البخاري من حديث عمر، وقد تقدم تخريجه في الرسالة الأولىٰ.

(٢) «تفسير الطبري» (٤/ ٤٢).

(٣) في المطبوع: «رحمه الله تعالىٰ».

(٤) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٤/ ٤٣).

(٥) رفيع -بالتصغير- بن مهران أبو العالية الرياحي، ثقة، كثير الإرسال، من الثانية، مات سنة تسعين، وقيل: ثلاث وتسعين. وقيل بعد ذلك. «التقريب» (ص٢١٠).

(٦) محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي المدني، ثقة من الخامسة. «التقريب» (ص٤٧٩).

(٧) في المطبوع: «حبل الله الإسلام». وهذا الأثر رواه ابن جرير في «تفسيره» (٤/ ٤٤).

لمَنِ اتَّبعه»[١]، ثمَّ قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾: عن عبد الله بن مسعود أنَّه قال: «يا أيُّها النَّاس، عليكم بالطَّاعة والجماعة، فإنَّها حبل الله الَّذِي أمر به؛ وأَنَّ ما تكرهون في الطَّاعة والجماعة هو خيرٌ ممَّا تُحبُّون في الفُرْقة»[٢].

وأَخْرَجَ مُحمَّد بن نصر المروزي وغيره، من حديث عبد الله بن يحيىٰ أبي عامر: أنَّ مُعَاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قام حين صَلَّىٰ الظُّهر بمكَّة، فقال: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ أَهْلَ الكتاب افْتَرقوا في دِينِهِمْ علَىٰ ثِنْتين وسَبْعينَ مِلَّةٍ**[٣]**، وإنَّ هَذِهِ الأُمَّة ستَفْترق علَىٰ ثلاثٍ وسَبْعينَ ملَّة**[٤] -يعني الأهواء- **كلُّها في النَّار، إلَّا واحدة، وهي الجماعة**».

والله يا معشرَ العَرَب، إنْ لم تَقُومُوا بما جَاءَ به نَبيُّكمْ ﷺ لَغَيْركم من النَّاس أَحْرَىٰ ألَّا يقوم به[٥].

وعَنِ ابْنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «اتَّبعوا ولا تَبْتدعوا فقد كفيتم، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ»[٦].

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٣٤)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٤٣١).
(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٤/ ٤٥).
(٣) في المطبوع: «فرقة».
(٤) في المطبوع: «فرقة».
(٥) رواه المروزي في «السُّنَّة» (ص١٩)، وكذلك أبو داود (ح/ ٤٥٩٧)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» برقم (١، ٢، ٦٥)، وصححه الألباني لشواهده في «السلسلة الصحيحة» (ح/ ٢٠٤).
(٦) في المطبوع: «فكل بدعة ضلالة»، وهذا الحديث رواه المروزي في «السُّنَّة» (ص٢٨). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني في «الكبير»، ورجاله رجال الصحيح. (١/ ١٨٦).

ثمَّ قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، أي: اذْكُرُوا[١] ما أَنْعَمَ به عليكم، من الأُلْفَة والاجتماع علَىٰ الإسلام، حين[٢] كنتم أعداء علَىٰ شرككم، يقتل بعضكم بعضًا عصبيَّةً، في غير طاعة الله، ولا طاعة رسولِهِ، فألَّف الله بين قُلُوبكم، تواصلون[٣] بأُلْفَة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه.

وذُكِرَ عن قتادة[٤]: كنتم تذابحون، يأكل شَديدُكُمْ ضَعِيفَكمْ، حَتَّىٰ جاء الله بالإسلام فأَلَّف به قُلُوبكم، فوالله الَّذِي لا إله إلَّا هو، إنَّ الألفةَ رحمةٌ، وإنَّ الفرقةَ عذابٌ[٥].

وقوله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣]، يقول تعالىٰ: وكنتم علَىٰ طَرف جهنَّم، بكُفْركم الَّذِي كنتم عليه، فأَنْقذَكُم اللهُ بالإيمان الَّذِي هَدَاكم له[٦].

وذكر عن قتادة في الآية: كان هَذَا الحيُّ من العرب أذلَّ النَّاس ذلًّا، وأَشْقَاه عيشًا، وأَبْيَنه ضلالةً، وأَعْرَاه جُلُودًا، وأَجْوَعه بُطُونًا، مَكْفوفينَ[٧] علَىٰ رأس حجرٍ، بين الأُسْد[٨] من فارس والرُّوم، لا والله ما في بلادهم يومئذٍ من شيءٍ

(١) في المطبوع: «أذكروا».
(٢) في المطبوع: «حيث».
(٣) في المطبوع: «تواصلوا».
(٤) تقدم التعريف به في الرسالة السابعة والثلاثين.
(٥) «تفسير ابن جرير» (٤/ ٤٥، ٤٦).
(٦) في المطبوع: «به».
(٧) في «تفسير الطبري»: «مكعومين».
(٨) في «تفسير الطبري»: «بين الأسدين؛ فارس والروم».

يُحْسَدون عليه، مَنْ عاش منهم عاشَ شقيًّا، ومَنْ مات[١] ماتَ ردي[٢] في النَّار، يؤكلون ولا يأكلون. والله ما نعلم قبيلًا يومئذٍ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظًّا، وأدقَّ[٣] شأنًا منهم، حَتَّىٰ جاء اللهُ بالإسلام، فوَرَّثكم به الكتاب، وأحلَّ به[٤] دار الجهاد، ووَضَع لكم به الرِّزق، وجَعَلكم به مُلُوكًا علَىٰ رقاب النَّاس، وبالإسلام أَعْطىٰ الله ما رأيتم، فاشكروا نِعَمَه، فإِنَّ رَبَّكم مُنْعمٌ يحبُّ الشَّاكرين، وإِنَّ أَهْل الشُّكر في مزيدٍ من الله[٥]، فتعالىٰ ربُّنا وتَبارَك[٦].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣]، أي: يعرفكم في كلِّ ذَلِكَ مواقعَ نعمِهِ وصنائعِهِ فيكم، ويُبيِّن لكم حُجَجه في تَنْزيلِهِ علَىٰ رسولِهِ ﷺ لتَهْتَدوا إلىٰ سبيل الرَّشَاد، وتسلكوها فلا تَضلُّوا عنها[٧].

وقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ الآية [آل عمران:١٠٤]، قال ابن كثيرٍ في «تفسيره»: المَقْصود من هَذِه الآية: أَنْ تكون فرقةٌ من الأُمَّة متصديةً للقيام بأَمْر الله في الدَّعوة إلىٰ الخير، والأمر بالمَعْروف، والنَّهي عن المنكر، وإِنْ كان ذَلِكَ واجبًا علَىٰ كلِّ فردٍ من الأُمَّة بحَسَبه. كَمَا ثبتَ في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ رأىٰ منكم منكرًا فليُغيِّره بيدِهِ،**

(١) في «التفسير»: «ومن مات ردي في النار».
(٢) في المطبوع: «ردىٰ».
(٣) في «التفسير»: «وأدق فيها شأنًا منهم».
(٤) في «التفسير»: «وأحل لكم به دار الجهاد».
(٥) في «التفسير»: «في مزيد الله».
(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٠).
(٧) «تفسير الطبري» (٤/ ٥٠).

فإنْ[١] **لم يَسْتطع فبلسانِهِ، فإنْ**[٢] **لم يَسْتطع فبقلبِهِ، وذَلِك أَضْعَفُ الإيمان**»[٣].

وفي «المسند» عَنْ حُذَيفة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**والَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لتأمرنَّ بالمَعْروفِ، ولتنهونَّ عن المُنْكر، أَوْ ليوشكنَّ الله أن يَبْعثَ عَلَيكمْ عقابًا من عندِهِ، ثمَّ لتدعنه فَلَا يَسْتجيب لَكُمْ**»[٤].انتهى[٥].

قلت: وروىٰ مُحمَّد بن نصر، من حديث يزيد بن مرثد مرسلًا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كلُّ رجلٍ من المسلمين علَىٰ ثغرةٍ من ثغر الإسلام، اللهَ اللهَ، لا يُؤتَىٰ الإسلامُ من قبلك**»[٦].

ورَوَىٰ بسَنَدِهِ عن الحسن بن حي: «إنَّما المسلمون علَىٰ الإسلام بمَنْزلة الحصن، فإذا أحدثَ المسلمُ حدثًا، ثغر في الإسلام من قِبَلِهِ، فإنْ أحدثَ المسلمون كُلُّهمْ، فَاثْبُتْ أنت علَىٰ الأمر الَّذِي لو اجتمعوا عليه، لقَامَ الدِّينُ لله بالأمر الَّذِي أَرَادَه من خلقه»[٧].

---

(١) في المطبوع: «فمن».
(٢) في المطبوع: «فمن».
(٣) رواه مسلم (ح/ ٤٩).
(٤) رواه أحمد (٥/ ٣٨٨)، والترمذي (ح/ ٢١٦٩) من حديث حذيفة. ورواه أيضًا من حديث عمرو ابن أبي عمرو، وقال عنه: حديث حسن. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (ح/ ٦٩٤٧).
(٥) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٣٥).
(٦) «السُّنَّة» للمروزي (ص١٣)، وهو حديث مرسل؛ لأن يزيد تابعي. قال عنه في «التقريب»: من الثالثة، وله مراسيل. «التقريب» (ص٦٠٥).
(٧) هذا الأثر رواه المروزي في «السنة» (ص١٤)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٢)، والحسن هو ابن صالح بن صالح بن حي الهمداني. ثقة، عابد، من السابعة، (ت ١٦٩). «التقريب» (ص١٦١).

وقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

قال ابن عَبَّاسٍ في الآية: أَمَر اللهُ المؤمنين بالجَمَاعة، ونَهَاهم عن الاخْتِلَافِ والفُرْقة، وأَخْبَرهم أنَّه إنَّما هَلَك مَنْ كان قَبْلهم بالمِرَاءِ، والخُصُوماتِ في دين الله(١).

قلت: فتَأَمَّل كَيْفَ نَهَىٰ اللهُ سبحانه في هَٰذِهِ الآيات عن التَّفرُّق في مَوْضعين، وأَخْبر أنَّه من موجبات العَذَاب العظيم، وأَرْشَد إلىٰ أَسْبَاب الاجتماع علَىٰ دينِهِ وشرعِهِ.

ومِنْ أَعْظَمها: الاعتصامُ بكتابِهِ ودينِهِ؛ علمًا وعملًا، وأداء شكره، والقيام بما فَرَضه علَىٰ عبادِهِ من الدَّعوة إلىٰ الخير، والأَمْر بالمَعْروفِ، والنَّهي عن المُنْكر(٢).

ومن هنا تَعْلم أنَّ من أعظم الفَسَاد: الإعراض عن كتاب الله ومَا بَعَثَ الله به

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٥٢).

(٢) **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قاعدة في الجماعة والفرقة، وسبب ذلك ونتيجته. قال: «فظهر أن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين، والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطنًا وظاهرًا. وسبب الفرقة ترك حظٍّ مما أمر العبد به، والبغي بينهم. ونتيجة الجماعة رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسَعَادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه. ونتيجة الفرقة عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول ﷺ منهم. وهذا أَحَد الأدلَّة علىٰ أن الإجماع حُجَّة قاطعة، فإنهم إذا اجتمعوا كانوا مطيعين لله بذلك، مرحومين، فلا تكون طاعة الله ورحمته بفعل لم يأمر الله به، من اعتقادٍ، أو قولٍ، أو عملٍ، فلو كان القول أو العمل الذي اجتمعوا عليه، لم يأمر الله به، لم يكن ذلك طاعةً لله، ولا سببًا لرحمته». «الفتاوىٰ» (١/ ١٧).

رسولَهُ من الهدىٰ والعلم، واتِّباع الأَهْواء والآراء المُضلَّة، نعوذ بالله من ذَلِك، فإِذَا وَقَع ذَلِكَ، تَرتَّب عليه من أنواع الفَسَاد ما لا يكاد يبلغه الوصف.

فمن ذَلِكَ: الاختلافُ في الدِّين، والتَّحاسُد، والتَّدَابر، والتَّقاطع، فلا تكاد ترىٰ إلَّا مَنْ هو معجبٌ برأيه، مُتنقِّصٌ لغيره، مُخلَّدٌ إلىٰ الأرض عن تَعلُّم العلم وتعليمِهِ.

فالواجبُ علَىٰ مَنْ أعطاه الله شيئًا من العلم، أن يَبْذله لطالبِيهِ، وأَنْ يقوم بما أَوْجَب الله تَعَالىٰ عليه، من النَّصيحة لله ولرسولِهِ، ولكتابِهِ، ولأَئمَّة المُسْلمينَ، وعَامَّتهمْ(١).

وعلىٰ الخَاصَّة والعَامَّة أَنْ يُعظِّموا كتابَ رَبِّهمْ، ودينَه وشَرْعه، ويُقْبلوا بكُليَّتهمْ علَىٰ ما ينفعهم، من تَعلُّم دينهم، وطَاعَة رَبِّهمْ، وتَرْك مَعَاصيه؛ وأَنْ يَقُوموا بما وَجَب عَلَيهم مع ذَلِكَ، من الأَمْر بالمَعْروفِ، والنَّهي عن المُنْكر، علَىٰ علمٍ وبصيرةٍ؛ وأَنْ يَهتمُّوا بما يصلح ذَلِكَ، من الإخلاص لله تعالىٰ في أُمُور دينهم.

وعلىٰ مَنْ نَصَح نفسه أن يكون حذرًا من الأَسْبَاب الَّتي تضعف الإيمان، وتَجْلب أسبابَ المآثم والعصيان، من الهَلَع والطَّمع، والرِّضا بالدُّنيا والاطمئنان بها، وفي الحديث: «**حبُّ الدُّنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ**»(٢).

---

(١) إشارة إلىٰ حديث النبي ﷺ الذي رواه مسلم عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الدين النصيحة**»، وقد تقدم في الرسالة الثانية والأربعين.

(٢) **قال العجلوني**: رواه البيهقي في الشُّعَب «شعب الإيمان» بإسنادٍ حسنٍ إلىٰ الحسن البصري رَفَعه =

وأخرج البخاريُّ وغيرُهُ[١]، من حديث أبي سعيدٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ جَلَس ذات يومٍ علَىٰ المنبر، وجَلَسنا حَوْله، فقال: «**إنَّ ممَّا أخاف عليكم من بعدي، ما يفتح عليكم من زَهْرة الدُّنيا وزينتها**»، فقال رجلٌ: يا رسول الله، أوَ يأتي[٢] الخيرُ بالشَّرِّ؟ فَسَكت النَّبيُّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: ما شأنك تُكلِّم النَّبيَّ ﷺ، وَلَا يُكلِّمكَ؟ فرأينا أنَّه يَنْزل عليه. قال فَمَسَح عنه الرُّحَضاء، فقَالَ: «**أَيْنَ السَّائل؟**»، وكأنَّه حمده، فَقَالَ: «**إنَّه لا يأتي الخير بالشَّرِّ، وإنَّ ممَّا ينبت الرَّبيع يقتل أو يلم**[٣]**، إلَّا آكلة الخضراء أكلت، حَتَّىٰ إذا امتدَّت خَاصِرَتَاها، اسْتَقبلتْ عين الشَّمس، فثلطَتْ وبَالَتْ ورَتَعتْ؛ وإنَّ هَذَا المال خضرةٌ حلوةٌ، فنعم صاحب المسلم ما أَعْطَىٰ منه المسكين، واليتيم، وابن السَّبيل**»، أو كَمَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**وإنَّه مَنْ يأخذُهُ بغير حقِّه كالَّذِي يَأْكُلُ ولا يَشْبع، ويكون**[٤] **شهيدًا عَلَيه يوم القِيَامَة**»[٥].انتهىٰ.

فهَذَا مثلٌ ضَرَبه رَسُولُ الله ﷺ، وبَيَّنَ فيه أَنَّ مَنْ جَمَع الدُّنيا أو طَلَبها من غير حِلِّهَا، وصَرَفها في غير حَقِّها، صَارَتْ عليه وبالًا، ومن أَجْمَلَ في طَلَبها وأَخَذها من حِلِّها، وأدَّىٰ حقَّ الله فيها، ولَمْ يشتغل بها عن طَاعَة مَوْلاه، فإنَّها تكون في

=

مرسلًا. وقال الألباني: موضوع. «سلسلة الأحاديث الموضوعة» (٣/ ٣٧٠).

(١) في المطبوع: «وأخرج البخاري في «صحيحه» وغيره».

(٢) في المطبوع: «أفيأتي».

(٣) في المطبوع: «ما يقتل أو يلم».

(٤) في المطبوع: «فيكون».

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (ح/ ١٤٦٥،٢٨٤٢،٦٤٢٧).

حقِّه نعمةً وعطيةً، ولغيره محنةً وبَليَّةً.

هَذَا وقَدْ أَعْطَاكم اللهُ من أصناف نعمِهِ ما تُحبُّون، وصَرَف عنكم ما تكْرهون، ابتلاءً وامتحانًا، لتَعْرفوا نِعَمَه، وتَشْكروه(١) قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤].

فَانْظُرُوا -رحمكم الله- بمَاذَا تُقَابلونها؟ أبِاسْتِعْمَالها في طاعتِهِ ودينِهِ ومَرَاضيه؟ أَمْ تَجْعلونها سُلَّمًا إلىٰ الإعراض عن دينِهِ، وارتكاب مَعَاصيه، من الظُّلم والبغي، والأَشَر والبَطَر، واللَّهو واللَّعب، وقول الزُّور، والسُّخرية، ونحو ذَلِكَ ممَّا لا يحبُّه الله ولا يَرْضاه؟

نسأل الله السَّلَامة من أَسْبَاب التَّغيير؛ قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

اللَّهمَّ إنَّا نعوذ بك من زَوَال نِعْمَتك، وتَحوُّل عافيتك، وفُجَاءة نِقْمَتك، وجميع سَخَطك(٢)، اللَّهمَّ إنَّا نعوذ بك من جَهْد البَلَاء، ودَرَك الشَّقَاء، وسوء القَضَاء، وشَمَاتة الأَعْدَاء(٣).

اللهَ اللهَ عبادَ الله، قَيِّدوا نِعَمَ الله بشكره، واتِّباع ما يُرْضيه، وأَنْفقوا ممَّا جَعَلكم

---

(١) في المطبوع: «وتشكروها».

(٢) هذا من الدعاء المأثور عن النبي ﷺ من عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، رواه البخاري (ح/ ٢٧٣٩).

(٣) هذا من الدعاء المأثور عن النبي ﷺ. رواه البخاري (ح/ ٦٣٤٧)، ومسلم (ح/ ٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مُسْتَخلفينَ فيه، فإنَّ الله خَوَّلكم نِعَمَه، لتُطيعُوه لا لتُعْصُوه(١)، وتَعْمَلوا بدينِهِ، وشَرْعِهِ، وتُعظِّموه، لا لتَشْغلوا بها عن ذَلِكَ، وتمتهنوه(٢).

اللَّهمَّ أوزعنا شكر ما أَنْعَمتَ به علينا من هَذِهِ النِّعم الظَّاهرة والباطنة، وَاسْتَعْملنا فيما يُرْضيك عنَّا، وعَافِنَا وَاعْفُ عنَّا، برَحْمَتك يا أَرْحَمَ الرَّاحمينَ، وصلَّىٰ الله علَىٰ سَيِّدنا مُحمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وَسلَّمَ(٣).

---

(١) في المطبوع: «لتطيعوه ولا لتعصوه».

(٢) في المطبوع: «أو تمتهنوه».

(٣) في المطبوع: «وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم».

الرسالة الثامنة والأربعون(١)
التنبيه علَى أمور وقع فيها الخلل بسبب الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن: إلىٰ مَنْ يصل إليه من الإخوان، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاتُهُ، وبعد:

فالَّذِي نُوصيكُمْ به، تقوىٰ الله تعالىٰ، والتَّوَاصي بما يُرْضي الله سبحانه، من طاعتِهِ، وطَاعَة رسولِهِ ﷺ، والعَدْل والإِنْصَاف. واذْكُرُوا فناءَ الدُّنيا وزَوَالها، والعَرْض علَىٰ الله، والحِسَاب، والميزان، والجنَّة، والنَّار، يومَ لا يَنْفع مالٌ ولا بنون، إلَّا مَنْ أَتَىٰ اللهَ بقلبٍ سليمٍ.

والباعث علَىٰ هَذَا أمورٌ وقع فيها الخللُ بِسَبَب الإقبال علَىٰ الدُّنيا، والإعراض عن الآخرة.

فمِنْهَا: التَّهاونُ بالصَّلاة من كثيرٍ من السُّفَهاء، لا يُبَالون صَلَّوها في جماعةٍ أم

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٤/ ١١٧، ١١٨).

لا، وصلاةُ الجَمَاعة فرضٌ علَىٰ الأعيان، كما هو مَذْهب الإمام أحمد وغيره. وقالَ بَعْض العلماء: هي شرطٌ، لا تصحُّ الصَّلاة إلَّا بها(١).

ومرَّ علينا عبارةٌ في الدَّرس بحَضْرة إخوانكم، وَارْتَاعوا منها، وأحبُّ أن نُنبِّهكُمْ عليها؛ وهي: أنَّ المشهور في مَذْهب الإمام أحمد أنَّ مَنْ ترك الصَّلاة تهاونًا وكسلًا يَكْفر، ويُقْتل كفرًا إذا دُعِيَ إليها فأصرَّ(٢).

ومنها: صلاة الجُمُعة، نَصُّوا علَىٰ أنَّ مَنْ تركها تهاونًا وكسلًا ولو مرَّةً واحدةً، أنَّه يكفر.

ويوجد أناسٌ في أطراف البلدان، يَتْركونها مرارًا، وهَذَا أمرٌ عظيمٌ، وخطرُهُ كبيرٌ(٣)، قَدْ يكون الإنسانُ كافرًا مرتدًّا بتَرْك فريضةٍ، وهو لا يَشْعر.

فَاحْذَروا -رحمكم الله- التَّهاون بمثل هَذِه الأُمُور الخطيرة الَّتي إذا وَقَعتْ

---

(١) انظر: «المغني» (٣/ ٥) باب الإمامة، حيث فصل في هذه المسألة، وذكر أقوال أهل العلم، والراجح منها.

(٢) انظر كتاب: «الصلاة» لابن القيم، حيث فصل في هذه المسألة في عدة فصول.

(٣) وقد أورد الإمام المنذري جملةً من الأحاديث في الترهيب من ترك الجمعة لغير عذرٍ، منها عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال لقومٍ يَتخلَّفون عن الجمعة: «**لقد هممتُ أن آمرَ رجلًا يصلي بالناس، ثم أحرق علىٰ رجالٍ يتخلفون عن الجمعة بُيُوتهم**»، رواه مسلم. ومنها عن أبي هريرة، وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنَّهما سمعا رسول الله ﷺ يقول علىٰ أعواد منبره: «**لينتهينَّ أقوامٌ عن ودعهم الجُمُعات، أو ليختمنَّ الله علىٰ قُلُوبهم، ثمَّ ليكونن من الغافلين**»، رواه مسلم، وابن ماجه، ومنها عن أبي الجعد الضمري عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ ترك ثلاث جُمَعٍ تهاونًا بها من غير عذرٍ، طبع الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ قلبه**»، رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وصَحَّحه الألباني، ومنها عن أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ ترك ثلاث جُمُعاتٍ من غير عذرٍ، كتب من المنافقين**»، رَوَاه الطبرانيُّ، وصححه الألباني. انظر «صحيح الترهيب والترغيب» (١/ ٤٥٠، ٤٥١).

من سفيهٍ ضَرَّت العامَّة إذا تركوه عَلَيها(١).

وأَعْظَمُ النَّاس خطرًا في مثل هَذِهِ الأُمُور: الأُمَراء والنُّوَّاب(٢)، إذا تركوا القيامَ بما أَوْجَبَ اللهُ عَلَيهم من القيام بأَمْرِ الله علَىٰ الدَّانِي والقَاصِي، والقريب والبعيد، والعدو والصَّديق، كَمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية [النساء:١٣٥]، وهَذَا هو الواجبُ علَىٰ وُلَاة الأُمُور(٣)، فنَسْأل الله لنا ولكم التَّوفيق.

وهنا مسألةٌ مِمَّا يَتعلَّق بالعدل، وحُقُوق الخَلْق، وهي: أنَّ النَّوائب(٤) الَّتي

---

(١) كما جاء في البخاري من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم علىٰ حدود الله والواقع فيها كمثل قوم اسْتَهموا علىٰ سفينةٍ، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا علىٰ مَنْ فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذِ مَنْ فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإنْ أخذوا علىٰ أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»، (ح/ ٢٤٩٣).

وكما جاء في الترمذي من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»، رَوَاه أحمد (ح/ ٢٣٣٧٥)، والترمذي (ح/ ٢١٦٩).

(٢) مَنْ ينوبون الإمام في بعض الأعمال والواجبات؛ كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وكأمراء البلدان والأمصار.

(٣) كما جاء عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**كلُّكم راعٍ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته، الإمام راعٍ ومسئولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئولٌ عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسئولةٌ عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئولٌ عن رعيته -قال: وحسبتُ أَنْ قد قال- والرَّجل راعٍ في مال أبيه، ومسئولٌ عن رعيته، وكُلُّكُمْ راعٍ ومسئولٌ عن رعيته**»، رواه البخاري (ح/ ٨٩٣)، ومسلم (ح/ ١٤٥٩).

(٤) في المطبوع: «النوابة».

يَضَعها الأُمَراء والنُّظراء[1] رُبَّما يَقَع فيها الجورُ، وعَدَم المُوَاساة، فمن ذَلِكَ: تَنْويب المُعْسر الَّذِي لا يقدر علَىٰ وفاء جميع ما عَلَيه من الدَّين؛ لكون جميع مالِهِ لا يقابل دَيْنه، فهَذَا لا يجوز أَخْذُ النَّائبة منه.

وقَدْ بلغني أنَّ الشَّيخ مُحمَّدًا رَحِمَهُ اللَّهُ أفتىٰ أُنَاسًا من أَهْل سدير وغيرهم أنَّ هَذِهِ النَّوائب تُوضَع بالقِسْطِ علَىٰ النَّاتج، هَذَا إذا كانت لمَصْلحة الدين، كالجهاد خاصَّةً، فتُوضَع بالعدل علَىٰ النَّاتج، قالَ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ الآية [النساء: ٥٨]، وصَلَّىٰ الله علَىٰ مُحمَّدٍ وآلِهِ وصحبه وَسلَّم.

---

(١) الذي يظهر أن المراد بالنَّوائب هو الأموال التي يجمعها مَنْ يُعِينُهُم الإمام لتحصيلها من الناس من زكواتٍ وديونٍ، والنظر في حال المعسر، وكيف يقسط ما عليه، والله أعلم.

الرسالة التاسعة والأربعون(١)
الوصية بتدبر كتاب الله ودلائل التوحِيد(٢)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن، إلىٰ الإخوان: صالح بن مُحمَّد الشِّثري، وزيد بن مُحمَّد آل سُلَيمان،(٣) وإخوانهم، سلامٌ عَلَيكم ورحمة الله وبركاتُهُ.

---

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٤/ ١٢٥، ١٢٦).

(٢) هذه الرسالة علىٰ صغرها عظيمة في إشاراتها وتنبيهاتها علىٰ أهمية تدبر كتاب الله، وآياته الشرعية والكونية التي بَيَّنها الله في كتابه، وخاصةً دلائل التوحيد الثلاثة؛ الربوبية، والألوهية، وأسماء الله الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ، فإن في ذلك أعظم الدلائل علىٰ ترسيخ الإيمان في القلب وزيادته، وقوة اليقين، وإزالة الشك والريب عن القلب، وكلما زاد المسلم علمًا بهذا الباب، زاد إيمانًا ويقينًا. وأن الجهل به من أعظم الخطر علىٰ دين المسلم وعقيدتِهِ، وفي ذلك من أكبر أسباب العطب، فإنه من أسباب الشك، وأسباب النفاق، وباب من أبواب الرِّدَّة، والكفر، والانحراف، والابتداع. ولهذا فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ حَذَّر من ذلك مبينًا أنه من أسباب عمىٰ القلب عن الحقِّ، حيث قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤]. وتدبر القرآن وتعقله من أسباب الحصول علىٰ رحمة الله، حيث قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف:٢٠٤]. ومن أعظم الرحمة العلم واليقين، والذي بهما تُدْفع الشبهات كما ذكر ذلك الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن في الرسالة السابعة.

(٣) لم أجد له ترجمةً. والأخوان: كذا في المطبوع. ولعل الصحيح: الأخوين.

وموجب الخط: إبلاغكم السَّلام، والسُّؤال عن الحال، جَعَلنا الله وإيَّاكم مِمَّنْ عرف الحقَّ فاتَّبعه، وقَابَل النِّعم بشُكْرها(١).

وأوصيكم بتَدبُّر أنوار الكتاب الَّتي هي أَظْهَر من الشَّمس في نَحْر الظَّهيرة، ليس دُونَها قترٌ ولا سحابٌ، لا سِيَّما دَلَائل التَّوحِيد، والتَّفكُّر في مَدْلولاتِهِ، ولَوَازمِهِ ومَلْزوماتِهِ، ومُكمِّلاتِهِ ومُقْتضياتِهِ، ثمَّ التَّفطُّن فيما يُنَاقضه ويُنَافيه من نَوَاقضه ومُبْطلاتِهِ.

فالخطرُ به شديدٌ، ولا يَسْلم منه إلَّا مَنْ وُفِّقَ للصَّبر والتَّأييد، والفعل الحميد، والقَوْل السَّديد، وخَالَط قلبُهُ آيات الوعد والوعيد، وعَرَف الله بأسمائِهِ وصفاتِهِ الَّتي تَجْلو الرَّيب والشَّكَّ عن قلبِ كلِّ مريدٍ(٢)، وَاعْتَصَم بالله من كلِّ شيطانٍ مريدٍ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو

---

(١) والشُّكْرُ لله علىٰ النِّعم قيدٌ لها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم:٧]، والدعاء لطالب الهدىٰ والعلم من سمت وأدب العلماء.

يقول شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالىٰ- في بداية رسالته «القواعد الأربع»: «أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم أن يتولَّاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنت، وأَنْ يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنَّ هذه الثلاث عنوان السعادة». انظر «الجامع للمتون العلمية» (ص٤٠١).

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عن أهمية معرفة باب الأسماء والصفات: «فإن معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحَصَّلته النفوس، وأدركته العقول». «الحموية» (ص٢١). ويقول أيضًا: «الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية». (ص٢٢).

﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ الآيات [البروج:١٢-١٦].

فقَدْ عَمَّت البَلْوىٰ بالجهل المُركَّب والبسيط[١] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال:٤٧]، فاللهَ اللهَ في التَّحفُّظ علَىٰ القلب بكثرة الاستغفار من الذُّنُوب[٢]، جعلنا الله وإيَّاكم مِمَّنْ نَجَا من ظُلْمة الجَهَلة، وأَخْلَص لله أقوالَهُ وأَعْمالَهُ، والسَّلام.

---

(١) قال صاحب «نظم الورقات» شرف الدين العمريطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

والجهل قل تصور الشيء علىٰ خلاف وصفه الذي به علَا
وقيل حدُّ الجهل فَقْد العلم بسيطًا أو مركبًا قد سَمَا
بسيطه في كل ما تحت الثرىٰ تركيبه في كل ما تصورَا

وقد ذكر العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ أقوال العلماء في تعريف الجهل المركب، والجهل البسيط. انظر «شرح نظم الورقات» لابن عثيمين (ص٤٣).

(٢) وذلك لأن للاستغفار أثرًا كبيرًا علىٰ القلب بوجله، وزيادة إيمانه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال:٢]، والاستغفار من أعظم الذِّكر، ولهذا كان النبي ﷺ كثير الاستغفار، كما جاء في البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**والله، إنِّي لأستغفر اللهَ وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرَّةً**».

الرسالة الخمسون(١)
الوصية بالصدق مع الله وتعلم العلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَعَليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته.

وحال النَّاس اليومَ لا تَخْفَاك، وأَهْل نجد مَنَّ الله عليهم بنعمة التَّوحِيدِ، لما يَسَّرَ لهم مَنْ يَدْعوهم إليه، ويُجَاهدهم عليه؛ لَكِنْ أَعْرَضوا في هَذِهِ الأَوْقَات،

---

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٤/ ١٢٧)، وهذه الرسالة جاءت ردًّا علىٰ رسالة جاءت للشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ كما يظهر من رسالته هذه، والتي بدأها برد السلام، إلا أنني لم أجد من هو صاحب الرسالة المردودة عليها. والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الرسالة ينوه علىٰ نعمة التوحيد، ووجوب حفظها بالشكر لله عَزَّوَجَلَّ وحمده؛ لأن في ذلك بقاءً لها، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم:٧]. والإعراض عن التوحيد وعن تعلمه وتعليمه ونشره بين الناس مما يُنَافي شكر هذه النعمة، وسبب لنقصانها، كما ينوه علىٰ أهميَّة وُجُود طائفةٍ من أهل الإيمان والتوحيد والاتباع، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

كما نوه أيضًا علىٰ أهمية العلم، وهو سلاح هذه الطائفة المنصورة، فهذه الوصية وصية عظيمة نوَّه فيها الشيخ علىٰ وصايا جليلة نافعة لهم في دينهم ودنياهم.

وآثروا الدُّنيا علَىٰ الدِّين، إلَّا مَنْ شاءَ الله، لكن إذا حَصَل في البُلْدان طائفة حقٍّ، يقومون به، ويدعون إليه، ويَسْتحسنُونَ الحسنَ، ويَسْتَقبحونَ القبيحَ، فهَذِهِ نعمةٌ عَلَيهم وعَلَىٰ أَهْل بَلَدهم.

فالَّذِي أُوصيكُمْ به: اصْدُقُوا مع الله، وتَعلَّموا من العلم ما يُنْجيكم من شُبُهات أَهْل الشَّكِّ والرَّيب، فبالعلم واليقين(١) تُدْفع الشُّبُهات، ولله الحمد علَىٰ بَقَاءِ طَائفةِ الحقِّ(٢)، تَدْعو مَنْ ضلَّ إلىٰ الهدىٰ، وتَصْبر منهم علَىٰ الأذىٰ(٣)، والسَّلام.

---

(١) وقد نبه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ذلك، حيث قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة:٢٤]، ودفع الشبهات، ونشر الدين والسُّنَّة لا يكون إلا علىٰ أيدي أهل العلم الذين نالوا الإمامة بالصبر واليقين، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧]، وأما الصدق مع الله، فقد أمر الله به، ونبه علىٰ ثمرته، حيث قال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة: ١١٩].

(٢) إشارة إلىٰ حديث الطائفة، والذي ورد بألفاظ عدة عند البخاري وغيره، منها قوله ﷺ: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم مَنْ كذبهم، ولا من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك**»، رواه البخاري في كتاب التوحيد من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون مَنْ ضلَّ إلىٰ الهدىٰ، ويَصْبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يحيون بكتاب الله الموتىٰ، ويبصرون بنور الله أهل العمىٰ، فكَمْ من قتيلٍ لإبليس قد أَحْيَوه، وكَمْ من ضالٍّ تائهٍ قَدْ هدوه، فما أحسن أثرهم علىٰ الناس، وأقبح أثر الناسِ عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة». «مقدمة الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» (ص١٧٠).

الرسالة الحادية والخمسون(١)
الوصايا الثلاث الَّتي لا يتم الدين إلَّا بها(٢)

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٤/ ١٢٧، ١٢٨).

(٢) لقد تكلم الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله تعالىٰ- في هذه الرسالة عن ثلاث وصايا عظيمة، أوصىٰ الله بها عباده، ومن أهميتها أن الله نادىٰ عباده باسم الإيمان، تنويهًا لشأن هذه الوصايا، وأنها من خصال أهل الإيمان، وأنها من الواجبات الإيمانية، وهذه الوصايا هي:

١- الوصية بتقوىٰ الله تعالىٰ، وكثيرًا ما نوَّه الله عليها في كتابه، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

٢- الوصية بالتَّمسُّك بالإسلام، والمحافظة عليه إلىٰ الممات. والألف واللام في كلمة الإسلام للعهدية، أي: الإسلام الذي أنزله الله علىٰ نبيه محمد ﷺ، واختاره للعالمين دينًا، وارتضاه لهم. وَهُو ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه، وليس كل من ادَّعىٰ الإسلام تكون دعواه صحيحةً ما لم توافق هذا السبيل، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وكما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، والإسلام هو السُّنَّة، والسُّنَّة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، كما قال الإمام البربهاري في «شرح السُّنَّة» (ص٥٩).

٣- الاعتصام بكتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ، والتمسك بهما، كما قال ﷺ: «**وقَدْ تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله**»، رواه مسلم من حديث جابر في حَجَّة النبي ﷺ (ح/ ١٢١٨). وقال أيضًا ﷺ: «**تركتُ فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسُنَّتي، ولن يَتفرَّقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض**»، رواه الحاكم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصَحَّحه الألباني بشواهده. انظر «صحيح الجامع» (٣/ ٣٩)، و«مشكاة المصابيح» (١/ ٦٦).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسنٍ، إلىٰ الإخوان من المُسْلمين المُوحِّدين المُجَاهدين، أمراء جَعلان(١)، وَفَّقنا الله وإيَّاهمْ للإخلاص والصِّدق في الدِّين، وجَعَلنا وإيَّاهُمْ من حزبِهِ المفلحين، سلامٌ عَلَيكم ورحمة الله وبركاتُهُ.

وبَعْد:

(١) بفتح الجيم، وهم بنو بو علي، وأهلها حنابلة، وهي من نواحي عمان في شرقها علىٰ الخليج العربي، تكتنفها جبال تعرف بجبال جعلان، وهي مرتفعة عن البحر مسافة أربع ساعات للراكب، وميناؤها الرئيس بلدة صور. وصور لها خور واسع ترسو فيه السفن الكبيرة، يشق البلد نصفين، فتقع علىٰ الضفة الشمالية منه أم اقرينتين (وهي أم القيوين التي أصبحت فيما بعد إحدىٰ الإمارات التي تتكون منها دولة الإمارات العربية المتحدة)، وتقع علىٰ الجانب الجنوبي بلدة العيجة، وهي تابعة لبني بو علي حكام جعلان. وقبائل جعلان كانوا علىٰ مذهب الإباضية، ولكن دخلت فيهم الدعوة السلفية في الدولة السعودية الأولىٰ، عندما أعلنت في نجد، وقويت شوكتها حيث اشرأبت لها الأعناق، وتطلعت إليها النفوس، وكان من أولئك الشيخ سالم بن علي ين سلطان آل حمودة حيث توجه إلىٰ الدرعية، وجلس هناك ما شاء الله أن يجلس، ودرس العقيدة والتوحيد، وبعدها عاد مجاهدًا في سبيل الله، يساعده علىٰ ذلك أخوه الشيخ محمد بن علي، ودعا إلىٰ الله في جعلان، وانتشرت هذه الدعوة السلفية وانتشر التوحيد والسُّنَّة حتىٰ عَمَّتْ جميع أبناء أهل جعلان، وذلك ما يقارب سنة ١٢٣٥هـ. وأصبحوا علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وأحبوا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ويوجد عندهم أوقاف خيرية جعلوا ثوابها إلىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان الإمام سعود يرعىٰ لهم حسن الصداقة والولاء، واستمر الجعلانيون متمسكين بعقيدتهم، ويقرؤون رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا يقبلون أن يأتيهم قاضٍ أو معلمٌ أو إمامٌ إلا من نجد. ولا يقبلون دعوةً أو عقيدةً تخالف ذلك. مختصر من كتاب «عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان»، لعبد الله بن صالح المطوع من أهالي الشارقة بساحل عمان بتصرف).

فَاعْلَموا وَفَّقنا الله وإيَّاكم لِمَا يحبُّ ويَرْضىٰ من الأَقْوَال والأَفْعَال أنَّ أشرفَ الوصايا وأَجْمَعها، وأَكْمَلها وأَنْفَعها، ما وَصَّىٰ اللهُ به عِبَادَه المؤمنينَ، قَالَ تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]، وفَسَّره العلماء: أَنْ يُطَاع فلا يُعْصىٰ، وأَنْ يُذْكر فلا يُنْسَىٰ، وأن يُشْكَر فلا يُكْفَر(١).

ثمَّ قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]، وأَمرَهم بالمُحَافظة علَىٰ الإسلام الَّذِي رَضِيَهُ لنَا دينًا، والثَّبات عليه، والاستقامة عَلَيه علمًا وعملًا، وهَذَا إنَّما يَحْصل لأَهْل التَّقوىٰ، خَاصَّةً الَّذِين أخلصوا العبادةَ لله، وأَنْكَروا الشِّرْك وأَبْغَضوه، وعَرَفوا الله وأَطَاعوه، فَاجْتَنبوا ما نَهاهُمُ الله عنه. ومَنْ شَقِيَ في هَذَا وتَركَه، فَاتَه من الاستقامة والمُحَافظة بحَسَب ما أَضَاعَه من تَقْوىٰ الله.

ومِلَاكُ هَذَا كُلِّه، وهو الأَمْر الثَّالثُ، وهُوَ قولُهُ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فلا تَحْصل التَّقوىٰ إلَّا بمَعْرفةِ مَا أَمَر الله به، ومَعْرفة ما نَهَىٰ عنه، ليكون العملُ والتَّقوىٰ علَىٰ بصيرةٍ، وبِالتَّمسُّك بكتاب الله(٢)، يَتبيَّن حقيقةُ دين الإسلام ليَتبيَّن ويُعْتَقَد، وحقيقةُ ما يُنَافيه من الشِّرْك

(١) رواه ابن أبي حاتم، والحاكم في «مستدركه» عن عبد الله بن مسعود، وقال عنه: صحيح علىٰ شرط الشيخين. وقال ابن كثير: إسناده صحيح، موقوف. «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٣٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» أيضا (٧/ ٦٥).

(٢) كما قال ﷺ: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضىٰ لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة**
=

ليُنكر ويُجْتَنَب.

فهَذِهِ ثلاثُ وَصَايا لا يتمُّ الدِّين إلَّا بها، فالاعتصامُ بكتاب الله والتَّمسُّك به(١)، ينتظم به ما قبله من الثَّبات علَىٰ الإِسْلَام، والاستقامة، وَكذَلِكَ تَقْوىٰ الله حقَّ تقاتِهِ، لا تَحْصل بدون ذَلِكَ؛ آخر ما وجد، وَصلَّىٰ الله علَىٰ مُحمَّدٍ.

المال». رواه مسلم (ح/ ١٧١٥).

(١) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قاعدةٌ نافعةٌ في وجوب الاعتصام بالرسالة، وبيان أن السعادة والهدىٰ في متابعة الرسول ﷺ، وأن الضلال والشقاء في مخالفته، وأن كلَّ خيرٍ في الوجود؛ إما عام، وإما خاص، فمنشؤه من جهة الرسول، وأن كل شرٍّ في العالم مختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول، أو الجهل بما جاء به، وأن سعادة العباد في مَعَاشهم ومعادهم باتباع الرسالة. والرسالة ضروريةٌ للعباد لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلىٰ كل شيءٍ، والرسالة روح العالم، ونوره، وحياته، فأي صلاحٍ للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدُّنيا مظلمةٌ ملعونةٌ إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تُشْرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمةٍ، وهو من الأموات، قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]، فهذا وصف المؤمن، كان ميتًا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة، ونور الإيمان، وجعل له نورًا يمشي به في الناس. وأما الكافر فميت القلب في الظلمات، وسمىٰ الله تعالىٰ رسالته روحًا، والروح إذا عدم، فقَدْ فقدت الحياة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، فذكر هنا الأصلين، وهما: الروح، والنور، فالروح الحياة، والنور: النور). «الفتاوىٰ» (١٩/ ٩٣، ٩٤).

الرسالة الثانية والخمسون[1]
حال من اتبع هواه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد الرَّحمن بن حسن، إلىٰ الأخ عبد الرَّحمن بن عليٍّ بن عبيد[2] وَفَّقه الله، وحَفِظَ عَلَيه دِينَه ودُنْياه، سلامٌ عَلَيكم ورَحْمَة الله وبركاتُهُ، وبعد:

فالخطُّ وَصَل، وَصَلك الله إلىٰ خيرٍ، وما ذكرت صارَ معلومًا، وهؤلاء الَّذِين ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١]، قَدْ فَضَحتهم أَعْمَالهم، وكلُّ مَنْ له بصيرةٌ لا تَخْفىٰ عليه حالهم، كما قيل: «وكَيْف يصحُّ في الأذهان شيءٌ إِذَا احتاجَ النَّهار إلىٰ دليل؟»[3].

---

(١) طبعت في «الدرر السنية» (١٤/ ١٣٢، ١٣٣).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) هذا بيت للمتنبي، ونصه:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلىٰ دليل

ويروىٰ: «في الأفهام». «ديوان المتنبي» (٢/ ١٤٢).

والمتنبي هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، ولد في الكوفة سنة ثلاث وثلاث مئة، وانتقل إلىٰ الشام في صباه، وفيها نشأ وتأدب. له قصص وأخبار. انظر «مقدمة شرح ديوان أبي

وأمَّا مَنْ عَميَتْ بصيرته(١)، وفَسَدت سريرتُهُ، وَاسْتَعبده هَوَاه، ورَكَن إلىٰ دنياه، ولعب بقلبِهِ الرِّياسة والجاه، وخَدَعته الدُّنيا بغُرُورها، وَخَتلته بآمَالِهَا، وصَارَ لنفسِهِ من سَعْيه حظٌّ، ولِهَوَاه نصيبٌ، وللشَّيطان منه نصيبٌ، ولأَرْباب الدُّنيا منه نصيبٌ، ولمَخْدُومِهِ منه نصيبٌ، ولمُطَاعه من الخَلْق نصيبٌ، فإنَّها تَتلَاعب به إراداتُهُ، من كلِّ وادٍ من أَوْدية الهَلَاك، وهُوَ لا يشعر.

فهَذَا كالأَعْمَىٰ، يتبع قائده، ولا يرىٰ الأَمْر علَىٰ ما هو عليه، فكَانَ عَدَم التَّصوُّر من عَدَم البصيرة، ورُبَّما اعْتقَد النَّافع ضارًّا وبالعكس، نَسْأل اللهَ العافيةَ، وحَسْبنا الله ونِعْمَ الوكيل.

وتَأمَّل قوله تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]، وقوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ

=

الطيب المتنبي» (١/ ٣-٤٨).

(١) وهذا قَدْ أخبر النبيُّ ﷺ عن حال صاحب الهوىٰ، قد رَوَىٰ مسلم من حديث حذيفة قال: كنا عند عمر، فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قومٌ: نحن سمعناه. فقال: لَعلَّكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل. قال: تلك تُكفِّرها الصلاة، والصيام، والصدقة، ولكن أيُّكم سمع النبيَّ ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم. فقلت: أنا. قال: أنت! لله أبوك. قال حذيفة: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**تُعْرض الفتن علىٰ القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلبٍ أُشْرِبها نُكِتَ فيه نكتةٌ سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نكت فيه نكتةٌ بيضاء حتىٰ تصيرَ علىٰ قلبين؛ علىٰ أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًّا كالكوز مُجخِّيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه**» (ح/ ١٤٤).

حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر:٨](١).

---

(١) قلت: ومثل ذلك مما جاء في وصف حال من اتَّبع هواه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتأملوا هذه الآية، فإنها صريحة في أن مَنْ لم يتبع هدىٰ الله في هوىٰ نفسه، فلا أحد أضل منه، وهذا شأن المبتدع، فإنه اتبع هواه بغير هدىٰ من الله، وهدىٰ الله هو القرآن، وما بينته الشريعة». «الاعتصام» (١/ ٦٥).

خاتمة التحقيق

فِي نِهايَةِ هَذا المَطافِ مِن دِراسَةِ وَتَحقِيق رَسائِلِ الإِمامِ المُجَدِّد الثَّاني العَلَّامَة الشَّيْخ عَبد الرَّحْمَن بنِ حَسَن ابن الإمَام المُجَدِّد العَالِم الرَّبَّانِي شَيْخ الإِسْلام وَمُفْتي الأَنَام الشَّيْخ مُحَمَّد بن عَبْد الوَهَّاب رَحِمَهُم اللهُ تَعالىٰ، والَّتي عِشْتُ مَعها وَمَع حَياةِ مُؤَلِّفِها ثَلاثَ سَنَواتٍ مُتواصِلَاتٍ، أَكْتبُ مَا وَقَع فِي نَفْسِي وَمَا زَادَنِي رُسُوخًا فِيما وَجَدْتُه وَقَرأْتُه، فَأَقولُ مُستعينًا باللهِ عَزَّوَجَلَّ:

أَوَّلًا: النَّتائِج:

١- أنَّ الإمامَ عَبدَ الرَّحمَن بنَ حَسَن عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ سَلَفِيٌّ، نَهَج نَهْجَ سَلَف هَذه الأُمَّة، مِن الاعْتِمَادِ عَلىٰ كِتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَسُنَّة نَبِيِّه ﷺ ومَا كانَ عَلَيه الصَّحابَةُ وَسَلفُ هَذِه الأُمَّة. وَهَذا يثمر بعد الإخلاص لله عز وجل لِلعَبْد القَبُول، ويَنْفَع بِهِ الإِسلَام والمُسلِمِين، وَهَذا ما كَان لشَيْخِنا الإمامِ عَبد الرَّحمَن بنِ حَسَن رَحِمَه اللهُ تعَالىٰ، فقَد جَعل اللهُ لَه نَصيبًا وَافرًا مِن قَولِه تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦] ومِنْ قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

٢- أنَّ الشَّيخَ عَبدَ الرَّحمن بنَ حَسَن عَالِمُ أُمَّةٍ وَعَالِمُ دَولَةٍ، فَنَفع اللهُ بِهِ الأُمَّة،

ونَصر اللهُ بِه الدَّولَةَ، فَكانَ النَّاصِح للخَاصَّة والعَامَّة، وكانَ المُؤَيِّد وَالمُؤازِر لِدَولَةٍ أَرادَت بِحُكمِها إِقامَة دِينِ اللهِ وَتَحكِيم الشَّريعَة وَتَرسِيخ التَّوحيدِ وَاتِّباع السُّنَّة وَالهَدي النَّبَوِي.

ومَا أَشبَه حَالَه بِحالِ حَبرِ الأُمَّة وَترْجُمان القُرآنِ عَبد اللهِ بنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا!

٣- أنَّه لا يُتِم صَلاحُ للعِبادِ وَالبِلادِ، وَتَحقِيق الأَمْن وَالرَّخاءِ، وَتَمكِين في الأَرْض إِلَّا بالآتي:

أ- العِلمُ الصَّحيحُ النَّابِع مِن الكِتابِ والسُّنَّة، وَاتِّباع طَرِيقَة الأَوَّلِين مِن السَّلَف الصَّالِحِين.

ب- تَحقيقُ الإِيمان الصَّحيح المُتَمَثِّل بعَقِيدَة أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة.

ت- تَحقيقُ التَّوحيدِ بِأَنواعِه الثَّلاثَة؛ الأُلُوهِيَّة وَالرُّبُوبيَّة وَالأَسماءِ وَالصِّفات.

ث- تَحقيقُ العَمَل الصَّالِح المُشْتَرط باتِّباع سُنَّة النَّبِيِّ ﷺ.

ج- تَجَنُّب الشِّركِ بِأَنْواعِه الأَكْبَر وَالأَصْغَر وَالخَفِي، وَتَجَنُّب البِدَع.

ح- تَعظِيم شَعائِر اللهِ وَفَرائِضِه وَالعَمل بِها، وَأَعظَمُها إِقامَةُ الصَّلاةِ جَماعَة وَإِيتاءِ الزَّكَاة، وَالأَمْر بالمَعرُوف وَالنَّهْي عَن المُنكَر.

خ- تحكيم شرع الله تعالىٰ وإقامة حدوده.

وهَذا مَا وَضَّحَه الشَّيخُ عَبد الرَّحْمَن بن حَسَن في كَثيرٍ مِن رَسائِلِه وَوصايَاهُ، وَما حَقَّقَتْه هَذه الدَّولةُ السلفية والتي قامت علىٰ يدي الإمامين محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله تعالىٰ مُنذُ قَامَت تَحقيقًا عَملِيًّا.

قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟

ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١] وَقالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

وَهَذا الَّذي قَامَت عَلَيه دَولَةُ الإِسلامِ الأُولَىٰ عَلىٰ يَد النَّبيِّ ﷺ وتَبِعه عَلىٰ ذَلك الخُلفَاء الرَّاشِدُون وَصَدر هَذه الأُمَّة.

٤- أنَّ الاهْتِمامَ بالتَّوحيدِ وَالعَمَل بِهِ وَالدَّعوَة إِلَيْه يَجِب أنْ يَكونَ مُستَمِرًّا في حَياةِ المُسلِم كُلِّها، وَلا يَنبَغي الاكْتفاءُ بدِراسَتِه نَظريًّا دُون أن يُطبَّق ذلك عَمليًّا، أَو الاقْتِصار عَلىٰ تَعلُّمِه وتَعلِيمه مُدَّة مُؤقَّتَة، أو الاكْتفاء عَن الدَّعوَة إِلَيْه بِناءً عَلىٰ ما قَامَت عَلَيه الدَّولَة، وَجاهَد عَلَيه عُلماؤُنا المُتَقدِّمون.

فالتَّوحيدُ وَالعَمل بِهِ وَالدَّعْوَة إِلَيه يَجِبُ أَن يَكونَ كَأَنفاسِنا في الحَياةِ، تَحقيقًا لِقَولِه تَعالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقَولِه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقُدوَتُنا في ذَلِك إِمامُ المُوَحِّدِين إِبراهيم عَلَيه السَّلامُ وَخَاتَم المُرسَلِين مُحَمَّد ﷺ.

٥- أنَّ مِن أَساسِيَّات قُوَّة الدَّولةِ المُسلِمَة وَنَجاحِها وَاسْتمرارِها أنْ يَرتَبِط وُلاتُها بالعُلماءِ الرَّبَّانِيِّين النَّاصِحِين أَهْل السُّنَّة والتَّوحِيد، وَالسَّعْي في تَقرِيبِهم، فإِنَّهم البِطانَة الصَّالِحَة النَّاصِحَة الَّتي تَأمُرُهم بالخَيْر وَتَدُلُّهم عليْه.

٦- أنَّ مِن أَسبابِ قُوَّة الدَّولَة الإِسلامِيَّة وَضَمان بقَائِها وَأَمْنها عَدم تَقريبِ

المُفسِدِين مِن أَهْل البِدَع وَالنِّفَاقِ وَالشُّبُهات، فإِنَّ شَرَّهُم عَظيمٌ عَلىٰ عَقيدَة المُسلمِين وَأَمنِهم، وَلَك أنْ تُمَثِّل عَلىٰ ذَلك بِمِثالَيْن لَمَّا قَرَّبَهم وُلاةُ الأَمْر، فَأَحَدُهم أَفسَد عَقيدةَ أَهْلِ السُّنَّة، وَالآخَرُ تَسَبَّب بإِزالَةِ الدَّولَةِ :

فالأُول: بِشْر المريسِيُّ وَأَحمدُ بنُ أَبِي دُؤاد، لَمَّا قَرَّبَهما المأْمُون، وَأَفسَدا عَقيدَتَه بِبِدعَة خَلْق القُرآنِ، وَالقِيامِ بتَرجَمَة كُتُب اليُونانِ، كَم حَصَل بَعد ذَلك لِلمُسلِمِين مِن شرٍّ مُستَطِير عَلىٰ عَقيدَتِهم.

وَالثَّاني: ابنُ العَلقَمِيِّ الرَّافِضِي لَمَّا قَرَّبَه الخَليفَة العَبَّاسِي، وَجَعلَه وَزيرًا له تَسبَّب بالقَضاءِ عَلىٰ الدَّولَة العَبَّاسيَّة وَزَوالِها وَقَتل الخَليفَة وَقُوَّاده وَقُضَاته.

وانْظُر في المُقابِل – مِمَّن تَبيَّن لَنا مِن دِراسَتِنا – كَيف كانَ مِن أَكبَر أَسبابِ قُوَّة الدَّولَة السَّعُودِيَّة وَقَضائِها وَوُقُوفِها ببَسَالةٍ أَمامَ الهَجَمات الخَارِجِيَّة وَالفِتَن الدَّاخِلِيَّة ارْتِباطُ وُلاةِ أَمرِها بعُلَمائِها، وَصِدق نُصْح العُلمَاء لَهُم وعلىٰ رأسهم الشيخ الإمام المجدد الثاني عبدالرحمن بن حسن.

٧- حَاجةُ الأُمَّة المَاسَّة لِلعُلَماء النَّاصِحين الصَّادِقِين، فَهُم الَّذِين جَاءت النُّصُوص الشَّرعِيَّة بوُجُوب الارْتِباط بِهِم، وأَنَّهُم مِن أَكْبَر أَسبابِ دَرءِ الفِتَن، وَالنُّصْرة وَالتَّمكِين.

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣]. وقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَزالُ طَائِفةٌ مِن أُمَّتي عَلىٰ الحَقِّ ظَاهِرينَ لَا يَضُرُّهم مَن

خَذَلَهُم وَلَا مَن خَالَفَهم حَتَّىٰ يَأتِيَ وَعدُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»[(١)]، قال البُخاريُّ: (وَهُم العُلماءُ).

٨- فَضلُ العِلم الشَّرعِي في صَلاحِ الفَرْد وَالمُجتَمَع، مَع الارْتِباطِ بأَهْلِه، وأَنْ يُؤخَذ مِن مَنابِعِه الصَّحيحَة، ومِن أَفواهِ الكِبَار، فإِنَّ النَّاس لا يَزالُون بِخَير مَا أَخذوا العِلْم مِن كُبرائِهم، فإِذا أَخذُوه مِن صِغارِهم هَلَكوا.

٩- خُطورَةُ مُجالَسَة أَهلِ البِدَع، فإِنَّ المَرءَ عَلىٰ دِينِ خَليلِهِ. فإِنَّ عُثمانَ بنَ مَنصُور، كانَ مِن تَلامِيذِ الشَّيخ عَبْد الرَّحمَن بن حَسَن وَابْنه الشَّيْخ عَبد اللَّطيف، وَلَكنَّه لَمَّا ذَهب إِلىٰ الزُّبَيْر وَجالَس المُعادِين لِدَعوَةِ التَّوحيدِ والسُّنَّة فإِنَّه تَأَثَّر بِهِم، وَتَرَك مَا عَلَيه أَهلُ بَلدِه، وما تَلقَّاهُ مِن عَقيدَةٍ صَحيحَةٍ، وَأَخذ يُعادي عُلمَاءَ نَجْد، ويُعادِي الدَّعوةَ السَّلفيَّة، ويُناصِر أَهلَ البِدَع، كمَا مَرَّ مَعَنا.

١٠- بُطلانُ دَعاوَىٰ بَعضِ المُفكِّرينَ مِن أَنَّ دَعوَةَ الشَّيْخ مُحَمَّد بن عَبدِ الوَهَّاب ومُناصَرَة الإِمام مُحَمَّد بن سعُودٍ لَه أَنَّها كَانَت سِياسِيَّة، وبُطلان مَا حَرَّفُوه فِيه كَلامِ المُؤَرِّخين وَالعُلماء المُعاصِرين لِدَعوَةِ الشَّيْخ بِقَولِهِم أَنَّ نَجدًا لَم يَكُن فِيها شِرْك وعِبادَة للقُبُور، وأَنَّ ما ذَكَرَه مِن ذَلك إِنَّما هُو مُبالَغَة.

١١- بُطلانُ دَعاوَىٰ المُناوِئين للدَّعْوة السَّلَفِيَّة باتِّهامِهِم لِعُلمائِها بأَنَّهم يُكَفِّرُون المُسلِمين، وَيُقاتِلُون كُلَّ مَن خَالَفَهُم لِمُجَرَّد المُخالِفَة، وَاتِّهامِهِم بأَنَّهُم أَتوا بِمَذهَبٍ جَديدٍ.

(١) المصدر السابق (ص٤١٥).

ثَانيًا: التوْصِيات:

١- العَمَل عَلىٰ إبرازِ جُهُود الشَّيخ عَبد الرَّحْمن بن حَسَن رَحِمَه اللهُ تَعالىٰ، بتَحقِيق رَسائِلِه وَنَشرِ مُؤلَّفَاتِه، سَواء ما كَانَ مِنها في العَقيدَةِ أَو مَا كَان في سَائر الفُنُون مِن الفِقْه وَالحَدِيث وَالفَتَاوَىٰ.

٢- العَمَل عَلىٰ إبرازِ سِيرَة هَذا الإِمامِ المُجاهِد العَالِم، وَما قَام بِه مِن أَدوارٍ عَظيمَة في نُصرَةِ الدَّولَةِ وَتَثبِيتِها، وَمُسَاعَدته للأَئِمَّة الَّذين عاصَرَهم ضِدَّ الفِتَن وَالعُدوانِ عَنها.

وكان جُهودٌ فَرْدِيَّة بِذَلِك، وَلَكِن لَيْس عَلىٰ المُستَوىٰ المَطلُوب، فيَنْبَغي أنْ تَقومَ بِهَذا مُؤسَّساتُ الدَّولَة؛ كالجَامِعاتِ الإِسلامِيَّة، وَوَزارَةِ الثَّقافَة وَالإِعلامِ، وَوَزارَةِ الشُّؤون الإِسلامِيَّة والدَّعوةِ وَالإِرْشَاد، وَغَيْرها. فإِنَّ حَياتَه رَحِمَهُ اللهُ أنمُوذَج يقتدىٰ به للعَالِمِ العَامِلِ الرَّبَّانِيِّ النَّاصِح للهِ وَرَسُولِه وَدِينِه وَأَئِمَّة المُسلِمِين وَعامَّتِهم.

٣- الحِرصُ عَلىٰ إِقامَةِ مَشارِيع عِلمِيَّة تَختَصُّ بدِرَاسَة عُلماء وَأَئِمَّة نَجْد، وَدِراسَة رَسائِلِهم وَالعَمَل عَلىٰ تَحقِيقِها وَنَشْرها، فإِنَّ وُجودَها مَبثُوثَة في مَجمُوعة الرَّسائِل وَالمَسائِل وفي مَجمُوع الدُّرَر السَّنِيَّة تَقِلُّ الفَائِدَة مِنها إِلَّا لِباحِثِين مُتَخَصِّصينَ.

٤- العَمَل الجَادُّ علَىٰ دَفْع الشُّبَه والتَّشْويه المَقصُود لِعُلماء وَأَئِمَّة نَجْد لِتَنْفِير النَّاس عَن مُؤلَّفاتِهم وَرسَائِلهم، خَاصَّة عِند الشَّبَاب وَطُلَّاب العِلْم المُبتَدِئين.

وهَذا مَا نَراهُ اليَوم في بعْض أَبْناء جِلْدَتِنا مِمَّن تَقَبَّل تِلك الدَّعاوَىٰ والشُّبُهاتِ

فَتركُوا رَسائِلَ هَؤلاء الأَئِمَّة، وَانَغمَسُوا بِمُؤَلَّفاتٍ فِكرِيَّة لأَصْحابِ عَقائِد فَاسِدَةٍ، وَمَناهِج مُبْتَدَعَة، فَأَنْتَج ذَلك فِيهم خَللًا في عَقائِدِهم وفي وَلائِهِم وَبَرائِهم.

٥- أنْ تَقومَ وَزارَة التَّربية وَالتَّعلِيم وَجَامِعَات المَملَكَة بتَقْرِير بَعضِ رَسائِل الشَّيْخ عَبْد الرَّحمن بن حَسَن مِن ضِمْن مَناهِجِها، فَإِنَّها مِن أَعظَم مَا يَتَرَبَّىٰ عَلَيها أَبناؤُنا، مِمَّا تُثْمِر فِيهم سَلامةً في المَنهَج، وَسَلامَةً في الوَلاءِ والبَرَاء، وَاسْتِقامَةً في مُعامَلَة العُلَمَاء وَالوُلاةِ. مِمَّا يثمر إن شاء الله قَضاءً عَلىٰ جذور فِكر التَّكفِير وَالخَوارِج أو يُقلِّص من انتشاره وَالَّذي بَدَأ يَدُبُّ مِن جَديدٍ في أَبناءِ جِلدَتِنا نَتيجَة الجَهْل بالسُّنَّة، وَالبُعد عَن رَسائِل العُلماءِ، ونتيجة دخول جماعات فكرية منحرفة انتهجت نهج التكفير.

٦- عَلىٰ وُلاةِ الأَمْر العَمَلُ عَلىٰ تَقريبِ العُلماءِ الرَّبانِيِّين أَهْل السُّنَّة، فَإِنَّ في ذَلك الخَيرَ لَهُم وَلِشُعوبِهِم.

وَحالُ الإِمام تُركِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَأَبنائِه مِن بَعدِه مِن تَقرِيبِهم للإِمَامِ الشَّيْخ عَبْد الرَّحْمَن بن حَسَن وَمَا أَثْمَر ذَلكَ مِن خَيرٍ لِلدَّولَةِ وَدَرءٍ لِلشَّرِّ عَنها مِن أَكبَر الدَّلائِل وَالبَراهِين عَلىٰ ذَلِك.

وَعَلَيْهم أنْ يَحذَرُوا مِن أَنْ يَتَّخِذُوا مِن أَهلِ البِدَع بِطَانةً لَهُم، مِن مُستَشَارِين أَو وُزَراءَ أَو غَير ذَلك.

وَقَد رَسَم اللهُ عَزَّوَجَلَّ للحُكَّام والسَّلاطِين هَذا السَّبيل فَقالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ

تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وَقالَ: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٦].

والتَّاريخُ حَفِظ لَنا مَا فِيه عِبرَةٌ وَعِظةٌ؛ فهذان الجهميان ابنُ أَبي دُؤاد وَالمريسِيُّ، مَاذا فَعلَا في الدَّولَة الأمويَّةِ مِن فَسادٍ في العَقيدَة مُستَطِير. وهذا ابنُ العَلقَمِيِّ الرافضي مَاذا فَعلَ في الدَّولَةِ العَبَّاسِيَّة مِن خِيانَةٍ وَغَدرٍ أَدَّىٰ إِلىٰ قَتْل الخَليفَة وَحَرَمِه وَقُوَّادِه وَسُقُوط الدَّولَة العَبَّاسِيَّة.

فَهلْ مِن مُعتَبِر وَمُتَعَّظٍ!

(وهذا ختام هذه الرسالة- دراسةً وتحقيقًا- فنسأل الله تعالىٰ أن يَختم لنا بخاتمة حسنة، وهو راض عَنَّا.

وصَلَّىٰ اللهُ وسَلَّم وبَارَكَ علىٰ خَاتم المُرسلين نبينا مُحَمَّد وعلىٰ آله وصَحْبه أَجْمَعين).

فهرس الآيات القرآنية

الفاتحة

البقرة

آل عمران

النساء

المائدة

الأنعام

الأعراف

الأنفال

التوبة

يونس

النحل

الإسراء

الكهف

مريم

طه

الأنبياء

الحج

المؤمنون

النور

الفرقان

الشعراء

القصص

العنكبوت

الروم

لقمان

الأحزاب

سبأ

فاطر

يس

الصافات

ص

الزمر

غافر

فصلت

الشورى

الزخرف

الأحقاف

الفتح

الحجرات

الذاريات

الحديد

المجادلة

الحشر

الممتحنة

المنافقون

التغابن

الطلاق

المعارج

الجن

النبأ

النازعات

البروج

البينة

الكافرون

الإخلاص

الناس

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأماكن

فهرس الفرق والطوائف

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة الكبرىٰ، ابن بطة العُكْبَري، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية، الرياض.

٢- الإبانة عن أصول الديانة، علي بن إسماعيل بن أبي بشر، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار - القاهرة، ط: الأولىٰ، ١٣٩٧هـ.

٣- اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م.

٤- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٥- الأديان والفرق، شيبة الحمد- مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مُقرَّر طلاب الشهادة العالية، بكلية أصول الدين.

٦- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الثانية - ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

٧- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد الله

بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي - جدة، ط: الأولىٰ.

٨- أصول السنة، ابن أبي زمنين- مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية، ط الأولىٰ ١٤١٥هـ، ت: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري.

٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

١٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل- بيروت، ١٩٧٣م.

١١- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت- الطبعة الخامسة- ١٩٨٠م.

١٢- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥م.

١٣- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، ط: الأولىٰ، ١٤١٩هـ.

١٤- إيضاح المكنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٥- الإيمان، ابن أبي شيبة، ضمن مجموعة رسائل في مسائل الإيمان، دار المودة للنشر والتوزيع، المنصورة، ط الأولىٰ ١٤٣٠هـ، ت: طارق بن عاطف.

١٦- الإيمان، العَدني، ضمن مجموعة رسائل في مسائل الإيمان، دار المودة للنشر والتوزيع، المنصورة، ط الأولىٰ ١٤٣٠هـ، ت : طارق بن عاطف.

١٧- الإيمان، شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي- بيروت، ط: الثالثة ١٤١٠هـ.

١٨- بحث في آثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن مجدد الدعوة الإصلاحية في نجد، الأستاذ أحمد بن حافظ الحكمي. طبع في مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الخامسة، ١٤٠٠هـ.

١٩- بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط: الثانية ١٤١١هـ.

٢٠- بحوث ندوة الأماكن الجغرافية في المملكة العربية- دار الملك عبد العزيز- الرياض، ١٤٢٨هـ.

٢١- بدائع الفوائد، ابن القيم، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز - مكة المكرمة، ط: الأولىٰ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٢- البداية والنهاية، ابن كثير- مكتبة المعارف- بيروت.

٢٣- البدر الطالع، الشوكاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

٢٤- البدو الرُّحل عبر التاريخ، لبعض المستشرقين، ٢٠٠٧م، الدار العربية للموسوعات.

٢٥- تاريخ ابن بشر- ت : عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ- مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ط: الرابعة، ١٤٠٢هـ.

٢٦- تاريخ ابن خلدون- دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الثالثة ٢٠٠٦هـ.

٢٧- تاريخ الجامع الأزهر، محمد بن عبد الله عنان، الهيئة المصرية العامة

للكتاب.

٢٨- تاريخ الدولة السعودية الأولىٰ، فيليكس مانجان، ترجمة وتعليق عليه: محمد البقاعي- دار الملك عبد العزيز، ط: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ.

٢٩- تاريخ الفاخري، تأليف محمد بن عمر الفاخري، دراسة وتحقيق وتعليق: عبد الله بن يوسف الشبل، الناشر: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام علىٰ تأسيس المملكة العربية السعودية. سنة النشر: ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٣٠- تاريخ المملكة العربية السعودية، الدكتور عبد الله بن صالح العثيمين، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣١- تاريخ الوهابيين، لويس ألكسندر، ترجمة البقاعي، البلوي- دار الملك عبد العزيز- ط: ١٤٢٦هـ.

٣٢- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٣- تاريخ نجد، العلامة محمد الألوسي، محمد بهجة الأثري، ط: الرابعة، ١٤٢٦هـ.

٣٤- تاريخ نجد، حسين بن أبي بكر بن غنام، ناصر الدين الأسد (محرر)، قابله علىٰ الأصل: عبد العزيز بن محمد الشيخ، دار الشروق.

٣٥- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري، علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٣٦- تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، محمد بن عبد الله

آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي- الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام علىٰ تأسيس المملكة، ط ١٤١٩هـ.

٣٧- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولىٰ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٨- تراجم لمتأخري الحنابلة، الشيخ سليمان بن حمدان- ت: بكر أبو زيد- دار ابن الجوزي، ط: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

٣٩- التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة، لطيفة السلوم، ط: الثانية، ١٤١٩هـ.

٤٠- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.

٤١- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط: الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

٤٢- تعليق علىٰ ملخص أبيات من النونية، العلامة عبد الرحمن بن حسن- ت: يوسف السعيد، المكتب التعاوني، حوطة سدير، ط: الأولىٰ، ١٤٢٥هـ.

٤٣- تفسير ابن أبىٰ حاتم، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية - صيدا .

٤٤- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٤٥- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق

محمد عوامة، دار الرشيد- سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٦- التقريب، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة- دار الرشيد- سوريا- حلب، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ.

٤٧- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ط: الأولىٰ ١٤١٩هـ- ١٩٨٩م.

٤٨- تلخيص كتاب الاستغاثة، ابن كثير- الدار العلمية للنشر والتوزيع- دلهي.

٤٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، مؤسسة قرطبة.

٥٠- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د.عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشيد - الرياض، ط: الخامسة، ١٩٩٤م.

٥١- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.

٥٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولىٰ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٥٣- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٥٤- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة - بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

٥٥- الجامع الفريد، كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية، ط: الخامسة، ١٤٢٣هـ.

٥٦- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر ابن عبد البر، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان - دار ابن حزم، ط: الأولىٰ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ هـ.

٥٧- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله ابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٨- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي، دار الكتاب النفيس - بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤٠٧هـ.

٥٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٦٠- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية، حصة الزهراني- الرياض، ١٤٢٥هـ.

٦١- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية، محمد العقيلي، نادي أبها الآدبي- دار البلاد، ط: الأولىٰ، ١٤٠٤هـ.

٦٢- خزائن الكتب العربية في الخافقين، الفيكنت فيليب- دار الكتب اللبنانية- منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة.

٦٣- خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق:

د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية - الرياض، ١٣٩٨ - ١٩٧٨.

٦٤- الدر المنثور في الرد علىٰ عثمان بن منصور، العلامة عبد الرحمن بن حسن، مراجعة: إسماعيل بن عتيق- مكتبة الهداية- الرياض، ط: الأولىٰ، ١٤١٣هـ.

٦٥- الدُّر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣م.

٦٦- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١هـ.

٦٧- دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث المعاصر، عبد الفتاح أبو علية، دار المريخ للنشر- الرياض، ط ١٤٠٦هـ.

٦٨- الدُّرر السَّنية؛ مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلىٰ عصرنا هذا. جمع: عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي ، ط: السادسة، ١٤١٧هـ.

٦٩- ديوان المُتنبي، شرحه وكتب هوامشه: مصطفىٰ سبتي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط: ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٧٠- ذم التأويل، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية - الكويت، ط: الأولىٰ، ١٤٠٦.

٧١- ذيل تذكرة الحفاظ، أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية، ط: الأولىٰ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٧٢- الرد علىٰ الجهمية، عثمان بن سعيد أبو سعيد الدارمي، تحقيق: بدر بن

عبد الله البدر، دار ابن الأثير - الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٧٣- الرسائل والمسائل لبعض علماء نجد، دار العاصمة، ط ١٤٠٩.

٧٤- روضة الناظرين، محمد بن عثمان بن صالح القاضي- إدارة المطبوعات بالقصيم، ط: الأولىٰ.

٧٥- الزهد، عبد الله بن المبارك ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٦- السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض.

٧٧- السلسلة الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض.

٧٨- سلسلة شرح الرسائل، العلامة صالح الفوزان- اعتنىٰ به: عبد السلام السحمان، ط: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ.

٧٩- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

٨٠- السنة، ابن أبي عاصم، بقلم: محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي، ط: الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٨١- السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم - الدمام، ط: الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

٨٢- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.

٨٣- سنن أبي داود، أبو داود السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

٨٤- سنن الترمذي، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي - مصر، ط: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٨٥- السنن الصغرىٰ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط: الثانية، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

٨٦- السنن الكبرىٰ، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨٧- السياسة الشرعية، ابن تيمية- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف- الرياض- ط: ١٤١٩هـ.

٨٨- سير أعلام النبلاء، الذهبي- ت: شعيب الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت- شارع سوريا، ط: الرابعة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٨٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة- الرياض، ١٤٠٢هـ.

٩٠- شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الثانية - ١٤١٤هـ.

٩١- شرح العمدة في بيان مَناسك الحج والعمرة- ت: صالح بن محمد الحسن- مكتبة العبيكان- الرياض، ط: الأولىٰ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٩٢- شرح القصيدة النونية، محمد بن صالح العُثيمين- مكتبة الطبري- القاهرة، ط: الأولىٰ ١٤٩٢هـ- ٢٠٠٨م.

٩٣- الشرح المختصر علىٰ زاد المستقنع، الفوزان، دار العاصمة، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٩٤- الشرح الممتع علىٰ زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، ط: الأولىٰ، ١٤٢٨هـ.

٩٥- شرح المنظومة الرائية في السُّنَّة، أبو القاسم الزنجاني- مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض- اعتنىٰ به: عبد الرزاق بن عبد المُحسن البدر.

٩٦- شرح نظم الورقات، ابن عثيمين- دار ابن الجوزي، ط الثانية ١٤٢٧هـ.

٩٧- شَرَف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادي، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، دار ابن تيمية.

٩٨- الشريعة، الآجري- تحقيق: عصام موسىٰ هادي- دار الدليل الأثرية للنشر والتوزيع، ط: الأولىٰ، ١٤٢٨هـ.

٩٩- الشيخ عبد الرحمن بن حسن، خالد الغنيم- مكتبة الرشد- شركة الرياض، ط: الأولىٰ ١٤١٨هـ.

١٠٠- الشيخ محمد ين عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، الشيخ أحمد آل بوطامي، قَدَّم له وصَحَّحه: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الطبعة الثانية.

١٠١- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان، أبو حاتم البُستي، ترتيب: علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، مؤسسة الرسالة.

١٠٢- صحيح أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس، الكويت، ط: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٠٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

١٠٤- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠٥- الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة - الرياض، ط: الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٠٦- ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض.

١٠٧- الطرق الحُكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مطبعة المدني- القاهرة.

١٠٨- ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٠٩- العبر في خبر مَن غبر، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت.

١١٠- عجائب الآثار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي- ت: الدكتور عبد الرحيم بن عبد الرحمن عبد الرحيم- دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط: ١٩٩٧م.

١١١- العظمة، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة - الرياض، ط: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

١١٢- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسىٰ النجدي الحنبلي، حققه وعلق عليه: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، طبع بمطابع الناشر العربي- الرياض.

١١٣- عقود العجمان في أيام آل سعود في عمان، عبد الله المطوع – ت: محمد الخضيري، الرياض ١٤٣٠هـ.

١١٤- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، صالح بن عبد الله العبود، ط الثانية.

١١٥- العقيدة الواسطية، العلامة صالح الفوزان، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط: الثامنة ١٤٢٩هـ.

١١٦- العلاقات بين نجد والكويت، خالد السعدون- مطبوعات دار الملك عبد العزيز- الرياض، ١٤٠٣هـ.

١١٧- علماء الدعوة، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط ١٣٨٦هـ.

١١٨- علماء نجد خلال ثمانية قرون، البسام- دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤١٩هـ.

١١٩- العلو، ابن قدامة- ت: د. أحمد عطية الغامدي- مؤسسة علوم القرآن- بيروت- مكتبة العلوم والحكم- المدينة النبوية، ط: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

١٢٠- عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، ط٤، ١٤٠٣هـ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز- الرياض.

١٢١- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية، ١٤١٥هـ.

١٢٢- فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم- مطبعة الحكومة، بمكة المكرمة، ١٣٩٩هـ.

١٢٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٢٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط: الخامسة، ١٤٢١هـ.

١٢٥- فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن العثيمين، مقرر جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض، ط: العاشرة، ١٤١٩هـ.

١٢٦- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط: الثانية، ١٩٧٧م.

١٢٧- فقه الأسماء الحسنىٰ، الدكتور عبد الرزاق البدر، ط: الثانية، ١٤٣١هـ.

١٢٨- الفهرس المختصر لمخطوطات مكتبة الحرم المكي، محمد سيد، وعادل بن جميل- مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض- ط: ١٤٢٧هـ.

١٢٩- الفهرس الوصفي لمخطوطات السيرة النبوية، د. قاسم السامراني- مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١٤١٦هـ.

١٣٠- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٣١- فيض القدير، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٣٢- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: الثالثة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

١٣٣- القول السديد شرح كتاب التوحيد، الإمام محمد بن عبد الوهاب، ط: الثانية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

١٣٤- القول الفصل النفيس في الرد على بن جرجيس، عبد الرحمن بن حسن- إشراف: إسماعيل بن عتيق- دار الهداية-الرياض، ط ١٤٠٥هـ.

١٣٥- القول المفيد على كتاب التوحيد، العلامة محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، محرم، ١٤٢٤هـ.

١٣٦- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر- بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٣٧- الكامل، ابن الأثير - ت: خليل مأمون شيحا- دار المعرفة- بيروت،

ط: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

١٣٨- لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم - بيروت.

١٣٩- لسان العرب، ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، ط: الأولىٰ.

١٤٠- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٤١- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط: الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٤٢- مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٤٣- مجموع فتاوىٰ ورسائل العلامة محمد العثيمين- جمع وترتيب: فهد السلمان- دار الثريا للنشر- الرياض، ط: الثانية ١٤٢٦هـ.

١٤٤- مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز- جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر- إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

١٤٥- مجموع كتب ورسائل وفتاوىٰ العلامة ربيع المدخلي- دار الإمام أحمد- القاهرة، ط: الأولىٰ، ١٤٣١هـ.

١٤٦- مجموعة التوحيد، محمد بن عبد الوهاب- الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام علىٰ تأسيس المملكة، ط: ١٤١٩هـ.

١٤٧- محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترىٰ عليه، مسعود الندوي، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة: ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

١٤٨- مختصر العلو للعلي الغفار، الحافظ الذهبي، المكتب الإسلامي- بيروت، ط: الثانية – ١٤١٢هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

١٤٩- مختصر العلو للعلي الغفار، الحافظ الذهبي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط: الثانية – ١٤١٢هـ.

١٥٠- المخطوطات النجدية في الخزانة الشاويشية، راشد بن عساكر – دار درر التاج- الرياض، ط: الأولىٰ، ١٤٣٢هـ.

١٥١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

١٥٢- مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري- مؤسسة دار الأصالة- الرياض، ط: الرابعة، ١٤١٥هـ.

١٥٣- المستدرك علىٰ الصحيحين، الحاكم- إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، توزيع دار الباز مكة المكرمة- دار المعرفة، بيروت.

١٥٤- المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني والثالث عشر، محمد الألوسي- ت: الحيوري- الدار العربية للموسوعات، ط: الأولىٰ، ١٤٢٧هـ.

١٥٥- مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

١٥٦- مشاهير علماء نجد، عبد الرحمن آل الشيخ- دار اليمامة- الرياض، ط: الأولىٰ، ١٣٩٢هـ.

١٥٧- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الثالثة - ١٤٠٥ - ١٩٨٥.

١٥٨- مصباح الظلام في الرد علىٰ من كذب الشيخ الإمام، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، القسم الأول، تحقيق ودراسة: علي بن موسىٰ الشافعي، أ.د. سليمان بن قاسم العيد ١٤٢٤هـ.

١٥٩- مصباح الظلام في الرد علىٰ من كذب الشيخ الإمام، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، القسم الثاني، تحقيق ودراسة: خالد بن محمد الشنيبر، د. خالد بن عبد الله القاسم، ١٤٢٥ هـ

١٦٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي، المكتبة العلمية - بيروت.

١٦١- مصطلحات في كتب العقائد، الحمد- دار ابن خزيمة- السعودية- ط: الأولىٰ، ١٤٢٧هـ.

١٦٢- مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٦٣- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، ط: الأولىٰ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٦٤- معجم الأدباء، شهاب الدين الحموي- ت : د. عمر فاروق الطباع- مؤسسة المعارف، بيروت، ط: الأولىٰ ١٤٢٠هـ.

١٦٥- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط: الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

١٦٦- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٦٧- معجم مصنفات الحنابلة، الطريقي- ط: الأولىٰ- الرياض- ١٤٢٢هـ.

١٦٨- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٦٩- المعرفة والتاريخ، الفسوي. ت: أكرم ضياء العمري- مكتبة الدار- المدينة النبوية، ط الأولىٰ ١٤١٠هـ.

١٧٠- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر - بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.

١٧١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر

أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٧٢- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: الثالثة، تحقيق: هلموت ريتر.

١٧٣- المقامات، الشيخ عبد الرحمن بن حسن- مكتبة دار الهداية - الرياض.

١٧٤- مكتبات الدولة السعودية الأولىٰ المخطوطة، حمد بن عبد الله العنقري- دار الملك عبدالعزيز، ط: الأولىٰ، ١٤٣٠هـ.

١٧٥- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٧٦- منار السبيل في شرح الدليل، ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: السابعة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٧٧- منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط: الأولىٰ.

١٧٨- منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، دار الوطن، ط: الأولىٰ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٧٩- مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

١٨٠- المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال، الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، مكتبة الهداية، الرياض.

١٨١- موسوعة الأديان، د. مانع بن حماد الجهني- دار الندوة العالمية- الرياض- ط: الثالثة، ١٤١٨هـ.

١٨٢- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية.

١٨٣- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس، أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- مصر.

١٨٤- مُوقفو المخطوطات النجديون، خالد بن زيد المانع- ط الأولىٰ ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٨٥- ناسخو المخطوطات النجديون، خالد بن زيد المانع، ط: الأولىٰ، ١٤٣١هـ.

١٨٦- هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبعة إستانبول، ١٩٥٥م.

١٨٧- الوافي بالوفيات، الصفدي- ت: أحمد الأرناؤوط- دار إحياء التراث العربي، ط: الأولىٰ ١٤٣٠هـ.

الدوريات:

١- مجلة دارة الملك عبد العزيز- العدد الثالث- السنة الثالثة- شوال

١٣٩٧هـ- سبتمبر ١٩٧٧م.

٢- مجلة دارة الملك عبد العزيز- العدد الرابع- السنة الخامسة- رجب ١٤٠٠هـ- يونية ١٩٨٠م.

٣- مجلة دارة الملك عبد العزيز- العدد الرابع- السنة السادسة- شعبان ١٤٠١هـ- يونية ١٩٨١م.

فهرس الموضوعات